موسوعة

التاريخ الإسلامي

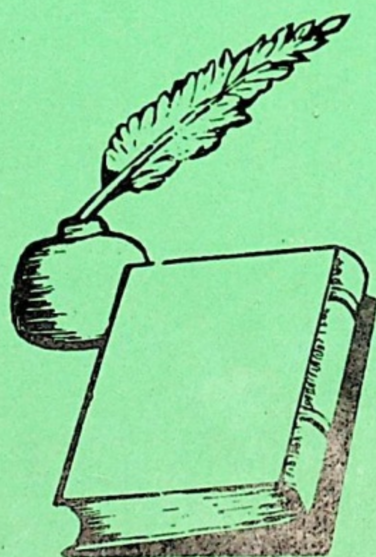
والحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج

استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي - القاهرة

مع إضافات واسعة وتحقيقات جديدة

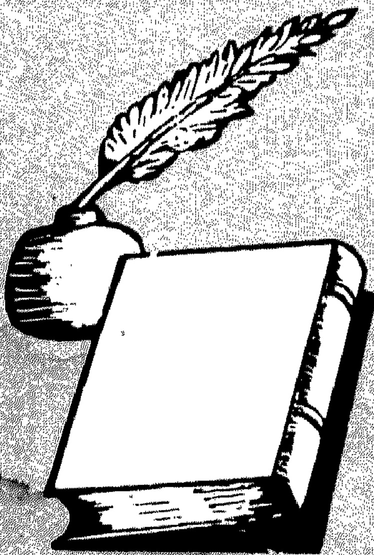
موسوعة

التاريخ الإسلامي

١٠

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر
(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)

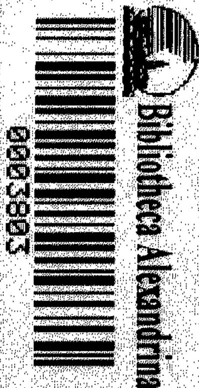
أنور السادات : شخصيته وعصره
دراسة محايدة



تأليف
الدكتور أحمد شلبي
دكتوراه من جامعة كمبردج

أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
والفائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي ـ القاهرة



الطبعة الأولى ١٩٩٠

موسوعة

التاريخ الإسلامي

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ **العالم الإسلامى**
كله من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر ، مع دراسة الجوانب الحضارية
التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى .

١٠

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر
(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)
أنور السادات : شخصيته وعصره
دراســة محايدة

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا) .
أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

والحائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته فى التاريخ الاسلامى والحضــارة الاسلامية

الطبعــة الأولى (١٩٩٠)



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

التاريخ . . . . . .

شعاع من الماضى ينير الحاضر والمستقبل .

خطة البحث فى هذه الموسوعة

ان خطة البحث التى اتبعتها فى كتابة « التاريخ الاسلامى » **خطة جديدة** ومريحة ، ويسرنى أن ابرزها فى التخطيط التالى ليعرف القارىء كنهها ، وليسهل عليه متابعتها :

دراسة زمنية فى هذه الأجزاء الثلاثة اذ ان العالم الاسلامى وحدة واحدة .	ج ١	العرب قبل الاسلام — السيرة النبوية العطرة — عصر الخلفاء الراشدين
	ج ٢	الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها
	ج ٣	الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ودور المسلمين خلاله فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية

ثم دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) فى الأجزاء الخمسة التالية لأن العالم الاسلامى انقسم الى دويلات كثيرة ، ويشمل كل جزء من هذه الأجزاء قطاعا من العالم الاسلامى ، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مبتدئين من الغرب ومتجهين الى الشرق كالتخطيط التالى :

الجزء الثامن	الجزء السابع	الجزء السادس	الجزء الخامس	الجزء الرابع
التاريخ الاسلامى للدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران — أفغانستان — الباكستان — بنجلاديش — باليزيا — اندونيسيا — الأقليات الاسلامية بالصين والاتحاد السوفيتى والهند والفلبين وسنغافورة .	الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الآن . دول الجزيرة العربية : المملكة العربية السعودية — عمان اليمن — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — العراق	الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن : — وسائل انتشار الاسلام بقلب افريقية . دراسة عن { — الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوربى . — الدول الاسلامية الحالية : موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالى — النيجر — نيجريا — تشاد — السودان — الصومال	— مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر — الحروب الصليبية : دوافعها — ادوارها — نتائجها — الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ ظهورها حتى الآن	— الأندلس الاسلامية وانتقال الحضارة الاسلامية منها الى أوروبا — المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا ، من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر — السنوسية : مبادئها وتاريخها

وتختم الموسوعة بدراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر :

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب وعصر عبد الناصر عصر المظالم والهزائم

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : أنور السادات : شخصيته وعصره

تاريخ الملوك والرؤساء

كثير من الملوك والرؤساء يندمجون فى ترف الحياة وأبهة السلطة ، وينسون أن ذلك إلى نهاية ، وأن تاريخهم يُدَوَّن من يوم إلى يوم ، وأن هذا التاريخ سيعيش بعدهم أحقابا طويلة ، يحكى حياتهم ، ويصوّر أعمالهم ، ويجلب لهم الرحمات ، أو يستنزل عليهم اللعنات .

وهذا الكتاب تذكير لمن نسى ، حتى لا يغترّ رئيس بحاضره ، وحتى يدرك كل رئيس مسئوليته امام اللـه وأمام الناس ، فى رعاية العهد الـذى قطعه على نفسه ، واليمين التى أقسمها أن يحكم بالعدل والقسطاس ، وأن يعطى بقدر ما يأخذ أو أكثر مما يأخذ ، وكم من رؤساء نعموا بضع سنوات ، ثم جلبوا على أنفسـهم وأهليهم السخط عدة قرون .

وها قد أنذرت ، فاللهم اشهد .

آراء بعض المفكرين
فى طبيعة الحكم العسكرى بمصر

اتضح أن الجيش جماعة أنانية ، متلهفة على الاستمرار فى السلطة ، تعيش فى ترف على حساب الآخرين ، حريصة على زيادة امتيازاتها ، وهى بعيدة عن الطبقات العاملة بعدا شاسعا .

(Macseem Rodenson)

تخلى ثوار مصر عن مبادئهم التى كانوا يعلنونها قبل الثورة ، فقد كانوا يهاجمون الأحكام العرفية ، وتزييف الانتخابات ، والرقابة على الصحف ، واعتقالات السياسيين .... ولكنهم سرعان ما أصبحوا يزاولون هذه الأعمال وأكثر منها بشراسة ، فقد استطابوا الحكم ، واستبعدوا فكرة تسليم السلطة للشعب .

(Gourge Haddad)

أثبتت التجارب أن من العيب أن تطلب الديمقراطية الحقة من العسكريين ؛ فالإنسان العسكرى آلف الديكتاتورية ، يعامل بها من دونه ، ويقبلها ممن فوقه ، ومقياس الديمقراطية ليس فقط حرية الكلمة ، بل البعد تماما عن تزييف الانتخابات حتى تحكم البلاد بالممثلين الحقيقيين للشعب .

(دكتور أحمد شلبى)

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى :

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى حققتها الدول الاسلامية عبر التاريخ .

(ظهرت الطبعة الرابعة عشرة منها)

ثانيا : موسوعة الحضارة الاسلامية :

دراسة تحليلية فى عشرة أجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية ، التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شئون الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلاقات الدولية ، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية ، كما تبرز نشاط المسلمين لإحياء الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك ...

(ظهرت الطبعة التاسعة منها)

ثالثا : مقارنة الأديان :

سلسلة من الكتب فى أربعة مجلدات ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراساتها بالحيدة والعمق .

(ظهرت الطبعة التاسعة منها)

رابعا : كتب فى الثقافة العامة :

ــ كيف تكتب بحثا أو رسالة :

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه . (ظهرت طبعته الحادية والعشرون) .

ــ الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الآن .

ــ حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور : الشعوبية ــ القرامطة ــ الباطنية ــ الزنج ــ البابية والبهائية .

خامسا : كتب بلغات أجنبية :

١ ــ **ISLAM : Belief - Legislation - Morals.**

٢ ــ **History of Muslim Education.**

وعشرون كتابا باللغة الاندونيسية والماليزية .

سادسا : كتابان لخدمة اللغة العربية هما :

١ ــ تعليم اللغة العربية لغير العرب .

٢ ــ قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها .

سابعا : التفسير الميسر للقرآن الكريم :

تفسير موجز وواضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم اذا قرأته أو سمعته ، مع وقفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة .

المكتبة الاسلامية لكل الأعمار

تخطيط يشمل ١٠٠ جزء ظهر منها ٦٠ جزءا فى مجموعات أحيانا ، وفى أجزاء مستقلة أحيانا أخرى كالآتى :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة : (١٦ جزءا)

وتشمل سيرة الرسول كلها وجوانب منها تُدَوَّن لأول مرة ٠

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة : (٧ أجزاء)

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية : (٥ أجزاء)

نزول القرآن وتدوينه ـ اعجاز القرآن ـ الأخلاق الاسلامية من القرآن الكريم ٠

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم : (٧ أجزاء)

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف (٥ أجزاء)

لماذا انحرف تدوين التاريخ الأموى ؟ ماذا عن محاسن الأمويين ؟ مدّعو التشيع وسمومهم ـ قمم فى التاريخ الأموى : معاوية ـ عبد الملك بن مروان ـ الوليد بن عبد الملك ـ عمر بن عبد العزيز ـ التوسع الاسلامى فى العهد الأموى ـ قصة استشهاد الامام الحسين والمسئول عنها ٠

المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات : (٦ أجزاء)

ـ من شهداء الاسلام ٠

ـ الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الآن ٠

ـ شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه ٠

المجموعة السابعة : الاسلام والمرأة : (٦ أجزاء)

حالة المرأة فى الحضارات غير الاسلامية ـ ماذا قدم الاسلام للمرأة ؟ نماذج من السيدات المسلمات : من بيت النبوة (السيدة زينب والسيدة سكينة) ونماذج فى السياسة والآداب والعلوم والفنون ـ زيجات شهيرة فى التاريخ : (زبيدة ـ بوران ـ قطر الندى) ٠

المجموعة الثامنة : انتصارات المسلمين عبر العصور :

٣٠ معركة انتصر فيها المسلمون بدءا من معركة بدر سنة ٢ هـ الى معركة « الفاو » سنة ١٤١٠ هـ ٠

الميراث فى الشريعة الاسلامية : دراسة شاملة ٠

ـ تطوير دراسة التاريخ الأسلامى والحضارة الاسلامية ودور دار العلوم فى هذا المجال ٠

ـ تاريخ الطب فى الإسلام ٠

محتويات الكتـــاب

عصر أنور السادات

الباب الأول

السادات قبل الثورة

الموضـــــوع الصفحة

الباب الثالث

السادات رئيسا الجمهورية

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

أحداث سنة ١٩٧٤

أحداث سنة ١٩٧٥

أحداث سنة ١٩٧٦

الموضـــــوع | الصفحة

حادث المنصة

أحداث ليست من الحوليات

الموضـــــــوع	الصفحة

صور وخرائط ورسوم

عبد الناصر والسادات
وصلتهما بالتاريخ الإسلامى

دُهِش كثير من الناس عندما رأوا جزءاً من اجزاء موسوعة التاريخ الإسلامى يُخصّص للحديث عن محمد نجيب وعبد الناصر ، ففى تقدير هؤلاء أن التاريخ الإسلامى لا علاقة له بهذين الرئيسين وأمثالهما ، وأنه خاصٌ بحياة الرسول صلوات الله عليه والخلفاء الراشدين ، وقد يتّسع للحديث عن عصر الدولتين : الأموية والعباسية لا غير .

وتصحيحا لهذا الفكر نذكر أن المنهج التاريخى السليم يرى أن التاريخ الإسلامى يشمل :

أولا : تاريخ العالم الإسلامى كلّه عرباً وغيرَ عرب .

ثانيا : يمتدُّ التاريخ الإسلامى من مطلع الإسلام حتى الآن .

وفى ضوء هذا يكون تاريخ مصر فى عهد محمد نجيب وعبد الناصر جزءا من التاريخ الإسلامى ، ونحن بهذا نصحّح وضعا كان يقف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٤٨ م) وهذا الوضع ظاهرُ الخطأ :

فإذا كانت بغداد قد سقطت فغيرها من العواصم الإسلامية لم يسقط وظل مزدهرا .

وإذا كانت بغداد قد سقطت فقد أفاقت بعد حين .

وإذا كانت الخلافة العباسية قد انتهت فى العراق بعد تحوّلات بين الكوفة والأنبار وبغداد وسامراء ، فإن الخلافة العباسية قامت فى مصر بعد أن قَتَلَ المغول الخليفة المستعصم كما قتل الأتراكُ المتوكلَ والمعتزَّ بالله والمقتدر من قبل .

ثم إن زحف المغول استمر بعد سقوط بغداد ، فوصلوا إلى دمشق

وحلب وأنزلوا الدمار بكل مدينة نزلوا بها ، ثم التقى بهم المصريون فى « عين جالوت » وهزموهم هزيمة ناصمة • وبعد « عين جالوت » جدّد المغول جيشهم وزحفوا إلى الشام فالتقى بهم السلطان بيبرس وقضى عليهم ، وفى عهد السلطان قلاوون انتصر هذا عليهم فى حمص كما انتصر عليهم السلطان الناصر فى دمشق ، وكل هذه الانتصارات كانت بعد سقوط بغداد فكيف نقف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد بواسطة المغول مع أن جولات المغول استمرت بعد سقوط بغداد عدة سنوات •

وعلى هذا فلا معنى إطلاقا للوقوف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد أو قتل المستعصم ، فالخلافة الإسلامية لم ترتبط ببغداد وإنما تنقلت بين عواصم كثيرة من المدينة المنورة إلى الكوفة فدمشق فالكوفة مرة أخرى فالأنبار فبغداد فسامراء ، فبغداد مرة أخرى ، وقد قامت الخلافة الإسلامية بالقاهرة بعد سقوط بغداد •

قد نقول إن الخلافة فى القاهرة كانت صورية لا نفوذ لها ، ونجيب بأن الخلافة العباسية فقدت نفوذها قبل ذلك بوقت طويل أى بعد العصر العباسى الأول •

ثم إن المستعصم لم يكن أول من قُتل من الخلفاء ، فقد قتل قبله المتوكل والمعتز • • • كما ذكرنا آنفا •

ونتساءل إذا كنا عددنا المماليك جزءا من التاريخ الإســلامى وهم جُهال أميل إلى الكفر كما ثبت عن الأفشين وأشناس ؟ وعددنا البويهيين جزءا من التاريخ الإسلامى وهم فرس طغاة •••• فكيف لا نعدّ تاريخ مصر فى عهد عبد الناصر والسادات جزءا من هذا التاريخ •

مرة أخرى إن التاريخ الإسلامى عام الزمان والمكان يشمل كــل المسلمين فى مختلف الأنحاء ومختلف الأوقات •

وإذا كان الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامى قد خَصّص

للحديث عن محمد نجيب وعبد الناصر ، فإن هذا الجزء العاشر قد خصص للحديث عن أنور السادات ، وتاريخ هذه الحقبة حافل بأحداث الصراع ضد إسرائيل ، تلك الأحداث التى هزت العالم الإسلامى كله ، مما يثبت أن هذا التاريخ جزء من تاريخ المسلمين وتاريخ حياتهم ٠

وبعد هذا التصحيح والتوضيح نسير فى عرض تاريخ هذه الفترة مؤكدين أن تاريخ مصر خلالها هو جزء من التاريخ الإسلامى الفسيح ذلك التاريخ الذى يتسع ليشمل العالم الإسلامى كلـــه ، ويمتد مع امتداد الإسلام عبر الزمان ٠

مقدّمات

١ — مؤرخ التاريخ الحديث بين الحقائق من جانب والإعلام الزائف من جانب آخر :

مسكين ذلك المؤرخ الذى يكتب التاريخ الحديث فى بلد كمصر ، إنه يرى الأحداث ويعايش الحقائق أحيانا ، ويجمع ما يستطيع جمعه من الوثائق ، ثم ينظّم ذلك وينقده ويدوّنه ، ويعلق عليه ، ولكنه كثيرا ما يحس بأنه فى جانب والعالَم حوله فى جانب آخر ، فهو مشدود بالحقائق الملموسة والوثائق القوية إلى اعتقاد ، وكثيرون من الناس حوله مشدودون خلف اعتقاد آخر ، مخدوعين بوسائل إعلام كاذبة أو مضلّلين بطريقة أو أخرى .

لقد حدث هذا عندما كنت أكتب الجزء التاسع من هذه الموسوعة عن عهد عبد الناصر ، كنت أجمع ما أستطيع من وثائق ، وأتتبع الأحداث بيقظة وانتباه ، فأرى ظلاما وجَوْرا وتدميرا لبلادى ، وأرى نيلا من كرامة الإنسان المصرى وعدوانا على آدميته ، وأرى عبد الناصر وهو يذل الشعب ويحارب الديمقراطية ، وأراه وهو يشكّل المحاكم العسكرية التى تحكم بما يريد بصرف النظر عن موضوع القضى ، وتصل الأحكام إلى إعدام الأبرياء لأنهم لم يسيروا فى ركابه ، وأراه وهو يبتكر قانونا يدمّر الأزهر ثم يسمى هذا التدمير تطويرا .

ثم رأيت هزائمه التى تكررت والتى راح ضحيتها عشرات الآلاف من الشبان ، واحتل العدو أرضنا وسلب معدّات دفعنا دم القلب ثمنا لها ، ولم تكن الهزائم عن ضعف وإنما عن سوء تدبير ، وعن خلاف بين الرئيس ومشيره .

ورأيته وهو يبعث الجند والسلاح الكونغو ويوزع الملايين من الجنيهات ليكسب صحافة لبنان وصداقة الانتهازيين هناك .



القسوة والظلم والهزائم

ورأيت نوافذ تؤكد وجود انحرافات مالية خطيرة ثبتت فيما بعد ، وظهرت فى الثراء الفاحش الذى برز مرتبطا بأولاده وأزواج بناته .

كنت أرى هذا كله وأدونه ، فأسخط على الرجل الذى خان الأمانة ، الرجل الذى برز من بين الأطلال ، وقاد جماعة بدعوى إصلاح الأحوال ، فإذا بالجماعة تصبح عصابة كما سماها عبد الناصر نفسه عندما امتدت أساليب العصابة يوما لمواجهته ، إنها فعلا كانت عصابة كما قال ، ولكنه هو كان رئيس هذه العصابة ومكونها ، ثم أفلتت من نفوذه عندما اشتد عودها .

وانقض أفراد العصابة بعضهم على بعض حتى انهاروا جميعا وكتب عليهم الفناء ، ولكن بعد أن دمروا البلاد وسرقوا ثراءها وأذلوا ابناءها .

وبينما كنت أعيش هذه الأحوال وتلك المرارة كان الناس من حولى يهتفون لعبد الناصر ويتغنون باسمه ، فقد استطاعت وسائل الإعلام التى يمتلكها جميعا أن تضلل الشعب ، بل أن تصور الهزائم كأنها انتصارات عظيمة ، ولا شك أن بعض المصريين المخدوعين رددوا مع عبد الحليم حافظ أغنيته عقب حرب ١٩٥٦ التى يقول فيها :

وانتصرنا وانتصرنا

أى نصر هذا بعد الانسحاب من سيناء وتركها لإسرائيل ؟ وبعد سقوط الآلاف قتلى بأسلحة الصهاينة واستيلاء إسرائيل على سلاح المنسحبين ومعداتهم ، وبعد توقف قناة السويس وتدمير مدن القناة ، والاستيلاء على بترول سيناء ومعادنها .

وحتى هزيمة الساعات الست المريرة سنة ١٩٦٧ قنعوا بأن أسموها نكسة ، مع أنها هزيمة قاصمة .

وهناك كتّاب كانوا مخدوعين ، أو مأجورين ، أو طامعين فى فى سلطان ونفوذ ، أو متورطين فى أسباب الهزائم ، هؤلاء كتبوا يسبّحون بحمد عبد الناصر ، وتحدثوا عما أسموه ايجابيات وفضائل ، فساعدوا بذلك وسائل الإعلام على تضليل الشعب .

ويسألنى بعض السذّج : لماذا لم أكتب عن عبد الناصر فى حياته ؟

والذى يسأل هذا السؤال هو من السذّج البسطاء ، لقد تكلم بعض المفكرين كلمة أو كتبوا سطورا ، وسرعان ما حكم عليهم بالإعدام شنقا كما يحْكَم على القتلة والسفاكين ، وفى هذا المجال لا يمكن أن ننسى العالِميْن الكبيرين عبد القادر عودة وسيد قطب وغيرهما من الأفذاذ ، فإذا نجا من القتل بعضُ المعارضين فإن السجن والتعذيب والجوع وهتك الأعراض تكون فى انتظاره .

على أننى أصحح قضية حول كتابتى لتاريخ عبد الناصر ، تلك أننى كتبتُ تاريخه فى حياته يوما بيوم ، ولكنى لم أبرز ما كتبته إلا بعد أن مات ، ولو برز من ذلك شىء ، لحطّم الظلمُ القلمَ وصاحبه ، ومع هذه الحيطة فإننى لم أنجُ من ظلم عبد الناصر ، لأننى لم أسِرْ فى الركاب ، ففُصلت من الجامعة ، وعانيتُ القيد والمراقبة والجوع فترة من الزمن ، لأنى اشتركت مع الذين طالبوا بعودة الجيش إلى ثكناته وترك أمور السياسة لرجال السياسة .

وبهذه المناسبة يرى بعض البسطاء أننى أنتقد عبد الناصر لأنه فصلنى ، وهذا خطأ والصحيح أننى انتقدته أولا ثم فصلنى لذلك .

وعلى كل حال فقد احتفظت بأسرار عملى حتى مات الرجل ، فاستطعنا أن نُظهر ما كنا نخفى ، ونشرتُ ما عندى ، فصفّق لى المعتدلون وأثنوا على عملى ، ولكن جماهير الشعب لم تستطع بسهولة أن تتحمل نقد عبد الناصر والتحوّلَ من حبه إلى السخط عليه ، ومن الإيمان به إلى سماع طعون فى ذمته ، وصرتُ خلال فترة من الزمن

هدفا لهجوم بعض الذين يعبدون الأشخاص دون تمحيص ، ولكنى دافعت عن رأيى بإصرار ، فأخذ الناس يتحولون إلى الحق من يوم إلى يوم ، وأخذ تأثير وسائل الإعلام ينكمش ، وبدأ الحق يتضح ، وبخاصة عندما عُرِفت خسائر حرب ١٩٥٦ وخسائر حرب اليمن (١٩٦٢ — ١٩٦٧) وخسائر حرب ١٩٦٧ وعندما اتضح أنه لم يكن من الممكن أن نفتح حربا ضد إسرائيل سنة ١٩٦٧ وجيوشنا هناك فى اليمن ، فالحرب فى جبهتين شىء يتحاشاه العقلاء ، ثم ظهرت بلايارات الجنيهات عند أولاده وأصهاره ، وأصبح لكل منهم طائرة خاصة يطير بها من قطر إلى قطر ليرعى مصالحه المالية التى انتشرت فى مختلف الأنحاء .

ما أقسى ما عنيتُ من تاريخ عبد الناصر ، ولكنى فى النهاية حققت آمالى وقمتُ بواجبى وأبرزت ما كان خافيا ، وما كان من الممكن أن يظل خافيا ، وانصرفتْ الكثرة الغالبة عن الرجل الذى خان الأمانة .

وهكذا كنت فى يوم من الأيام وحدى أو مع قلة من المثقفين بالنسبة لنظرتنا لعبد الناصر ، ثم أخذتْ الجموع تنجذب لجانبى ، وبخاصة عندما عَرَفَتْ عن الرجل ما لم تكن تعرف .

وأنا الآن فى خطواتى الأولى للتأريخ لأنور السادات ، وأرانى فى هذه المرة على عكس الأحوال عندما كنت أؤرخ لعبد الناصر ، لقد كنت أكتب تاريخ عبد الناصر بين حشد من المصريين والعرب يحبونه ويُمَجِّدونه ، وكانت الأحداث والوثائق التاريخية تؤكد أنه لا يستحق الحب والتمجيد ، وأنا الآن اكتب تاريخ أنور السادات ، وأرى فيه أشعة من النور وبخاصة انتصاراته الخارقة على إسرائيل ، ولكن الناس كلهم تقريبا يبغضونه حتى لا تكاد تجد إلا قلة قليلة تتعاطف معه .

وتحتفل الدولة رسميا بيوم وفاة عبد الناصر ، أما نهاية السادات فلا تكاد تذكر إلا لأنها يوم النصر (السادس من أكتوبر)

لم يكن الرجل فى تقديرى فى مجال السوء مثل عبد الناصر ، لم يكن سفاحا ، ولم يكن فاشلا فى إدارة المعارك التى خطط لها ونفذها ، ولم يكن مغلوبا على أمره من مشير جاهل ورفاق سوء كما كان عبد الناصر ، ولم توجد فى عصره مأساة كمشيش ولا مأساة كرداسة • • • • ومع هذا فالناس يبغضونه وينصرفون عنه •

وتعجب أنه مازال هناك حزب ناصرى وإن كان هزيلا ضئيلا ، ولكن ليس هناك حزب ساداتى ، حتى أن الحزب الذى أنشأه السادات والذى هرع لـه الأعضاء من حزب مصر أصبح ولاؤه لعبد الناصر أكثر من ولائه للسادات ، والدنيا حظوظ كما يقولون •

ليس معنى هذا أننى أدافع عـن السادات ، فإن التاريخ الـذى سندونه هو الذى سيقرر المدح أو الهجوم أو المؤاخذة ، ولكن الذى أدونه هو إبداء العجب من اتجاهات الناس ، فالرجل الذى دمر البلاد ، وسفك الدماء ، وتسبب فى هزائم قاصمة جلبت العار والفقر ، الرجل الذى أضاع بسوء إدارته سيناء مرتين ، وأوقف سـير القناة مرتين ، وخسر المعدات وعرض الآلاف للفناء ، الرجل الذى أساء ولم يحسن يوجد له أنصار وأتباع ومحبون ، والرجل الذى فعل الخير والشر ، وأساء وأحسن واستعاد سيناء ، وأعاد فتح القنـاة ، وعمر مدنها ، ليس لـه أتباع ولا أنصار •• لماذا ؟

إن الإجابة كما استخلصتها من الناس أن لعنة عبد الناصر نزلت على السادات ، فالناس بعد أن اكتشفوا أنهم خدعوا فى عبد الناصر أساءوا الظن بكل الزعماء وبخاصة العسكريون ، ولم يعودوا يستطيعون أن يمنحوا الحب بسهولة لأى زعيم عسكرى •

ومن هنا يجىء فضل التاريخ الصادق الذى يعيد فكر الناس إلى الرشاد إذا جذبتهم الأكاذيب إلى تاريخ مزيف •

وفى هذا الجو أبدأ دراساتى عن أنور السادات غيرَ متأثر بشعور الناس وأهوائهم ، وإنما سأعرض الأحداث وأعلق عليها بكل الحيدة والدقة ، فأنا لست حاقدا على السادات كالأستاذ محمد حسنين هيكل الذى ينفث كل سطر من سطور كتابه « خريف الغضب » لهيبا ونارا ، ولست مواليا كالأستاذ موسى صبرى الذى يعلن فى كتابه « السادات : الحقيقة والأسطورة » أنه يكتب عن شخصية السادات بقلم مؤيِّد [1] . ولست كالفريق أول محمد فوزى الذى تأثر بما وقع له ضمن مراكز القوى سنة ١٩٧١ فاتجه فى كتابه « استراتيجية المصالحة » إلى الهجوم على السادات [2] وهناك كُتَّاب طبَّلوا وزمَّروا مثل كتاب « السادات بلا رتوش » ومثل هذه الكتب لا تستحق غير هذه الإشارة [3] .

إننى مؤرخ ، اجمع المادة من الوثائق ، وانقدها ، وأقارن بينها ، وأدوِّن التاريخ منها ، وأعلق عليها بكل الحيدة والعدالة .

وبعد ، إن التاريخ لا يرحم ، وويلٌ للزعماء إذا نسوا عين التاريخ ، تلك العين البصيرة التى تنفُذ خلف الحُجُب ، وتُبْرِز الحقائق ولو بعد حين .

وويلٌ للحكّام إذا خدعتهم أضواءُ حكمهم القصير ، وغفلوا عن التاريخ الطويل الذى سيحكى سيرتهم طوال الأجيال والقرون ، يمدح أو يذمّ ، يدعو أو يلعن ، وويل لهم إذا اغتروا بحفاوات يتابكون بها هنا وهناك ، فهى مصطنعة ومأجورة ، أو هى من أعمال السذّج العاطلين الذين يطيب لهم أن يروا المشاهير ويصفّقون لهم كما يصفقون للحواة

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٨ .
(٢) استراتيجية المصالح فى عدة أمكنة .
(٣) اسماعيل عبد التواب : السادات بلا رتوش .

والبهلوانات ، ونرى عددا كبيرا من هؤلاء يقفون على مداخل التليفزيون العربى لعلهم يحظون برؤية الفنانات والمذيعات والممثلين ٠

فاللهم أسالك العون فيما أنــا مقبل عليه ، وأسألك أن تنير قلبى ، وتمدّنى بالرشاد لنظهر الحق ونثير الطريق ٠

وبعد ، لعلى قد أطلت فى هذه المقدمة لأبرز ما يعانيه المؤرخ وهو يعيش فى جو من الوثائق يختلف عن الجو الذى يعيش به سواه تحت تأثير الإعلام المزيّف ، ولعلى قد وضحت هذه النقطة ، فلننتقل الى مقدمة أخرى ٠

٢ — ثورة ٢٣ يوليو ؟؟ وأثرها على العسكريين والمدنيين :

هذه هى المقدمة الثانية للكلام عن عصر السادات ، فقد عاش يتغنى بأنه أول من كوّن تجمعاً فى الجيش ليقود إلى ثورة ، ويتغنّى بأنه الذى قرأ البيان الأول للثورة صبيحة إعلانها (يوم ٢٣ يوليو) وحتى الحركة التى قام بها فى مايو سنة ١٩٧١ سماها ثورة التصحيح .

ما حقيقة هذه الثورات ؟

لقد كتبتُ دراسة علمية دقيقة عن هذا الموضوع فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة (ص ٨٥ — ٩١) .. **ووضحت أن الذى حصل صباح الثالث والعشرين من يوليو كان انقلابا قام به الجيش ، فالفكر العلمى يقرّر أن الثورة يقوم بها الشعب كالثورة الفرنسية أو كالذى حدث فى ثورة ١٩١٩ أما الانقلاب فيقوم به بعض رجال الحكم من الوزراء أو الجيش ، ولكن انقلاب ٢٣ يوليو كان ضد ملك كريه للشعب ، يتمنى الجميعُ القضاء عليه ، ووَضَعَ هذا الانقلاب برنامجا خدّاعا يعبر عن آمال الشعب وأهدافه ، فانضمّ الشعب للجيش عقب قيامه بالحركة ، فأصبح الانقلاب ثورة ، وفى غضون أيام قليلة مكّن عبد الناصر ورجاله لأنفسهم وقفزوا على الرتب العليا فى الجيش وألغوا الدستور ، وبدءوا يظْهرون ما كانوا يضْمرون من تمسكهم بالسلطة وقهْرِ كل من خالفهم ، وخلقوا بذلك عددا كبيرا من الملوك لهم مساوىء الملك فاروق أو فاقوه فى مساوئه ، وأهملوا المبادىء التى خدعوا بها الشعب عندما قاموا بحركتهم ، وعادت الثورة انقلابا ، وقامت حركات وانتفاضات ضدّها ، ولكن الضباط الشبان الذين استعذبوا الحكم ضربوا بقسوة كل من عارضهم .**

وقهر الانقلابُ أعداءه بسيل من الدماء والتعذيب والاعتقالات ، ولكن هذه الثورة سرعان ما اتّجهت لتأكل نفسَها ، وأصبح رجال الجيش كالسمك الذى يأكل بعضه بعضا ، وقد نبهتُ فى الجزء التاسع إلى خطورة

الحكم العسكرى ، ففى حكم العسكريين دمار للعسكريين وللمدنيين وللبلاد ، وقامت بين ضباط الجيش بعضهم والبعض فتن وخيانات ومؤامرات وانقلابات وتلاحم بالايدى احيانا ثم عزل وتعذيب ادى للموت أحيانا (اقرأ الجزء التاسع ص ١٢٩ وما بعدها) •

ووصل الصراع إلى قادة الثورة انفسهم ، فهاجم صلاح سالم أكثر الاعضاء ، ووصل الامر إلى تلاحم بالايدى بين اعضاء مجلس الثورة ، ثم استطاع عبد الناصر ان يعزلهم الواحد بعد الاخر ، ولم يبق معه إلا عبد الحكيم عامر ، ثم حدثت مواجهة بين الاثنين انتهت بقتل عامر بالسم وادعاء أنه انتحر •

ونذكر كلمة عن كمال الدين حسين ، فقد كان فى وقت ما يشغل أسمى مركز بعد عبد الناصر ، ثم غضب هذا عليه وانزل به وبذويه الوانا من الأضرار والعدوان يشيب لهولها الولدان (اقرأ هذه التفاصيل فى الجزء التاسع ص ٢١٢ وما بعدها) •

والعجيب أن كمال الدين حسين عانى من السادات كما عانى من عبد الناصر ، فمجلس الشعب فى عهد السادات أصدر قرارا بعزل كمال الدين حسين من عضوية هذا المجلس ، ولما أراد كمال الدين حسين أن يرشح نفسه بعد ذلك أسرع السادات فأصدر تشريعا يحرم عودته للمجلس •

لم تكن أبداً صداقة" تلك التى كان الحقد والإرهاب يعيش فى جذورها •

الثورة أفرزت وحوشا بشرية :

يقول الدكتور عبد العظيم رمضان [1] : إن ثورة ٢٣ يوليو حاكمت

---

(١) مصر فى عهد السادات ص ٣٥٤ •

كثيرين ممن أساءوا استخدام السلطة ، وعذبوا الأحرار فى عهد فاروق ، ولكنها أفرزت من هم أسوأ منهم ، بل من لا سبيل إلى مقارنتهم بهم فى السادية والوحشية ، وعلى يد عتاولة الإرهاب والتعذيب الذين أبرزتهم هذه الثورة تعرض الوطنيون الأحرار من إخوان مسلمين واشتراكيين وشيوعيين وأحرار ، بل تعرض كثيرون من أبناء الثورة أنفسهم لأبشع ما توصم به ثورة من الثورات •

ويقول الدكتور حسين مؤنس [1] إن عبد الناصر كان يعرف ما عاناه المصريون من الضباط ، وكان يشجع على ذلك ويؤيده ، ويعرف أن العدوان والإيذاء وصل إلى زوجات المعتقلين وبناتهم ، وقد وصل الأمر إلى شذوذ يتوقف القلم عن تدوينه •

بقى موضوع مهم يتصل بقيام هذه الثورة وهو : هل كانت هـذه الثورة إجهاضا لثورة شعبية بدأت تباشيرها فى أواخر عهد فاروق ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ستجيء مفصلة فى مطلع الباب الثانى من هذه الدراسة عند حديثنا عن : أمريكا والثورة •

---

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ٢٩١ •

٣ — الثورة ومصر :

هذه هى المقدمة الثالثة عن عصر السادات الذى كان امتدادا لعصر عبد الناصر والذى كان جزءا من ثورة ٢٣ يوليو ، وفى هذه المقدمة نسأل :

ماذا قدَّمت الثورة لمصر ؟

وأنا مع الأستاذ جلال الدين الحمامصى الذى يقول :

إن الذين فجَّروا الثورة أعدوا لها وخطَّطوا ، ولكنهم لم يُعدُّوا أو يخطِّطوا لما بعد نجاحها ، وهذا يرجِّح القول بأن هؤلاء لم يخططوا لها بأنفسهم ، وإنما ساعدهم آخرون فى التخطيط ، فلما نجحت الثورة واجهت الارتجال من هؤلاء الشبان الذين كانت خبرتهم قليلة جدا فى الحكم والإدارة ، فراحوا يتخبطون ، ووصل بهم الأمر إلى إثارة العداوة حولهم فى الداخل والخارج مما أنهك القوى المصرية تماما [1] .

ولم يكن الأمر جهلا بالحكم والإدارة فحسب ، بل إن أمور مصر أصبحت فى يد من يسميهم الدكتور حسين مؤنس « فئران السياسة » فارتكبوا أعمالا عدوانية شنيعة ضد هذا الشعب وأمواله وقيَمه ، ونهبوا الأموال بلا حساب ، ولم تقتصر عمليات القبض والمصادرات ونهب الأموال على الخصوم السياسيين ، بل امتدت الأيدى الجشعة إلى كل مالك وكل شخصية لامعة أو مستورة ، فانتقلت القصور والأموال والضِّياع إلى باشوات بلا ألقاب ، وأشراف بلا شرف ، وناس بلا إنسانية ، ومواطنين بلا وطنية ، وليت ما نهبه الثوار العسكريون بقى بمصر ، فكل الدلائل توضح أن أموالا بلا حدود ألقوا بها وراء الحدود [2] .

---

(١) انظر كتاب « حوار وراء الاسوار » للاستاذ جلال الدين الحمامصى ص ٩٢ .

(٢) دكتور حسين مؤنس : باشوات وسوبر باشوات صفحات المقدمة ب ، د .

ولنترك المفكرين والمؤرخين ولنذهب إلى رجال السياسة لنرى رأيهم فيما فعلته الثورة بمصر .

والحق أننى كنت دائما حريصا كل الحرص على أن أتعرّف على مآثر هذه الثورة ، وكنت أقرأ باهتمام وأستمع باهتمام لكل كلمة وحديث يمتدح هذه الثورة ، لعلى أجد بعض مزايا لها ، ولعل آخر ما سمعته وقرأته هو خطاب الرئيس حسنى مبارك عن هذه الثورة فى يوليو ١٩٨٨ بمناسبة مرور ٣٦ سنة على قيامها .

ماذا قال حسنى مبارك عنها ؟

إن حسنى مبارك قال كلاما مجملا كذلك الذى يقوله أتباع هذه الثورة ، وأمامى الآن خطابه ، وخلاصته هى :

إن الثورة قامت تعبيرا عن إرادة شعبية عارمة ، تريد حياة ديمقراطية سليمة بعد أن عمّ الفساد ، وتطالب بأن يكون حكم مصر لأبناء مصر .

وقال الرئيس حسنى مبارك إن الثورة جاءت تعبيرا عن إصرار الشعب المصرى على إعادة بناء قواته المسلحة بعد أن فرض المستعمر على الحكومات المصرية المتعاقبة أن تقيّد حركتها خاصة بعد دور مصر فى حرب ١٩٤٨ رغم كل المؤامرات الخارجية التى أرادت أن تضرب الأمة العربية فى مقتل ، ورغم الظروف الصعبة التى كانت القوات المسلحة تؤدى رسالتها فى ظلها .

وأشار إلى ظروف ثورة ٢٣ يوليو الرائدة فى قضايا تحرير الشعوب والدفاع عن حقوق الإنسان فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وأكد دور ثورة يوليو فى مساندة الثورات العربية والإفريقية بكافة الوسائل ، مشيرا إلى أن التحديات التى واجهتها الثورة لم تكن هينة .

ثم أشار إلى أخطاء ثورة يوليو وعثراتها وقال إن الأمجاد لابد أن تقابلها عقبات وأخطاء •

وأضاف أنه ليس هناك شك فى أن ثورة ٢٣ يوليو حدث بالغ الضخامة لايمكن تجنب تناوله بالبحث والتنقيب والتحليل ، وقال إن علينا التزاما بأن نكون فى مستوى المسئولية الوطنية عند تصدينا لهذا العمل مشيرا إلى أن الواجب الوطنى يتطلب أن نكون موضوعيين بعيدا عن الشبهة والرغبة فى تمجيد الذات والتهجم على الآخرين •

وتحدث الرئيس مبارك عن دور القوات المسلحة فى حماية البلاد اليوم ، كما تحدث عن عملية التنمية التى تجرى الآن ، ومناخ الديمقراطية الذى يسود البلاد •

وقال إن الحكم اليوم حكم ديمقراطى يؤمن بحرية التعبير على أوسع نطاق ، وأكد الرئيس مبارك أنه لا غنى عن الديمقراطيــة الاجتماعية ، وعن الديمقراطية السـياسية ، مؤكدا أن حق المواطن فى المشاركة فى اتخاذ القرار يوازى حقه على مجتمعه فى توفير الحياة الكريمة طالما كان يؤدى عمله بإخلاص ، كما أكد حق الشعب فى أن يعلم ، وضرورة مصارحة الشعب بالحكم مشيرا إلى أن هذا هو منهج الحكومة فى مصارحة الشعب بكل شىء لكى يشارك فى إصـدار القرار بالنسبة لكل القضـايا المصيرية ، وأشار الرئيس مبارك إلى أن المشكلة الاقتصادية هى من أصعب المشكلات التى تواجه مصر ، موضحا أن هـذه المشكلات ليست داخلية ولكنها تتأثر بالأوضاع الدولية •

ذلك موجز دقيق لكلام الرئيس حسنى مبارك ، وهو كما يبدو كلام عام ، لا يشبع نهما ولا يروى غلة ، وهو نفس الكلام الذى يقوله أتباع هذه الثورة مما لا ينفع فى مقـاييس الحكم وموازين الفكر ، وإذا أردنا أن نتتبع كلام حسنى مبارك جملة إثر جملة عن هذه الثورة فإننا نقول :

أولا : يقول حسنى مبارك إن الثورة قامت تعبيرا عن إرادة شعبية تريد حياة ديمقراطية سليمة وهذ الكلام صحيح تماما ، فالإرادة الشعبية كانت تريد حياة ديمقراطة سليمة ، ولكن الثورة كانت فى دكتاتوريتها أشنع وأقسى آلاف المرات من دكتاتورية ما قبل الثورة ، ولم تستجب الثورة إطلاقا لهذا المطلب الشعبى ، وقد كرر أنور السادات الحديث عن طبيعة عبد الناصر الدكتاتورية (١) ولهذا لم تعرف البلاد الديمقراطية الحقيقية التى تبنى على الانتخاب الحر ، وإننا فى عهد حسنى مبارك عرفنا ديمقراطية الكلمة ، أما أن تنتقل الكلمة إلى عمل ، وينتقل الصوت فى الانتخابات إلى ممثلين حقيقيين بمجلس الشعب ، فهذا هو ما يتمناه كل مصرى ، وسنتكلم فيما بعد عن الثورة والديمقراطية .

ثانيا : النقطة الثانية التى أكدها حسنى مبارك هى إصرار الشعب على بناء قواته المسلحة ، والذى حدث فى عهد عبد الناصر الطويل هو تدمير القوات المسلحة عسكريا فى المعارك التى أساء الزعيم ورفاقه التخطيط لها وإدارتها ، وتدمير القوات اجتماعيا من كثرة المحاكمات والعزل ، ومن اشتراكها فى العدوان على الإنسان المصرى ونهب أموال الدولة .

ثالثا : تحدث الرئيس عن دور ثورة ٢٣ يوليو الرائد فى قضايا تحرير الشعوب فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهذا كلام عجيب ، لأن الذى نتساءل عنه أولا هو **مصر نفسها ، والإنسان المصرى ، وسنتحدث عن موقف الثورة من مصر والإنسان المصرى بعد قليل ، وجميع الزعماء فى العالم يوجهون اهتمامهم الأول لبلادهم وشعوبهم ، فإن بقى بعد ذلك جهد أو مال فلا مانع من مساعدة الآخرين ، على أن يكون ذلك للأقرب فالأقرب .**

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١٣ و ٢٤١ وغيرها .

والعجيب أن بعض الناس أخذوا ما يقال عن مساعدة عبد الناصر لآسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية قاعـدة مسلّمة ، والحق أن الصراع التحرر سبق عبد الناصر بزمن طويل ، وقـد وصلت بلـدان كثيرة إلى الحرية قبل أن يصل عبد الناصر إلى عـالم الضوء بعـدة سـنوات ، فاندونسيا تحررت سنة ١٩٤٥ والهند وباكستان جلت عنهما القوات البريطانية سنة ١٩٤٧ بعد جهاد طويل ٠

وتحررت أكثر الدول بسبب ظهور الولايـات المتحدة والاتحـاد السوفيتى فى المجال الدولى ، فانحسرت قوة الدول الأوربية المستعمرة كما سنرى بعـد قليل عنـد كلامنا عـن « الثورة وطرد الاسـتعمار » وظلت دول خاضعة للاستعمار حتى تحررت حديثا كدولة « برونى » أو لاتزال تصارع من أجل الحرية حتى العهد الحاضر مثل ناميبيا ، وهذا يثبت أن من الخطأ ربط التحرر فى هذه البلاد بثورة عبد الناصر ٠

قد يكون عبد الناصر صرخ من أجل تحرير الشـعوب ، ولكنها كانت صرخة الجريح الذى طعن وانهار فى أول عهده سنة ١٩٥٦ فقل أن حسب لصرخته أى حساب ٠

إنها إشاعة أن يقال إن عبد الناصر حرر الشعوب ، وتلك الإشاعة لا تقوى على البقاء أمام البحث العلمى الدقيق ٠

وربما كانت الحقائق التاريخية تثبت العكس ، فهذه الدول هى التى ساعدت مصر ، فإن ما أنزله المعتدون بمصر من ضحايا ودمار أثار الشعوب العربية والإسلامية والافريقية ، فأدانت العدوان وتصدت للمصالح الغربية الحيوية ، فكان ذلك عاملا مهما فى تحديد مصير العدوان عـلى مصر [١] فالشعوب فى آسيا وافريقية هى التى ساعدت مصر أكثر من مساعدة مصر لهذه الشعوب ٠

---

(١) انظر « أمن مصر القومى فى عصر التحـديات » للواء محمد حافظ اسماعيل ص ٦٣ ٠

رابعا : يقول الرئيس حسنى مبـارك ان ثورة يوليو لها اخطـاء وعثرات ، والحق أن لها كبوات مهلكات فى كـل المجالات ، وسنعرض فيما بعد نماذج من هذه الكبوات بالاضافة لمـا ذكرناه فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة ٠

خامسا : يقول الرئيس إن ثورة ٢٣ يوليو حدث بالغ الضخامة ٠ وذلك مثل قولهم إنها غيرت خريطة المجتمع ، وهو كلام أشبه بقصـيدة شعرية حسنة الأوزان لا تحمل أية حقيقة من الحقائق ٠

سادسا : يتحدث الرئيس عـن أن الحكم اليـوم حكم ديمقراطى يؤمن بحرية التعبير ، وهذا صحيح تماما ، فإننا فى هذه الأيـام نتكلم بحرية ، ونقف عند حدود الكلمة ، أما حرية الانتخابات وحرية تكوين الأحزاب ، وحرية إنشاء الصحف ، وحرية الاجتماعات ، فلا وجود لها ، وأظن أن الرئيس يوافقنى على ذلك ٠

سابعا : يتحدث الرئيس عـن المشكلة الاقتصـادية بأنها أصـعب المشكلات التى تواجه مصر وأقول للرئيس إن الرئيس موجـابى رئيس دولة زيمبابوى نَشَرَت عنه وسائل الإعلام المصرية قولـه إن الإنتاج الزراعى تضاعف عشر مرات ببلاده فى ست سنوات فماذا حدث فى بلادك يا سيادة الرئيس خلال ست وثلاثين سنة هى عمر الثورة التى نتحدث عنهـــا ؟

هذا تعليق سريع على كلمة الرئيس فى ذكرى هذه الثورة التى كلما ذكرناها ارتسمت أمامنا صور الشـقاء ، والقهر ، والسجن ، وأحكـام الإعدام ، والاضطهادات ، والسرقات ، والإهمال ، والجمود ، ومن هنا نسأل هذا السؤال العميق :

ماذا فعلت الثورة بمصر وبالإنسان المصرى ؟

والإجابة مرة الطعم جدا ، فمصر قد انهارت تماما بسبب الثورة ، وأصبحت تعيش على القروض وتمر بها شهور لا يكون عندها طعام إلا

لأيام قليلة ، ونجدّ السعى لنحصل على الطعام ، والحصول عليه دائما من أعدائنا أو من أصدقاء أعدائنا ، ولا ثمن معنا نقدمه مقابل هذا الطعام .

ويحدث هذا فى مصر حين استطاعت الصين (١١٠٩ مليون نسمة) أن تنتج طعامها وأن تصدّر الطعام والمعلبات والملابس لدول كثيرة .

واستطاعت الهند (٨٠٠ مليون نسمة) أن تنتج مـا يكفى هذه الأفواه من الطعام وعندها فائض ، واستطاعت الباكستان واندونيسيا وكوريا وتركيا والسعودية أن تحقق هذا الأمل وسيجىء فيما بعد مزيد من الكلام عن الهند فى هذا النطاق ، أما مصر فهى واقفة : محلك سرْ أو تراجعت القهقرى على الرغم من تزايد السكان ، وسنعود للحديث عما حققته الهند وغيرها من دول العالم الثالث فيما بعد عند الحديث عن « التطور والجمود » .

كيف نفخر بان الثورة ساعدت آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وننسىَ أن الثورة دمرت مصر وأعادتها للوراء ؟

والذى يقال عن الطعام يقال عن الصناعات ، فقد حققت أكثر دول العالم الثالث صورا من التقدم فى مجال الصناعات ، وأصبح فى ماليزيا وفى تركيا سيارة محلية مائة فى المائة ، وقد نقلت الصحافة المصرية الصادرة فى ١٩٨٩/٧/٢٠ عن صحيفة التايمز البريطانية أن بريطانيا قد تعاقدت على شراء خمسين ألف سيارة من ماليزيا كدفعة أولى ، وطالبت الصحيفةُ جميعَ الشركات البريطانية بضرورة رفع كفاءتها حتى لا تقضى عليها صناعة السيارات فى الدول النامية .

وفى يوم من الأيام سمعنا عبد الناصر يتباهى بأن مصر تنتج من الإبرة للصاروخ ، والحق أننا لـم ننتج لا الإبرة ولا الصاروخ وإنما أنتجنا التعذيب والمعتقلات وسـهر الليالى الحمراء فى رحاب عـامر وصلاح نصر .

اما سمعة مصر ومكانتها فقد انهارت إلى القاع فى الحروب الخاسرة .

هذا ما فعلته الثورة بمصر ، أما الإنسان المصرى فقد عانى الويلات خلال هذه السنوات السود ، بين قتل وحبس وتعذيب ، وفصل من الوظائف ، وعلى الأقل بين الخوف والقلق .

ولم يجد الإنسان المصرى حاجته بالأسواق فى فترة الانغلاق التى فرضها عبد الناصر ، فلما جاء الانفتاح الذى رعاه السادات ظهرت السرقات والانحرافات وأصبح الإنسان المصرى يرى سلع الترف ولا يستطيع لضيق اليد أن يحصل عليها .

ولنعد لصحيفة الأخبار الصادرة فى ٢٠/٧/١٩٨٨ وقد خصصت صفحة كاملة هى الصفحة الرابعة لتتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ، ووضعت بها عنوانا ضخما هو :

ثورة يوليو فى عيدها الـ ٣٦
بين الايجابيات والسلبيات

وزينت الصفحة بمجموعة من صور القادة والزعماء ، وفرحت بهذه الصفحة لعلى أجد إيجابيات للثورة ، فأنا دائما أبحث عن هذه الإيجابيات .

ماذا قالت الصحيفة الحكومية فى هذا المجال ؟

يبدو أن الكاتب ذكى جدا فلم يكتب تحت هذا العنوان إلا موضوعا من موضوعات الإنشاء ، وهو قليل الكلمات وليس فيه حقيقة واحدة ، فهو أشبه بموضوع كتبه تلميذ فى المدرسة الإعدادية ، وبالضبط قالت : **إن ثورة ٢٣ يوليو تمثل فى تاريخنا سواء فى إطار مصر أو الأمة العربية أو المستوى العالمى أهمية قصوى ، واكتفى الكاتب بذلك دون إعطاء أية تفاصيل .**

ولو رأى هذا الكاتب ما رأيناه من احتقار الناس لنا ، وشماتتهم بنا فى هزائمنا المتكررة لتوقف عن هذا الكلام العام ، ولقال كلمة الحق ليس من أجل الماضى بل من أجل المستقبل ، فالزعيم إذا عرف أنه سيأخذ حقه فقط ، فإنه يخاف ويعمل ليكون ذكره عطرا ، أما إذا عرف أن الأقلام ستمدحه أَحْسَنَ أو أساء ، فإنه قد لا يرى ضرورة للإحسان والإجادة .

ولقد ذكرت جيهان السادات فى كتابها « سيدة من مصر » أنه بعد عشرين عاما من قيام الثورة كان معظم الفلاحين لا يزالون يستعملون المحراث الذى كان مستعملا من عهد الفراعنة ، ولا تزال الجواميس المعصبة الأعين تدور فى السواقى ، ولا تزال الأمية منتشرة بنسبة عالية تصل إلى ٤٩٪ بين الذكور و ٦٠٪ للنساء ولا يزال الشعب فى قاع الفقر [١] .

الإسلام وعلاج المشكلات الاقتصادية :

وفى خطاب الرئيس بمناسبة العيد الذى نتحدث عنه أشار إلى الأزمة الاقتصادية التى نعانيها ، والتقط المحررون بالصحف هذا الخيط ليسألوا المفكرين المسلمين عن دور الإسلام فى معالجة الأزمات الاقتصادية ، وكنت واحداً من الذين سألهم محرر بصحيفة الاهرام ، وأجبت بكلام نشرت الصحيفة منه يوم ١٩٨٨/٧/٢٩ ما يناسبها كصحيفة حكومية ، وتركتْ الباقى ؛ لقد قلت إن الاضطرابات الاقتصادية يعالجها الإسلام بوسيلتين : إحداهما إيقاف وسائل النزيف الذى يكون قد أدّى لهذه المشكلة الاقتصادية ، وضربت أمثلة كثيرة لذلك ، كالسفارات الكثيرة بالخارج التى لا تحتاجها بلادنا ، والرحلات التى تقوم بها الوفود دون ضرورة ، وكاستقدام الضيوف للمؤتمرات التى لا تدعو الحاجة الماسة لها ، وكآلاف الجنود مما يسمى (الأمن المركزى) وقد كان ضرر هؤلاء فادحا ولا نعرف لهم فائدة على الإطلاق ، وكالسرقات والغنائم التى يحصل

---

(١) ص ٣٥٤ .

عليها المحظوظون ، وكالمجالس النيابية الواسعة ومجلس الشورى والمجالس المحلية التى تضم أعضاء كثيرين يأخذون ولا يعطون ، فالكثيرون منهم يجيدون الأخذ والكسب ولكنهم ليسوا مؤهلين للعطاء ، كالخمسين فى المائة من العمال والفلاحين الذين لا يجيد أكثرهم إلا التصفيق والموافقة .

ولم تنشر الأهرام من حديثى عن هذه الوسيلة إلا كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة على الرغم من أننى ضربت الأمثال بما فعله « عمر » رضى الله عنه من مصادرة نصف ما عاد به أبو هريرة من ثراء عندما كان عاملا على بعض مناطق الخليج .

أما الوسيلة الثانية فتكون بإخراج الزكاة ، والزكاة التى يلتزم بها الأغنياء كفيلة بتخفيف الضرر أو إزالته ، ونشرت صحيفة الأهرام بالتفصيل ما ذكرته عن موقف عمر بن الخطاب فى عام المجاعة حيث تعاون الجميع بصدق للقضاء على المشكلة الاقتصادية ، وكان الخليفة فى الطليعة بين من تحملوا العبء حتى جاء الفرج .

محاكمة الثورة :

وبمناسبة مرور ٣٦ عاما على هذه الثورة المشئومة كتب واحد من أبرز الكتاب موضوعات بصحيفة الوفد بعنوان « محاكمة الثورة » واتجاهه أنه اكتوى بنارها لا كشخص ولكن كمصرى ، ولسنا نقف عند المثالب التى ذكرها لها فهى شهيرة ومدمرة ، ولكنا نقف عند الحسنات التى أوردها ، وهى الآتى :

١ — تحرير الأرض المبللة بعرق الفلاح من وطأة الإقطاع .

وقد نسى هذا الكاتب الخراب الذى جره نظام ما سمى « الإصلاح الزراعى » على مصر ، ونسى أن الجميع يشكون من الظلم الذى دمر مالك

الأطيان بالنسبة لزراع الأطيان ، وأن تفتيت الأرض الذى لم يفعل مثله أحد (ولا الاتحاد السوفيتى) حرم مصر من صور من الإنتاج الزراعى ومن تربية الحيوانات ، ونحن الآن نعانى من ذلك ، وقد كانت هناك وسائل متعددة للقضاء على الإقطاع إن كان هذا إقطاعا ، بدون إجاعة الناس وفرض الحرمان عليهم ، وبدون أن تخسر مصر المزارع الكبيرة التى كانت تقدم حاجاتنا الغذائية ، ومما يدعو الحسرة أن التفتيت كان يجرى بالنسبة للشعب ، ولكن تجميع الثروات كان يتم فى نفس الوقت بالنسبة لزعماء الثورة وأولادهم كما سنرى فيما بعد •

٢ — مجانية التعليم يراها الكاتب من محامد الثورة ، ونسى أن مجانية التعليم لها جذور قبل الثورة ، وان المجانية التى خلقتها الثورة جعلت اليد العاملة تختفى ، وخلقت ملايين العاطلين الذين يحملون شهادات ولا يجدون عملا ، أو يلتحقون بعد الليسانس بمعاهد لتدريبهم ليتعلموا الميكانيكا أو السباكة أو نحوها ، وتجاهد الدولة حاليا لتنظيم هذه المجانية التى خلقت أسرابا من الفساد ، هذا بالإضافة للدروس الخصوصية التى تتكلف أضعاف ما كان الطلاب يدفعون من مصروفات •

٣ — المصانع المبثوثة هنا وهناك ، وأنا أسأله أين هى ؟ وماذا أنتجت ؟ وهناك اعلانات ولوحات كثيرة كتب تحتها صنع فى مصر وأنا دائما أحاول أن أتعرف على مصنوعات بلادى الحقيقية المرتبطة بعصر الثورة فأجدها غالبا لا ترضى النفس الطموحة •

— تأميم قناة السويس : والذى أمم القناة سنة ١٩٥٦ فى حركة انفعالية تسبب فى إغلاقها حوالى عشر سنوات ، وكانت على وشك أن تفقد مكانتها لولا جهود أنور السادات ، وكانت القناة ستعود لنا بعد فترة ليست طويلة ، وقد تسبب تأميمها فى حرب خسرنا فيها من الأرواح والعتاد أضعاف ما كسبنا ، ثم إننا دفعنا تعويضات باهظة كنا سنعفى منها لو انتظرنا عودة القناة سنة ١٩٦٨ •

ليت الكتاب يتعمقون فى الفكرة قبل أن يطلقوا العنان للأسـلوب والأداء .

وللأستاذ جلال الدين الحمامصى رأى فيما يسمى إنجازات الثورة نثبته هنا للإنصاف والحيدة ، يقول سيادته :

لست أنكر أن محاولات ما بذلت لتوفير الدواء ، وتوسيع مجانية التعليم ، وتوزيع الأراضى الزراعية ، ولكن هذه المحاولات امتزجت بعوامل معينة أثرت على فاعليتها ، أولها وأهمها عامل الارتجال وعدم التخطيط ، وثانيها عامل العنف فى التطبيق ومفاجأة الناس بإجراءات غير مدروسة مما اغرقهم فى تشريعات سمحت لذوى النفوس الضعيفة باستغلال الدواء والعلاج والتعليم والجمعيات التعاونية لفتح أبواب الرشوة والفسـاد على مصاريعها [1] .

---

(١) جـلال الدين الحمامصى : حوار وراء الاسوار ص ١٣٠ .

٤ ــ الثورة والديمقراطية :

هذه هى المقدمة الرابعة لأحاديثنا عن عصر السادات الذى كان جزءا من ثورة الجيش ، وقد كان من بين النقاط الست التى أعلنتها الثورة على أنها مبادىء تسعى لتحقيقها : إقامة حياة ديمقراطية •

وأكثر ما يدعو للسخرية ويجلب غضب الله والناس أن تتزيف الكلمات والمعانى ، فالحاكم المستبد يستطيع أن يحكم بلده بدكتاتورية حاسمة واستبداد واضح ، وبالحديد والنار ، وقد عرف التاريخ المصرى صورا من الحكام المستبدين ، وكان بعضهم عادلا مع الاستبداد ، وبعضهم جائرا مع الاستبداد ، ولكن الشىء الجديد الذى ابتدعته ثورة يوليو هو أن الحاكم المستبد يتغنى بالديمقراطية ، وقد ظهر فى ظل هذه الثورة حكام عينوا المجالس النيابية ، وحكام زيفوا الانتخابات زيفا مضحكا ، وحكام أهملوا أحكام القضاء ، ومع هذا كانوا يعلنون من حين إلى حين أنهم يحكمون حكما ديمقراطيا ، وقد استعمل هؤلاء الحكام وزراء للداخلية كانوا يجرون الانتخابات والاستفتاءات ويعلنون نتائجها بطريق التسعات ٩ : ٩٩٪ وعندى أنه من الخير للحاكم المستبد أن يعلن استبداده بدل أن يتمسح بديمقراطية لا يتبعها ، وذلك نوع من الكذب يثير السخط والاحتقار ، فعيون الناس مفتوحة ولا تخفى هذه الأرقام الحقيقية عن الناس ، وقد اضطر جمال عبد الناصر أن يفسر الديمقراطية بأنها تقديم رغيف الخبز للشعب وتعيين أولادهم فى وظائف •

إن الديمقراطية الحقيقية فى عالمنا الثالث عملية سهلة لمن أرادها ؛ هيئة مستقلة تجرى الانتخابات وتشرف عليها ، وهناك فى الهند هيئة مستقلة أجرت الانتخابات عندما كانت أنديرا غاندى رئيسة الوزراء ، فسقطت انديرا غاندى ، ثم أجرت هذه الهيئة الانتخابات وأنديرا غاندى بعيدة عن الحكم فنجحت أنديرا غاندى •

من شاء أن يفعل هذا فليفعله ، ومن أراد أن يخون حق الوطن

والإنسان المصرى فليرتكب هذه الخيانة بوضوح ، فلن ينجيه الخداع من حساب التاريخ !!

وقد وَضَعَ عبد الناصر أُسس الديكتاتورية التى سار عليها أتباعه من بعده ، ويقرر المرحوم الدكتور القيسونى نائب رئيس الوزراء أنه مرة اقترح فى مجلس الوزراء — وكان منعقداً برياسة عبد الناصر — أن يُوجَد نوع من الديمقراطية ومسئولية الوزارة ، فصرخ فيه عبد الناصر : هل يعنى حديثك أن تجعل منى ساراجات آخر ؟

وكان ساراجات فى ذلك الوقت رئيسا لجمهورية إيطاليا . ونظام الحكم فى إيطاليا كما هو معروف يشبه إلى حد ما نظام الحكم فى انجلترا ، فرئيس الدولة يملك ولا يحكم ، وتتولى الوزارة السلطة الحقيقية فى الدولة ، وتكون مسئولة أمام البرلمان مسئولية تامة .

فقال القيسونى له : إنى إنما أردتُ أن أُبعدك عن النقد الشعبى ، فكل تصرف عندنا الآن ينسب إلى رئيس الجمهورية سواء قرره هو أو لم يقرره .. كما أردت أن أجعل هناك وزارة مسئولة ، وأن أعطيك حق التغيير الوزارى كلما فَقَدَتْ الوزارة ثقة الشعب .

فقال عبد الناصر : إنه غير معتاد على القيام بمثل هذا الدور .

ويواصل الدكتور القيسونى قوله : وفى أول تعديل وزارى تمَّ بعد ذلك وكان فى ٢٠ مارس سنة ١٩٦٨ ، أى بعد تسعة أشهر من اشتراكى فى الوزارة وجدت نفسى خارج الوزارة [1] .

تسقط الديمقراطية ، تسقط الحرية :

والحق أن أصدق تعبير عن اتجاهات الثوار هو تلك المظاهرات التى

---

(١) حديث بالاخبار القاهرية فى ١٩٨٧/١/١٦ .

حشد الثوار لها طبقة من الغوغاء يوم السبت ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ جىء بهم من مديرية التحرير ، ومن قوات الحرس الوطنى ، ومن القيادات العمالية ، وراح هؤلاء يهتفون : تسقط الديمقراطية — تسقط الحرية — يسقط المتعلمون . وكان ذلك فى الحق هو التعبير الحقيقى لاتجاهات قادة ثورة ٢٣ يوليو ، ولابد أن نذكر أن العمال الذين اشتركوا فى هذه المأساة كانوا بقيادة : صاوى أحمد صاوى الذى عُرف فى التاريخ المصرى بصاو صاو على وزن اللورد هاو هاو أشهر خائن فى تاريخ بريطانيا (١) . وقد قنع هؤلاء الغوغاء بقروش ضئيلة نظير هذا الموقف الأثيم .

والعجيب أن أنور السادات يتغنى فى كتابه « وصيتى » بالديمقراطية ويذكر أن الثورة أهملت المبدأ السادس من المبادىء التى أعلنتها بعد قيامها ، وأنه هو تدارك الأمر ، ونحن نوافقه على أن الثوار جميعا بما فيهم أنور السادات أهملوا الديمقراطية وحاربوها ، ونوافقه على قوله « إنه فى ظل الثورة تحول الإنسان المصرى إلى مجرد أداة فى خدمة النظام الثورى مما أدى إلى كل السلبيات والنكبات ، وأن الإنسان المصرى قد تمزق وكان ذلك نتيجة لتطبيق النظام الاشتراكى فى مصر ، فقد أصبحت الاشتراكية مرادفا لفرض الحراسات ، ومصادرة الممتلكات ، وفتح المعتقلات ، وغياب القانون ، وأوشكت هذه الموجة الطاغية أن تطمس معالم شخصيتنا الأصيلة مع ضياع المثل والقيم والتقاليد ، وبذلك فقد الإنسان المصرى إحساسه بالانتماء إلى وطنه لأنه أدرك أن هذا الوطن أصبح مِلْكا لفئة قليلة تجلس على قمة السلطة الثورية » (٢) .

تلك كلمات صادقة تصف العهد الثورى أدق وصف ، ولكن الديمقراطية لم تعرف طريقا للنور منذ قامت الثورة ، فحرية الانتخابات هى من أهم أسس الديمقراطية ، وهى شىء كريه جدا للفكر العسكرى سواء كانت القيادة فى يد عبد الناصر أو السادات .

---

(١) دكتور حسين مؤنس : باشوات وسوبر باشوات ص ٢٣٤ .
(٢) أنور السادات : وصيتى ص ١٢ — ١٣ .

٥ ــ الثورة وطرد الاستعمار :

فى هذه المقدمة الخامسة نذكر أن بعض أتباع الثورة يقولون إنها طردت الاستعمار ٠ وهذه مغالطة جاهلة ، فالاستعمار الأوربى قد انتهى من العالم كله بعد أن ظهر العملاقان : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فبدون هذين العملاقين ما كانت أوربا تستطيع أن تنتصر على هتلر وموسولينى واليابان ، ومن ثم فهذان العملاقان يمثلان فى غابة الحياة جماعات الأسود ، وعندما تظهر الأسود لابد أن تختفى الذئاب والثعالب ، وعلى هذا قد اختفى الاستعمار الأوربى من العالم كله حتى من أقطار كانت ترحب به لظروف خاصة ولم تطالب بطرده ، وبدأ اختفاؤه من دول كثيرة قبل أن تظهر هذه الثورة بعدة أعوام كما ذكرنا من قبل ٠

فإذا جئنا إلى مصر وجدنا الثورة جلبت عليها أقذر استعمار عرفته البشرية وهو الاستعمار الصهيونى ، الذى ادّعى أن البلاد بلاده ، وعمل على الاستقرار بها ، وعندما أُبعد هذا العدو بالحرب والمفاوضات لم يقبل أن يمنحنا حرية الحياة فى المناطق التى كان يحتلها ، بل اشترط شروطا تنتقص من سيادتنا على هذه الأرض الغالية بسيناء ٠

ما أقسى ما عانت مصر وعانى **الشعب المصرى** من هذه الثورة اللعينة ٠

وبعد هذه المقدمات الضرورية نتجه لعرض تاريخ أنور السادات ٠

عصر أنور السادات

خطة العمل بهذا الجزء « العاشر »

عندما كنت أكتب تاريخ محمد نجيب وتاريخ جمال عبد الناصر فى الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامى اتبعت نظام الحوليات ، فسجلت الأحداث من عام إلى عام ، وكان هذا منهجا مناسبا هناك إذ لم يكن لمحمد نجيب ولا لعبد الناصر تاريخ" قبل الثورة ، اللهم إلا وقفة قصيرة لمحمد نجيب فى انتخابات نادى الضباط قبيل قيام الثورة .

وفى هذا الجزء المخصص لدراسة عصر أنور السادات أرانى مضطرا لاتباع منهج مخالف ، وذلك بسبب الوجود السياسى لأنور السادات قبل الثورة ، ثم قبل أن يصبح رئيسا للدولة ، ومن هنا فإنى سأعرض تاريخه فى ثلاثة أبواب هى :

الباب الأول : أنور السادات قبل الثورة .

الباب الثانى : أنور السادات من مطلع الثورة إلى أن تولى رياسة الجمهورية .

الباب الثالث : أنور السادات رئيسا للجمهورية .

وفى حدود هذا التخطيط نرجو بعون الله أن نرسم صورة للرجل فى أدق ملامحها ومميزاتها ، وأن نبرز جوانب شخصيته ومراحل حياته .

والله الموفق

الباب الأول

السادات قبل الثورة

جذور السادات ونشأته :

هناك صراع يتحدث عنه المربون بين الجذور والميراث من جانب والتربية من جانب آخر ، ومع أن التربية بلا شك تنقل الإنسان من حال إلى حال فإن آثار الجذور والميراث لا تختفى ، ويتفاوت القدْر الذى يظهر منه حسب الظروف ، وقد بذل الإنسان جهدا كبيرا لترويض بعض الحيوانات وبخاصة المفترسة ، ونتيجة لنجاح الإنسان فى هذا المجال ظهر الأسد والفيل يقدمان للجماهير بعض الألعاب تبعا لأوامر الإنسان ، ولكنا نشاهد من حين إلى آخر ثورة الوحش على هذا التدريب ، وعودته فجأة لطبيعته وجذوره ، وهذا يؤكد لنا الصراع بين الجذور وبين التربية،وقد وضع الأعشى الشاعر هذا المعنى فى بيت من الشعر قليل الكلمات فقال :

فجرَوْا على ما عوِّدوا ولكلِّ عيدانٍ عصارة

وقد وصل الربيع بن يونس إلى أسمى المناصب فى بلاط العباسيين الأول ، ولكن الربيع كان ينحدر من أصلٍ حقير ، وفى مرة كان يجلس فى مجلس المنصور وكان بالمجلس رجل ينتمى للأسر العريقة ، وكان هذا الرجل يروى بعضا من مفاخر أبيه ، وكلما روى قصة أتبعها بالترحم على أبيه ، فقال له الربيع : كم تكرّر ذكر أبيك وتترحم عليه ؟

فقال له الرجل : إنك معذور لأنك لم تذق حلاوة الآباء .

وعلى هذا فالتربية — بلا شك كما قلنا من قبل — تنقل الإنسان من حال إلى حال ، ولكن أثر الجذور لا يختفى ، بل يحاول أن يندفع إلى السطح ، وتكبحه التربية ، فتنتصر أحيانا ، وتضعف أحيانا أخرى ، ومن هنا كان من الضرورى أن ندرس جذور السادات ونشأته لنرى مدى تأثير هذه الفترة عليه عندما أصبح فى القمة .

وقد كتب السادات عن جذوره ونشأته ، واعتقادى أنه لم يخف الكثير من عناصر حياته الأولى ، وكتب عنه الآخرون بروح الحدة

والقسوة وإن كان ذلك أيضا مع الصدق غالبا ، ومن كل هذه المصادر نستطيع أن نرسم للرجل صورة أقرب للحقيقة .

السادات والساداتى :

كان من بين زعماء مصر فى مطلع القرن التاسع عشر زعيم شهير اسمه « السادات » وكان ضمن الزعماء الذين تحدّوا السلطان العثمانى وقرروا عزل خورشيد باشا واختيار « محمد على باشا » واليا على مصر ، واضطر السلطان العثمانى أن يخضع لاتجاه هؤلاء الزعماء ورغبتهم .

هل ينحدر أنور السادات من سلالة هذا الزعيم ؟

إن أنور السادات لم يذكر ذلك فى الكتاب الذى يُعتبر قصة حياته وهو كتاب « البحث عن الذات » وقد أورد فى هـذا الكتاب طرفا مـن الحديث عن أجداده ، ولكنه لم ينسب نفسه للزعيم « السادات » .

ولكن أنور السادات فى كتابه « يا ولدى هذا عمك جمال » نسب نفسه للشيخ الزعيم السادات واعتبر ابنه جمال حفيد أولياء الله الصالحين (١) ثم أن هذا الاسم « السادات » يوحى بذلك ومن هنا انبرى بعض المؤلفين يرفضون هذه التسمية ويقررون ان الاسم الحقيقى هو « ... الساداتى » (٢) والفرق كبير بين السادات والساداتى فالسادات يوحى بالارتباط نسبا بهذا الزعيم الكبير ، والساداتى توحى بالتبعية لهذا الزعيم والالتحاق به فى مجال الخدمة والمساعدة . أو أنه انتماء لأسرة أخرى غير أسرة الزعيم « السادات » .

وقد اهتم الأستاذ عبد الله امام بهذه التسمية اهتماما كبيرا فقدم

---

(١) أحمد طلعت : السادات قبل الرياسة ص ٢٩ .

(٢) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٢٨ بالهامش وأحمد طلعت : السادات قبل الرياسة ص ٢٦ .

لنــا صورة زنكغرافية لوثائق فى ملف خدمة أنور السادات تؤكد أن اسمه « الساداتى » (١) .

وهذا الموضوع يوضح أهمية الجذور فى بلادنا ، فالأســتاذ محمد حسنين هيكل والأستاذ أحمد طلعت لا يقبلان أن يرتبط أنور الســادات بنسب شريف ، غير مؤكّد من الناحية التاريخية ، وقد أعلن ورثة الزعيم السادات أن أنور السادات لا يرتبط معهم بنسب (٢) .

أسرة أنور السادات :

هل كان أنور السادات نفسه هو الذى كتب قصة حياته « البحث عن الذات » ؟

لو كان هو الذى كتبها فإن قدراته فى هذا الموضوع رائعة ، فقــد أثبت لقطات تثير الابتسام مثل « العسل وصل » حيث تحدّث عــن المركب التى كانت تحمل العسل ويهرع الناس لها للشراء منها ، وأثبت لقطات توحى بجلال أسرته كحديثه عن جدته التى كانت ملجأ النــاس لحلّ مشكلاتهم ، وأنها كانت تسمى « أم الافندى » وهو لقب يحمل التقدير لها ولابنها والد أنور السادات .

وتحدث أنور السادات عن صور من الفقر عاناها ، والحديث عن الفقر ليس عيبا ، فكثير من الزعماء كان آباؤهم وأجدادهم من الفقراء .

فإذا تركنا كتاب « البحث عن الذات » وذهبنا إلى ما دوّنه هيكل وأحمد طلعت نجدهما يذكران أن أنور السادات تحاشى قصداً الحديث عن أمه « ست البرين » وركّز فى الحديث عن جدته ، لأن الأم كــانت شخصية يصفانها بأنها لا تســتحق الذكر ، ولكن كاميليا ابنــة الرئيس السادات تتحدث عن جدتها هذا ــ فيما نشرته من بحوث ــ بكل حب وتقدير .

---

(١) عبد الله امام : محاكمة عصر ص ٢٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

وكان والد أنور السادات حاصلا على الشهادة الابتدائية ، وكانت آنذاك شهادة لها قيمة لا بأس بها ، وكان موظفا فى حدود هذه الشهادة ، وقد تعددت زوجاته وكثر أولاده مما جعل حياته الاقتصادية أقرب إلى الضنك ، وانعكس ذلك على أسرته ، ولذلك اضطر أن يعمل بالسودان رجاء الحصول على مرتب أفضل •

التشابه بين طفولة ناصر والسادات :

هناك تشابه واضح فى بؤس النشأة التى عاناها كل من السادات وعبد الناصر ، وقد ذكرنا آنفا شيئا من ملامح نشأة السادات ، فماذا عن عبد الناصر ؟

يقول التاريخ :

طفولة عبد الناصر المبكرة كانت فى قرية بنى مر بمحافظة أسيوط ، ثم انتقل أبوه عبد الناصر حسين خليل من محافظة أسيوط إلى الاسكندرية ، وعندما كان « جمال » فى السادسة من عمره انتقلت الأسرة إلى الخطاطبة ، وعندما أصبح « جمال » فى الثامنة من عمره انتقل ليعيش مع عمه خليل بحارة اليهود فى حى الموسكى بالقاهرة ، وفى التاسعة من عمره توفيت والدته التى كانت الأمل الوحيد له ، وعاد « جمال » من القاهرة إلى الاسكندرية بعد وفاة والدته ليعيش مع جديه لوالدته والحقته أسرة والدته بمدرسة العطارين الابتدائية ، وعاد مرة أخرى وهو فى الثانية عشرة من عمره ليعيش مع عمه « خليل » فى القاهرة ، ثم ترك بيت عمه خليل الذى انتقل إلى المحلة الكبرى وعاش مع والده الذى كان قد نقل للعمل بالقاهرة ، وعام ١٩٣٦ أجبره والده على أن يعيش مع عمه خليل فى المحلة الكبرى ، وبعد قليل عاد إلى القاهرة ليلتحق بالكلية الحربية

إنها حياة قاسية أسرياً ووجدانيا وعاطفيا وماديا ، ثمانية عشرة عاما منذ ميلاده فى ١٥ يناير ١٩١٨ لم يذق فيها حنانا أو راحة •

ذلك هو عبد الناصر ، وتلك هى حياته التى خلّفت فيه عقدة كثيبة ، وهذا هو الرجل الذى جكم مصر والمصريين عدة سنوات .

عودة للسادات فى حياته الأولى :

أمضى أنور السادات حياته الأولى فى قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية وحديث أنور السادات عن نفسه فى هذه الفترة حديث ذكى ، فيه كثير من الخيال ، فهو يتحدث عن أعمال جماعية بالقرية كان يشترك فيها غير منتظر أجرا ! ! ويتحدث عن الزرع والأشجار حديث شاعر لا يتناسب مع طفولة أنور السادات وصباه [1] .

والتحق أنور السادات بالكتّاب شأن كل الأطفال فى ذلك الوقت ، وفى الكتّاب حفظ بعض القرآن وتعلم القراءة والكتابة وبعض الحساب ، ثم التحق بالمدارس الابتدائية ثم بمدرسة فؤاد الأول الثانوية .

وانتهى من دراسته الثانوية ووقف على باب الحياة الجامعية أو الكليات العسكرية .

لعبة الحظ فى العالم الثالث (الكليات العسكرية) :

إذا تركنا دول العالم الثالث التى يحكمها ملوك كالمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان .. ونظرنا للدول الكثيرة الباقية نجد أن أكثرها يحكمه العسكريون وهذه فى تقديرى حقيقة تدعو **للخجل ، فرجال الجيش آثروا المتع وهدوء البال ، والحجرات والسيارات مكيّفة الهواء .... وتركوا خشونة الحياة العسكرية وصلابتها ، وعندما ظهر أن ذلك يُحدث قلقا ونفورًا بينهم وبين القابعين فى الخنادق ، أغدق العسكريون الذين بيدهم السلطة على زملائهم بالجيش ، فيسّروا لهم المساكن ، وأفخم الأندية ، ووسائل العلاج ، والرحلات ، والمصايف ، وابتكروا الملحقين**

---

(١) البحث عن الذات ص ١٢ .

العسكريين بالسفارات لإرضاء بعض الطموح ، أما المرتبات والبدلات فحدّث عنها ولا حرج .

وفى مجال امتيازات الجيش نقتبس سطورا قليلة كتبها الأستاذ الدكتور محمد عصفور فى عموده اليومى بصحيفة الوفد فى ١٩٨٨/١٠/٦ عن مساكن الضباط يقول فيه :

أعلن المشير أبو غزالة أن المدن العسكرية السكنية الكثيرة قد لبّت حاجة جميع أبنائنا الضباط للسكن .. وأنها قريبا ستلبّى كذلك حاجة جميع أبنائنا صف الضباط ، وهكذا نجا الضباط من متاعب الحصول على مسكن كما نجوا من السكنى بالمقابر والأكواخ والمخابىء .

ونقتبس فى مجال هذه الامتيازات سطورا أخرى من كلمات الأستاذ جمال بدوى نشرها أيضا بصحيفة الوفد وهذه الكلمات ترتبط بالخبز الخاص بالضباط ، قال سيادته :

« فى الجولة التى قام بها السيد رئيس الجمهورية فى معسكر الهاكستب ، ظهر الرئيس فى الصورة التى نشرتها الأهرام ومعه المشير أبو غزالة وهما يتفحّصان رغيفا غريب الشأن ...

« كان الرغيف منتفخ الأوداج .. مستدير الوجه .. ناضج القلب مليح القسمات .. متورد الوجنات .. يثير لعاب الجوعى ، حتى كدت من فرط نهمى أن ألتهم الورقة التى تحتوى على صورة الرغيف ... ولكنى تراجعت .. وقلت لنفسى حرام أن يكون الأكل مصير هذا الرغيف ، إنه يستحق التمجيد ولا أقل من أن يوضع داخل برواز ويعلّق على الجدران ليتفرج عليه العامة .. أو يصان فى « فترينة » زجاجية بالمتحف ليشهده السياح كدليل على رقينا الحضارى واهتمامنا بحقوق الإنسان المصرى .. وتوقعت أن تجعل منه وزارة الثقافة موضوعا لمسابقة بين

الشعراء ليتغزلوا فى جماله ويدبّجوا فيه القصائد الملاح كما كـان يفعل ابن الرومى والشريف الرضى وحافظ إبراهيم .

« والسؤال الذى يلحّ على أمثالى من العـامة كيف السبيل إلى الحصول على نسخة من هذا الرغيف ؟ هل نعثر عليه فى الصيدليات ؟ أو فى البنوك الحرة ؟ وما هى المسوّغات المطلوبـة لاقتنائه .. هـل تكفى البطاقة العائلية .. أو جواز السفر .. أو شهادة فقر موقع" عليها من اثنين موظفين لا يقل مرتب كل منهما عن ستين جنيها ؟

« دلونى يا أهل الذكر عـلى طريق الوصـول إلى هـذا الرغيف المدهش ... ولكم الأجر والثواب من الله » .

ونقتبس من حسن عزت [1] وهو ضابط زميل للسادات وصديق له يقول بأن هناك حوالى ٣٠٠ ضـابط يحصلون عـلى المعـاش المخصص للضباط الأحرار على الرغم من أن ٩٠٪ منهم لم يشتركوا فى الثورة ، وهكذا كان للضباط الأحرار ومن دخل فى زمرتهم معاش خاص ممتاز .

وهكذا يعيش الضباط بالعالم الثالث فى طبقة أسمى وأرفع مـن طبقة الآخرين .

قد تقول إنهم يعرّضون أنفسهم للأخطار من أجل حرية الوطن ، وهذا صحيح ، ولكنى أقول إن أخطار الحرب الآن لا تقف عند ميـدان الحرب ، بل تصل إلى الناس فى بيوتهم ، ثم إن كثيرين من الأسـاتذة والأطباء والمهندسين يسقطون وهم يؤدون أعمالهم ، ولا مكان لبلد يخلو من العقول المفكرة التى تجلب الرخاء والجاه للبلاد .

---

(١) العمالقة والاقزام ص ٢٢٥ .

وأخيرا فالطبقات المثقفة ترى أن العدالة والمساواة لابد أن يعما الناس دون تفريق بسبب اللون أو الدين أو المهنة .

وقد وصل الحال إلى أن الدكتور عبد المنعم القيسونى نائب رئيس الوزراء يذكر أن مرتبه لم يكن يكفى ضرورات الحياة ؟ ولذلك استبدل بعض معاشه ، اما ابنه الضابط برتبة ملازم فكان مرتبه وبدلاته تضعه فى مصاف المترفين [1] .

لهذا أوشكت جيوش العالم الثالث أن تنهار فى جو التراحم على الترف والملاذ .

على أن الكليات العسكرية كانت لها دائما امتيازات قبل الثورة وبعدها ، وهذه الامتيازات جذبت لها شبابا مثل أنور السادات وجمال عبد الناصر ، ومن امتيازاتها أن الدراسة فيها محدودة الأعوام ، فليس فيها رسوب تقريبا ، وهى داخلية فتوفر على الطالب إيجار المسكن وتكاليف الطعام والملابس .

ولم تكن الكلية الحربية مفتوحة بيسر للناس جميعا ، بل كانت ولاتزال تحتاج لبعض الوساطات ، وقد استطاع جمال عبد الناصر وأنور السادات أن يجدا من السادة [2] من يدفعهما للكلية الحربية حيث مهد لهما الحظ حياة تقودهما ليصبحا رئيسين للدولة الواحد بعد الآخر .

رجل له جذور السادات أو جذور عبد الناصر ، تربى تربية عسكرية بعد نشأة كئيبة لا يمكن أن نتوقع منه اتجاها للديمقراطية ، فطفولته

---

(١) حديث نشر بالاخبار فى ١٩٨٧/١/١٦ .

(٢) البحث عن الذات ص ٢٦ .

كانت صراعاً ، والكليات العسكرية تـعـلّم الطاعة الشاملة واحترام كل رتبة لمـا فوقها ، وهيهات أن نطمع فى ديمقراطية من هؤلاء .

قـد يخطر ببالك أن تشرشل أو أيزنهاور كانا عسكريين ، ونلفت النظر إلى أن هذين وأمثالهما لم يقفزا من الجندية للرياسة كما فعل عبد الناصر ، وإنما دخلا الحياة السياسية فتعلما منها الكثير قبل أن يصلا إلى القمة ، هذا بالاضـافة إلى أن البيئة غير البيئة ، فما كـان تشرشل أو ايزنهاور يفكر فى تزوير الانتخابات ، ولو حاول لوجد قوى هائلة توقفه عند حده .

وهكذا كانت لعبة الحظ فى العـالم الثالث لعبة ضـمنت الترف للعسكريين وفرضت العسف على المواطنين .

وكانت الكلية الحربيـة تزدحم أساسا بأولاد الأعيان وفتيان من الطبقات العليا بالمجتمع ، ودخلها أمثال عبد الناصر والسادات ، فاتّضحت الفوارق فى هذا المجتمع ، كان بعضهم عند الإجازات تنتظره السيارات الفارهة فى وقت قلّت فيه السيارات ، وبعضهم كان يقف فى انتظـار الترام ، وانبثق الحقد فى هـذا الجو ، وتربت الضغائن التى اندفعت يوما فدمّرت كل شئ .

وتخرّج هذا وذاك وامثالهما من الكلية الحربية ، ولهيب الحقـد والطموح يملأ الأفئدة ، وقد استطاع عبد الناصر أن يعمل فى صمت وعن طريق تكوين مـا سمى « الضباط الأحرار » أما السادات فلم يستطع فى شبابه كبح جماح نفسه ، فانطلق يتأرجح فى معمعة الحياة كما سنرى .

السادات بعد التخرج

زواجه من ابنة العمدة :

تخرج السادات من الكلية الحربية وأصبح ضابطا بالجيش ، وللضباط

زى خاص كانت له فى تلك الأيام جاذبية كبيرة ، وانتقل السادات بهذه الوظيفة وذلك الزى نقلة واسعة ، واتخذ من هذا وذاك وسيلة لإرضاء طموحه ، وكان طموحه آنذاك ذا شقين ، الشق الأول هو تثبيت مركزه فى القرية ، وهذا حققه عن طريق الزواج من بنت العمدة (السيدة إقبال ماضى) ويقول محمد حسنين هيكل [١] ان الزواج من ابنة عمدة ميت أبو الكوم كان أقصى ما كانت تحلم به أم محمد لحفيدها أنور •

اتصاله بالألمان وإعجابه بهتلر :

أما الشق الثانى فكان محفوفا بالمخاطر الجسيمة ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية تمر بفترة دقيقة ، وهى فترة زحف الألمان بقيادة روميل من ليبيا إلى مصر ، وانبهار بعض الشبان العرب بالألمان ، واعتقادهم أن انتصار الألمان سيخلصهم من حكم الإنجليز ، ولذلك هتف بعضهم : تقدم يا روميل •

ولنتوقف قليلا عند هذه النقطة ، لقد كان هؤلاء الشبان مخدوعين بالألمان ، وظنوا أن هؤلاء أخف وطأة من الإنجليز ، والحق أن الجميع فى السوء سواء ، وأنهم لا يتفاضلون فى هذا المضمار ، وربما كان الألمان أسوأ من سواهم ، وقد أدرك الألمان اتجاه بعض المصريين نحوهم فراحوا يعززون هذا الاتجاه بأكاذيب واختلاقات ، ويبدو هذا واضحا من مقارنة الترجمة العربية لكتاب هتلر « كفاحى » بالأصل الألمانى أو بالترجمة الإنجليزية ، فالنسخة العربية خلت من المطاعن فى العرب ، تلك المطاعن التى انبثت فى صفحات الكتاب باللغات الأخرى [٢] •

وقد كان هتلر وأعوانه يعتنقون النظرية التى تقرر « أن كل ما

---

(١) خريف الغضب ص ٤١ •

(٢) انظر كتاب « كفاحى » بالعربية والانجليزية •

فى الكون من حضارة إنسانية وفنون وعلوم هى تقريبا خلاصة القريحة الآريَّة » [١] وأن وجهة النظر العالمية للجنس تعترف بأهمية انقسام الإنسانية إلى عناصر جنسية متفاوتة ، ولا تعتقد فى المساواة ، بل ترى أن هناك جنسية علْيا وجنسية دُنيا ، وبمقتضى الإرادة الأزلية التى تسيطر على الكون لابد أن يسمو الجنس الأعلى ، وأن يخضع له الجنس الأدنى » [٢] .

هل كان أنور السادات يجهل هذه الحقائق ؟

أغلب الظن أنه كان لا يجهلها ، لكنه كان يريد المغامرة ، فالمغامرة كانت لديه هدفا لذاتها ، مع الألمان ، أو الإنجليز ، أو القصر ، فالهدف يبرِّر الوسيلة عنده ، وقد بالغ السادات فى إعجابه بالألمان فحذا حذوهم حتى فى تضييق الزى كما كانوا يفعلون [٣] .

وأُتيحت لأنور السادات فرصة ليلتقى بالفريق عزيز المصرى المفتش العام للجيش المصرى ، وكان لقاؤهما فى منقباد ، وعزيز المصرى شخصية أسطورية شاركت فى الثورة التركية مع أتاتورك قبل أن يظهر انحراف هذا الزعيم ، وكان عزيز المصرى من مؤسسى جمعية تحرير الأمة العربية ، وله تاريخه الطويل الملىء بالكفاح ، مع ولع بالثقافة والدعوة إليها [٤] .

ومن الشخصيات المهمة التى التقى بها أنور السادات فى هذه الفترة حسن عزت وهو ضابط فى سلاح الطيران جاء إلى سلاح الإشارة

---

(١) حامد المليجى : كشف الستار عن نظرية امتياز بعض الاجناس ص ٢٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٧ .
(٣) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٨ .
(٤) انظر : البحث عن الذات ص ٣١ .

بالمعادى فى دورة تدريبية، وكان أنور السادات يعمل فى سلاح الإشارة ، وبدأت علاقة بين حسن عزت وأنور السادات كان لها تأثير على الأخير فى حياته الخاصة والعامة كما سنرى •

وكان لعزيز المصرى علاقة بالألمان ، وقد حاول أن يهرب إلى صفوفهم إبان الحرب العالمية الثانية ولكن المحاولة فشلت فسقطت طائرته ، وكانت هناك خلية سرية فى الجيش المصرى بقيادة عزيز المصرى ينتمى اليها مجموعة من الضباط الشبان منهم السادات ، وهذا قوى فى السادات ميوله للألمان ، ثم إنه عن طريق حسن عزت تعرف أنور السادات على اثنين من رجال المخابرات الألمانية هما « أبلد » و « ساندى » وكان هذان قد استطاعا الوصول إلى القاهرة وعاشا بها متخفيين فى عوامة الراقصة حكمت فهمى [1] وقد ساعدهما أنور السادات فى إصلاح جهاز التخابر الذى كانا يملكانه •

طرده من الجيش :

وانكشف أمر الجاسوسين الألمانيين فقبض عليهما ، ثم قبض على أنور السادات وحسن عزت ، وتكون مجلس عسكرى لمحاكمتهما ، فقرر طردهما من الجيش فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ بعد خدمة لا تزيد عن أربع سنوات •

هل كان أنور السادات مؤمنا بالمبادىء النازية وفاشستى التكوين كما يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين [2] •

الحقيقة أننى لا أرى ذلك ، وإنما أرى أنها انتهازية ، وطموح ،

(١) أنور السادات : صفحات مجهولة ص ٩٠ وما بعدها •
(٢) محاورات مع السادات ص ٨ •

والحقائق التاريخية توضح لنا أن أنور السادات كان حريصا على « الوصول » عن أى طريق ، وسنراه فيما بعد عضوا فى الحرس الحديدى الذى أنشأه فاروق ، فالمهم عند أنور السادات هو « الوصول » إلى الهدف أيا كانت الوسيلة ٠

وهذه الأخلاق يمكن أن تنمو مع شخص فى مثل ظروف السادات ، عاش مقهورا ، ثم أصبح طالبا بالكلية العسكرية حيث الطاعة الشاملة ، ثم خرج إلى الحياة ضابطا فى الجيش يحس بأن له كيانا ومكانة مرموقة فى المجتمع ، ومثل هذه الحياة المتقلبة تدفع للحقد والثورة وانتهاز الفرص ٠

السادات بعد الطرد من الجيش :

عقب طرد السادات وحسن عزت من الجيش ألقت السلطات المدنية القبض عليهما بحكم قانون الطوارىء الذى كان معمولا به آنذاك ، وأودعا « سجن الأجانب » وظلا به حتى ديسمبر سنة ٤٢ ٠

ويصف حسن عزت حالة السادات آنذاك ، ويظهر من الوصف مدى الخشونة التى كان السادات يعيش فيها ، يقول حسن عزت : وصل السادات السجن ومعه حقيبة صغيرة من الورق المضغوط كالتى يستعملها تلاميذ المدارس الابتدائية ، ولما فتحها رأيت فيها بنطلونا وبيجامة وفوطة وسجادة قديمة ومصحفا ممزق الغلاف ، وسألت أنور : هل هذا كل متاعك ؟

فأجاب باستغراب : وهو ده شوية ؟

فقلت له : على كل حال يا أنور أنا معى (هدوم) كثير وأدوات تسلية وكلها تحت أمرك [1] ٠

---

(١) حسن عزت : العمالقة والاقزام ص ٤٤ ٠

وبعد ذلك نُقل السادات وحسن عزت إلى معتقل « ماقوسة » بالقرب من المنيا ، وقد استطاع حسن عزت أن يهرب من معتقل ماقوسة ، أما السادات فقد بقى به حتى ديسمبر سنة ١٩٤٣ ثم نقل إلى معتقل الزيتون بالقرب من القاهرة حيث استطاع هو أيضا أن يهرب من المعتقل فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ وكان ذلك بمساعدة حسن عزت ، وتنكر الاثنان حتى لا تتعرف عليهما أجهزة وزارة الداخلية ، ويقال إن هذه الأجهزة أغضت الطرف عنهما بإشارة من القصر .

وكان السادات يلبس البدلة العسكرية بعد طرده من الجيش مع تحريمها عليه (١) .

وعمل السادات خلال فترة التنكر « حمالا » على عربة لورى يملكها حسن عزت ، وعمل فى بلدة أبو كبير بالشرقية فى مشروع الترع ، **وبهذه المناسبة نذكر أن أنور السدات يقرر أنه كان من عادة مصلحة الرى فى ذلك الوقت أن تشق ترعة جديدة كل سنة (٢) .**

وللأسف توقفت ثورة عبد الناصر والسادات عن هذا المنهج الوطنى العظيم .

وعمل أنور السادات بالقرب من مدينة بنى سويف فى مناجم الرخام الألباستر .

وهذا المنجم يدفعنا لنروى كلمات أنور السادات ونعلق عليها فهو يقول : كان هذا المنجم يعمل أيام الفراعنة ، ثم أُهمل إلى أن أتى « محمد على » فأعاده إلى العمل ، وبنى منه مسجد القلعة ، ولما كان هذا المنجم يبعد عن النيل بمقدار ٥١ كيلو مترا فقد أقام محمد على

---

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ١٨ .

(٢) البحث عن الذات ص ٧٦ .

استراحات بالطريق لتسهيل نقل الرخـام إلى البواخر النيلية ، وبقايا هذه الاستراحات قائمة وموجودة حتى الآن (١) .

بالتأكيد لم يكن أنور السادات يقصد امتداح محمد على أو الثناء على أولاده الذين كانت الترع تحفر فى عهدهم واحدة فى كل عام ، والذين أعاد مؤسس أسرتهم الحياة لمنجم الرخام الذى أهمل من عهد الفراعنة ، ولكن هذه المزايا انزلقت دون قصد فى كتاب السـادات ، وأنا كمؤرخ أقول ذلك لأن الثورة بذلت أقصى الجهد لتحريف تاريخ أسرة محمد على وطمس معالم الخير فيها كما وضحت ذلك فى المصادر المناسبة (٢) .

ولمـا كان اعتقال حسن عـزت وأنور السادات قـد جاء نتيجـة للأحكام العرفية التى كانت مفروضة على البلاد خلال الحرب العـالمية الثانية فقد تحققت الحرية لهما عندما ألغيت الأحكام العرفية فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، ولم يعودا فى حاجة إلى التنكر والعمل خفية ، وظهرا فى المجتمع فى صورتهما الحقيقية .

حزب الوفد والقصر الملكى وأنور السادات :

كان القصر الملكى فى عداء سافر مع حزب الوفد الذى كان ولايزال يمثل القوة الشعبية ، والذى كان يضم الأغلبية الساحقة من المثقفين ورجال المال والأعمال والتجار والفلاحين ، والذى تحققت فيه الوحدة الوطنية ، فى أجلى أعماقها ومعانيها .

ومنذ قام هذا الحزب عقب الثورة الشعبية سنة ١٩١٨ اندفع القصر الملكى إلى الصراع معه وكوّن القصر مجموعة من الأحزاب لمنافسة حزب الوفد ، ولكنها كانت أحزابا بلا جذور شعبية ، وكانت كالقش قصـيرة

---

(١) البحـث عن الـذات ص ٨٠ .
(٢) انظر ذلك فى الجزء الخامس والتاسع من هذه الموسوعة .

العمر ، ولكن هـذه الأحزاب كانت بقوة الملك وتأييـد الإنجليز تحظى بفترات حكم طويلة ، أمـا حزب الوفد وهو الحزب الحقيقى فى البلاد فكان مستبعدا ولا يجىء للحكم إلا إذا قامت انتخابات حرة وهو شىء نادر بمصر للأسف ، وإذا جاءت انتخابات حرة لسبب من الأسباب (١) فإن عهد حكومة الوفد فى الحكم يكون قصيرا دائما ، فالإقالات كـانت مُعَدّة فى ذهن الملك وأعوانه ، يدفعونها للواقع عندما تحين فرصة ، وكان الجيش المصرى للأسف يحمى هذه القرارات الظالمة (٢) .

ومن الواضح أن الإنجليز كانوا يؤيدون هذه السياسة ، فحكومات الأقلية تخضع لتعليمات الملك والإنجليز ، فبدون الملك والانجليز كانت هذه الأحزاب لن ترى النور ولن تحصل على السلطة ، أما الوفد فكان يقف دائما بجانب الشعب ويستمد منه سلطته ، وعندما توجد حكومـة وفدية فى السلطة تتقلص سلطة الملك وتتوارى ، كما تتقلص كذلك سلطة الإنجليز .

والمهم أنه فى أثناء الحرب العالمية الثانية مرّت أزمة بالحلفاء ، وجاءت فترة ازدهار للجيش الألمـانى الذى دق أبواب مصر ، وصاح الكثيرون من المصريين يهتفون لروميل قائد الجيش الألمانى الزاحف من ليبيا :

تقدّم يـا روميل   تقدم يـا روميل

وقد وجد الإنجليز من الضرورى أن يتقربوا من الشعب المصرى خلال هذه الأزمة ، فأشاروا على الملك فاروق أن يخضع لرأى الأغلبية وأن يدعو الزعيم مصطفى النحاس ليؤلف الوزارة ، وعندما رفض الملك تلبية هذه الرغبة زحفت قوة من الجيش الانجليزى وأحـاطت بالقصر

---

(١) أنظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة حيث وضحنا الأسباب التى فرضت الانتخابات الحرة أحيانا .

(٢) أنظر تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من هـذه الموسوعة وهـو عن تاريخ مصر .

الملكى وهددت الإنسان الفاسد الذى كـان يجلس عـلى عرش مصر ، وانهار هذا الرجل واستسلم ، ودعا النحاس باشا لإنقاذه بعد أن لاحت نهايته .

وجاء النحاس باشا الى الحكم ، وقد بقى فيه من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٤ أى إلى أن بدأت كفة الحلفاء فى الرجحان ، فاستعمل الملك سلطاته الجائرة وأقال حكومة الوفد .

لم يغفر فاروق للنحاس باشا أنه جاء على غير هواه ، مع أن مجىء النحاس كان برجاء عميق من الملك ثَبَتَ فى كتاب تكليفه بتأليف الوزارة ، وفى كتاب التأليف الذى ردَّ به الزعيم على الملك .

ولجأ الملك إلى أعمال السوقة وقطاع الطرق فى مجاهدة زعيم الأمة النحاس باشا فألَّف مـا يسمى « الحرس الحديدى » ليقوم بأعمـال تصفية جسدية لمن اعتبرهم أعداء للقصر .

وبدون مجىء النحاس كان فاروق سـيواجه نهايته ، ولذلك يرى بعض المفكرين أن النحاس باشا كان عليه أن يرفض تأليف الوزارة ليتم القضاء على الملك عدو الأمة والوفد ، ولكن الزعيم العظيم لم يكن مـن هذا النوع الذى يستغل الفرص للثأر .

ومن عجب أن أحزاب الأقليات أو أحزاب القش انتهزت فرصـة قيام حكومة الوفد فى هذه الظروف فأطلقت الأبواق بأن النحاس باشا جاء على أسنة الرماح الإنجليزية ، مع أن هذه الأحزاب عاشت عمرها كله قابضة على السلطة تحت حماية هذه الرماح وبدون أى تأييد شعبى ، وليت شعرى كيف يجىء الحق لصاحبه ثم يرفضه ؟

إن بعض القصور تزاول حتى الآن أعمـال التصفيات الجسـدية لمعارضيها ، وربما كان الحرس الحديدى فى مصر أستاذا لهؤلاء فى هـذا المجال ، إنها وصمة العمر أن تتدهور أخلاق سكان القصور لتصل إلى هذا المدى الإجرامى الحقير .

ولنعد بحديثنا إلى الحرس الحديدى بقصور فاروق .

الحرس الحديدى :

اعتمد فاروق فى تكوين الحرس الحديدى على ضابط طبيب ، اسمه « يوسف رشاد » كان طبيب الملك وموضع سره ، وكانت زوجة هذا الطبيب واسمها « ناهد » وصيفة الملكة ، وأعطيت الإشارة لهذا الطبيب ليباشر عمله فى تكوين هيئة أطلق عليها « الحرس الحديدى » تكون مهمتها التخلص من أعداء الملك ، وحتى يأخذ هذا العمل الإجرامى لمحة كاذبة من الشرعية ذكر المشرفون على تكوين هذه الهيئة أن الملك رمز البلاد ، وأن الاعتداء عليه اعتداء على شرف البلاد وكيانها ، ولم يكن ذلك فى الحق إلا بريقا كاذبا ، فهذا الملك كان منبوذا ، ولم يكن بخلقه وديكتاتوريته يمثل رمزا للبلاد ولا كان جديرا بالاحترام .

وبدأ على كل حال تكوين الحرس الحديدى ، وكان من أبرز أعضائه الذين استطاع يوسف رشاد ضمهم لهذه الهيئة حسن التهامى وأنور السادات وحسين توفيق ، والأخير شاب متحمس كان يصطاد الجنود الانجليز الذين يدخلون القاهرة فى إجازاتهم ليوقع بأفراد منهم ، وتقول الرواية إن أنور السادات أقنع حسين توفيق بعدم جدوى جهده فى القضاء على بعض الجنود الإنجليز ، وأن من الأجدى الإيقاع بكبار المصريين الذين يتعاونون مع الإنجليز ، وبدأ بذلك تكوين « الحرس الحديدى » ووضع أهدافه .

وكان من أعضاء « الحرس الحديدى » كذلك اثنان من كبار رجال الشرطة اعتبرا معاونين ليوسف رشاد ، وتسعة من ضباط الجيش الشبان الذين كانت لهم تطلعات وأطماع شخصية ، وينسب للحرس الحديدى أنهم هم الذين قاموا بحريق القاهرة للتخلص من حكومة الوفد .

ومن أعضاء الحرس الحديدى الذين ذكرهم حسن عزت الضباط الآتية أسماؤهم : عبد الرءوف نور الدين ، وسيد حماد ، ومصطفى صدقى ، وحسن فهمى عبد المجيد وخالد فوزى وعبد الله صادق ، وكان كل ضابط من رجال الحرس الحديدى يتقاضى من القصر مرتبا شهريا

قدره ثمانون جنيها ، (وهو مرتب كان عظيما آنذاك) كما كان لكل منهم سيارة صغيرة [١] .

ويذكر الدكتور عبد الحميد سلطان [٢] أن السادات عندما كان معتقلا فى الزيتون كان يخرج ليلا للاشتراك فى العدوان على زعيم الأمة ، وكان يرجع بعد ذلك للمعتقل فى هدوء .

ولعل من الخير أن نذكر أن هناك ما يشير إلى أن اختيار أنور السادات لهذا الغرض تمّ وهو فى سجن ماقوسة ، وأن هذا الاختيار يسّر له أن يُنْقل إلى سجن الزيتون ، ثم يسّر له الخروج منه والعودة له ، وأخيرا يسّر له الهروب نهائيا منه ، وإنّ أصبع القصر كانت وراء ذلك

وبدأ الحرس الحديدى يزاول نشاطه ووجّه جهده أساسا إلى قتل زعيم الأمة مصطفى النحاس وقتل أمين عثمان الذى اعتبروه شديد الولاء للسلطة الإنجليزية .

ونجح الحرس الحديدى فى قتل أمين عثمان ، وفشل الحرس الحديدى فى قتل النحاس باشا على الرغم من المحاولات المتعددة لذلك ، فقد حرسته يد الله ، ويصوّر حسنين هيكل إحدى هذه المحاولات بقوله : إن حسين توفيق ألقى قنبلة على سيارة النحاس باشا ، ولكن سائق السيارة أسرع بها ليتفادى تراما اعترض الطريق بدل أن يتوقف ليمر الترام ، وكانت نجاة الزعيم نتيجة لذلك [٣] . وتلك عناية الله .

بل يذكر حسنين هيكل محاولات عدة لذلك هيأ القصر وسائلها ، وكان السادات أداة لها ولكنها فشلت أيضا ، وقبض على السادات ضمن المتهمين بهذه الأفعال .

ومن شواهد تورط القصر فى هذه الأفعال أن المقبوض عليهم لم

---

(١) حسن عزت : العمالقة والأقزام ص ١٥٨ .
(٢) مقال بصحيفة الوفد ١٩٨٧/١٢/٢٤ .
(٣) خريف الغضب ص ٠٧ .

يحاكموا جدّياً ، وأن محاكمتهم تأخرت سنتين بعد وقوع الأحداث من سنة ٤٦ إلى ١٩٤٨ .

ثم أن محاولة جرَت لسرقة ملف القضية ، وقد نجحت هذه المحاولة وفى ذلك يقول حسن عزت : كان هناك ساعٍ يحمل هذه الملفات فوق درّاجة ، ودخل شارع محمد على ، فاندفعنا خلفه بسيارة مسرعة ، وصدمت السيارةُ درّاجته فتطايرت الأوراق ، وأخذنا نجمعها بسرعة ونضعها فى السيارة ولذنا بالفرار (١) .

ومن الشواهد كذلك أن حسين توفيق هُيِّئ له أن يهرب من السجن وأن يسافر للخارج .

ثم كان الحكم بالبراءة على أكثر المتهمين ، وحكم على حسين توفيق غيابيا بالسجن عشر سنوات (٢) .

ما أقسى ما عانت مصر من انحراف الملك ، والذى يهمنا هنا هو أن السادات جُنِّد ليكون عضوا فى الحرس الحديدى الذى أنشأه القصر . واشترك فى بعض الأعمال ، ثم قبض عليه ، وحُكِم ببراءته فى ظل الظروف السابقة ، وقد صدر حكم البراءة فى أغسطس سنة ١٩٤٨ .

وقفة للمقارنة :

إن الدارس لكتاب السادات « البحث عن الذات » وللمراجع المختلفة التى تتكلم عنه وعن عصره يطيب له أن يُجرى مقارنة عن بعض الأحداث المتماثلة التى حدثت للسادات ، وتلك التى حدثت منه ومن رفاقه بعد الثورة :

١ — وأول ما نقدّمه من المقارنات مثال قدّمه أنور السادات نفسه قال : كان الذين يترافعون عنا من أكبر المحامين بمصر ، وكانوا يترافعون دون أجر مع أنهم فى القضايا العادية كانوا يتقاضون آلاف

---

(١) حسن عزت : العمالقة والأقزام ص ٨٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٥ وما بعدها .

الجنيهات ، ولكن للأسف لم تكن هكذا حالتهم فى العشرين سنة الأولى للثورة بعد أن عُطِّلت سيادة القانون ، فلم يصبح هناك أى مجال للمحاماة أو القضاء ، وأفلس الكثيرون من المحامين أو كادوا [١] .

٢ — يذكر أنور السادات أنه طلب أن يَعَالج أسنانه عند طبيب خاص فسمحوا له بذلك ، وأنه أوصى الطبيب ألا يعالج الضرس المريض حتى تمتد الرحلة وتتكرر ، ويقول : كان الطبيب يتناول أسنانى كلها بما يشبه العلاج ما عدا الضرس موضع الداء ، وكنت أحيانا أزور والدى وأشرب معه الشاى فى الطريق إلى الطبيب أو فى طريق العودة [٢] .

٣ — عندما كان أنور السادات فى سجن الأجانب عقب القبض عليه إثر اغتيال أمين عثمان استدعته النيابة مرة للتحقيق معه ، وكان الاستدعاء فى الثانية بعد منتصف الليل ، وهناك أثبت فى محضر الجلسة أن إيقاظه بعد منتصف الليل للاستجواب يمثل عملية تعذيب ، ويقول أنور السادات إنهم أثبتوا ذلك فى المحضر ، وبعد ذلك كانوا يرسلون فى طلبه خلال النهار [٣] .

٤ — يقول حسن عزت : كنت أنا والسادات نباشر ونحن فى السجن بعض الأعمال الحرة ، فقد اشترينا بالمكافآت التى حصلنا عليها من وزارة الدفاع سيارتين قديمتين وحوّلنا كلا منهما إلى تاكسى ، وكان ذلك عملا مُرْبِحا .

وافتتحنا مكتبا لتجارة الحاصلات الزراعية وعيّنا لإدارته أحد أصهار أنور ، وكان يزورنا فى المعتقل فنوجّهه ونحاسبه [٤] .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٠٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) البحث عن الذات ص ٨٨ .
(٤) حسن عزت : العمالقة والأقزام ص ٥٤ .

ماذا لو قارنا ذلك بالآلاف الذين ألقى عبد الناصر والسادات القبض عليهم دون اتهام ، وفيهم الشيوخ والمرضى ؟ وألقى بهم فى السجن دون رعاية صحية أو اجتماعية • ؟

ثم ماذا نقول إذا أثبتنا كلمات السادات عن الشيخ المحلاوى أحد هؤلاء المسجونين ؟ فقد قال عنه السادات : أين الآن المحلاوى الذى كان يتكلم فى السياسة ، إنه مرمىّ فى السجن مثل الكلب !!

يا لها من شماتة رخيصة أن يقول رئيس دولة معه الجيش والشرطة مثل هذا الكلام عن رجل مغلوب على أمره ليس معه إلا فكره وعقيدته ؟

ولكن الله دائما ينتقم من الظالمين •

من البراءة للعودة إلى الجيش :

صدر الحكم ببراءة السادات فى أغسطس سنة ١٩٤٨ وعاد السادات للجيش فى ١٥/١/١٩٥١ وخلال هذه المدة (سنتان ونصف سنة تقريبا) حدثت للسادات أحداث ذات بال نروى فيما يلى موجزا لها :

اولا : اعماله فى هذه الفترة :

كان حسن عزت هو الباب الذى يجد السادات العمل عن طريقه ، ويقول السادات إن حسن عزت أنقذه من الفقر والعوز ، وإنه هبط عليه وقد جفت كل نقوده ، وتهالكت ملابسه وإنه أخذه من الحجرة البالية التى كان يعيش بها فى حلوان ، إلى حياة النور ، فمن حلوان صحبه للقاهرة حيث اشترى له بدلتين وعددا من القمصان والجوارب ••• وعمل السادات مع حسن عزت فى أمور المقاولات ، ولكن السادات بعد سطور من ذلك يهاجم حسن عزت بقوة ويصوره على أنه مستغل ظالم ،

وأنه حرمه بعض استحقاقاته ، والباحث المدقق فى كتابات السادات بهذه الفترة يحس بتجنى السادات على حسن عزت ، فقد اعتزل السادات حسن عزت واشتغل (معيدا للصياغة) بدار الهلال ولكنه استقال من دار الهلال وعاد يعمل مع حسن عزت على الرغم من المرتب المناسب الذى كان يتقاضاه من دار الهلال ، وهذا يدل على ثقته فى حسن عزت ، وعلى أن هذا لم يكن يستحق أن يهاجمه السادات أو يطعن فى ذمته (١) .

ويعلق حسن عزت على كلام أنور السادات فيذكر أن ذلك الكلام محض افتراء ، فلا يمكن أن تكون الشركة ربحت هذا الربح الهائل فى الشهور القليلة التى مرت بها هذه الشركة ، ويذكر السادات بالديون التى استدانها من الشركة (٢) .

وعلى كل حال فان أعمال السادات خلال هذه الفترة كانت بين مشاركة أو مساعدة لحسن عزت وبين العمل بدار الهلال .

ثانيا : زواجه من جيهان :

التقى أنور السادات بجيهان لأول مرة فى بيت حسن عزت بالسويس ، وكانت فى زيارة لابنة عمتها زوجة حسن عزت ، وأعجب بها أنور السادات من اللحظة الأولى وكانت فى السادسة عشرة من عمرها ، جميلة مملوءة بالحيوية ، وإذا كان الإعجاب هو كل ما ذكره أنور السادات عن جيهان ، فإن جيهان قد بالغت مبالغة شديدة فى وصفها لإقبالها على السادات مما لا تتحمله البيئة ، ومما لم يكن لنا به عهد وبخاصة من فتاة فى مثل هذه السن ، فهى تصفه بأنه بطل قومى ، وبأن ثمار المانجو سقطت من يدها عندما عرفت أنه موجود بمنزل حسن عزت حيث كانت هى هناك ،وكيف

---

(١) انظر « البحث عن الذات » ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) العمالقة والأقزام ص ١٧٣ .



العروســان

أنها طلبت من أبيها أن تبقى فى السويس مدة أطول لأن الجو يناسبها ، وكانت تقصد أن تبقى فى بيت يتردد عليه السادات ، وكانت تلح على حسن عزت أن يحدثها عن فترة اختبائه .

خـرافة :

ووصل خيالها إلى قمة السذاجة والسخف عندما دونت أنها فى تلك الفتـرة كسرت ثمرة مـن ثمـار الجوز وعندمـا أنشـطرت نصفين بدت التعاريج على أحد النصفين كما لو كـان مكتوبا فى ثناياها اسم « أنور » بحروف عربية جميلة ، بينما استطاعت أن تقرأ بوضوح على النصف الآخر كلمة « الله » (١) .

وكان لأنور السادات آنذاك ثلاث بنـات من زوجتـه الأولى هن « رقية وراوية وكاميليا » ومن الممكن أن نلحظ أن الزواج الأول لـم تكن به عناصر السعادة ، فالاختيار قد بنى كما ذكرنا من قبل على الرغبة فى الارتباط بعمدة القرية ، فهذا شرف حرص عليه السادات وآله آنذاك ، ومثل هذا السبب يكون قصير العمر ، وربما كانت هناك أسباب أخرى تتضح للباحث أو تختفى ، والمهم أننا ينبغى أن نذكر أن السيدة إقبال ماضى أدت دورهـا مع السـادات أداء طيبا ، وقـد ذكرت كاميليا السادات (٢) أن أمها كانت وفية لزوجها فى المحن التى مر بها ، وأنها باعت بعض حليها لمساعدته ولزياراته وهو فى المعتقلات ، ولكن أنـور السادات لم يشر لذلك فى كتابه « البحث عن الذات » .

وتذكر كاميليا السادات أن جدتها لأمهـا ماتت وأبوها (أنور) يحاكم فى التهم التى نسبت له ، ولمـا كانت السيدة إقبال قد ورثت

---

(١) جيهان السادات « سيدة من مصر » ص ٨٧ وما بعدها الى ٩٢ .
(٢) مقالات نشرت فى الوفد مقتبسة عن كتابها « أبى وأنا » .

من أمها بضعة أفدنة ، فقد بدأت تبيع منها لاستئجار محامين للدفاع عن زوجهـا •

وتذكر كاميليا أنها عندما وُلدت ظهرت أمارات الهلع على السيدات اللاتى حضرن الولادة ، وأن الأم عندما رأت ابنتها قالت إنها قرد صغير ، وتقول كاميليا : كنت أنا الطفلة الوحيدة بين أولاد أبى التى حملت لونه الأسود •

وتقول كاميليا إنها خرجت مع أبيها يومـا وهى طفلة وطلبت أن يحملها على كتفه فحملها وهو يقول : كم تشبهين القرد الصغير •

ونعود للحديث عن السيدة جيهان فنذكر أن والدها هو « صفوت رؤوف » وله جذور تركية وأمها « جلاديس » من مالطة •

الجذور مرة أخرى :

قلنا آنفا إن الجذور لها أهمية كبيرة فى عالمنا الشرقى ، فهل أنـور السادات هو الساداتى أو السادات ؟ ومع السيدة جيهان تتضح هذه المسألة مرة أخرى فهى تقول : كان والدى صفوت رؤوف قد قابل والدتى « جلاديس تشارلز كوتريل » فى عام ١٩٢٣ بمدينة شفيلد بانجلترا حيث كان يدرس الطب فى جامعة شفيلد وكانت هى مدرسة موسيقى (١) •

ولكن الاستاذ محمد حسنين هيكل يقـول : إن جلاديس كـانت مالطية ، وإنه عندما أصبح أنور السادات رئيسا للجمهوريـة تصوّرت جيهان السادات من معلومات متناثرة سَمِعَتْها أن أمها تنتمى لعائلة إنجليزية من شفيلد ، وعندما قامت مرة بزيارة إنجلترا فإن عملية بحثٍ

---

(١) سيدة من مصر ص ٤٦ •

واسعة النطاق جرت للبحث عن أصول « جلاديس » ولم يعثر لها على أثر هناك [١] .

أما الوالد الذى قيل إنه كان يدرس الطب فى شفيلد فقد ذكر الأستاذ أحمد طلعت — كما سنرى بعد قليل — أنه كان يشغل وظيفة « مبخّر » بوزارة الصحة .

إن الإنسان الذى يحاول أن يتنكر لجذوره هو إنسان يُحس بأنه مرتبط بأقدار هذه الجذور ، ويحاول التظاهر بغير ذلك ، أما الإنسان الذى سيطر على نفسه واستجاب للتربية المثلى فإنه لا يخاف الجذور .

وتَقَدم أنور السادات لخطبة جيهان ، ولكن وجود زوجة له وعدم دَخْل ثابت كانا كأنهما عقبتان ، ولكن سرعان ما ذُللت هاتان العقبتان ، وقد ذكر أنور السادات لأسرة جيهان أنه متّجه للانفصال من زوجته الأولى ، وقد بدأ هذه الخطوة فعلا ، وذكر أنه يستطيع أن يعود للجيش بعد أن حكمت المحكمة ببراءته مما اتُهم فيه ، وسيحاول ذلك وأمله كبير فى النجاح ، وهذا الأمل الواسع يؤكد صلته بالقصر وبالحرس الحديدى .

طلاق وزواج :

وقنعت أسرة جيهان بذلك وتم الزواج فى مايو سنة ١٩٤٩ بعد أن تمّ الانفصال عن الزوجة الأولى بحوالى شهرين ، وعلّل أنور السادات طلاقه لزوجته الأولى بقوله لحسن عزت « إنها أدارت ظهرها لأمى وأهلى » [٢] .

وقد قلنا من قبل إن أنور السادات تزوج بنت العمدة لأن ذلك كان أقصى أمانيه ليرفع بهذه المصاهرة قدْره ، ولكن العُقدة بينها وبينه لم

---

(١) خريف الغضب ص ٧٠ .

(٢) العمالقة والأقزام ص ١٦٩ .

تنزل ، فعندما اختفى فى السجن ، وواجهت بنت العمدة أم زوجها وأهله عادت لكبريائها وأدارت للأسرة ظهرها .

وامضى أنور السادات شهر العسل لزواجه الجديد بين فندق بوريفاج بالإسكندرية وبين مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية .

أما عن مهر جيهان فقد يكون أنور السادات دفعه من كسبه ، ولكن فى هذا المضمار يورد الأستاذ محمد حسنين هيكل [١] روايه تقول : إن كشف حساب وُجِدَ بعد ذلك فى مكتب « يوسف رشاد » بالقصر ورد به أن يوسف رشاد قدم لأنور السادات مبلغ ألف جنيه فى هذه الفترة ليؤسس بيتا ، وألف جنيه فى ذلك الوقت كان مبلغا هائلا .

ويقول حسن عزت إن أنور السادات بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ظل على اتصال بأسرة يوسف رشاد ، وقدم هدية لابنة يوسف عندما تزوجت ، وكان هو وزوجته السيدة جيهان دائمى الصلة بعائلة يوسف [٢] .

أما عن مصروفات الزواج فيذكر حسن عزت أن السادات اقترض من رأس مال الشركة ١٠٠٠ جنيه لذلك ، وكانت جيهان تحرص كل الحرص على قمة الأناقة ، وزادت اهتماما بنفسها فى هذا المضمار بعد الثورة حيث أصبح لها عيون من السيدات يرتدن لها المحال ليعرفن أهم المعروضات التى تليق بها ، لتكون هذه المعروضات موضع اختيارها [٣] .

جيهان ومظهر أسرتها :

وكانت جيهان السادات كذلك حريصة على مظهر أسرتها ، ولذلك

---

(١) خريف الغضب ص ٧١ .
(٢) العمالقة والأقزام ص ١٧٠ .
(٣) أحمد طلعت : السادات قبل الرياسة ص ٦٠ — ٦١ .

فعندما أصبح أنور السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى بعد الثورة وأحيل والد جيهان إلى التقاعد حيث كان يشغل وظيفة « مبخر » فى وزارة الصحة ، التقط أحمد عبد الغفار السكرتير العام المساعد للمؤتمر الإسلامى هذا الخيط وعيّن صفوت رؤوف فى وظيفة مناسبة بالبنك العقارى العربى الذى كان أحمد عبد الغفار يشغل وظيفة العضو المنتدب به ، وكانت الوظيفة الجديدة لوالد جيهان تناسب صهر أنور السادات ، وكان مرتبها عاليا يساعد الأسرة على حياة تتناسب مع مكانها الاجتماعى ويقول أحمد طلعت : إن هذا التصرف من أحمد عبد الغفار ضمن لـه أن يحتفظ بموقعه فى المؤتمر الإسلامى مدًى طويلا بالنسبة لمن شغلوا هذا المنصب (١) •

ثالثا : الاخوان المسلمون : علاقة ومرتب :

تعود صلة السادات بالإخوان المسلمين إلى سنة ١٩٤٠ وكان السادات آنذاك ضابطا بالجيش ، وحضر أنور السادات محاضرة للمرشد العام الشيخ حسن البنا فى مناسبة المولد النبوى الشريف وأُعجب السادات به ، وبطريقة تناوله للموضوع ، وحسن أدائه ، وقوة تأثيره ، ودعاه حسن البنا لحضور درس الثلاثاء الذى كان يلقيه يوم الثلاثاء بعد صلاة المغرب فى مقر المركز بالحلمية الجديدة (٢) •

ويقرر أنور السادات أن قوة حسن البنا كانت هائلة ، فلقد أراد مرة أن يشترى « فيلا » فخمة لتكون مقرا جديدا للجماعة وطرح ثمنها للاكتتاب ، فغطَّى المريدون ثمنها فى يوم واحد •

وتوثقت الصلات بين الاثنين وكَشَفَ كلٌ منهما للآخر عن آماله فى إنقاذ مصر مما كانت تعانيه ، وقررا التعاون •

---

(١) أحمد طلعت : السادات قبل الرياسة ص ٦٨ — ٦٩ •
(٢) البحث عن الذات ص ٣٥ وما بعدها •

ويذكر أنور السادات مقارنة بين العون المادى الذى تلقاه من الإخوان المسلمين وذلك الذى تلقاه من إخوانه الضباط فيقول :

فى يوم ما اتصل الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين بشقيقى طلعت ، وأخبره أن الجمعية قد خصصت عشرة جنيهات شهريا لأسرتى ... تماما كما سبق أن فعل إخوانى الضباط وأنا فى معتقل ماقوسة بالمنيا ، ولكن توقفت معونة الضباط بعد أن انتهى الاعتقال وظلت متوقفة طوال فترة هربى ، ربما نسوا سامحهم الله ، ويذكر أنور السادات أنه هو وأسرته كانوا فى أمس الحاجة لهذا العون آنذاك (١) .

رابعا : السادات وسيط بين حسن البنا والقصر :

فى كتاب « صفحات مجهولة » لأنور السادات حديث عجيب عن دور وساطة بين القصر وحسن البنا ، وهو حديث ينبىء عن صلة أنور السادات بالقصر من جانب وصلته بالإخوان المسلمين من جانب آخر .

يروى أنور السادات (٢) أن المرشد العام قابله مرة ، وبعد أن تبسط فى الحديث معه كشف عن بعض أسراره فقال : إن الخوف على حركة الإخوان يجىء من ناحيتين : هما الملك والأجانب ، والملك يسمع عن رأى الإخوان فى الخلافة أو المُلْك ، وأنه بالمبايعة وليس بالوراثة ، والأجانب يخافون من تطبيق الشريعة الإسلامية وما قد ينال حريتهم وأموالهم من آثار لهذا التطبيق ، واجتماعُ الملك والأجانب ضد الحركة الإخوانية فيه خطر على الحركة التى لم يكتمل نموها لتواجه هذا الخطر .

ثم قفز المرشد العام ليقول للسادات : لو قابلتُ الملك ولو مرة واحدة فإننى سأقضى على مخاوفه ، ووجّه حديثه باهتمام لأنور السادات

---

(١) البحث عن الذات ص ٩٩ .
(٢) صفحات مجهولة ص ٩٩ وما بعدها .

قائلا : أنت تعرف يوسف رشاد ولو توسطت لديه لتحقيق هذه المقابلة فإنك تقدم خدمة عظيمة للحركة الإخوانية .

وقَبِلَ أنور السادات أن يقوم بهذا الدور ، وكلم فيه يوسف رشاد ، ونقل يوسف رشاد هذا الرأى للملك ، وطلب الملك من يوسف رشاد أن يقابل هو حسن البنا أولاً ، وينقل حديثه للملك ليرى إن كان من الممكن أن يقابله .

ويقول أنور السادات : وكدنا نحدد موعدا للمقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ، وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ، واستمع يوسف لحظات قصيرة ثم قال « حاضر » وانتهت المكالمة ، ونظر إلىّ يوسف وقال لى : إنّ الملك يقول ألغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا .

خامسا : القصر وعودة السادات للجيش :

إن الصلات التى ذكرناها بين السادات والقصر كانت تهيىء لعودة أنور السادات للجيش فى الوقت المناسب ، وإذا كان فى إمكان السادات أن يهيىء للصلح بين القصر والإخوان المسلمين وإذا كان السادات قد اعتُبِرَ من رجال القصر الذين يَعْتَمِدُ عليهم القصر فى أخطر الأحداث ، والذين يتلقون بعض المعونات من القصر ، فإن عودة السادات للجيش لم تكن عملا صعبا ، وإنما كانت فقط تنتظر الوقت الملائم .

وبدخول الخمسينات تخلّى القصر عن قيادة حركات الإرهاب بعد أن تلقى إشارة من لندن بأنه لا يليق بملك أن يتبنى هذه الحركات ، فلم يعد لأنور السادات وأمثاله مكان فى هذا المجال ، ولكن لا يتخلّى القصر عن رجاله الذين استجابوا لدعوته وحملوا السلاح والقنابل لينفذوا أوامره .

ومن هنا لجأ أنور السادات إلى صديقه يوسف رشاد ليهيىء له الوسيلة للعودة للجيش ويروى محمد حسنين هيكل (١) رواية يقول إنها موثوق بها ، فقد نُصِحَ السادات بأن يلقى بنفسه أمام الملك يوم الجمعة عقب صلاة الملك فى مسجد الإمام الحسين ، فيقبّل يده ويطلب منه الصفح ٠

وكأنّ هذا العمل أمام الجماهير كان متفقا عليه ، فالحرس لا يسمح لأحد باختراقه والاندفاع إلى الملك ٠

أما تكملة الرواية فنقتبسها من أنور السادات نفسه ، يقول : اتصل بى يوسف رشاد يوم ١٩٥٠/١/١٠ وطلب منى أن أذهب لأقابل حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة ، فذهبت ووجدت حيدر باشا فى انتظارى ، وما إن رآنى حتى انهال على بالسباب ٠ ٠ ٠ ٠ — أنت ولد مجرم ٠ ٠ ٠ تاريخك أسود ٠٠٠ و ٠٠٠٠ و ٠٠٠٠٠

ويقول أنور السادات — حاولت أن أتكلم ولكن الباشا قال :

لا داعى للكلام ، لا تفتح فمك على الإطلاق ، ودقّ الجرسَ فدخل كاتم أسرار الجيش ، فقال له حيدر باشا :

الواد ده ترجعه للجيش اليوم ٠

وصدرت النشرة العسكرية بعودتى للقوات المسلحة اعتبارا من ١٩٥١/١/١٥ برتبة يوزباشى ، وسرعان ما سُوِّيَتْ حالة السادات ورُقِّى بكباشى فى وقت قصير وهى الرتبة التى كان زملاؤه قد وصلوا اليها ٠

وانتقلت بذلك حالة أنور السادات وجيهان نَقْلة كبيرة ، وتصف جيهان

---

(١) خريف الغضب ص ٧١ ٠
(٢) البحث عن الذات ص ١٣٩ ٠

الفرق الواسع بين أرباح زوجها من العمل فى المقاولات وبين المرتب الذى أصبح يصرف له بعد العودة للجيش فتقول [1] : **يا لراحة البال ، أصبح مرتب أنور عاليا ، ولم يكن علينا أن ندفع أية إيجارات أو فواتير كهرباء أو حتى فواتير الطعام ، فكل المستحقات كان الجيش مسئولا عن سدادها وأصبحنا نوفر جزءا مـــن المرتب ، واحتفالا بهـــذا الرخاء قررنـــا شراء ســـيارة ....**

من العودة للجيش حتى قيام الثورة :

كانت الفترة بين عودة السادات للجيش وقيام الثورة عاما ونصف عام تقريبا ، وكان تنظيم الضباط الأحرار بزعامة عبد الناصر يضـــع الخطط للثورة ، وضم عبد الناصر السادات للجنة التأسيسية للتنظيم ، وعارض كثير من الأعضاء ضم أنور السادات لمعرفتهم بماضيه ، ويذكر محمد حسنين هيكل أسبابا متعددة لموقف عبد الناصر وإصراره عـــلى ضم أنور السادات للجنة التأسيسية ، ولكن هذه الأسباب لم تبد لى مستساغة ، واعتقادى أن عبد الناصر كان له ولع بأن يضع فى المواضع الحساسة أولئك الرجال الذين تظهـــر فى تاريخهم شوائب وانحرافـــات ليهددهم بتاريخهم ، وليكونوا فى منتهى الطاعة له على مـــا توحى بـــه بروتوكولات حكماء صهيون [2] ، ولا شك أن أنور السادات من هؤلاء ، وهذا هو سبب خضوع السادات التام وطاعته الشاملة لعبد الناصر فى الخير والشر ، واستعداداه ليكون عضو المحاكم التى ألفها عبد الناصر على أن يحكم فيها بالأحكام التى يريدها قائد الثورة ، وهذا هو السر كذلك فى صيحات السادات التى لم تتوقف طيلة حياة عبد الناصر ، بأن عبد الناصر هو المعلم والزعيم والملهم .

---

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٣٩ .
(٢) اقرأ عن بروتوكولات حكماء صهيون فى كتاب « اليهودية » للمؤلف .

وعلى هذا فانضمامه لهذا التنظيم كان فوزا لـه لما حقق لـه من أمجاد ، وفوزاً كذلك لعبد الناصر ، فقـد كان لساناً يمـدح ، ويداً تصفق ، وقلما يسـجل مـا يطيب للزعيم ، لم يعرف لسانه النقد ، ولا تجرأ ليطلب شيئا لنفسه ، بل كان يقنع بما يلقيه إليه الزعيم ، وكان الزعيم يضعه فى الأماكن الحساسة اعتقاداً منه أن ولاء أنور السادات لا حدود لـه ، وكانت كل أعمال عبد الناصر فى نظر السادات أعمـالا أسمى من مستوى الشبهات ، وعـلى هـذا فقد كان ضم أنور السادات لجنة التنظيم فوزا لعبد الناصر والسادات ، كان الأول يعمل أى شىء ، والثانى يثنى على هذا العمل ويدعو لـه ويباركه ، فلما رحل عبد الناصر ظهر السادات على حقيقته ليفضح زعيمه ويصفه بالحقد والأنانية وكل صفات السوء ، كما جاء فى كتابه « البحث عن الذات » .

يا لها من صلة تسمّى صـداقة وهى فى الحق نفعية وأنـانية ، والظلام قاتم .

الباب الثانى

أنور السادات من مطلع الثورة..
إلى أن تولى رياسة الجمهورية

نتابع هنا هذه المرحلة الطويلة الحافلة بالآلام والهزائم ، مرحلة عهد عبد الناصر ، تلك التى ضُرِب فيها الشعب المصرى فى مقتل ، نتابعها هنا من زاوية واحدة هى : زاوية أنور السادات ، أما تتبُّع أحداثها فى ذاتها فقد وفيناه دراسةً فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة الخاص بعهد عبد الناصر .

بيد أن هناك معلومات كثيرة خاصة بهذه المرحلة انكشفت عنها الأسرار بعد صدور الجزء التاسع ، وهذه نضع خلاصتها هنا لمزيد من التعرُّف على الصورة القاتمة لهذا العهد المرير .

وسنتحدث فيما بعد عن وظائف السادات فى هذا العهد ، وعن سلوكه فى هذه الوظائف ، ولكنَّ هناك أحداثا سَبَقَتْ هذه الوظائف ، وبها نبدأ حديثنا فى هذا الباب .

السادات ليلة قيام الثورة :

هناك أقوال كثيرة عن موقف الثوار ليلة قيام الثورة ، فقول يرى إن عبد الناصر وعامر [1] حضرا بعد أن استقر الأمر وظهرت بوادر النجاح ، إذ كان يوسف صديق قد تحرك بفيلقه قبل الموعد المحدد بساعة ، وكان هذا من باب الخطأ ، ولكنه الخطأ الذى كَتَبَ النجاح للحركة ، فقد كانت أخبارها قد بدأت تتسرب ، وكانت مقاومة الحركة على وشك أن تتصدى لها .

وتقول الرواية التى يؤيدها محمد حسنين هيكل [2] إن السادات حضر إلى القاهرة من رفح حيث يعمل ، وكان حضوره فى الليلة التى حُددت لقيام الثورة ، وذهب مباشرة إلى منزله ، واصطحب زوجته وذهب إلى إحدى دور السينما الصيفية بالمنيل ، وكانت هذه

(١) فكرة نحوية : أنا مع الذين يرون أن تظل الأسماء الآن على حالة واحدة دون أن نضع ألفا فى حالة النصب ، فنقول ان عامر بدل ان عامرا فالمقصود العلم على الحكاية .

(٢) خريف الغضب ص ٧٨ .

الدار تعرض ثلاثة أفلام فى السهرة ، ويقال إن السادات اصطنع معركة مع أحد الناس هناك ، وأصر على أن يصل الأمر إلى الشرطة ، وكان هدف السادات أن يثبت بذلك — إذا لزم الأمر — أنه كان بعيدا عن هذه الحركة ، وأنه كان موجودا بالسينما ، ونجحت الحركة على أى حال ، وظهر كلٌ مَنْ كان قد حاول الاختفاء ، وادّعى البطولةَ كلٌ من كان رعديداً مذعورا .

أمريكا والثورة :

كانت الولايات المتحدة هى التى رجّحت كفة الحلفاء فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولكنها خرجت من الحرب العالمية الأولى بخُفَّىْ حنين كما يقولون ، وظلت أوربا تسيطر على مقدرات الشعوب فى إفريقية وآسيا ، ولذلك اتجهت الولايات المتحدة اتجاها جديدا بعد الحرب العالمية الثانية ، ذلك هو أن تطرد الدول الأوربية المستعمرة من إفريقية وآسيا ، وأن تحل بنفوذها محل الاستعمار ، وكان هذا هو هدف الاتحاد السوفيتى أيضا .

وقد وجدت الولايات المتحدة فى ثورة ٢٣ يوليو وسيلةً لبدء التدخل ، فشجعت الثورة وقررت حمايتها ، وحذّرت بريطانيا من التدخل ضدها ، ووجدت الثورة بذلك وسيلتها للحياة ، فمن الواضح أن أهم ما كان الثوار يخشونه هو تدخل القوات البريطانية التى كانت آنذاك موجودة بمعداتها بمصر وبمقربة من الأحداث .

ثورة ٢٣ يوليو كانت إجهاضا لثورة شعبية :

وهناك اتجاه آخر يرويه الأستاذ الدكتور محمد عصفور (الوفد ٢٣/١٠/١٩٨٨) اقتباسا من كتاب : Armies Politics الذى ألّفه « جاك ووديز » وهذا الاتجاه خلاصته أن الولايات المتحدة وبريطانيا خافتا من النفوذ الشعبى المتزايد الذى مثّلته حكومة مصطفى النحاس باشا والذى بمقتضاه ألغت سنة ١٩٥١ معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا ، ومنعت العمال المصريين من العمل فى المستعمرات البريطانية ، ودفعت السلاح

إلى الشباب لمقاومة الاحتلال ، ومعنى هذا أن ثورة شعبية عارمة ستندلع وتطيح بكل النفوذ الغربى ، ولذلك وعدت الولايات المتحدة بعض العسكريين بتأييد أى انقلاب عسكرى لتجهض هذه الثورة الشعبية ، وقامت مؤامرة اشترك فيها فاروق وبريطانيا والولايات المتحدة وبعض ضباط الجيش لحرق القاهرة ليكون ذلك وسيلة للتخلص من حكومة النحاس باشا (د • عصفور : الوفد ١٩٨٨/١٠/٢٤) ونجحت هذه المؤامرة ، وأقيلت حكومة النحاس باشا ، وجاءت حكومات ضعيفة زادت خلالها التهاب الشعب ، فأعلنت الولايات المتحدة النور الأخضر لثوار الجيش لإحداث انقلابهم • ووعدتهم بالمساعدة والتأييد •

وهكذا جاءت الثورة بديلا عن القصر ، فأهملت الاتجاهات الشعبية وحكمت بالاقليات ، على نحو ما كان متبعا مــن قبل ، وخدعت الثورة الشعب الذى أسلم لها الزمام ، وكانت الثورة أقسى على مصر والمصريين من فاروق وأعوان فاروق •

وبذلك كانت ثورة ٢٣ يوليو اجهاضا لثورة شعبية بدأت تباشيرها ، وقد استطاعت ثورة ٢٣ يوليو أن تقضى عــلى كل الزعامات الشــعبية المصرية سياسية كانت كالزعامات الوفديــة ، أو دينية كجماعة الإخوان المسلمين ، وكانت فى حركتها هذه مستجيبة للمخــابرات الأمريكيــة ، وللتسلل الأمريكى داخل هذه الثورة ، ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان : إن السياسة التى اتبعتها ثورة ٢٣ يوليو ضد القوى الثورية المصريــة السابقة على قيامها ــ التى أقضت مضــاجع الاســتعمار ــ لم تكن تحلم بها أشد الدوائر الإمبريالية مغــالاة ، ففى خــلال عام وثمانية أشهر فقط كانت هذه الثورة قد أطاحت بالوفد ، وزجت بالشيوعيين فى السجون ، وحلت جماعة الإخوان المسلمين ثم زجت بأعضائها فى السجون كذلك ، وصفت الحزب الاشتراكى لمصر الفتاة ، وأقصت الجماهير عن العمل السياسى ، وفرضت على مصر وصاية سياسية ممثلة فى مجموعة

من الضباط ، فكأنها قضت على فاروق واحد لتقيم بدله عدداً من الفواريق بل أعادت عهد المماليك ، وكبتت حرية الرأى فى مصر بشكل لم يحدث فى أشد عهود الرجعية ظلاما ، وفرضت عهداً من الإرهاب لم تعرفه النظم الفاشية ذاتها (١) .

بيـــان الثورة :

كان هناك بيان قد أعد للإلقاء عقب قيام الحركة ، وعندما أحس جمال عبد الناصر بأن الأمور قد وصلت إلى مرحلة الأمان نادى أنور السادات وكلفه بإلقاء بيان الثورة بحجة أن صوته قوى ، وأنه يجيد الإلقاء ، وكان عبد الناصر بذلك يدفع للأمام أو للخلف من يشاء حسب المخطط الذى يخدم أغراضه .

واستيقظ الناس على صوت أنور السادات يلقى بيان الثورة ، ذلك البيان الذى حفل بالوعود ، تلك التى لم تعرف الظهور إلى دنيا الواقع .

الثورة والملك :

اختلف الثوار حول موقفهم من الملك ، وكان جمال سالم — مدفوعا برعونته — يتجه إلى إعدام الملك ، أما جمال عبد الناصر فكان يكتفى بأن يتنازل الملك عن العرش ويرحل عن البلاد ، ولم يكن موقف عبد الناصر نابعا عن رحمة فى قلبه ، فقد عرفناه محبا لسفك الدماء وتعذيب الناس ، ولكنه كان فى عجلة من أمره ، يريد أن يتسلم السلطان ، أما المحاكمة والدفاع والحكم والتنفيذ فستؤجل حصوله على الغنيمة ، هذا بالإضافة إلى خوفه من أن إعدام الملك قد يثير الشفقة عليه ، ويهز الضباط وهم راغبون فى الكسب السريع ، ولذلك اتجهت النية إلى إرسال إنذار للملك ليتنازل عن العرش ويغادر البلاد فى يوم السادس والعشرين من يوليو .

---

(١) دكتور عبد العظيم رمضان : مصر فى عهد السادات ص ٤٩ و ٥٢ .

وأرسل عبد الناصر أنور السادات إلى الاسكندرية يحمل الإنذار للملك ، وهكذا دفع عبد الناصر صنيعته أنور السادات للامام ، فقام بأخطر مهمتين آنذاك ، مهمة تلاوة بيـان الثورة ، ومهمة حمل الإنذار للملك .

وفى خلال هذين العملين حاول أنور السادات أن يضع نفسه فى مركز الدائرة ، فظهرت له بعض الصور التى تجعله كأهم شخصية بين الثوار ، وهذا أثار حقد الحكام الجدد الذين اعترضوا منذ فترة على ضم أنور السادات للجنة التنظيم ، وإذ به يحاول أن يسـبقهم فى الظهور أمام الجماهير ، فالرجل الذى كان بعيدا عن الجيش فترة تقرب مـن عشر سنوات ، والذى دُفع به إلى رفح عقب عودتـه إلى الجيش ، والرجل الذى كان يبْتعد نفسه عن كل حركة تثير الشبه حوله ، هذا الرجل يريد أن يخطف الأضواء ، ويريد أن يعطى لنفسه ما لا تستحق من المجد والهيلمان!! هذا شىء أثار ثائرة الشبان الطموحين للسلطان .

ويعبر أنور السادات عن هذا الوضع بقوله :

كنت الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى كتب عليه مواجهة جميع الأحداث ، منذ إعلان قيام الثورة وخروج الملك من مصر ، فقد تسبب هذا فى خلق حساسيات كثيرة بينى وبين زملائى فى مجلس قيادة الثورة . . . . ولقد عانيت الكثير من هذه الحساسيات التى لم يكن لى يد فى إيجادها (١) وبعد أن حدث ما حدث فى الأيام الأولى للثورة دخلت برجا بعيدا وعشت فيه (٢) .

وهكذا تصور أنور السادات أن إعلانه لقيام الثورة أو حمله خطاب الإنذار للملك كان لمكانة خاصة به ، ونسى أنه كان أداة فى يد عبد الناصر .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ .

وكان عبد الناصر يمسك الزمام بيده ، يعطى ويمنع ، ويهب ويحرم ، ويرضى ويسخط ، وكان كل تصرف منه محسوبا ، فرأى أنه أعطى السادات فوق ما يستحق ، فقرر التوقف عن مزيد من العطاء له ، فتركه بدون منصب فى وقت وزعت المناصب الكبرى على الآخرين ، ويقول أنور السادات إنه قبل أن تنتهى سنة ١٩٥٣ كان جميع الثوار يحكمون ما عدا واحداً هو أنا (١) .

عبد الحكيم ملاذ" للسادات :

أحس السادات بأن عبد الناصر أغضى عنه الطرف ، وأحس كذلك أن عبد الحكيم عامر قفز ليكون الشخص الثانى بعد عبد الناصر ، وإذ فقد السادات رعاية عبد الناصر ، فليتجه لعبد الحكيم عامر ليجد عنده الملاذ والمعين ، وكان عبد الحكيم عامر محتاجا إلى من يجله ويعظم شأنه ، فقد كان معروفا بالهمجية والانحلال فى حياته الخاصة ، مما دعا البغدادى وكمال الدين حسين وزكريا محى الدين .... إلى الابتعاد نوعا ما عنه ، فرحب عامر بالسادات يمتدحه ويغنى له ، وفرح السادات بعامر ملجأ وملاذا ومعينا ، ويذكر محمد حسنين هيكل أنه فى هذه الفترة التصق السادات بعامر ، وأصبح ملازما باستمرار له حتى فى بعض شئون حياته الخاصة (٢) .

الوظائف التى شغلها السادات فى عهد عبد الناصر :

بعد هذه المقدمات نذكر أن الوظائف التى شغلها السادات فى عهد عبد الناصر هى :

١ ــ رئيس تحرير جريدة الجمهورية .

٢ ــ السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى .

---

(١) البحث عن الذات ص ١٧٥ .
(٢) خريف الغضب ص ١٩٤ بالهامش .

٣ — وكيل مجلس الأمة .
٤ — رئيس مجلس الأمة المشترك .
٥ — نائب رئيس الدولة .

وسنحاول أن نرسم صورة للسادات فى كل موقع من هذه المواقع :

١ — السادات رئيس تحرير جريدة الجمهورية :

كان أنور السادات قد طلب فى فترة من فترات تعطله عن العمل قبل الثورة من الأستاذ إحسان عبد القدوس أن يساعده ليجد له عملا فى الصحافة ، واستطاع الأستاذ إحسان عبد القدوس أن يجد له عملا فى دار الهلال .

وأنشأت الثورة صحيفة الجمهورية لتكون صحيفة الثورة ومعبرة عن اتجاهاتها ، فرأى جمال عبد الناصر أن يضع أنور السادات رئيسا لتحريرها باعتبار أنه كانت له صلة بالصحافة ، وكانت هذه الصحيفة فى فترة من الفترات تحمل اسم جمال عبد الناصر على أنه رئيس مجلس الإدارة وصاحب الامتياز ، وعلى **الرغم من المحاولات الكثيرة التى بذلها الثوار لدعم هذه الصحيفة فقد اعرض عنها الشعب إعراضا تاما ، ولعل ذلك كان السلاح الذى عجز الثوار عن سلبه من الشعب ، فالشعب قد فقد بالثورة كل شىء ولم يبق له إلا أن يختار صحيفته التى يقرؤها ، وعلى الرغم من وضع ألمع الأسماء بين محررين لهذه الصحيفة أو مشرفيين عليها فقد كسدت تماما ولم تعرف طريقها للقراء .**

ونشر أنور السادات فى « الجمهورية » مجموعة من المقالات ، ويقال إنها كانت تنشر مقالات باسم أنور السادات دون أن يعرف السادات عنها قليلا أو كثيرا ، فكان الكتاب يكتبون باسمه ما يشاءون مما أحدث أحيانا بعض الأزمات السياسية ، ولم يطل عهد أنور السادات فى الجمهورية ، بل تحول إلى عمل جديد سيكون موضع حديثنا التالى .

السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى :

لم تكن أطماع عبد الناصر تقف عند حد ، ولم يكن لديه ما يدعم هذه الأطماع ، كان يريد أن يتسع سلطانه ولكن بدون مؤهلات لاتساع هذا السلطان ، وكان يفكر فى أن يئول لـه حكم الشرق والغرب ولكن بدون قدرات حتى أن يحكم مـا تحت قدمـه ، وقد كتب فى كتـابه « فلسفة الثورة » يذكر دوائر أطماعه وفكره وكانت هذه الدوائر ثلاثا هى :

١ ـ الدائرة العربية .

٢ ـ الدائرة الإفريقية .

٣ ـ الدائرة الإسلامية .

وباسم الدائرة العربية ابتكر ما سمّى « القومية العربية » بـل انتهز فرصة الوحدة مع سوريا فأهمل كلمـة « مصر » التى تضرب فى أعماق التاريخ عدة آلاف من السنين وسمى دولة الوحدة « الجمهورية العربية المتحدة » وكان هو رئيسا لها وساورته الأطماع أنّ هذه التسمية ستكون بابا مفتوحا لكل الدول العربية لتدخل فى نطاقها تحت رئاسته .

وللرغبة فى تحقيق حلم الدائرة الثانية وهى « الدائرة الإفريقية » انشأ ما سمى « منظمة الوحدة الإفريقية » مع عدو الإسلام والمسلمين هيلاسيلاسى ، واقترح أديس ابابا مركزا لها ، وباسم هذه الدائرة حارب فى الكونغو ، وقدم أموالا وأسلحة لعدد مـن دول إفريقية .

وباسم الدائرة الثالثة وهى « الدائرة الإسلامية » أسس المؤتمر الإسلامى وهو موضوع حديثنا الآن :

هل تجمعت وفود من الدول الإسلامية ؟ ووضعت دستورا لتعاونها ؟ واختارت ممثلين لها وامينا عـاما يباشر السـلطات التى حددها هـذا الدستور ؟ واختارت مصر مركزا لهذا المؤتمر ؟

الجواب بالنفى ، فلا وفود تمثل الدول الإسلامية ، ولا دستور يحكم العمل ، ولا مقر اختير لممثلى هذه الدول ، ولـم يؤخذ رأى أية دولـة إسلامية فى اختيار الأمين العام .

لم يحدث شىء من ذلك وكل ما حدث أن عبد الناصر كان يريـد تحقيق أحلامه نحو هذه الدوائر لتخضع لسلطانه فقرر إنشاء « المؤتمر الإسلامى » وقرر أن تكون القاهرة مقرا لـه وأن يكون أنور السادات سكرتيرا عاما لهذا المؤتمر ، وحدد قصرا فخما من القصور المصادَرَة ليكون مركزا له ، وأخذ أنور السادات يعيّن مساعديه من المصريين وحدهم على هواه ، وسرعان ما أصبح هذا المؤتمر « بالوعـة » تبتلع النفقـات الباهظة وتقول هل من مزيد .

والتقط أنور السـادات اتجاه عبد النـاصر فى الدائرة الإسلامية وأخذ يشرحه ، وكأنّ عبد الناصر مبعوث القدر ، ومعه مال « قارون » ، ولأنور السادات كتاب عنوانه « نحو بعث جديد » وعنوان الكتاب يوحى بالطموح والأطماع الواسعة ، ومنه نقتبس بضعة سطور :

— وبَحَثَ جمال أمور المسلمين فى كل مكان مع وفودهم فى الملايو ، وفى اندونيسيا ، وفى المغرب ، وفى تركستان ، وفى افغانستان ، ومـع وفود من قلب إفريقية ومن شواطئها ، كانوا جميعا يرون فى جمال أملا جديدا كبيرا ....

ثم ينتقل أنور السادات من ذلك ليقول :

— على المسلمين فى كل بقاع الأرض أن يأملوا فى المستقبل ، لأن مأساتهم أصبحت تحت أعين المناضلين الثوار (١) .

---

(١) انظر كتاب « نحو بعث جديد » بدءا من سطور على غلاف الكتاب الذى يحوى فيضا من الأعاجيب ، ويصور الثوار جندا من عند الله يرفعون المشعل ليضىء للملايين الطريق ، ياللعجب .

ـ لابدّ لكى يصبح المشعل على مرأى من أنظار المسلمين جميعا ، يهديهم بعد محمد وأبى بكر وعمر وعلى ، أن يحمله ثوار مناضلون ودعاة عمل . لا دعاة كهنوت وخنوع وموت (١) .

وهكذا ألحق السادات عبد الناصر وزملاءه بركب الهداية الذى قاده محمد صلوات الله عليه وقاده من بعده خلفاؤه الأبرار .

ـ وكان لابدّ أن يقود المسلمين رجال قضوا أعمارهم فى نضال وكفاح وإيمان ، لا فى أسرّة وثيرة أو فى مقاعد تحوطها السلامة والأمان (٢) .

ـ إن المستقبل يبدو لا شك مضيئا أكثر من الماضى ، فلم يحدث من قبل أن اصبح اتحاد المسلمين وتكتلهم فى آسيا وافريقية وأوربا أقرب إلى التحقيق منه فى تلك الأيام التى قضيتها مع أخى جمال عبد الناصر نستمع إلى آمال الناس ، وإن جمال يؤمن كما تكلم فى كتابه « فلسفة الثورة » بأن ملايين المسلمين يمكن أن يكونوا قوة لا تقهر .. (٣) .

ـ فى الحجاز التف كثير من الحجاج حول عبد الناصر ، وخيّل الىّ أنهم يريدون أن يقولوا له : أيها الثائر الذى من مصر ماذا نصنع ؟ (٤) .

تلك لقطات من هذا الكتاب العجيب فى طموحه ، والذى يثير السخرية والاشمئزاز .

وصدرت أوامر السكرتير العام لموظف عادى فى المؤتمر أن يصبح وكيلا لإدارة الاستعلامات وأن عليه أن يجمع البيانات عن المسلمين فى كافة أنحاء العالم ويعمل على تزويدهم بما يحتاجون إليه من الأساتذة والكتب والمراجع ، وأن ينشر نشاط المؤتمر على أجهزة الإعلام العالمية .

---

(١) نحو بعث جديد ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٠ .

ما أضعف العقل الذى يضع كل هذه المسئوليات فى عنق شاب واحد .!

ولا شك أن اتجاها على هذا النمط كان جديرا أن يدمر مصر ويدمر أكبر دولة فى العالم ، لأن العبء الذى اتجه الثوار لحمله كان أصعب من أن تحمله دولة أيـا كانت ، وهذا هو السر فى ضياع مصر ، وضياع ثراء مصر ، وجيش مصر ، وتطورت كل هذه الدول ، أما مصر فقد تراجعت بسبب طموح تنقصه الأسس والمواهب والإمكانيات .

هل أدّى هذا المؤتمر أية خدمة لمصر أو للعالم الإسلامى ؟

الجواب أن هذه المؤسسة قامت ثم اختفت ، وكانت كفقاعة ماء وزَبَد البحر ، وسنعيش مع هذه المؤسسة نسجل الأحداث التى اتصلت بها ، وقد كنت شخصيا لى صلة بالمؤتمر الإسلامى فى فترة من الفترات ، ولذلك فحديثى عنه حديث شـاهد عيان ، وسأعتمد كذلك على موظف بالمؤتمر ألف كتابا يذكر المفاخر التى قدمها المؤتمر للمجتمع الإسلامى ، فلننظر فى هذه المفاخر .

موظفو المؤتمر

السيد السكرتير العـام :

كان السـكرتير العـام يمثّل قمـة الهيئة التى تـدير المؤتمر ، وقد حدد السكرتير العام لنفسه المرتب الذى يرتضيه .

ويقول عنه الأستاذ أحمد طلعت [١] وكيل إدارة الاستعلامات بالمؤتمر واصفا ترف السادات فى المؤتمر ما يلى :

كان للسيد السكرتير العام بمقر المؤتمر الإسلامى مكتبان ، ملحق بكل منهما حجرة للسكرتارية ، المكتب الأول يقع فى الجانب القبلى وهو

---

(١) السادات قبل الرياسة ص ٢١ .

مخصص للاستعمال فى الشتاء حيث تصطدم أشعة الشمس بزجاج الحوائط المغلقة فتكسب الحجرة دفئا طبيعيا ناعما لعله يساعد على التدبر فى أمور المسلمين !! أما المكتب الثانى فيقع فى الجانب البحرى ، وهو يتصل بشرفة فسيحة من الرخام الأبيض المزين بنقوش عربية تتسلل منها النسمات المنعشة إلى داخل الغرفة فتحيلها روضة فيحاء حتى فى أشد أيام القيظ والحرارة .

أعوان السكرتير العام :

وأطلق السكرتير العام يده فى تعيينات الموظفين اللازمين للمؤتمر ، وخَلَقَ ألقابا ، وعيَّن مرتبات كما يشاء ، وكان حريصا أن يظهر فى مظهر السكرتير العام للأمم المتحدة أو على الأقل الأمين العام لجامعة الدول العربية .

وقد شغل منصب السكرتير العام المساعد مجموعة من علية الضباط غالبا ويمكن القول إنهم ليست له صلة بالدراسات الإسلامية ، ومنهم أمين شاكر وحسن التهامى وأحمد عبد الغفار وأحمد عبد الله طعيمة وتوفيق عويضة .

كنت من موظفى المؤتمر الإسلامى :

وينبغى أن نقول إن بعض كبار الموظفين بالمؤتمر كانوا يأتون للسادات بأوامر عليا ، حتى أصبح المؤتمر مخزنا لثقافات واتجاهات مختلفة ، ولعلى كنت واحدا من هؤلاء ، فقد فصلنى مجلس قيادة الثورة من جامعة القاهرة ، إذ كان لى دور فى معارضة عبد الناصر خلال حركة مارس سنة ١٩٥٤ وبعد فترة استدعانى المرحوم الأستاذ محمد فهمى السيد المستشار القانونى لجمال عبد الناصر ، والذى كانت تربطه به روابط مصاهرة وتربطه بى روابط قديمة ترجع إلى أيام الدراسة الثانوية

بالزقازيق (١) وسألنى الأستاذ محمد فهمى السيد : مـاذا أستطيع أن أفعل لك ؟ •

قلت : أن تيَسِّر أمرى للخروج مـن مصر ، فقد صـدر قرار جامعة القاهرة بإعارتى لإندونسيا بناء على طلبها ، ولكننى ممنوع مـن السفر بسبب الفصل •

قال رحمه الله وأثابه : لنبدأ بإلحاقك بالمؤتمر الإسلامى ، وبعـد ذلك سيكون السفر مباحا وميسّراً •

وذهبت معه للقاء أنور السادات وتمَّ تعيينى بالمؤتمر ، وبعد فترة قصيرة صدر قرار سفرى لإندونيسيا أستاذا بالجامعة على أن أكون ممثلا المؤتمر ، وحدد أمين شاكر لى مرتبا قدره خمسة وعشرون جنيها مقابل هذا التمثيل أما مرتبى الحقيقى فكنت أتقاضاه من الحكومة الإندونيسية •

وهناك عدد من الموظفين وضعهم أنور السادات مكافأة على خدمات وجهت لـه من هؤلاء ، أو لأى سبب شخصى آخر ، ومن هؤلاء :

محمد أحمد : الذى كان مديراً لمكتبه ، وقد كان ضابطا مشرفا على معتقل الزيتون حينما كان أنور السادات معتقلا به ، وكان محمد أحمد يعامل أنور السادات فى المعتقل برقة وسماحة فكافأه السادات على عمله بتعيينه فى هذه الوظيفة •

عبد الخالق كامل : وهو لواء متقاعد كان رئيسا للسادات ، فلمـا أُحيل للتقاعد أحبَّ السادات — فيما يبدو — أن يراه مرءوساً لـه •

حسن جعفر : ابن المستشار صالح بك جعفر من زوجته الألمـانية

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب « رحلة حياة » للمؤلف .

تلك الزوجة التى كانت أمًّا للجاسوس الألمانى « ابلر » الذى تحدثنا عنه من قبل ، والذى جذب السادات للعمل لصالح الألمـان .

كامل عابدين : وهو (بلدياتِ) السادات .

محمد زكى عصمت : وقـد أوصى بتعيينه الفريق عزيز المصرى .

الأستاذ سيد أبو المجد والمرحوم الأستاذ على عبد الرازق ، وهما من أساتذة اللغة العربية وكان السادات يعتمـد عليهما فى صـياغة خطبه

ومما يذكر مرتبطا بالسكرتير العام ومعاونيه أن السيارات المرسيدس المصادَرَة ملأت ساحة المؤتمر الإسلامى ، وكـان السادات قـد خصَّ نفسه بالسيارات العملاقة ووزع الباقى على معاونيه .

أعمال المؤتمر لخدمة الإسلام :

فى الحق إن المؤتمر أُنشىء للدعاية من الألف إلى الياء ، ولم يهتم بكفاءات ولا ببرامج ، وما كان فى استطاعته أن يفعل شيئًا ، ويقول الأستاذ أحمد طلعت فى مجال الافتخار بأعمال المؤتمر :

— استطعنا أن نترجم معانى القرآن إلى اللغة الصينية .

— واستطعنا أن ندرس أحوال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

— واستطعنا أن نوفد الأئمة وعلماء الدين إلى البرازيل ، وبورما ، وإندونيسيا ، والملايو ، وشرقى افريقية .

— واستطعنا أن نقدم منحا دراسية لطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامى للدراسة فى الأزهر .

— واختار جمال عبد الناصر أنور السادات مبعوثا شخصيا لـه عندما قررت مصر أن تقوم بدور الوسـيط فى النزاع الذى نشـب بين باكستان وأغفانستان .

ذلك ما يذكره بفخر الأستاذ أحمد طلعت ، وهى أشياء تدعو للخجل ، فمبعوث اندونيسيا كان « أنا » وكان مرتبى من اندونيسيا كما ذكرت آنفا وكان هناك شخص واحد أرسل للبرازيل بناء على طلبها وكانت الجالية المسلمة تدفع له مرتبه ، وكانت الصلة بينه وبين المؤتمر تماثل الصلة التى كنت أشغلها •

أما الملايو فقد ضممت لدائرة نشاطى •

وأما الطلاب الذين جاءوا للدراسة فى الأزهر فهم امتداد لآلاف الطلاب الذين وفدوا للدراسة بالأزهر على مر التاريخ •

رحلات السادات إلى دول العالم الإسلامى :

فى أول عهد المؤتمر الإسلامى بالحياة قام أنور السادات وأمين شاكر برحلة إلى أقصى الأرض ، إلى إندونيسيا ، وكانت إندونيسيا حديثة العهد بالاستقلال (أغسطس ١٩٤٥) بعد نضال طويل قدمت إندونيسيا فيه آلاف الضحايا من البشر ، ونجحت فى النهاية ، وفوجئت إندونيسيا بهذه الزيارة التى لم يكن لها معنى ، وأحست الجمعية المحمدية وهى جمعية عظيمة فى إندونيسيا أسهمت بالكثير من أجل الاستقلال ، ومن أعظم ما أسهمت به تربية النشىء عن طريق آلاف المدارس التى كانت تملأ المدن والقرى والنجوع ، وأحست هذه الجمعية بالفتور فى استقبال جماعة الثورة من مصر ، فعالجت الأمر بأن استضافت الثوار خلال المدة الوجيزة التى أقامها ذلك الوفد بإندونيسيا ، وأصبح هناك اصطلاح شاع آنذاك وهو أن المصريين يريدون Misirkan Indonesia أى يريدون تمصير إندونيسيا ، ولست أعرف التقرير الذى لابد أن يكون أنور السادات قد رفعه لعبد الناصر ، ولكنى أتخيله موضوعا من موضوعات الإنشاء لإسعاد الرئيس الملهم •

وقد سأل أنور السادات زعماء المحمدية عما يطلبون فقالوا : نطلب أوراقا لنعمل منها الكراسات ولنطبع عليها المجلات ، ونطلب بعض الأساتذة

للتعليم فى الجامعات الإسلامية الإندونيسية التى كانت قد أنشئت حديثا ، وهذا الطلب الأخير يسّر سفرى إلى إندونيسيا ، أما الأوراق فقد رأيت بعينى أكداسا منه ملقاة بساحة السفارة المصرية بجاكرتا ، وقد أرسلت مصر هذه الكمية الكبيرة فى وقت كانت الصحف المصرية تعانى أزمة ورق .

وكان هذا هو ما خص مائة وخمسين مليونا من الشعب الإندونيسى .

وتمت رحلات مماثلة إلى أقطار عربية وإسلامية ، وكثير من الأقطار كان شبابها مفتونا بما يشاع عن الثوار المصريين من أمجاد فى الهجوم على الاستعمار ، ولكن مصر عانت الكثير من المتاعب والأزمات نتيجة لهذا الهجوم الذى كان يرضى عواطف الشبان ، وبخاصة أولئك الذين لا يتدبرون الأمور .

المهم أن كثيرا من الأقطار العربية والإسلامية كانت تجامل أنور السادات ومرافقيه حتى لا تثير شبابها المفتون بهذه الجماعة ، وكانت بعض الأقطار العربية تستعمل الذكاء فتقدم الهدايا والهبات ، وكانت السيارات من الهدايا التى تلقاها أنور السادات ويقول : محمد حسنين هيكل إن أنور السادات قدّم أكثر من سيارة كاديلاك فى هذه الفترة للمشير عبد الحكيم عامر [(١)] .

لقد كانت رحلات للمتعة والنزهة ، والكسب الرخيص ، ولم يدوّن التاريخ أية فائدة لهذه الرحلات .

الاستجداء :

مع قيام المؤتمر الإسلامى حدث العدوان الثلاثى على مصر وأنزل

---

(١) خريف الغضب ص ٨٥ .

الغزاة الضر ببورسعيد ، واحتلت اسرائيل سيناء وتوقف العبور فى قناة السويس .

وكانت ميزانية الدولة قد بدأت تضيق بالإنفاق الواسع الذى اتجه له الثوار فى كل مجال ، فاتجه المؤتمر الإسلامى — للأسف — إلى الاستجداء ، وطلب أنور السادات من مبعوثيه إلى البلاد العربية والإسلامية إثارة موضوع المساعدات المالية المطلوبة لأسر شهداء بور سعيد ، وقد دوّن الاستاذ أحمد طلعت مبعوث أنور السادات إلى الكويت ، هذه الكلمات ، واستجاب لهذا الاستجداء الأمير عبد الله المبارك فكتب شيكا بمبلغ خمسين الف جنيه استرلينى باسم السيد : أنور السادات ، وكان هذا المبلغ وقتها بالغ السخاء [١] .

وهكذا انتقل هؤلاء بسرعة من التظاهر بالعطاء والعون إلى قاع الاستجداء والعوز .

مقر المؤتمر مخبأ لعبد الناصر :

وبمناسبة الحديث عن العدوان الثلاثى نذكر أنه فى خلال هذا العدوان كان هناك احتمال أن يضرب الطيران البريطانى مقر إقامة جمال عبد الناصر للتخلص منه ، وتطوع أنور السادات بإعداد مبنى السكرتارية العامة للمؤتمر الإسلامى ليكون مقرًا بديلا لإقامة جمال عبد الناصر ، وكان تقديره أن وجود المبنى وسط حى الزمالك ، وبالقرب من معظم السفارات الأجنبية ، يجعل من قصف الطيران له مغامرة .

وأعلنت حالة الطوارىء فى المبنى ، وتقرر أن يبيت فيه أحد المسئولين كل ليلة ليكون « ضابط الاتصال » إذا استدعت الحالة انتقال جمال عبد الناصر إليه [٢] .

---

(١) أنور السادات قبل الرياسة ٣٤ — ٣٥ .
(٢) أحمد طلعت : انور السادات قبل الرياسة ص ٢٧ — ٢٨ .

خراب بور سعيد والدعاية :

انهارت مصر الثوار فى دقـائق أمام العـدوان الثلاثى ، وانتقلت بور سعيد من مدينة عامرة تعيش فى رخاء إلى أطلال وخرائب ، واحتلت إسرائيل سيناء كما قلنا آنفا ، وركزت قواتها فى شرم الشـيخ ، ذلك المكان الخطير الذى لم ينج حتى الآن من أقـدام الأجانب بصورة أو بأخرى ، وفى تقديرى أن الثوار الذين صاحوا ضد الاستعمار فى كـل مكان ، وأوهموا الشعوب المستعمَرة انهم سيقودونهم إلى الاسـتقلال والرخاء .... هؤلاء الثوار كـان عليهم أن يُخفُوا هـزائمهم ، وأن يعالجوا جراحهم فى صمت وكتمان ، ولكن عـدم الخبرة دفعتهم إلى صراخ يشبه صراخ الأرامل ، وكان المؤتمر الإسلامى مركزا من مراكز الصراخ ، فقد جمع أنور السادات عددا كبيرا من الصور الفوتوغرافية التى تصوِّر مـا نزل ببور سعيد من خراب ودمـار وطلب أن يُعَدّ " كتاب " على وجه السرعة يحوى هذه الصور والتعليق عليها ، وأن يترجم هذا الكتاب إلى اللغات الإفريقية والآسيوية ، وأن يُطبع منهـا مليون نسخة .

وعمل المؤلفون والمترجمون ودارت المطابع وتكلف هذا الجهد مـا يتخيّله القارىء من تكاليف ، ثـم أعد المبعوثون الذين سيطيرون إلى الأقطار المختلفـة لتوزيع هـذه الكتب ، وكَتَبَ السادات خطـابات للشخصيات التى أرادها لتقدِّم العون لتوزيع هذا الكتاب ، وعندما تضاف تكاليف الرحلات وبدل السفر إلى تكاليف إعداد الكتاب يظهر الرقـم خطيرا .

وسرعان ما اصطدم هذا الجهد برأى الخبراء ، فالسفير عبد الحميد غالب كانت لـه بعض التحفظات على توزيع هذا الكتاب فى لبنان ، ورأى أن الصور المنشورة فيه تمثل بشاعة العدوان الثلاثى ممـا قـد يُخيف

القوى الوطنية فى لبنان ويثبط عزيمتها إذا فكرت يوما فى أن تدخل فى مواجهةٍ مع الاســتعمار (١) .

وهناك أصــدقاء لمصر خجلوا من تسجيل الاستســلام والانهيار السريع أمام العدوان ووجدوا فى هذا الكتاب ما يسىء إلى سمعة مصر .

واكتشفتُ أنا فى إندونيسيا بعد حين من إرسال هذه الكتب أن ربطات الكتب التى كان يحوى كل منها خمسين كتابا لم يفك رباطها ، ولا تزال ملقاة هنا وهناك ، وقال الإندونيسيون : لقد صارعنا أعتى دول العالم ، صارعنا أمريكا وانجلترا وهولندا ، وقدمنا الضحايا ، ودُمرت دورنا وزادنا ذلك تصميما دون صراخ أو عويل .

وهكذا جلب المؤتمر العار على مصر بدل أن يســلك الطريق الأمثل فى التعريف بالإسلام ومساعدة المسلمين .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما سبق أن ذكرناه من الاتجاه للاســتجداء باسم معونة أسر الشهداء ، فإن الطامة تكمل ، والعار يشيع ، ولست أدرى بأى وجه ظهر الثوار بعد ذلك على أنهم حماة للضعفاء مع أنهم كشفوا الناس عن ضعفهم المادى والأدبى .

ويح البلاد عندما يحكمها عسكريون بدون خبرة أو ثقافة ، وبدون دستور ولا قوانين .

المؤتمر الإسلامى يسىء استخدام الحقائب الدبلوماسية :

طبيعة الحقائب الدبلوماسية أنها تحمل أسرار الســياسة ، ولكن للأسف اتجهت بعض الدول إلى استعمال الحقائب الدبلوماسية فى تهريب الممنوعات وحمل المخدرات ، وفى مصر أعُدت الحقائب فى خلال عهــد

---

(١) احمد طلعت : السادات قبل الرياسة ص ١٢ .

عبد الناصر ليوضع بها إنسان مخدر اختطف من الخارج وأريد تصديره إلى مصر التى كان قد هرب منها [١] .

وقد استعمل المؤتمر الإسلامى الحقائب فى حمل لوازم الثوار من الخارج حتى تصل بسرعة وحتى تهرب من الجمارك . فعندما ولد الطفل « جمال » لأنور السادات كلف مبعوثه أن يشترى لبن أطفال للطفل الجديد ، وأن يسلمه للسفير المصرى فى بيروت ليرسله بالحقيبة الدبلوماسية .

وأقرر على مسئوليتى أننى شاهدت صورا من سوء استعمال الحقائب الدبلوماسية عندما كنت بإندونيسيا ، ولست فى حل من كشف خباياها .

مولد « جمال » ابن السادات مع بشاعة العدوان الثلاثى :

ولد الابن الذكر الوحيد لأنور السادات فى الليالى الحالكة التى شهدتها مصر بسبب العدوان الثلاثى ، وقد أسماه أبوه « جمال » تيمنا بجمال عبد الناصر بعد أن اهتزت زعامته بسبب هذا العدوان ، ويرتبط بهذا الطفل كتاب ألفه أبوه أنور السادات بعد أن انكشفت الغمة وصرخ الماردان : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بالمعتدين وألزموهم بالجلاء ، حينئذ ظهر جمال عبد الناصر من تحت الأنقاض ليذكر أنه حقق النصر على المعتدين ، وقد التقط أنور السادات هذا الخيط وكتب هذا الكتاب واسماه « يا ولدى هذا عمك جمال » وهذا الكتاب يعتبر قمة فى النفاق والزلفى والنفعية وكل الكلمات والمعانى التى تدخل فى هذا الإطار ، ولنا وقفة فيما بعد مع هذا الكتاب حيث سنقتبس منه ما يؤيد ما ذكرناه .

---

(١) انظر بعض التفاصيل عن ذلك فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

نهاية المؤتمر الإسلامى :

واختفى المؤتمر الإسلامى بعد خسائر واسعة مادية وأدبية ، وسبحان الله العظيم الذى يقول « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » •

أنور السادات وكيلا ثم رئيسا لمجلس الأمة :

أقامت الثورة أول برلمان سنة ١٩٥٧ ، وكان برلمانا اختير أعضاؤه كما يشاء الثوار لا كما يشـاء الشـعب ، ويذكر أنور السادات هـذه الحقيقة بقوله [١] •

أخذنا فى الاسـتعداد لانتخابات مجلس الأمة ، وراعينـا فى ذلك شيئين : أولهما حق الاعتراض لمجلس قيادة الثورة ، وفعلا بعد أن تمت الترشيحات اعترضنا على أعداد كبيرة ، وكان من أسباب الاعتـراض الانتماء إلى الأحزاب القديمة أو عداء المرشحين للثورة ، أمـا الإجراء الثانى فقد كان إغلاق بعض الدوائر على الضباط الأحرار الذين تركوا الجيش وخرجوا إلى الحياة السياسية والمدنية ، وفعلا أغلقنا ٦٠ دائرة ثم أجريت الانتخابات •

هذه هى كلمات أنور السادات عن الانتخابات الأولى للثورة ، وهو يعترف بأن الثورة عجزت عن جذب النـاس لها خلال سـنوات خمس فانفض الشعب عنها ، وكان لابد من تدخل الثوار ليجىء مجلس أمـة حسب رغبتهم ، وقد اتخذ الثوار قرارين ديكتاتوريين ذكرهما أنور السادات ، ولكن القرار الثالث الذى لم يذكره أنور السادات هو تزوير الانتخابات لينجح من يشاء الثوار نجاحه ، ويرسب من كان الثوار يغضبون عليه ، وجاء بذلك مجلس مزيف ككل المجالس التى ظهرت بمصر منذ قامت الثورة المشئومة •

---

(١) البحث عن الذات ص ١٩٥ •

ونعود لكلام أنور السادات حيث يقول :

قبل اجتماع المجلس بثلاثة أيام كنت مع عبد الناصر فى استراحة برج العرب ، فإذا بى أفاجأ بطلب منـــه بأن أستعد لرياســـة المجلس ، وقبلت ، ولكن قبل افتتاح المجلس بليلة واحدة دعانا عبد الناصر للاجتماع به فى القاهرة ، وقال إنه يفكر فى إسناد رياسة المجلس إلى عبد اللطيف بغدادى •

ويستمر أنور السادات قائلا : كيف غيَّر عبد الناصر رأيه فى خلال يومين ؟ ويجيب أنور السادات بقوله : لا أعرف حتى الآن ، ولكن الذى يعرف جمال عبد الناصر يدرك أنه كـــان يمكن أن يغير رأيه من لحظـــة لأخرى ، ولذلك كان بعضنا يحرص على ألا يذيع رأيا أو قرارا لعبد الناصر إلا بعد أن يعلنه عبد الناصر نفسه (١)

وعمل أنور السادات وكيلا لمجلس الأمـــة تحت رياسة البغدادى ولعل من الحق أن نذكر أن البغدادى لم يترك لـــه صوتا فى هذا المجلس ، وأنور السادات كان يجيد الخضوع لمن هو أقوى منه كما هو معروف من سيرته •

ولم تطل فترة هذا المجلس ، فقد طرأ على الحياة المصرية طارئ جديد هو الوحدة مع ســـوريا ، فحُلَّ مجلس الأمـــة فى مصر ، وحُلَّ نظيره فى سوريا وشُكِّل مجلس جـــديد موحد بالتعيين ســـنة ١٩٥٨ ، ويقول محمد حسنين هيكل : إن جمال عبـــد الناصر قـــال آنذاك : ان أنور السادات يستطيع أن يخطب بصوت عال مثل كل البعثيين السوريين ، وعَيَّن أنور السادات رئيسا لمجلس الأمة المشترك ، ويضيف محمد حسنين هيكل : إن من أظهر ملامح نشاط أنور السادات آنذاك هى الخطبة التى

---

(١) البحث عن الذات ص ١٩٦ •

كان يلقيها كل عام أمام جمال عبد الناصر ليرحب به فى المجلس ، ويبايعه بالزعامة [١] .

ومن أخطر القوانين التى قررها هذا المجلس القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى يُسَمَّى (قانون تطوير الأزهر) والذى أجمع الباحثون أنه قانونُ تدميرٍ وليس قانون تطوير ، ومما يذكران هـذا القانون الخطير مرّ بالمجلس فى ليلة واحدة ولم تُقْرأ فيه نصوص القانون ، وإنمـا اكتُفِىَ بأرقامها ، وحقق أنور السادات بذلك رغبة ملحة فى نفس زعيمه لتدمير الأزهر والإضرار بالإسلام [٢] ، ولم يطل عهد الوحدة فقد تم الانفصال سنة ١٩٦١ .

وكانت الوحدة نكبة سياسية واقتصادية على مصر ، فبواسـطتها سُرِق عَرَقُ الإنسان المصرى وتحول إلى مشروعات هائلة فى (الإقليم الشمالى) لجذب أقطار عربية أخرى الدخـول فى نطـاق الجمهوريـة العربية المتحدة ، ثم جاء الانفصال الذى كان أيضا مدمراً للمال والآمال ، والذى كان نكبة سياسية وعسكرية واقتصادية .

وعن الوحدة والانفصال يتحدث الدكتور حسـين مؤنس فيقول : كان عبد الحكيم عامر يعيش فى دمشق حياة السلاطين ، وفى ليلة كـان نائما فى قصره ومقر ملكه ، فصحا ليجد مماليكه الشـوام قد خلعوه ، ووضعوه فى طائرة وشحنوه إلى مصر مع عتاولته الذين كانوا يتصرفون فى سوريا كأنهم سادة عظام هبطوا من السماء ليصلحوا الكون ، وبينما كان الجوع والعوز ينتشر فى مصر ، كانت أموال مصر تجرى فى دمشق على يد عبد الحكيم عامر وأعوانه كأنها ماء الترع ، وكـانت سهراتهم وعربدتهم حديث الناس ، وكان مكتب عبـد الحكيم عامر هناك يتضخم

---

(١) خريف الغضب : ص ٨٥ — ٨٦ .
(٢) اقرأ تفاصيل ذلك فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

ويزداد عدداً ، وكان المتجرون فى العملة يستعملون الحقائب الدبلوماسية لتنمية ثرواتهم ••••• [١] •

حرب اليمن :

يربط كثير من الباحثين بين حرب اليمن وبين أنور السادات فقد كان بين الذين عرفهم أنور السادات عن طريق عمله فى المؤتمر الإسلامى عبد الرحمن البيضانى الذى كان لاجئا يمنيا بمصر ، وفى صيف سنة ١٩٦٢ جاء مبعوث من اليمن يصطحب عبد الرحمن البيضانى إلى أنور السادات وذكرا له أن حركة سرية قد تكونت فى الجيش اليمنى ، وأنها تعمل على القضاء على نظام الإمامة فى اليمن وأن يستبدل به النظام الجمهورى على النمط المصرى ، وطلب هذا المبعوث من أنور السادات نقل هذه الفكرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر لعله يتبناها •

وكان عبد الناصر آنذاك يعانى من إحساس عميق صور له شماتة الدول العربية وبخاصة المملكة العربية السعودية بسبب الانفصال ، كما كان عبد الناصر يعيش آنذاك فى حزن رهيب نتيجة لهذه الخيبة التى ظنها غنيمة فجاءت ضربة قاصمة •

وكان السادات يدرك أن زعيمه يمر بفترة عاصفة مدمرة ، وأنه محتاج إلى دواء يعالج به هذا الداء ووجد السادات فى حركة اليمن ضربة يستطيع أن يوجهها إلى المملكة العربية السعودية التى اعتبرت فى قمة الشماتة ، كما يوجهها إلى الإمامة فى اليمن التى روى أن زعيمها الإمام أحمد ألف قصيدة يهاجم بها الاشتراكية ويغمز زعيم الاشتراكية عبد الناصر •

والتقت على هدف واحد حركة اليمن وأطماع عبد الناصر وحقده

---

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ١٤١ •

ورغبة السادات فى خدمة زعيمه ، فاشتركت مصر فى تأييد هذه الحركة التى استمرت ست سنوات ، ضاع خلالها رصيد مصر تماما ، وقتل الآلاف من جنود مصر على صحراء اليمن ، وهيأت هذه الهزائم للهزيمة الكبرى التى حدثت فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ فقد كان فى قاع الجهل أن يحارب عبد الناصر فى جبهتين ، فى اليمن من جانب وفى التحرش بإسرائيل من جانب آخر ، ويعترف السادات بتشجيعه لغزو اليمن فيقول : كانت هذه فرصة مناسبة لردع الملك سعود الذى موّل الانفصال والذى كان فى ذلك الوقت يتزعم الحملة ضدنا ، فاليمن على حدوده مباشرة ، ولذلك عندما اجتمع مجلس الرياسة هنا للنظر فى طلب ثوار اليمن للنجدة ، كنت أول المتحمسين ، وأقنعت المجلس بضرورة مساندة الثورة ، وفعلا تمّ هذا (١) ٠

إنها مآسى عصر حافل بالمآسى والعبر (٢) ٠

نائب رئيس الجمهورية :

فى أحزان عبد الناصر المتصلة ؛ صراعه مع محمد نجيب وحركة مارس ، وضرب الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٥ والعدوان الثلاثى ، وحركة الوحدة ثم الانفصال ، وحرب اليمن ، وهزيمة يونيو القاصمة ، والاستجداء فى مؤتمر الخرطوم الذى قدّم فيه الملوك الذين طالما هاجمهم عبد الناصر واستخفّ بهم ، قدموا عونا لمصر ٠٠٠٠٠٠٠ فى وسط هذه الأحزان وغيرها مما يُعْرَف ومما لا يُعْرف كان بيت السادات هو الملجأ الوحيد لعبد الناصر ليمضى به أمسية هادئة من حين لآخر ، وكان خضوع السادات ودبلوماسية زوجته يهدئان من قسوة الحياة على الرجل الذى دمّر نفسه ودمّر ما حوله ومن حوله ٠

فى هذه الظروف بدأت قسوة المرض تشتد على عبد الناصر ، ثم

---

(١) البحث عن الذات ص ٢١١ ٠

(٢) اقرأ عن حرب اليمن فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة ٠

جاء مؤتمر القمة العربى فى الرباط وكان على عبد الناصر أن يسافر للرباط ، وقبل أن يرحل استدعى أنور السادات وأصدر قراره بأن يكون نائبا لرئيس الجمهورية ، وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، وعاش عبد الناصر الشهور التسعة بين تعيين السادات نائبا له وبين وفاته ، عاش فى اضطرابات صحية وسياسية متتالية .

بيت السادات :

كان بيت السادات بالهرم قد أصبح غير مناسب للمناصب والمكانة التى أصبح السادات يشغلها ، وكانت أطماع زوجته واسعة ، فكانت تمتد عينيها هنا وهناك باحثة عن مسكن يلائم مكان الرجل وطموح زوجته ، وزاد هذا الأمر عندما أصبح أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ، وحدث خلال رحلة عبد الناصر إلى موسكو قبل وفاته بشهور قليلة أن راق فى عين زوجة نائب الرئيس قصر فى شارع الهرم يملكه ضابط سابق يشتغل بالأعمال الحرة ، فعرضت جيهان السادات على الضابط استئجار القصر ولكنه رفض ، فأصدر أنور السادات قرارا بوضع القصر تحت الحراسة ، أو بلغة أخرى بالاستيلاء على هذا القصر .

وقبيل أن يتم هذا عاد عبد الناصر وعرف القصة من مخابراته ، فغضب من هذا التصرف لأنه تصرف ضد ضابط فى القوات المسلحة ، ولكن هذا التصرف وجّه عبد الناصر إلى تخصيص بيت مناسب للسادات ، فقدم له بيتا من بيوت الضيافة كان قصرا شامخا يطل على النيل ، وكان من قبل ملكا لمليونير يهودى فرضت عليه الحراسة سنة ١٩٦١ وتسلم أنور السادات هذا القصر الشامخ ، وأجرت زوجته فيه بعض الإصلاحات ، فلما مات عبد الناصر بعد ذلك بقليل زادت اتجاهات الإصلاحات حتى تكلفت ٦٥٠ ألف جنيه ، واختارت جيهان السادات بعضا من التحف التى كانت موجودة فى القصور الملكية السابقة لكى تجمّل بها بيتها الجديد (١) .

---

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٩٦ .

نهاية عبد الناصر :

المعروف أن عبد الناصر مات سنة ١٩٦٧ بعد ضياع أمله ، وانكسار صوته ، بسبب الهزيمة القاصمة التي دمرت جيشه في دقائق •

وكان يقول عن حرب ١٩٥٦ إنها عدوان ثلاثي ، ولولا انجلترا وفرنسا ما استطاعت إسرائيل أن تقف أمام جيشه ، فماذا يقول الآن عن حرب ١٩٦٧ ؟

وكيف يواري وجهه من أعدائه الكثيرين ومن الشامتين في كل مكان ؟

وراح الرجل صاغراً إلى مؤتمر الخرطوم يستجدي من أعدائه وأعطاه الأعداء بعض المال •

وسحب جيشه من اليمن بعد ذلك مثقلا بالهزائم والضحايا •

ونزلت بعبد الناصر أمراض كثيرة هدت جسمه الذي طالما دمر أجسام الآخرين ، وألزمه طبيبه الروسي « تشازوف » بعدم الإجهاد ونفذ الزبانية حوله نصيحة الطبيب فجردوا عبد الناصر من كل نفوذ ، وأصبح هؤلاء يمارسون صلاحيات الرئيس نفسه دون الرجوع إليه باسم المحافظة على صحته ، ونظرا لوجود ختم عبد الناصر لدى سامي شرف فقد أصبح أمرا عاديا أن تصدر قرارات جمهورية ممهورة بتوقيع الرئيس دون أن يدري عبد الناصر عن معظمها شيئا (١) •

لقد مات الرجل فعلا عقب هذه الهزيمة ، ولم يبق في جسمه إلا روح حزينة تنتظر الإفلات من هذا الجسم الذي دبت فيه كل الأمراض ، لقد انهكت الأمراض جسم الرجل ، ولابد أن روحه القاسية مسها الضر أيضا نتيجة لما أنزلته بالبلاد والعباد من قسوة وعناء •

---

(١) جمال حماد : الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر ص ٤٦ •

إن ثمانية عشر عاما كانت أعوام بلاء ونكبات على شعبنا الصابر ، وإننا ندوّن ذلك بإفاضة لعل غيره من الرؤساء يدركون ان التاريخ لا يموت ، وأنه سيدوّن يوما ليعيش آلاف السنين يَصِمُ الجبار ويدمغه بالطغيان ، وينزل عليه اللعنات إلى يوم الدين .

وفى الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٧٠ آن للروح المخضبة بالدماء أن تفارق الجسم المخضب بالجراح .

شكوك حول سبب الوفاة :

ونهاية عبد الناصر ليست عادية ، فمثلا كتبتها وكتبها سواى فى حينها فى حدود ما كان عندنا من وثائق وروايات ، وحسبناها موتا نتيجة الأمراض والإرهاق والنكبات ، ولكن وثائق جديدة ظهرت خلال عام ١٩٨٨ و ١٩٨٩ فغيرت ما كان معروفا من قبل .

لقد نشر الأستاذ الكبير مصطفى أمين أقوال الطبيب الخاص بأمير الكويت ، وقد قال هذا الطبيب الذى رأى عبدَ الناصر وهو بالمطار يودع الأمير : إن آثار سمٍّ تبدو على وجه عبد الناصر ، وإنه لن تطوق مقاومته لهذا السم .

وقال عبد اللطيف البغدادى إن عبد الناصر اتصل به قبل وفاته بفترة واتفق معه على أن يصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وذكر الأستاذ مصطفى أمين كذلك فى مقاله الذى نشر بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٠ ما يلى :

« إن عبد اللطيف البغدادى اتصل به وقال له إنه يريد للتاريخ أن يذكر أن عبد الناصر اتصل بى فى الشهور الأخيرة من حياته ، وقال البغدادى إن الاتفاق قد تمَّ بينه وبين عبد الناصر على أن يعلن قرار تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء عقب انتهاء اجتماع

الملوك والرؤساء فى القاهرة لبحث الصراع بين الملك حسين والفلسطينيين ، وقد روى لى المرحوم عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء • وأحد أشد المقربين للرئيس السادات فى ذلك الوقت أن الهدف الحقيقى من فتح خزانة عبد الناصر السرية بعد وفاته هو سرقة القرار الذى كتبه عبد الناصر بتعيينى نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزارة • وقد أشار الأستاذ الزيات إلى هذا فى مذكراته التى نشرها فى جريدة الأهالى •

وأضاف البغدادى قوله : وقد أخبرنى الدكتور الفريق رفاعى كامل الذى كتب شهادة الوفاة لجمال عبد الناصر ، والذى حضر بعد وفاته بنصف ساعة ، بأن ما أصيب به جمال كان أزمة سكر ، وليس أزمة قلبية ، وأنه كان يمكن إنقاذه بكوب ليمون ، ولكن الذى حدث إنه أعطى بدلا من ذلك حقنة مورفين ، ولما أفاق تكرر حقنه مرة أخرى بحقنة مورفين ، ويعتقد الدكتور رفاعى كامل كبير أطباء الجيش المصرى ، أن هذا هو الذى قضى على حياته ، ولم يحقق أحد فى هذا الموضوع • وقال بعض المطلعين إن عبد الناصر أملى قرارا وطلب من مرافقيه أن يذاع هذا القرار فى نشرة الأخبار ، ولم يذع هذا القرار فى حينه ، ويرى هؤلاء المطلعون أن هذا القرار كان تعيين البغدادى فى هذا المنصب •

ونتيجة هذه الأقوال أن رفاق السوء خافوا من تعيين البغدادى ، ورأوا فيه خصما عنيدا لن يتمكنوا من هزيمته بسهولة ، ومالوا إلى الإبقاء على أنور السادات فهو عندهم أضعف عودا وأقل صلابة ، وكان عبد الناصر فى ساعاته الأخيرة أو أيامه الأخيرة ، فرأوا أن يجهزوا عليه قبل أن ينفذ رغبته بتعيين البغدادى ، فالتغلب على السادات فى رأيهم كان يسيرا •

ونفذ رفاق السوء هذه المؤامرة فى سيدهم الذى كانوا يسبحون بحمده ويمجدونه ولا يستطيعون معارضته أو ابداء رأى لا يتفق مع مزاجه •

ثم انطلق الطبيب الخاص لعبد الناصر ، وهو الفريق الدكتور رفاعى كامل فقرر أنه عقب وفاة عبد الناصر استدعى ليكتب تقريرا عن وفاة الرئيس وأنها طبيعية ، ولكنه عندما شاهد الجثمان انتابه الشك ، فاقترح إجراء بعض التحليلات ليتأكد مما يشك فيه ، ولكن أنور السادات ورفاق السوء قالوا له أن ذلك سيثير بلبلة فى النفوس ، وسيخلق قلقا ، ومن الأوفق أن توقع على البيان الذى يروى أن الوفاة طبيعية ، ووقع الطبيب على البيان ، وهو يقول فى المقال الذى نشره سنة ١٩٨٨ إنه لم يأسف على شىء أسفه على هذا التوقيع ويطلب أن يغفر الله له .

مزيد من الشكوك حول سبب الوفاة :

لم تقف الشكوك حول وفاة عبد الناصر عند الحد الذى ذكرناه ، بل روى منير حافظ — الرجل الثانى فى مكتب معلومات عبد الناصر — أن الرجل مات مسموما ، وهذا يتفق مع ملاحظة طبيب أمير الكويت التى أثبتناها آنفا (١) .

وفى سنة ١٩٨٩ نشر الكاتب الناصرى جمال سليم كتابا يتحدث عن شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر ، وهو عبارة عن تحقيق صحفى حول الساعات الست الأخيرة فى حياة عبد الناصر التى أعقبت توديع أمير الكويت فى الساعة الثالثة ظهرا .

ومن أخطر الأسئلة التى يقدمها الصحفى جمال سليم قوله :

ما هو الدور الذى لعبه أشرف مروان ليكافأ بعد ذلك بتعيينه مديرا لمكتب الرئيس السادات للمعلومات ثم سمح له بأن يتضخم لدرجة أنه أصبح واحدا من أثرياء العالم الآن ؟

ماذا حدث فى غرفة نوم الزعيم بعد الساعة الثالثة والربع ؟

---

(١) نشر هذا القول فى مجلة « الأنباء » الكويتية يناير ١٩٨٥ .
(٢) كتاب الاستاذ جمال سليم غير قاطع ولكنه مفيد لمن يدرس هذا الموضوع .

وعلى كل حال فقد انطوت صفحة ذلك الرجل وتركت مادة خصبة للباحثين يكتبون عن ماضيه ، ويحذرون أى حاكم أن يسير فى هذا الطريق الوعر ، الطريق الذى فتحه عبد الناصر ودفن فيه .

السادات أو البغدادى ؟

لم يخطر ببال المثقفين أن يفاضلوا بين السادات والبغدادى ، فالأحرار لا يقبلون أن يُفْرَض عليهم أحد ، إننا نريد الحرية كاملة ، يتقدم للترشيح من يشاء ، ويختار الشعب من بين المرشحين من يريد ، أما نظام التسلسل الذى ابتكره عبد الناصر وسار عليه السادات فهو نظام مرفوض ، إنه نوع من الملكية أو أسوأ من الملكية ، وقد قال عمر ابن الخطاب : لا أريد أن أحمل وزر الخلافة حيا وميتا ، ولكن هؤلاء يحملون الأوزار فى حياتهم ويظلون بعد وفاتهم مسئولين أمام الله عن الإنسان الذى وضعوه على الطريق ليلى الأمر بعدهم .

إن بعض البسطاء يقولون أن عبد اللطيف البغدادى أنشأ كورنيش النيل كما أنشأ عبد الناصر السد العالى ، وأقول إن هؤلاء بسطاء لأنهم يتوهمون أن حياة الدول واقفة لا تتحرك ، فاذا أنشأ عبد الناصر السد العالى كان ذلك مأثرة تذكر ، وإذا فتح شخص جامعة كان مشعل نور ، وإذا أقام البغدادى طريق الكورنيش كان كأنه بنى الصراط المستقيم .

نقول لهؤلاء إن الحياة تسير ، ومن أموال الشعوب تقوم بعض الإصلاحات ، وقد عرفت مصر السكك الحديدية وإنارة الشوارع ورصف الطرق ، وعرفت الخزانات والسدود على طول مجرى النيل منذ أمد طويل قبل الثورة التى دمرت الإنسان ، وأفلست الخزينة ، وأضاعت الثراء وأسالت دماء الأبرياء .

نحن مرة أخرى لا نريد أن يُفْرَض علينا مرشح من إنسان فى طريقه للفناء ، وإذا كان الذى يرشِّح خلفا له يعتقد أنه يضع فى السلطة من يحفظ عليه ذكراه ويدارى عوراته فهو مخطىء ، ويكفى أن

نقرأ كتاب « البحث عن الذات » لنرى الأهوال التى ينسبها السادات لعبد الناصر ، ولو جمعت العبارات والقضايا التى دوّنها السادات ضد عبد الناصر فى هذا الكتاب لكونت قصيدة من الهجاء أقذع من أى هجاء دونه الشعراء الهجّاءون .

وجمال عبد الناصر لم يكن مؤهلا للحكم ، وبالتالى فليس مؤهلا لتحديد من يخلفه .

وزكريا محيى الدين :

لم تقف الإشاعة لاختيار رئيس الجمهورية عند عبد اللطيف البغدادى ، بل إن الإشاعة امتدت إلى زكريا محيى الدين ، وكان سبب هذه الإشاعة أن « الأهرام » نشرت له نعياً بارزاً لجمال عبد الناصر ، وركز التليفزيون عليه عند تشييع الجنازة [1] ، ووقت الدفن ، وكان ذلك سببا فى بروز اسمه ليتولى رياسة الجمهورية ، **ولعل مما قوّى ذلك أنه كان المرشح** الذى ذكر عبد الناصر اسمه عقب الانهيار فى حرب ١٩٦٧ .

وهكذا كانت رياسة الجمهورية رخيصة فى نظرهم إلى هذا المدى ، فنعىٌ بارز ، أو تركيز جهاز التليفزيون على شخص يكفى لتوجيه الأنظار إلى استحقاق هذا الشخص ليكون رئيسا للجمهورية . ياللسخرية ؟

وعلى صبرى وجماعته :

لم يكن طريق أنور السادات للرياسة سهلا ، فالمجموعة المحيطة بعبد الناصر (على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف) حاولت أن تضع العراقيل أمامه ، ويذكر أنور السادات [2] إن هذه المجموعة اقترحت أن يبقى الأمر كما هو ، أى أن يبقى هو قائما بعمل رئيس جمهورية دون استفتاء إلى حين ، وكانت حجتها فى ذلك أن الشعب يرفض السادات ، وفى رفضه رفض للثورة ، ولكن السادات أصرّ على تنفيذ

---

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ١٣٣ .
(٢) البحث عن الذات ص ٢٨٤ .

الدستور بإجراء الاستفتاء ، وذكر أن الشعب لو رفضه فإن الاتحاد الاشتراكى ينبغى أن يرشح شخصا آخر حتى يتم شغل منصب رئيس الجمهورية .

وفى محاكمات مؤامرة مايو يقول شعراوى جمعة إنه كان هناك رأى أن يستمر أنور السادات قائما بعمل رئيس الجمهورية بصفة مؤقتة ، دون استفتاء ، ولكنى عارضت هذا الأمر واقترحت إتمام الاستفتاء حتى لا تحدث بلبلة (١) .

وفى هذه المحاكمات أيضا قال سامى شرف : إنه فى يوم وفاة عبد الناصر عقد اجتماع فى قصر القبة مشترك بين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء ، وبدت فى الاجتماع محاولات مريبة تتلخص فى عدم تمكين أنور السادات من رياسة الجمهورية (٢) .

ولجأ أنور السادات إلى ذكائه الذى لم يتخل عنه ، فقد تظاهر بالإعياء الشديد ، وبأنه أصيب بذبحة صدرية فى أثناء جنازة عبد الناصر ، وحرص على أن يهمس لكل من اقترب منه للاطمئنان على صحته من كبار المسئولين قائلا : أوصيكم بالمؤسسات ، الحكم يجب أن يكون بالمؤسسات ، فخدع رجال عبد الناصر بهذه العبارات ، واطمأنوا إليه ، باعتبار أن حكم المؤسسات يعنى أن الحكم سيستمر فى أيديهم ، فتحمسوا لإجراءات تعيينه رئيسا للجمهورية (٣) .

الفريق أول محمد فوزى :

وللأسف كانت القوات المسلحة بقيادة الفريق أول محمد فوزى لها رأى فى هذا الموضوع ، وكم نتمنى أن تبعد القوات المسلحة عن السياسة ، وقد كشف محمد فوزى رأيه فى محاكمات مايو إذ قال : قبل دفن جمال عبد الناصر جمعت قادة القوات المسلحة فى مبنى القيادة بمدينة نصر ،

---

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ١٣٣ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٧٣ .
(٣) المرجع السابق ٢٠٦ .

وألقيت توجيها حاسما يفيد رفض أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة القديم مثل زكريا محيى الدين ، والبغدادى ، وكمال حسين ، وقلت : إن من عارض أو خالف الرئيس جمال عبد الناصر فى حياته لا يصح أن يخلفه بعد مماته ، وتجمع الرأى داخل القوات المسلحة على تأييد أنور السادات ليكون رئيسا للجمهورية [1] .

والذى يقرأ كتاب محمد فوزى (استراتيجية المصالحة) يدرك بوضوح اضطراب هذا الرجل فهو أولا يريد أن يتقرب من السادات ببعض التصرفات الرديئة ، وهو ثانيا يؤمن إيمانا كاملا بأن الجيش هو الذى يختار الرئيس ، يقول سيادته فى ذلك : يوم ١٩٧٠/٩/٣٠ بادرت بفكرة توجيه رسالة نيابة عن قادة وضباط ورجال القوات المسلحة إلى الرئيس المؤقت أنور السادات تحمل تأييد القوات المسلحة لترشيحه رئيسا للجمهورية .... وكان تأثير هذه الرسالة كبيرا إذ سرعان ما ردد الشعب فى كل مكان « الجيش عاوز السادات » [2] .

وكرر هذا « الفريق » تلك الجملة مرة أخرى بعد صفحتين .

وفى تقديرى إن هذا قمة التسلط والغفلة ، فالجيش عند الفريق أول محمد فوزى هو كل شىء ، والشعب يردد ما أقره الجيش ، وهذا خطأ كبير من الناحية الدستورية والاجتماعية ، ولا يصح لقلم يحترم نفسه أن يكتب هذه العبارات .

أمين شاكر والوفد السودانى :

ولكن المسئولية ليست على محمد فوزى وحده ، فيبدو إن هذا العصر جعل من كل ضابط سلطة هائلة تخلق الرؤساء أو على الأقل توحى بذلك ، فمحمد فوزى يروى أن أمين شاكر — أحد الضباط الأحرار — حضر إلى فندق هيلتون حيث تنزل وفود المعزين ، وقابل السيد فاروق أبو عيسى وزير خارجية السودان آنذاك ، وطرح

---

(١) المرجع السابق : ص ١٦٠ .
(٢) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية الصالحة ص ١٣١ و ١٣٣ .

عليه رأيه بأن يتولى زكريا محيى الدين رياسة الجمهورية ، وطالب أمين شاكر أن يتولى الوفد السودانى هذه الفكرة ٠

وتلك — إن صحت — خيانة وطنية أخرى أن يُطلب من السودان اقتراح رئيس لجمهورية مصر ، فهؤلاء الناس ينسون ملايين المصريين ، وكأن علماء مصر وأفذاذها لا قيمة لهم ، ولكن الوفد السودانى كان أذكى من ذلك فقرر عدم التدخل فى الشئون المصرية (١) ٠

مجلس الثورة مرة أخرى :

وهناك محاولة ثالثة قام بها أعضاء مجلس الثورة القدامى : البغدادى وزكريا محيى الدين وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين ، وكانت ترمى إلى تشكيل مجلس رياسة منهم ٠٠٠٠ برياسة السادات وذلك عودة للوراء لجماعة لم يسجل التاريخ لهم أو لأكثرهم موقفا لصالح مصر ضد ما نزل بها من طغيان ناصر وعامر (٢) ٠

دهاء السادات :

ويجىء دهاء السادات فيقضى على هذه المحاولات ، فقد اصدر بيانا امتدح فيه القوات المسلحة وأكد ضرورة الوحدة العربية ، وضرورة مصارعة إسرائيل ٠٠٠٠ كما ذكر أننا نتمسك بسياسة عدم الانحياز كما علمنا عبد الناصر ، وأننا جزء من الاتجاه التقدمى الاشتراكى ٠

ولكن أهم خديعة ظهرت فى هذا البيان قوله : إننى أعلن أنه ليس بمقدورى ولا بمقدور أى شخص أن يتحمل ما كان يتحمله عبد الناصر ، ولذا يجب توزيع المسئوليات على المؤسسات السياسية والدستورية التى تمثل سلطة تحالف قوى الشعب العامل (٣) ٠

واطمأن البلهاء لهذا القول وظنوا أن السلطة ستبقى فى أيديهم فوافقوا بل تحمسوا لنجاح أنور السادات ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٣١ — ١٣٢ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٣٢٠
(٣) المرجع السابق ص ١٣١ ٠

ولعل هذا الخلاف هو الذى جعل الاستفتاء يتم بعد ١٧ يوما من وفاة عبد الناصر ، أما بعد اغتيال السادات فان الاستفتاء جرى بعد أسبوع واحد من الاغتيال .

ويقول محمد حسنين هيكل (١) إن السادات طلب منه — وكان وزيرا للإعلام والثقافة — إدارة حركة الاستفتاء ، واستجاب له هيكل وأدير الاستفتاء على أساس أن جمال عبد الناصر هو الذى اختار السادات ليخلفه فى منصبه ، فقد كان اسم عبد الناصر لايزال — للأسف — يتحكم فى نفوس العامة ، وإن كانت الاستفتاءات والانتخابات التى أجرتها الثورة منذ ظهرت لا تعرف العدالة ، ولا تقيم وزنا لآراء الناس ، وإنما تدبر السلطة نتائجها كما تشاء ، فتم الاستفتاء ونجح أنور السادات ، **والعجيب أن تزكية السادات لم تكن لأنه كفء بقدر ما كانت لأنه اختيار عبد الناصر** .

لقد رأت العصابة السابقة أن تؤجل هجومها على السادات إلى حين ، فوافقت على ترشيحه وعملت على نجاحه حتى تدبر أمرها ضده ، ومن جهته هو فقد كتم غيظه ، وأخذ يدبّر الأمر للقضاء على هذه العصابة ، وهذا يوضح لنا صورة من حياة مصر فى ظل الثوار .

وسنرى فيما بعد أن الصراع قد أُعلن بعد حين ، وسنرى كيف نجح السادات ضد هذه العصابة التى لم تكن تستمتع بقيم ذاتية ، ولا بنفوذ بين الجماهير ، وهذا ما يسّر للسادات أن ينجح فى هذا الصراع .

---

(١) خريف الغضب ص ١٠٠ .

البابُ الثالث

السادات رئيسًا للجمهورية

قبل أن نسير خطوة خطوة مع السادات وأحداث عصره ، نذكر بعض الدراسات التى تُعَدُّ ضرورية فى التقديم لسيرة الرجل ، ومراحل حياته ، وجوانب شخصيته .

أولا : تاريخ فردٍ أو تاريخ دولةٍ ؟

كان أكثر المؤرخين السابقين يديرون أحداث التاريخ فى الامبراطوريات أو فى الدولة الإسلامية حول الامبراطور المسيحى أو الخليفة المسلم .... وكأنّ هرون الرشيد مثلا هو الأمّة الإسلامية ، ويسير الحديث عنه من عام إلى عام ، يحارب وينتصر أو ينهزم ، ويبنى ويهـدم ، وتُرْوَى أحاديث ترفه ، وقصوره ، وأبنائه ....

وفى الجيل الحديث رفض أكثر المؤرخين هذا المستوى من التفكير ، وعَمَدوا إلى كتابة تاريخ الأمة ، وبقى بعض المؤرخين يكتبون تـاريخ الخلفاء على النسق القديم ، وحجة هؤلاء أن الخليفة كان مصدر الحركة والنشاط ، وأن كل شىء كان يرتبط بشخص الخليفة ، فهو الذى يعيّن معاونيه ، وهو الذى يقود الجيوش ، ويكنز المال أو يُنْفقه .....

أما المؤرخون الذين كتبوا تاريخ الأمة ، فقد اهتموا بكل نشاط فى الدولة ، وعُنوا بعرض حركات المعارضة الدينية والثورات السياسية .... التى كانت تواجه الخليفة وتترك أثرا واضحا فى مسيرة الدولة ، ولو نظرنا إلى تخطيط أى مجلد من المجلدات التى كتبتُها فى « موسوعة التاريخ الإسلامى » نجد أنها أخذت هذا المنهج ، فالعناوين الرئيسـية للجـزء الثالث الخاص بالخلافة العباسية مثلا هى :

— تعريف بالخلافة العباسية .

— تعريف بخلفاء العصر العباسى الأول .

— المشكلات الكبرى التى قابلها خلفاء هذا العصر : العلويون — الخوارج — الزنادقة — الخرّميّة .

ـ العلاقات الخارجية ٠

ـ مشاهير وزراء العصر ٠

ماذا نفعل الآن فى تأريخنا لزعماء هذه الثورة المشئومة ؟

لقد كان عبد الناصر هو كل شىء ، يعيِّن رشاد مهنا رئيسا للجنة الوصاية على العرش ثم يعزله ويسجنه ، ويعيِّن محمد نجيب رئيسا للجمهورية ثم يعزله ويسجنه ، ويؤمم القناة دون أن يستشير أحدا ، ويدفع جيش مصر إلى اليمن أو الكونغو لهدف فى نفسه هو ، ويفتح ميدانا آخر للحرب ضد إسرائيل سنة ١٩٦٧ دون أن يستمع لناصح أو خبير ، ويقيم أعمدة هزيلة لمساعدته ، كهيئة التحرير ، ولما أحس بفشلها أسماها الاتحاد القومى ، ثم الاتحاد الاشتراكى ، وصادر أموال الناس ٠٠٠٠٠٠٠٠

ثم جاء أنور السادات فسار فى هذا الاتجاه ، ألغى الاتحاد الاشتراكى وابتكر « المنابر » ثم حوّلها إلى أحزاب ، ثم حارب الحزب الذى اختلف معه ، وانتقل من الولاء للاتحاد السوفيتى إلى الولاء للولايات المتحدة مع علمه بأنها حارسة إسرائيل عدوة الإسلام والعروبة ، وألغى المعتقلات ثم أعادها ، وعين الوزراء ، وعزل الوزراء ٠٠٠٠٠٠٠٠ وعلى العموم كان هو صاحب الصوت الوحيد فى كل ما يبدو من أمور

هل نكتب تاريخ السادات كما كتب السابقون تاريخ هارون الرشيد ؟

الجواب أن هذا مستحيل ، لقد تحركت الأمم ، وفرضت نفسها على من اتجه للدكتاتورية ، لقد قرر زكريا محيى الدين مرة أن يرفع الأسعار فى أواخر عهد عبد الناصر فثار الشعب وتنحى زكريا محيى الدين وعادت الأسعار كما كانت ٠

ونفس الشىء حدث فى عهد السادات فقامت حركة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وعادت الأسعار كما كانت ٠

ولم تتوقف حركات الهيئات طيلة عهد عبد الناصر والسـادات ، فالقضاة أعلنوا سخطهم وقامت مذبحة القضاء ، ولكن القضاة صمدوا ، وأساتذة الجامعات رفعوا أصواتهم فى حركات استنكار من مطلع الثورة حتى الآن ، وقدموا الضحايا ولكنهم لم يستكينوا ، والصحفيون ورجال الأعمال والفلاحون والجماهير ...... ثم الأعضـاء المعارضـون فى البرلمان عندما ظهر جانب من الحرية ، وأخيرا صحافة قوية معارضة عندما سُمِحَ بصحفٍ للمعارضة ....

إنه تاريخ دولة من مطلع الثورة حتى الآن على الرغم من كـل دكتاتورية ، بل على الرغم من حدة الدكتاتورية أحيانا .

ثانيا : السادات والثورة

لم يجيء السادات من فراغ ، وإنما كان شريكا لثوار قاموا بهذه الثورة ، ثم كان امتداداً لعبد الناصر ، وقد ترك الثوار والثورة للسادات رصيدا من المتاعب والمشكلات ، ولهذا ينبغى أن نعطى لمحات لهذا التراث الذى تلقاه السادات وتحتم عليه أن يتعامل معه ، وسنلجأ للاختصـار بقدر الإمكان :

ثم إن معلومات جديدة ظهرت عن عصر عبد الناصر ، لم تكن قد اتضحت عندما كنت أكتب الجزء التاسع من هذه الموسوعة الخاص بعصر عبد الناصر ، فلزم رصد هذه المعلومات هنا ، فقد كانت شديدة التأثير فى عصر السادات .

وفى مطلع حديثنا نورد وصفاً قدمه السادات نفسه عن الثوار ، كما نورد وصفا آخر قدمه أحد الثوار الذين أسرع عبد الناصر بعزلهم وهو عبد المنعم أمين ، وهذان الوصفان سيضعان لنا أساسا للحالة قبل السادات ، تلك الحالة التى ستكون شديدة التأثير فى عصر السادات .

أنور السادات يصف الثوار :

كان الثوار مجموعة من الشبان العسكريين ، قليلى التجارب ٠٠٠٠ ثم بعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة وجدوا أنفسهم ينتقلون فجأة مــن مكاتبهم البســيطة ومراكزهم العادية فى الجيش إلى مراكز الســيادة ، وأصبحوا وحدهم يحكمون مصر بلا منازع ولا دستور ولا قوانين (١) ٠

عبد المنعم أمين يصف الثوار :

كان عبد المنعم أمين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهو يقرر أن عبد الناصر اشترك فى الثورة لصالحه الشخصى ، وكان عبد الناصر يعتقد أنه لا يشترك فى الثورة إلا من ستنفعهم الثورة ماديًّا ، ولذلك فإنه عندما زارنى مع كمال الدين حسين وجلس عندى بعض الوقت ، ثم خرجا قال عبد الناصر لكمال الدين حسين : أنا جلست على الكنبة فوجدت نفسى غطست فيها فقلت فى نفسى : طيب عبد المنعم أمين يطلع معنا فى الثورة ليه ؟ عنده كل حاجة فما حاجته للثورة ؟

ثم إن عبد الناصر كان لا يقرّب أحدا إليه إلا من يرى فيهم الرغبة العارمة فى الانتفاع بالثورة ، فلم تكن الثورة لمصر وإنما كانت لأهــداف ذاتية ٠

وكان عبد الناصر لا يقرّب منه إلا من كان فى تاريخه نقطة سوداء فى حياته ، لكى يستطيع أن يسيطر عليه من خلال ذلك وذكر عبد المنعم أمين أمثلة كثيرة لذلك ٠

وقال عبد المنعم أمين عن صلاح سالم :

إنه هو الذى أخرج مجوهرات وتحف الأميرة فايزة من مصر بعد

---

(١) البحث عن الذات ص ١٥٧ ٠

أن أوصلها إلى باب الطائرة ، ولم يجرؤ أحد من رجال الجمارك أو من رجال المطار أن يقول له شيئا .... كانت هناك إشاعات ولكن الحقيقة قد تكشفت بعد ذلك بالكامل وثبت أنه أخرج لها جواهرها حقيقة ، وأن الأميرة فايزة أعطت لصلاح سالم خاتما من السوليتير ، حاول أن يبيعه فى جنيف ، فقيل له إنه مسروق ، والحكومة المصرية تدخلت وقتها ، وكانت أخلاقه تقبل هذا ، وعنده استعداد أن يفعل أى شىء من هذا النوع ، ويبدو أن ذلك كان أساس أخلاقيات الثورة ، فالفرد يشترك فى الثورة من أجل أن ينتفع فى النهاية (١) .

وإذا اتخذنا هذه الكلمات أساسا لتصويرنا للفترة التى سبقت عصر السادات فإننا نجد الثوار متأثرين تأثرا تاما بمجموعة من المثالب فى قمتها الحرص على المال ، واندفاعة الجهل ، ورغبة الاستمتاع بالمرأة .

وإذا كان بعضهم — للحق — لم يتأثر بالمرأة فإن الغالبية العظمى قادتهم الرغبة فى تحصيل المال من جانب ، والجهل من جانب آخر ، وإن كانوا بطبيعة الحال تفاوتوا فى ذلك كما سنرى ، وسنروى فيما يلى بعض الحقائق حول هذه المثالب :

---

(١) دراسة قدمها عبد المنعم أمين أحد الثوار سنة ١٩٨٨ بمناسبة مرور ٣٦ عاما على هذه الثورة المشئومة ونشرت بصحيفة الوفد .

وينبغى أن نذكر أن عبد المنعم أمين هاجم الثوار بعد أن عزله جمال عبد الناصر ، أما قبل ذلك فقد كان نصير الثورة ، وهو الذى تطوع ليرأس المجلس العسكرى الذى حكم بالاعدام على العاملين خميس والبقرى ولم يعطهما الفرصة الكافية للدفاع عن أنفسهما (انظر الجزء التاسع من هذه الموسوعة ص ٢٥٩) .

المـــال وتأثيره على الثوار

واجه الثوار فى اللحظـــات الأولى لعصرهم ثراء ضـــخما يتمثل فى جواهر أسرة محمد على وكنوز هذه الأسرة ، فاتجهوا من أول يوم لعدم حصر هذه الجواهر حصرا دقيقا حتى تكون فى متناول كل يدٍ أثيمة ، وما أكثر هذه الأيادى ٠

وشدهم الحرص على المال إلى تعذيب من كانوا أغنياء قبل الثورة ، وشمل هذا التعذيب مصادرة الأموال والقصور ، وصوراً من الإيـــذاء والعدوان ، كما شمل إذلال الأعزاء ، وكل ذلك كان تنفيسا عما فى نفوسهم من حقد على الغنى والأغنياء ، وفيما يلى نماذج ترتبط بمجال المال :

جواهر أسرة محمد على :

وبمناسبة كلام عبد المنعم امين عن الخاتم السوليتير الذى نفحته الأميرة فايزة لصلاح سالم نذكر أن الكتّاب كتبوا كثيرا عن اختفاء كنوز أسرة محمد على ، وذكروا أن الثورات فى العالم سواء فى فرنسا أو روسيا القيصرية أو فى تركيا ضد الخلافـــة ٠ ٠ ٠ ٠ هـــذه الثورات احتفظت بجواهر الأسر التى كانت حاكمة على أنها رصيد وطنى ، ووُضِعت هذه الجواهر الثمينة فى متاحف يزورها الزوار من كل أنحاء العالم برسوم تدُرّ دخلا كبيرا على الدولة ، أما كنوز أسرة محمد على فقد ضاعت ، وللآن لم يُعْرَف مَنْ سرقها وماذا تبقى منها ، ونحن نكرر القـــول لعل أذنا تسمعنا وتعى صراخنا الذى لن ينقطع عبر الأجيال حتى يقيِّض الله حاكما قويا يستجيب لهذا الصراخ ولا يخاف إلا الله ، فيعيد الحق إلى نصابه ، والمال المنهوب إلى مالكه الحقيقى وهو الشعب ، ونقـــدم اليوم فى هذا المجال سطورا من « فكرة » للأســـتاذ مصطفى أمين كتبها يومى ٨٢/٦/١ و ١٩٨٣/١٢/٧ :

أذاعت وكالة رويتر لمراسلها فى البحرين البرقية التالية : « عرض

أحد الصاغة فى البحرين أمس للبيع ماسة نادرة ، كان يمتلكها ملك مصر السابق فاروق ، ضمن جواهر أخرى نفيسة ذات قيمة تاريخية ، ويمتلك حاليا هذه الماسة الخضراء اللون مجموعة من الصاغة ، من بينهم السيد سامى فرج صاحب شركة جواهر فى جنيف بسويسرا •

. . . .

وقد لا يعرف شباب هذه الأيام أن أمراء وأميرات أسرة محمد على كانوا يملكون جواهر وتحفا ثمينة كانت تقدر ببلايين الجنيهات ، وفى أوائل الثورة صدر قرار بمصادرة كل أموال أسرة محمد على وأقاربهم وأصهارهم •

واختلف الرأى بين الحكام الثوار ؛ فريق يرى الاحتفاظ بهذه الجواهر التى لا تقدر بثمن فى متحف بقصر عابدين يزوره السياح ، كما فعلت الثورة الشيوعية بالاحتفاظ بأموال أسرة رومانوف المالكة فى متحف بالكرملين ، وكما احتفظت ثورة مصطفى كمال بجواهر الأسرة المالكة العثمانية بعد خلعها •

وفريق آخر من الحكام كان من رأيه بيع هذه الجواهر التى لا تقدر بثمن ، فى مزادات عالمية ويخصص ثمنها الهائل لإنشاء الجامعات ، وبناء المستشفيات ، وإقامة مدن للعمال ، وشراء أسلحة للجيش المصرى ••••

ولم يحدث هذا ولا ذاك وإنما اختفت هذه الجواهر والتحف ، أو على الأقل اختفى أروع ما فيها وليس هناك من السادة من يسأل عن مصير هذه الثورة حتى الآن • (انتهى) •

وكان عبد الناصر يتعامل مع هذه الجواهر على أنها ملك خاص له ، فطالما أخذ منها ليقدم هدايا لأصدقائه ومحبيه ، وتعامل السادات على نفس المستوى مع هذه الجواهر •

وعندنا لمحات سريعة عن هذه الجواهر ، ففى كتاب (القضية الكبرى) الذى كتب مقدمته الضابط ابراهيم الطحاوى الذى كان سكرتيرا لهيئة التحرير يقول مؤلف الكتاب : وقـد جمعت جواهر أسرة محمد علـى بالاسكندرية فى ٣٧ صندوقا حجم كل صندوق متر مكعب .

أما جواهر أسرة محمد على بالقاهرة فكانت أكثر وأكثر .

نصيب لبنان من ثراء مصر :

يقرر الدكتور حسين مؤنس أنه يعرف واحدا من الضباط الـذين أسندت لهم عملية جرد الجواهر ، وأن هذا الضابط يعيش الآن فى بيروت وهو من أصحاب الملايين هناك [١] .

والعجيب أنه لا أحد من المسئولين يتكلم عن هذه الجواهر الآن ، ولا أحد تكلم عنها من قبل .

وبمناسبة الحديث عن أموال مصر فى لبنان يذكر الدكتور حسـين مؤنس أنه لا يمكن أن يتصور أى مصرى مقادير الأموال التى ألقاهـا عبد الناصر فى بيروت ليبنى أسطورته ، فهناك صحفيون كانوا لا يساوون قلامة ظفر أصبحوا أصحاب ملايين من أمـوال مصر التى قدمهـا لهم عبد الناصر ، وأى هلفوت لبنانى كتب سطراً فى مدح عبد الناصر تقاضى ثمنه ذهبا ، وقد حدث هذا فى وقت كان المصريون يعانون شدة اقتصادية بالغة [٢] .

ويذكر الدكتور ابراهيم عبده [٣] أن فى بيروت داراً ضخمة من سبعة طوابق كان لعبد الناصر فضل إنشائها وأزدهارها .

---

(١) باشوات وسوبر باشوات : ص ٢٩٤ .
(٢) باشوات وسوبر باشوات : ص ١٩٠ .
(٣) أقول للسلطان ص ٣٨ .

وتذكر مجلة أكتوبر أن الابتزاز فى لبنان فتح أبوابه لمصر ، وأن أذكياء لبنان وجدوا فى سذاجة عبد الناصر وسيلة لملء جيوبهم ، وتقرر المجلة أن السيد عبد الحميد غالب قدّم ملايين الجنيهات لزعماء بيروت سنة ١٩٥٨ ، وأنه شوهد يسافر بالبحر ومعه ٥٠ صندوقا باسم الحقيبة الدبلوماسية ، وكل صندوق كان لا يقل عن طن كامل ، وتذكر المصادر أنهم كانوا يطبعون فى لبنان صحيفة لتمجيد عبد الناصر ، ولا يطبع منها أكثر من ١٠٠ نسخة يرسل أكثرها إلى الرياسة بمصر دليلا منهم على الولاء الزائف [١] .

عبد الناصر سبّب الحرب فى لبنان :

ولكن لبنان الذى التهم مال مصر عن طريق عبد الناصر عانى من عبد الناصر أشد معاناة ، ويذكر الأستاذ محمود عبد المنعم مراد فى عموده اليومى بصحيفة الأخبار أن الحروب المدمرة فى لبنان بدأت بسبب تدخل عبد الناصر فى شئون هذا البلد ، وأراد كميل شمعون أن يبقى لبنان مستقلا دون أن يتلقى توجيهات من الخارج ، ودارت بينه وبين حلفاء عبد الناصر حرب" أهلية شرسة . . . . . وهكذا دفع عبد الناصر الأموال إلى لبنان ، ولكنه دفع لها الخراب أيضا .

أسرة عبد الناصر والماس الثمين :

من المعروف أن نشأة عبد الناصر كانت نشأة أقرب للبؤس ، ولكن السلطة جعلت هذه الأسرة تعرف الماس النادر ، وقد نشرت صحيفة الوفد بتاريخ ١٩٨٥/١/١٧ نقلا عن الصحافة الباريسية ما يلى :

تتحدث الأوساط الفرنسية عن الماسة الثمينة التى أهداها المليونير أشرف مروان إلى زوجته السيدة منى عبد الناصر ابنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ويبلغ وزن هذه الماسة اثنين وعشرين قيراطا ، ويصل ثمنها إلى ما يقرب من مليون دولار ، وكان أشرف مروان قد اشتراها من محل

---

(١) مجلة اكتوبر : العدد الصادر فى ١٩٨٤/٧/١

« فان كليف » الذى يُعَدّ من أشهر محلات بيع الجواهر فى باريس ، وتعتبر الماسة التى أهداها أشرف مروان إلى ابنة عبد الناصر من أغلى الماسات التى بيعت منذ أشهر عديدة .

ثراء أسرة عبد الناصر :

نشر الأستاذ المرحوم جلال الدين الحمامصى مقالا فى ١٩٨٤/٨/٢٤ عن الطفل المعجزة أشرف مروان زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر ذكر فيه أن هذا ركب اليخت الخاص به فى رحلة للاستجمام والاسترخاء ، وكانت رحلة عمل كذلك ، اشترى فيها عدة أسهم من دار « فليت هولدنجر » للنشر التى تُصْدِر عدة صحف بريطانية ، وثمن الحصة التى اشتراها صهر عبد الناصر أحد عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية أى حوالى أربعين مليونا من الجنيهات المصرية ، وقبل هذا اشترى هذا الطفل المعجزة جزءا من أكبر محلات تجارية بلندن المسماة « هارودز » ودفع فى ذلك عشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية أى ما يقرب من المبلغ السابق ، ويذكر المقال أن أشرف مروان اتسع نشاطه أيضا فى الجانب « الفندقى » على شواطىء أسبانيا ، وأنه يمتلك قصرا فخما اشتراه لنفسه ولأسرته فى ضواحى لندن .

ويذكر المقال أيضا أن أولاد عبد الناصر المقيمين بمصر قد وصل حجم أعمالهم المعمارية بمصر إلى أكثر من مائتى مليون من الجنيهات رغم أنهم مازالوا فى بداية الطريق ، ورغم أن هذا الحجم لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت البداية مرتكزة على أرقام الملايين من الجنيهات أو الدولارات . ويختم الأستاذ جلال الدين الحمامصى مقاله بقوله متهكما :

هذه هى نتائج الاشتراكيه التى أسسها عبد الناصر الذى كان دائما يصرخ « لا مكان فى مجتمعنا لأصحاب الملايين » وكان فى الوقت نفسه يرتب الأولاده ليصبحوا من أصحاب الملايين ، فما حُرّم على الناس كان حِلاً للثوار واسر الثوار .

عبد الناصر هو طريق هذا الثراء لأهله :

ربما يسأل سائل : كيف وصلت أسرة عبد الناصر إلى هـذا الثراء الواسع فى حين انهارت اقتصاديات البلاد ، وفى حين يحـارب الرئيس الرأسمالية ويجاهر بالاشتراكية ؟

والإجابة سهلة ، كانت الاشتراكية والجوع وشدّ الأحزمة عـلى البطون نصيب الشعب ، أما عبد الناصر وأسرته ومَنْ حوله فالرأسمالية حلال لهم ، ويقدّم الأستاذ كمال خالد أدلة على التسيب والبذخ اللذين عُرِفَ بهما عبد الناصر بالنسبة لمن حوله ، فيقول : [(١)] •

فى الجلسة السرية التى عقدت لمحاكمة مراكز القوى وقف سامى شرف فى قفص الاتهام ليقول متهكما ساخرا : « المدّعى الاشتراكى يتّهمنى باستغلال النفوذ ، والمحقق رئيس النيابة يسألنى إذا كان عندى مستند يفيد أن الرئيس جمال عبد الناصر هو الذى صّرح لى بإنفاق المبـالغ التى يقال إنى اختلستها من المصاريف السرية لرئاسة الجمهورية بمناسبة زواج ابنتىّ : ليلى وهدى ، وواصل سامى شرف كلامه قائلا :

« إن الرئيس جمال عبد الناصر كان له مبلغ مليون جنيها سـنويا مصاريف سرية • وقد رفض رفضا باتا الإمساك بدفاتر توضح أوجـه الإنفاق بطريقة تفصيلية ، وقال لى « لا تخلق قاعدة كهـذه » وأنـا استشهد بالسيد حافظ بدوى رئيس المحكمة ، ما الذى حدث بالنسبة لزواج ابنته الأولى والثانية والثالثة والرابعة ؟ ففى كل مرة كنت أسـتدعيه إلى مكتبى ••• وأسلمه ظرفا به مبلغ ثلاثة آلاف جنيه وأقول له : هذه هدية الرئيس جمـال عبـد النـاصر للعـروس ، فكان يدعـو الرئيس جمال عبد الناصر ويدعو لى أيضا ، وفى المرة الأخيرة كان الظرف به أربعة آلاف جنيه ، وبمجرد أن لاحظ حافظ بدوى هذا الرقم على الظرف أخذ يدعو لى ويكرر الدعاء وقد استمع جمال عبد الناصر لتسـجيل هـذه

---

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١١٦ •

المقابلة ولفت نظره أن دعاء حافظ بدوى لشخصى يزيد أضعافا عن دعائه للرئيس جمال ، فقال لى « أوع تعطيه فلوس تانى ، وإن كنت عايز أ عطيه من جيبك علشان الدعاء يبقى حلال عليك » .

وكل ما أريد أن أسأل رئيس المحكمة عنه هو : هل حصلتُ منه على إيصال باستلام أى مبلغ من هذه المبالغ . . هل طلبتُ منه التوقيع على أى دفتر أو على أى ورقة : هل أحضر لى خطابا من الرئيس بتسليمه أي مبلغ من هذه المبالغ ؟ إن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد كانت أوامر الرئيس جمال الشفوية مطاعة وتنفذ فورا ، وليس هناك حاجة لورق أو إيصالات أو أوامر مكتوبة .

هذا هو نص شهادة سامى شرف أمام المحكمة :

ومن الواضح أن المليون جنيه التى كانت لعبد الناصر فى الستينات تساوى الآن على الأقل عشرة ملايين ، وكان ذلك بدء السرقات التى شاعت ، واتخذت عدة طرق بعد ذلك ، والمعروف أن المصروفات السرية كانت تنفق فى الصالح العام ولا تقدم هدايا لأفراد عاديين مثل حافظ بدوى وسامى شرف .

هل يظن ظان أن جمال عبد الناصر يعطى سامى شرف وحافظ بدوى ولا يعطى أولاده ؟

إن من نظن ذلك انسان ساذج ، والحق أن فيضا من الأموال وصل إلى أولاد عبد الناصر بطريق أو بآخر ، فكون رصيد هذا الثراء الذى ظهر بعده ، والذى يتتبع الوثائق والمصادر التى بين أيدينا يدرك حرص جمال عبد الناصر على توفير الترف لأولاده ولو على حساب الآخرين .

وثائق فيلم/هل الأستاذ الحمامصى :

ونستمر مع الأستاذ جلال الدين الحمامصى الذى يورد معلومات خطيرة فى هذا المجال يؤيدها بالوثائق الزنكوغرافية وهاك كلماته :

كشف صلاح نصر فى أقواله التى أدلى بها بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٥ عن تصرفات مالية معينة منسوبة للرئيس عبد الناصر كانت كافية لأن تشكل قضية من قضايا نزاهة الحكم ، وتطرح سؤالا مهما هو : هل يجوز لرئيس الجمهورية الدخول فى شركات تجارية خاصة ، أو شركات تديرها المخابرات العامة لحسابه الخاص وتقدم له أرباحها عاما بعد عام ؟

هذا السؤال طرحه اللواء (الفريق أول بعد ذلك) محمد صادق على صلاح نصر فى التاريخ المذكور آنفا وطلب منه الإجابة عليه بدقة **فقال صلاح نصر : هناك شركات كانت تديرها المخابرات العامة وكان يشترك فى رأسمالها كل من الرئيس عبد الناصر والمشير عامر ، وكانت أرباح عبد الناصر من هذه الشركات تصرف إلى محمد أحمد سكرتير الرئيس ووزير الدولة فيما بعد ، وهناك شهود على ذلك ذكر صلاح نصر أسماءهم** (١) •

تجارة المشير وثراؤه :

ونستمر مع الزعماء التجار فنذكر أن منير حافظ صاحب « التاريخ السرّى لعبد الناصر » يقرر أن المشير عامر عقد صفقات مع تاجر أثاث مصرى ، يورّد المشير بمقتضاها للتاجر أوراق الذهب ، وهى الأوراق التى تستعمل فى تذهيب الأثاث الفاخر ، وكانت هذه الأوراق تدخل بكميات ضخمة باسم المشير بدون جمارك فيما أسموه « الحقيبة الدبلوماسية » وكانت تسلّم للتاجر بثمن يساوى عشرين ضعفا لثمنها الأصلى ، إذ منع استيراد هذه الأوراق إلا عن طريق مكتب المشير فتضاعف ثمنها (٢) •

ونستمر مع المشير ورجاله فنروى أنه عندما سقطت دولة الطغيان بعد حرب ١٩٦٧ وجدوا فى قصر المشير تلالا من العملات الأجنبية

---

(١) جلال الدين الحمامصى أسوار حول الحوار ص ٧٦ — ٧٧ •
(٢) روز اليوسف فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٦ و « أقول للسلطان » للدكتور ابراهيم عبده ص ٥٩ •

وخمسة أكياس من الذهب ، ووجدوا فى خزائن شمس بدران تلالا أخرى من جميع العملات الصعبة ، كما وجدوا لبيت المشـــير ثمانين ســـيارة لكل سيارة سائقان (١) .

ملايين ... ملايين .... ملايين احتازها وأنفقها ببذخ على القمار وعلى الهدايا لرفاقه ، وللعجب نقف بمصر نشكو الفاقة ، ولا نقف أبدا نحاسب هؤلاء الآثمين .

الشراء بالقوة :

ولنعد لعبد الناصر لنؤكد أن أولاده كانوا حريصين كل الحـــرص على **التملك ، بـــل كانـــوا يســـتعملون صـــورا من الضغط على بعض الملاك ليبيعوا لهم ما يملكون ، فعقب فشـــل الصفقة المرتبطـــة بالأرض الواقعة غير بعيد من أهرامات الجيزة (هضبة الأهرام) اتجهت السيدة منى بنت الرئيس عبد الناصر لشراء أرض أخرى بصور من الضغط ، وقد تقدم عدد من الشبان بشكوى من ذلك الأمر ، وتدخل المدعى الاشتراكى الدكتور مصطفى أبو زيد ، وجرى الحوار التالى بينه وبين البائع المسكين :**

الدكتور مصطفى أبو زيد : هل بعت الأرض برضاك ؟

الفلاح : ليس تماما .

الدكتور مصطفى أبو زيد : ماذا تعنى بذلك ؟ هل وقع عليك ضغط ؟

الفلاح : نعم ، نوع من الضغط الأدبى ، ولقد قبضتُ الثمن فعلا عشرة آلاف جنيه مازالت فى جيبى ، وأنا أب لســـبعة أولاد ، كانت قطعة الأرض تغطى احتياجاتنا ، ولكن ماذا أفعل بهذا المال السائب فى جيبى ، وقد ارتفعت الأسعار بسبب تدخل ابنة عبد الناصر فى الشراء بأى ثمن (٢) .

---

(١) دكتور ابراهيم عبده : أقول للسلطان ص ١٩ — ٢٠ .
(٢) جلال الدين الحمامصى المرجع السابق ص ١٤١ .

ويعلق الأستاذ جلال الدين الحمامصى على تصرفات عبد الناصر وتصرفات أولاده بقوله :

كان عبد الناصر يقول إنه لا اعتراض له على أن يملك النـــاس ، ولكنه كان يذكر أن التملك لا يتمشى مع وضعه الخاص باعتباره مسئولا عن التحول الاجتماعى فى مصر ، ولكن الذى تدل عليه الوثائق أن عبد الناصر كان حريصا على التملك لنفسه ، وعلى تمكين أولاده من الملكيات ، وقد اتضح ذلك مما أوردناه عنه آنفا من المساهمة فى شركات تدار لحسابه وحساب مشيره ، ومن حرص أولاده أن يتملكوا الأرض بل أن يشتروا الأرض من أولئك المساكين الذين حصـــلوا عليها بواسطة الإصــــلاح الزراعى [١] .

وننتقل بعد ذلك لتملك اشترك فيه عبد الناصر وأولاده وصحبه ، ويروى لنا عثمان أحمد عثمان قصة ذلك فيقول :

عثمان أحمد عثمان وفيلاَّت لبنتى عبد الناصر ولغيرهما :

يذكر المهندس عثمان أحمد عثمان قصصا عن استغلال عبد الناصر وأصحابه لــــه فيقول : [٢]

إن عبد الناصر أراد أن يبنى فيلاَّ لابنته ، فسأل عن قيمة تكاليفها ، فقلنا له : انها تتكلف حوالى ستة آلاف جنيه فقط ، وكانت تكاليفها الحقيقية تصلّ إلى مائة ألف جنيه ... وعندما استحلى الأسعار الرخيصة طلب بناء فيلا لكريمته الثانية ، التى أصبح زوجها فيما بعد من أكبر مليونيرات مصر ، وجمع ثروة تُقدر بمئات الملايين ، فقلنا له : إن الأسعار قد ارتفعت

---

(١) جلال الدين الحمامصى المرجع السابق ص ١٢٤ — ١٢٥ .
(٢) صفحات من تجربتى ص ٣٩٣ .

وإن تكاليف الفيلا تصل إلى ثمانية آلاف جنيه هـذه المـرة •• ولكن الحقيقة المرة انها كانت ستتكلف مائة وعشرين ألف جنيه ••• وغيره وغيره ممن بنيت لهم فيلات بتلك الطريقة ، هل كـانت تخفى عليه التكـاليف الحقيقية لكل من الفلتين ، وهو الـذى كان يعلم ما يدور بـين الرجل وزوجته فى حجرة نومه •

ويذكر أنور السادات أن عبد الناصر ذكر لـه سنة ١٩٧٠ قبيل وفاته بمدة وجيزة أن خزانته بالبيت بها ٢٢٠ ألف جنيه مصرى و ٨٠ ألف عملات أجنبية مختلفة : استرلينى دولارات وماركات ألمانية ، وأن سامى شرف عنده مليون ونصف مليون جنيه من المصروفات السرية التى تأتى من المخابرات ولا تخضع لأى رقابة (١) •

هذه — أيها القراء — أموال مصر التى اعترفوا بها ، أما الأموال التى لم يشـملها اعتراف فلا يحصيها عـدٌ ، والعجيب أن الرئيس الجديد لم يذكر لنا هل تسلم هذه الأمانات بعد وفاة عبد الناصر أو تركها هبة لأولاده وهو ما يفهمه الباحث من عدم ذكر مستقبل هذه الثروة •

إفقار الأغنياء وإذلال الشرفاء :

وبينما كان عبد الناصر يغدق على سامى شرف وعلى حافظ بدوى ويسرب الأموال إلى ذويه الذين ظهروا بعده وهم فى قمة الثراء ، بينما كان يفعل ذلك مع أتباعه كان القهر والفقر والعوز هو مـا يوزع عـلى الناس بمصر ، فمثلا محمد سلطان بن عمر سلطان باشا كان من أكبر الاثرياء بمصر ، وكانت له أرض زراعية واسعة بالمنيا وغيرها ، ويمتلك مجموعة من الجواهر ، والتحف العالمية النادرة •

وضع هذا الرجل فى الستينات تحت الحراسة وصودرت أمواله ، فماذا قرر الاشتراكيون له ليعيش هو وأسرته ؟

---

(١) موسى صبرى : السادات ص ٣٤٣ — ٣٤٤ •

تقرر منحه نفقة شهرية قدرها سبعون جنيها ، له ولزوجته ولبناته الثلاث ، وعلم أحد أولاد أغاخان بما جرى لصديقه فعينه مشرفا على مزارعه التى يمتلكها بغرب باريس بمرتب ستمائة جنيه استرلينى فى الشهر ، وطلب من وزير الداخلية الإذن له بالسفر ، فاشترط الوزير أن يتنازل عن السبعين جنيها فى مقابل تأشيرة الخروج ، وتوفى فى فرنسا سنة ١٩٦٦ ودفن فيها .

المصادرة الارتجالية :

ويروى الدكتور حسين مؤنس خبر سيدة تقدمت بها السن ، وكانت تملك أربعين فدانا مجاورة الأطيان شعراوى باشا ، ولما صادر عبد الناصر أطيان شعراوى التى كانت مساحتها ٤٠٠ فدانا صادر رجاله أطيان هذه السيدة ، ولعل الجوار هو الذى دفعهم لذلك ، وقد بذلت أقصى الجهد لتوضح ملكيتها للأربعين فدانا ، ولكن أحدا لم يسمع قولها ، واضطر أهل الخير أن يطلبوا عونا لها من المرحوم الشيخ الباقورى وزير الأوقاف فدبر لها مبلغ ٢٧ جنيها فى الشهر كانت تدفع نصفها ايجارا لمسكنها ، وعجز المبلغ الباقى عن العلاج والدواء ، بل عجز عن ضرورات الحياة ، فقنعت — كما يقول الدكتور حسين مؤنس — بالخبز والماء حتى ماتت [(١)] .

الملكة فريدة والجوع :

وهناك مثال آخر يدعو للأسف والحسرة ذلك هو الملكة فريدة التى تزوجت الملك فاروق سنة ١٩٣٨ وبقيت معه عشر سنوات ثم طلقها (سنة ١٩٤٨) وانقطعت العلاقة بينهما تماما ، ولما جاءت الثورة المشئومة وصادرت أموال أسرة محمد على صادرت أيضا أموال « فريدة » مع أن صلتها انقطعت بالملك ، ومع أن الملك لم يكن كريما معها ،

---

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ٧٩ .

ولكن هذه الثورة لا ترحم ولا تعى ، واستسلمت الملكة فريدة لقدرها ، ومسها الضر بعد ذلك ، أو قل مسها الجوع ، فأخذت تعيش على رسم بعض اللوحات ، وتبيعها لتحصل من ذلك على قوتها ، ولم تفطن الدولة لها حتى هدها المرض سنة ١٩٨٨ فصدر قرار بعلاجها على نفقة الدولة ، ولكن ذلك جاء بعد فوات الآوان وماتت هذه السيدة الصابرة فى نفس العـــــام (١) .

هذه هى عدالة الاشتراكية الناصرية ، أما الجواهر الثمينة والتحف النادرة فقد اختفت وتسربت إلى جيوب المحظوظين .

وعندما نتذكر أحوال النماذج التى لاقت البلاء من الثورة المصرية ، نتذكر ما حدث بإندونيسيا ، فقد كانت هذه البلاد مجموعة من الاقاليم ، وكان يحكم كل اقليم حاكم يحمل لقب « سلطان » فلما جاءت ثورة إندونيسيا نجحت فى توحيد البلاد ، وأصبح لها رئيس واحد ، ولكن الثورة تركت السلاطين القدامى فى قصورهم ، وجعلتهم فى وظائف تشبه وظـــائف المحافظين ، وعاش السلاطين وأسرهم فى ظل الثورة عيشة كريمة ضمنت الولاء والحب للثورة وللبلاد ، أما مصر فقد أصبحت ملكا للثوار العسكريين الذين استباحوا كل شىء وحرموا على الناس كل شىء .

وفى مجال المال نتحدث عن صور يشيب لها الولدان من القســوة والظلم ، وقد وقع هذا الظلم الفادح على جماعة كان كل ذنبهم أنهم كانوا أعزاء أغنياء ، ماذا فعل الثوار مع أعيان قرية كمشيش كنموذج لإذلال الأعزاء ، وإفقار الأغنياء ؟ هذا ما سنعرضه فيما يلى بإيجاز :

قضية كمشيش : نموذج للطغيان الذى أدى للانهيار :

وقد كتبت عن قضية كمشيش فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٤ .

فى ضوء ما كان عندى من وثائق ، ثم ظهرت أخطر وثيقة تصف هـــذا العمل الوحشى الذى تمّ فى عهد ناصر بأمره وبأمر صديقه عامر ، وفيما يلى نورد تصويرا دقيقا لمحاكمة المجرمين فى هـــذه القضية ، ثــم نورد الوثيقة التى أصدرتها محكمة الجنايات :

قضت محكمة جنايات القاهرة بالأشغال الشاقة لمدة ٩٦ سنة على ١٧ متهما فى قضية تعذيب أهالى كمشيش ، وألزمت المتهمين بدفع مليون و ١٧٥ ألف جنيه تعويضا إلى ١٧ شخصا من المجنى عليهم تمّ تعذيبهم فى السجن الحربى ، وفيما يلى تفاصيل هذا الحكم :

يقضى الحكم بمعاقبة رياض إبراهيم بالأشغال الشاقة ١٥ سنة ومعاقبة صفوت الروبى ، ومحمد رجب بكر بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات ومعاقبة ١١ شخصا بالأشغال الشـــاقة ٥ ســنين لكل منهم •

كما قضت بدفع مبلغ ١٠٠ ألف جنيه تعويضات لورثة صلاح الفقى و ٥٠ ألف جنيه لكل من عبد الله السيد الفقى وعزيز أحمد الفقى وحسام أحمد الفقى وفـــاروق أحمـــد الفقى ، وزكريا ســيد الفقى وكمـــال عبد الحميد الفقى •

وكان المتهمون وكلهم من المباحث الجنائية العسكرية قد قاموا فى عام ١٩٦٦ بناء على تعليمات من مكتب المشير عبد الحكيم عامر بالقبض على المتهمين بغير اذن من السلطات القضائية المختصة ، وقاموا بتعذيبهم فى قرية كمشيش بالمنوفية ، ثم نقلوهم إلى السجن الحربى حيث قضوا ١٥ شهرا فى تعذيب وحشى مستمر بإدعـــاء أنهم قتلوا صلاح حســين الشيوعى المتطرف الذى كان يشغل منصب أمين لجنة الدعوة والفكر بقرية كمشيش •

وقد تمّ فى السجن الحربى إطلاق الكلاب المتوحشة عـــلى المجنى عليهم وإبقاؤهم فى زنزانات مليئة بالمياه عدة أيام ، كما قاموا بنـــزع

أظافرهم بالكماشة ، وأطلقوا عليهم أسماء النساء ، وهددوهم بالاعتداء على زوجاتهم أمامهم ، ثم نقلوا إلى سجن أبو زعبل حيث أمضوا حوالى سنة دون محاكمة .

وبعد هذا التعذيب الوحشى اتضح أن القاتل الحقيقى لصلاح حسين قد قبض عليه واعترف . وأرشد عن المسدس الذى استعمله فى الجريمة ، ولم يكن بينه وبين المجنى عليهم أية علاقة أو صلة ، وقد عوقب بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وفى عام ١٩٧٥ قدم المجنى عليهم بلاغا أمام نيابة التعذيب التى تولت التحقيق فى القضية ، وأثبتت وقائع التعذيب الوحشى ، واستمر التحقيق حوالى أربعة شهور ، وتم القبض على المتهمين وتقديمهم للمحاكمة التى استمرت خمسة شهور ، وأصدرت حكمها أمس برئاسة المستشار محمد جويفل سليمان وعضوية المستشارين محمد حسين غراب وحسن عثمان عمار وحضور عبد العزيز عبد الغفور وكيل أول نيابة شرق القاهرة وأمانة سر أحمد رمضان وعباس أبو سعدة وفوزى عبد الكريم .

وقد عقدت المحكمة وسط حراسة مشددة من قوات الشرطة والأمن المركزى والمباحث ، بقيادة العميد يحيى زكى مأمور قسم إمبابة والرائد محمود حنفى بركات رئيس مباحث القسم .. وجىء بالمتهمين من السجون فى حراسة مشددة من الشرطة العسكرية والمباحث .

وفيما يلى ننقل فقرات مما جاء فى حكم محكمة الجنايات وهى تبين الوحشية التى تعرض لها الشعب فى هذا العهد الذى استعذب الإجرام ، وفاق فيه ما نتخيله مما يمكن أن تفعله الشياطين .

« تسجل المحكمة والتاريخ أن هذه الفترة التى جرت فيها أحداث هذه القضية هى أسوأ فترة مرت بها مصر طيلة تاريخها القديم والحديث ، فهى فترة قد ذبحت فيها الحريات وديست فيها كرامة

الإنسان المصرى ، ووطئت فيهـا أجساد الناس بالنعـال ، وأمـر الرجال بالتسمى بأسماء النساء ، ووضعت ألـجمـة الخيل فى فم رب العائلة وكبير الأسرة ، ولطمت الوجوه والرؤوس بالأيدى ، وركلت بالأقدام ، كما هتكت أعـراض الرجال أمام بعضـهم البعض ، وجئ بنسائهم أمامهم وهددوا بهتك أعراضهن على مرأى ومسمع منهم ، ودربت الكلاب على مواطأة الرجال ، ومن أبشع ما وقع فى هذه القضية من تعذيب فى نظر المحكمة ، إخراج جثة والدتهم من مدفنها — وكانت حديثة الدفن — والتمثيل بها أمام الناس ، والتشـهير بهم ، وإذلالهم أمام أهلهم وذويهم ، وإن المحكمة تسجل بأن المخلوق الذى ينسى ربه ونبيه ويأمر الابن أن يصفع وجه أبيه أمام الناس هـو مخلوق وضيع وتافه ومهين ، وإن المحكمة وهى تسجل هـذه الفظائع ينتابها الأسى العميق والألم الشديد ، من كثرة مـا أصاب الإنسان المصرى فى هـذه الحقبة من الزمان من إهدار لحريته وذبح لإنسانيته ، وقتل لكـافة مقوماته : وإهدار لرجولته وأمنه وأمانه وماله وعرضه ، وإن المحكمة لتسجل أيضا للتاريخ وقلبها يقطر دما أن مـا حدث فى هذه القضية لم يحدث مثله حتى فى شريعة الغـاب ولا البربرية الأولى » .

وقد وصفت السيدة جيهان السادات ما حدث فى كمشيش بـأنه شئ همجى لا إنسانى (١) .

الهجرة لإسرائيل أهون من هذا العذاب .

ويصف الصحفى عبد العاطى أحمد وزير الدفاع شمس بدران بأنه « وزير التعذيب » وأن بعض رجاله كان يهتف : نفسى أشم ريحة الكباب الآدمى . وقد وصل الحال بأحد المعذبين أن تمنى أن يذهب إلى إسرائيل وكان يقول إن إسرائيل مع كل ما عرف عنها من غدر ، أرحم من العذاب الذى فى معتقلات ناصر (٢) .

---

(١) سيدة من مصر ص ٢٦٠ .
(٢) عبد العاطى أحمد : كرسى الوزارة ص ٣٣ و ٣٨ و ٣٩ .

ولكن شمس بدران أعلن أن التعذيب ومراحله كانت بإرادة عبد الناصر وتعليماته وفى قضية المستشار على جريشة قرر شمس بدران : (أن أمراً صدر إليه من الرئيس بتعذيب جريشة حتى الموت) (١) .

قرار جمهورى مطلق بإباحة الاعتقال :

ومن أخطر القرارات التى اتخذها عبد الناصر ومن أكثرها خيانة للمجتمع ذلك القرار الذى صدر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ وهو يقضى باعتقال محمد صلاح الدين محروس وآخرين .

وكلمة « وآخرين » كلمة فسيحة تعطى لزبانية عبد الناصر الحق فى القبض على من يشاءون دون تحديد ، وهو شىء لم يحدث ولا فى دنيا الغاب وعلى الصفحة التالية نقدم صورة زنكوغرافية لهذا القرار الجمهورى .

ليس عبد الناصر وحده :

ولم يكن الاستيلاء على أموال الشعب ولا تعذيب الآمنين هدف عبد الناصر وحده ، فقد شاركه فى ذلك مشيره وأعوان المشير الذين كانوا يخفون فى أرض الحديقة عقب هزيمة ١٩٦٧ أكياس الذهب التى غنموها من مصر ، وفى مقدمة هؤلاء عباس رضوان وشمس بدران ... ووصل الثراء إلى الطبقة الثانية والثالثة من الضباط ، فقادة الجيش المصرى باليمن اتخموا بأكياس الذهب التى أخذوها من دم مصر لتوزيعها على القبائل باليمن ثم استأثروا بها أو ببعضها ، وعلى شفيق وجدوا معه فى حجرته التى مات بها بلندن مليون جنيه استرلينى ، وقد كان لعلى شفيق صلة بطلعت السادات ، ولذلك سنتكلم عنه فيما بعد عند حديثنا عن أسرة السادات ، أما عن التعذيب فإننا نكرر أن عددا

---

(١) باشوات وسوبر باشوات : ص ٩٢ .

هذا نص قرار جمهورى بالقبض على المواطن محمد صلاح الدين عروس وآخرين دون تحديد . . ومن الممكن للذين تسلموا هذا القرار لتنفيذه أن يقبضوا به على أهل مصر أجمعين . .

قـــــرار

رئيس الجمهورية العربية المتحـــــدة

رقـم ٢٨٧٣ مكرر لسنة ١٩٦٥

رئيس الجمهوريـــــة

بعد الاطلاع على الدســـتور

وعلى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن بعض التدابير الخاصة بأمن الدولة

قـــــرر

مادة أولـى : - أعتقال : محمد صلاح الدين عروس مصطفى (وشهرتـــه صـــلاح ـ وآخرين ،

مادة ثانيـة : يحجـزوا بمكان أمين .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٢ جمادى الأولـى سنـــة ١٣٨٥ هـ
(٢٩ أغسطـــس سنـــة ١٩٦٥ م)

(امضـــاء)



صورة طبق الأصـل :

نسخ فى يوم ١٩٧٦/٢/٢٨

مشو ب :

كبيرا من الضباط استمتع بتعذيب الشعب ، وكان فى القمة من هــؤلاء شمس بدران الذى كان يلقب كما قلنا « وزير التعذيب » ٠

نقاط أخرى من تراث عبد الناصر :

لا تزال هناك نقاط أخرى من تراث هذه الثورة المشئومة ، ولا نملك إلا أن نلم بها إلماما سريعا لتكتمل صورة مصر كما تركها الرجل الــذى تمتع بأعظم قدر من حب الشعب ، ولكنه لم يرع ذمّة لهذا الحب ، وهذه النقاط هى :

مواقف ضد الإسلام والمســلمين

من أخطر ما يجب إبرازه أن عبد الناصر وقف مواقف متعددة ضد الإسلام والمسلمين ، وفى الجزء التاسع من هــذه الموسوعة دراســات عنوانها « شىء كان يُراد بالإسلام » ونضيف هنا بعض مواقف جديدة من هذا النوع :

إعدام الإخوان وتحية للحاخام :

وحول إعدام الرعيل الأول من علماء الإخوان المسلمين وفى قمتهم العالم القانونى المرحوم الأستاذ عبد القادر عودة ، بناء على حكم مــن « محكمة الشعب » الذى كان أنور السادات أحد قضاتها ، حول إعدام هؤلاء الأبرياء لاحظ المطلعون خبرا عجيبا ، فقد نشرت صحيفة الأهرام التى كانت لسان النظام العسكرى بمصر ، يوم الأربعاء ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤/١٢/٨) خبرين هما :

١ — تنفيذ حكم الإعدام فى ستة من زعماء الإخوان المســلمين : عبد القادر عوده ٠٠٠٠٠ وتنفيذ عقوبة السجن لحوالى الألف الذين حوكموا أمام محكمة الشعب بتهمة الخيانة العظمى ٠

٢ — أوفد الرئيس جمال عبد الناصر الأســتاذ صلاح الشاهــد

تشريفاتى الرياسة للاستفسار عن صحة سيادة (حايم ناحوم) الحاخام الأكبر لليهود ، وإبلاغ سيادته تحيات الرئيس وتمنياته بالشفاء العاجل ٠

ويعلق الباحثون على هذا الموضوع بقولهم : إعدام هنا واسترضاء هناك ٠

ونقول إن من يفلت من الحساب فى الدنيا لن يفلت منه فى الآخرة !٠

القابضون على الجمر :

وقد كُتِبَ الكثير عن تعذيب الإخوان وقتلهم والتنكيل بهم ، وهو شىء يفوق جرائم النازى والفاشيست واليهود ، وقد ألمنا ببعض ذلك فى هذا الجزء وفى الجزء التاسع من هذه الموسوعة ، وكَتَبَ كثيرون من الباحثين عن هذه المآسى البعيدة عن الإنسانية ، والتى تدل على بعد عن الأديان والأخلاق ، ولكنى هنا أشير لكتاب مهم هو « القابضون على الجمر » الذى ألّفه الأستاذ محمد أنور رياض ، وهو كما يقول قصة وتجارب عاشها شباب من أبناء هذا الوطن هم « الإخوان المسلمون » الذين تعرضوا الأبشع أنواع التنكيل والتعذيب ، ولأسوأ صور الإهدار لحقوق الإنسان بل لحقوق الحيوان ٠

ويقرر الكاتب أنه رغم ظلام المحنة ودماء الضحايا يظل الإيمان ثابتا ، وعندما تواتيه الفرصة ينطلق لينير بهداية الله طريق الحائرين [١] ٠

المقارنة بالرسول عليه الصلاة والسلام :

وقد نشر أن أحد المحافظين وقف أمام عبد الناصر ، وألقى خطابا علنيا قال فيه : إنك أيها الرئيس ما عبستَ وما توليت (وكان يقصد بذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام عبس وتولى أن جاءه الأعمى ٠٠) ولكن عبد الناصر لم يعبس ولم يتولَّ ، ويعلق الكاتب على ذلك بأن عبد الناصر

---

(١) اقرأ كتاب « القابضون على الجمر » ٠

لم يعبس ولم يتول ، ولكنه نفخ الناس وجلدهم وصعقهم بالكهرباء وشنقهم ظلما ، وسجنهم بلا جريرة .

عدوان على الإسلام والدعوة الإسلامية :

ويقرر الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف سابقا أن مذبحة حدثت للأوقاف الإسلامية فى عهد عبد الناصر فقد صدر قانون سنة ١٩٥٧ يقضى بتسليم أراضى هذه الأوقاف الإسلامية للإصلاح الزراعى لتوزع على الفلاحين ، وكانت هذه خطة مدبرة للقضاء على الإسلام ومحاربة الدعوة الإسلامية ، وفى عهد أنور السادات استطعنا أن ننقذ ما يمكن إنقاذه (١) .

ولنعد لسرد بعض مثالب العصر ، ولنتبع غاية الإيجاز :

— قضايا تصفية الإقطاع والمعاناة التى نزلت بالملاك دون عدل أو رحمة ، ويطلق عليها سيد مرعى « سنوات الجحيم السياسى » (٢) .

— نهاية القطاع الخاص والاعتماد على الحكومة فى كل شىء .

— العلاقات الدبلوماسية أصبحت مقطوعة مع أكثر دول العالم .

— قضية الدكتور أنور المفتى واتهام عبد الناصر بقتله .

— الاضطراب الاقتصادى الذى شمل الجميع .

— مديرية التحرير والجرائم التى اتصلت بها .

— اختلال الأخلاق اختلالا خطيرا حتى أصبحت الرشوة عملا عاديا .

— الجرائم التى ارتبطت بالحراسات من نهب واختلاسات .

أسس الاضطرابات الاقتصادية :

من أهم أسس الاضطرابات الاقتصادية التى نعانيها حتى الآن ، اختفاء الرصيد الذهبى لمصر والذى كان مودعا فى خزائن البنك المركزى المصرى ،

---

(١) مضبطة مجلس الشعب فى فبراير سنة ١٩٨٠ .

(٢) أوراق سياسية ٢ : ٤٢٣ .

ولا يعلم أحد حتى اليوم أين أختفى هذا الرصيد الذى يبلغ ٥٠٠ مليون من الجنيهات الذهبية الانجليزية (١) اللهم إلا أن يكون هو الذى ظهر أخيرا مع الأبناء والأصهار · ومما يؤيد القول بأن الرصيد الذهبى لمصر انتقل إلى ثروة خاصة بورثة عبد الناصر ما ذكره الدكتور محمد عصفور فى مقال نشره بصحيفة الوفد بتاريخ ١٩٨٨/١٠/٢٨ من أن عبد الناصر — فى أثناء عدوان ٥٦ — نقل الرصيد الذهبى والمعدنى إلى مقره بحجة حمايته من غزو انجليزى فرنسي إسرائيلى متوقع ولم يعد هذا الرصيد ·

وقد فصّل الأستاذ محمد فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد الذى كان وزيرا للمالية فى عهد وزارة الوفد سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، فصّل القول فى هذه الملايين التى أضاعتها الثورة فقال ان منها ٦١ر٥ مليون جنيه من الذهب استردتها حكومة الوفد من الولايات المتحدة الأمريكية وأودعتها خزائن البنك الأهلى المصرى ، ومنها ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى كانت مصر تدين بها بريطانيا ، وعقد فؤاد سراج الدين اتفاقية تعهدت بريطانيا بموجبها أن تسدد هذا المبلغ خلال ٣ سنوات ، وقد سددته فعلا ابتداء من سنة ١٩٥٢ ·

فأين ذهبت هذه الملايين التى ورثتها الثورة ؟

غزوة لا ثورة :

وهكذا ضرب نظام الحكم الثورى أفحش مثال لحكم الغزاة والمستعمرين ، حتى ليصدّق قول نقيب أسبق للصحفيين : إن ما حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو لم يكن ثورة وإنما كان غزوة ، وما كانت هذه الغزوة غزوة جيش مُعادٍ للشعب المغزوّ ، وإنما كانت غزوة بعض الضباط الشبان المغامرين والمتّجرين بالشعارات !!

---

(١) دكتور ابراهيم دسوقى أباظة : الخطايا العشر ص ٤٣ وما بعدها والبحث عن الذات لأنور السادات ·

جهل الثوار وما أوقعه بمصر من هزائم عسكرية

إذا التمسنا العذر بشكل ما للثوار فى جهلهم بالأمور الاقتصادية ، والتمسنا لهم العذر كذلك فى جهلهم بالأمور الاجتماعية والثقــافية ، فإننا لا يمكن أن نلتمس لهم العذر فى الكبوات العسكرية التى أنزلوها بمصر ، فالمفروض أنهم عسكريون لهم ثقافة وخبرة فى إعداد الجيوش وإدارة المعارك ، ومن هنا فإن ما نزل بمصر من هزائم فى عهدهم يعتبر جرائم مضاعفة •

والحق أن هزائم عبد الناصر فاقت فى خطورتها كل تقدير ، ولم يكن عبد الناصر وحده هو الذى أثبت جهله بالأمور العسكرية ، بل إن مشيره يقاسمه هذه الجهالة ، ثم يجىء شمس بدران وزير الدفاع الذى دفعه جهله بالشئون العسكرية ليسخر من الأسطول السادس ويعلن أن عندنا مــا يقضى عليه •

ولنعط بعض اللمحات التفصيلية عن هزائم هذا العصر : (١٩٥٦ ، والحركة الانفصالية ــ وحرب اليمن ــ وحرب ١٩٦٧) تلك التى كــانت شديدة التأثير فى عصر السادات •

وفى مجال الأمور العسكرية نعتمد على العسكريين ، ونبدأ بباحث عسكرى شغل أخطر المناصب بمصر هو محمد حافظ إسماعيل الذى شغل منصب الوزارة والسفارة أكثر من مرة ، وكان رئيسا للمخابرات ســنة ١٩٧٠ ومستشار الرئيس للأمن القومى بعد ذلك ، وهذه الاقتباسات من كتابه « أمن مصر القومى فى عصر التحديات » وهو باحث غير متهم ، يقول محمد حافظ إسماعيل •

تناقض الحياة العسكرية مع الحريات العامة :

عندما قــامت ثورة ٢٣ يوليو لــم يثق أغلب رجال السياســة فى العالم فى إمكان أن تمارس قيادة" عسكرية سلطة الحكم دون عــدوان

على الحريات العامة والديمقراطية ، ويستمر سيادته فيتحدث عن : « الملهم » ونتائج تأميم القناة فيقول :

بنى عبد الناصر رأيه فى تأميم القناة على أساس أن :

*** الولايات المتحدة لن تشترك فى عمل عسكرى ٠**

*** وبالتالى لن تتقدم إسرائيل على الحرب مادامت لم تثق فى معاونة الولايات المتحدة ٠**

*** فرنسا مشغولة فى حرب الجزائر ٠**

*** بريطانيا هى الدولة الوحيدة التى يمكن أن تتصدى لمصر ، ولكن مركزها المالى واحتمال قطع إمداداتها من البترول سيحولان دون ذلك (١) ٠**

وأمَّم عبد الناصر القناة على أساس هذا الوهم ، وضاعت تقديرات هذا « الملهم » هباء ، واشتركت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى العدوان ٠

وانطلقت القوات الجوية للحلفاء فى ٣١ أكتوبر وسرعان ما دمَّرت قواتنا الجوية ، ولم ينج منها إلا طائرات النقل التى أرسلت إلى الخرطوم وجدة ، ومع تحقيق السيادة الجوية للمهاجمين اتجهت القوات المعادية لقصف الأهداف الاقتصادية ومحطات الإذاعة (٢) ٠

تلك كانت كلمات اللواء محمد حافظ إسماعيل عن « الملهَم » واستسلامه للإلهام الزائف ٠

رفض كل دليل يخالف إلهام الرئيس :

ولنسر مرحلة أخرى مع تحذير آخر أو تحذيرات أخرى قوية رفضها عبد الناصر لأنها لم توافق إلهاماته ، ونزلت الكوارث بالشعب

---

(١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٥٣ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ ٠

نتيجة هذا الرفض ، يقول المرحوم الأستاذ مصطفى شردى البورسعيدى فى مقال له بصحيفة الوفد فى ١٧/١١/١٩٨٨ •

فى منتصف أكتوبر ١٩٥٦ عاد أستاذى المرحوم على أمين من رحلة عاجلة قام بها إلى كل من باريس ولندن لاستطلاع الموقف بعد تأميم شركة قناة السويس ، وفى الاجتماع الأسبوعى الذى كان يعقد يوم الجمعة فى الدور التاسع بدار « أخبار اليوم » ، تحدث على أمين إلى أسرة الدار عن رحلته ، وقال إن مصادره فى العاصمة البريطانية بصورة خاصة ، أكدت له أن لندن وباريس قررتا خوض حرب ضد جمال عبد الناصر ، وأن تدخلا مسلحا سيقع بهدف استرداد قناة السويس بالقوة ، وأنه من المنتظر أن يحدث ذلك خلال أسبوعين أو ثلاثة ، وأن سفن الأسطولين البريطانى والفرنسى يتم حشدها وإعدادها بإحدى جزر البحر المتوسط ، وأن طبيعة المعدات العسكرية التى شحنت ، تشير إلى اعتزام الحكومتين البريطانية والفرنسية غزو مصر •

وأبرز على أمين رحمه الله صورة فوتوغرافية ، قال إنه حصل عليها ، وكانت لسفينة من حاملات الدبابات البرمائية أثناء شحنها ، وقد بدت الدبابات منقوشا عليها حرف « H » الذى تبين بعد ذلك أنه شعار القوات التى غزت بورسعيد •

وعندما سمعنا تلك المعلومات خيم علينا الصمت • وما لبث الزميل المرحوم محمود عبد السميع أن سأل على أمين قائلا : هل أبلغت سيادتك هذه المعلومات إلى **الرئيس جمال عبد الناصر ؟ وأجاب على أمين حزينا نعم •• ولكنه لم يصدقها •• وقال إن كل هذه المعلومات هدفها التهويش • • • !**

وصوب على أمين نظراته إلىّ وقال : أريد منك أن تذهب إلى بورسعيد ، وتكون متأهبا تماما •• فلست أعتقد أن هذا كله مجرد تهويش • •

وعدت إلى بورسعيد • وحوالى يوم الثانى والعشرين من اكتوبر ، دخلت مكتب المهندس محمد توفيق الديب بهيئة قناة السويس فى الصباح الباكر فوجدته واجما على غير عادته وقال لى إن قباطنة السفن القادمة من البحر المتوسط أبلغوا مرشدى هيئة قناة السويس ، أن أسطولا ضخما يتجمع بالقرب من مياهنا الإقليمية ، وأن قيادة هذا الأسطول توجه رسائل إلى السفن المتجهة إلى القناة ، بعدم التباطؤ فى المياه المصرية لأى سبب ، ولو كان إجراء بعض الإصلاحات ، وتوصى بالإبراق للشركات مالكة تلك السفن بأن خط العودة قد يتغير خلال أسبوعين أو ثلاثة •• !

وتذكرتُ على الفور حديث على أمين ، وروَيْتُه للمهندس الديب ، وكيف أن الرئيس عبد الناصر رفض أن يصدقه وأجاب المهندس الديب فى اسى شديد ، أنه أبلغ ما لديه من معلومات إلى كل من المهندس محمود يونس رئيس هيئة القناة رحمه الله ، والمهندس عبد الحميد أبو بكر نائبه متعه الله بالصحة ، وأنهما اختارا المرحوم الشهيد محمد شوقى خلاف ، وكان من ضباط القوات المسلحة الذين شاركوا فى عملية تأميم القناة ، وأوفداه إلى الرئيس عبد الناصر لإبلاغه بالموقف ، وقد عاد شوقى خلاف رحمه الله من القاهرة ، وقال إن الرئيس رفض أن يصدق ، وأكد له أن هذا كله مجرد حرب أعصاب •• !

وسألت توفيق الديب عن رأيه ، وكنت أكنُّ له احتراما ومودة عميقة ، فقال لى الرجل : إننى أعتقد أن بورسعيد بالذات سوف تتعرض لاعتداء عسكرى ، وينبغى أن نستعد لذلك •

أما الاستعداد الذى كان الرجل يراه ، والذى كان يطالب به أيضا الرجل العظيم محمد رياض محافظ بورسعيد فى ذلك الوقت ، فهو تهجير النساء والأطفال ، وإعداد المستشفيات لحالة حرب ، وتخزين كميات من المواد التموينية ، ولم يحدث شىء واحد من ذلك كله ، بل إن القاهرة نهرت المحافظ عندما ألح بشدة للسماح له بتهجير النساء والأطفال وكبار

السن ، واتهمته بأنه فقد أعصابه . والغريب أن الذين احتفظوا بأعصابهم وسط إعصار النار والدم الذى عشناه فى بورسعيد بعد ذلك ، كانوا أربعة رجال : أولهم المرحوم حامد الألفى زعيم الوفد ببورسعيد ، وثانيهم محمد رياض المحافظ وثالثهم جمال عزب قائد قوات الأطفاء ، ورابعهم حسن رشدى رئيس القلم المخصوص أو المباحث العامة . وقد استطاع الرجال الأربعة قيادة أبناء المدينة لمواجهة الهول الذى نزل بها ، وتطويق آثاره ، وقاد حامد الألفى عمليات دفن أكثر من خمسة آلاف شهيد سقطوا خلال ستة ايام ، وذلك خوفا من تعفنها ، تماما كما قاد رجال الاسعاف فى أثناء الحرب ، ثم فى أثناء فترة الاحتلال ، أما محمد رياض فقد جلس فى مكتبه مهيبا وقورا شامخا ، يتحدث إلى قيادات قوات الاحتلال فى شجاعة وكبرياء وصلابة .

وليس معنى ذلك أن الرجال الأربعة وحدهم كانوا أبطال الموقف ، لأن البطولة توزعت بالتساوى على جميع أبناء المدينة الباسلة ، الذين حملوا السلاح وخاضوا قتالا ضاريا فى الشوارع ومداخل البيوت ، ولم تؤثر فى روحهم المعنوية جثث الشهداء التى غطت الشوارع ، وسبعة آلاف جريح كانوا فريسة الرصاص وشظايا القنابل ، حتى عندما أشعلت القوات الغازية النار فى أحياء المدينة ، وارتفع اللهب كأنه تلال حمراء عالية ، ظل أبناء بورسعيد ، شبابا ورجالا وشيوخا ، يقاتلون فى الشوارع ، حتى نفدت ذخيرتهم ، وعز الماء ، وتكاثرت عليهم طوابير الدبابات ، ولكنهم كانوا قد تمكنوا من تعطيل الغزاة لثلاثة أيام ، أحدثت خللا جسيما فى خطة الحرب ، وغيرت وجه التاريخ .

من المسئول عن هذه الأرواح وتلك الدماء وهذا الخراب ؟

جيش مصر يلجأ للشعب عند الهزيمة :

ولجأ الجيش المنهزم إلى الشعب فوزع عليه الأسلحة لمواصلة القتال فى المناطق التى كان الجيش ينسحب منها [١] ، وكانت هذه هى عادة

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٦٢ .

الجيش دائما ، يعتمد على الشعب فى حمل عبء المقاومة كلما تقهقر ، حدث ذلك سنة ١٩٥٦ فى بورسعيد وحدث فى مدن القناة إبان الحرب سنة ١٩٦٧ (١) .

والعجيب أن الجيش يقهر الشعب ، فإذا انهـزم الجيش تحمل الشعب مسئولية المعركة ونسى ما عاناه من جيشه .

مدى الهزيمة سنة ١٩٥٦

— عن مدى الهزيمة سنة ١٩٥٦ يقول محمد حافظ اسماعيل : فقدت مصر سيناء وبورسعيد كما دُمّرت قواتها الجوية بصورة تكاد تكـون تامة ، وتحملت الوحدات البرية خسائر كبيرة خلال انسحابها من شمال سيناء ، واستسـلمت بعض العنـاصر العاملة والحـرس الوطنى التى كانت مرابطة فى شرم الشيخ وفى غزة (٢) .

— فى هذه المعركة ظهر الخلاف بين ناصر وعامر ، وقال ناصر : إن جيشى قد هزمنى (٣) .

العون العربى والعالمى :

— كان الموقف الذى اتخذته الشعوب العربية ، وإدانتها للعدوان وتصدّيها للمصالح الغربية الحيوية عاملا هاما فى تحديد مصير الحرب ، وكذلك كانت وقفة الرأى العام العالمى ، مما أدى فى النهاية إلى زلزلـة الاستعمار فى الدول الصغيرة (٤) .

أهل الثقة وأهل الخبرة :

— ظهر تعبير « أهل الثقة » أول ما ظهر فى وزارة الخارجية حيث

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٦٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .
(٤) نفس المرجع ص ٦٥ .

دفعت الثورة بعدد من العسكريين ليشغلوا مناصب دبلوماسية باسم أنهم « أهل الثقة » أما الدبلوماسيون فكانوا « أهل الخبرة » ثم اتسع المجال فظهر « أهل الثقة » فى كل مكان ، وكان التسلل العسكرى صدمة للمفكرين من غير العسكريين [1] .

طموحات عبد الناصر ونتائجها المدمرة :

— شملت طموحات عبد الناصر الجوانب التالية :

١ — تبنّى « القومية العربية » فأعلن أن مصر تشكل جزءا عضويا من الكيان العربى الكبير ، ثم طوّر ذلك إلى وضع آخاف الكثيرين من العرب وكان ذلك إبان الوحدة مع سوريا ، إذ أعلن إن الدولة الجديدة قاعدة **للتطور نحو الاشتراكية ، وكان عبد الناصر فى تدخله العربى مزعجا إذ أعلن قوله : نحن مسئولون عن حرية الأمة العربية فى كل وطن عربى ، وعن تحقيق العدالة الاجتماعية فى جميع أنحاء الأمة العربية** [2] .

٢ — شكل برياسة الجمهورية « **مكتب الشئون الافريقية** » **بتكاليفه الباهظة** .

٣ — اشترك فى بناء مؤسسة الدول غير المنحازة ، وتدخلت مصر بجيوشها فى مشكلات الكونغو .

٤ — كان تدخل العسكريين فى اليمن شديد الخطر ، ولقد نظمت السعودية والأردن حلفا بينهما ، وقيادة مشتركة لقواتهما فى القواعد الأمامية بنجران وجيزان على حدود اليمن الشمالية ، وأسهمت الباكستان وبريطانيا فى نقل الأسلحة جوا إلى السعودية ، وانتهزت إسرائيل فرصة ما تواجهه مصر من عداء عسكرى ونفقات اقتصادية باهظة ومن بُعْد

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٢) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى ص ٨٧ .

٧٠ ألف مقاتل عن مصر وانتشارهم هناك فى جبال اليمن وضربت ضربتها القاصمة سنة ١٩٦٧ •

والحديث عن اليمن يحتاج لإضافة مهمة تلك هى دور السادات فى اشراك مصر فى تلك الحرب ، فبعد الانفصال سنة ١٩٦١ أشيع أن عبد الناصر فقد اهتمامه بالعمل العربى ، وهذه الإشاعة أثرت على الزعيم الذى لم يُرِدْ أن يفقد نفوذا كان يجد فيه متعة عظيمة ، ثم جاء السادات يصوِّر للزعيم أن دخول مصر معركة اليمن سيكون غنيمة بدون جهد ، وانساق الزعيم لذلك إلى حتفه ، ولم تجيء سنة ١٩٦٥ إلا كان لمصر فى اليمن سبعون ألف مقاتل ، وهـذا هيأ الفرصـة لإسرائيل فضربت ضربتهـا القاضية (١) وقد تحدثنا عن مشكلة اليمن من قبل •

لم تنصرف مصر للبناء الداخلى :

ـ يقرر محمد حافظ اسماعيل أن كل هذه الأشياء جعل الأمـل فى أن تنصرف مصر للبناء الداخلى لا وجود له ، واستهلكت بذلك البنيـة الأساسية تماما ، فشبكات الطرق ، والسكك الحديدية ، والكهرباء ، والمياه ، والمجارى ، والتليفونات ، لم تمتد إليها يد الإصـلاح أو التطوير منذ سنوات طويلة (٢) •

ـ وكانت الزراعة تعانى من تراجع شديد فى الإنتاج بسبب نقص المساحة المزروعة بحوالى مليون فدان ، وقلة اليـد العاملة ، وضـعف الميكنة الزراعية ، وندرة الصناعات الزراعية ، **وللأسف نواجه فى مصر قلة اليد العاملة ونواجه بطالة واسعة ، ووجود هـذين الضـدَّين شىء عجيب •**

---

(١) مذكرات محمود رياض جـ٢ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ بايجاز •
(٢) أمن مصر القومى ص ٩٤ •

— وعانت الصناعة كذلك من انخفاض كبير فى الكم ، وتدهور هائل فى الكيف بسبب فوضى الادارة ، وضخامة العمالة ، واستهلاك الآلات .

وهكذا ضاعت مصر وعبد الناصر مشغول باتساع نفوذه عن طريق الدوائر التى ابتكرها وغرق فيها [1] .

حرب يونيو ١٩٦٧

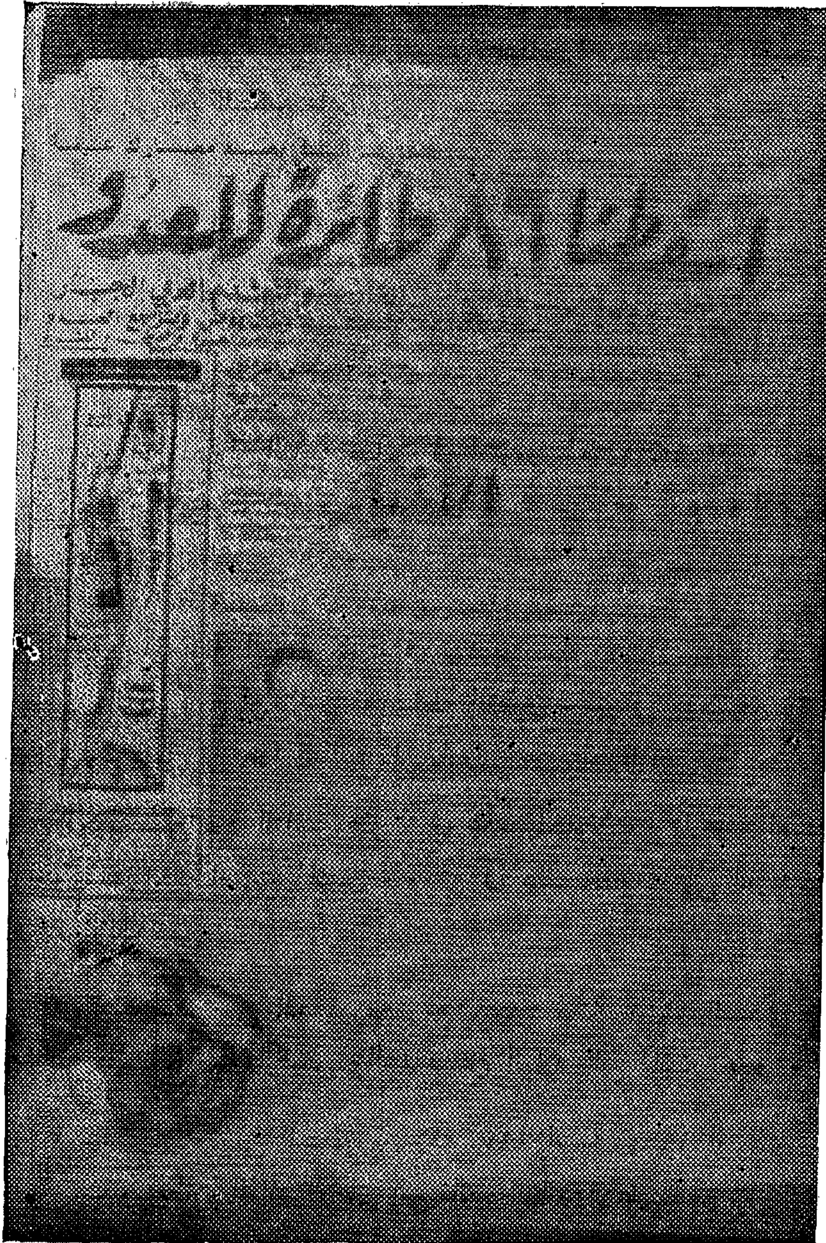
إن الفجيعة الكبرى التى حدثت لمصر فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ هزّت مصر هزّاً عنيفاً ، ونزلت بسمعتها إلى القاع ، وللأسف رقص النواب للمنهزم بدل أن يحاسبوه ، وعندما بدأت المعركة صدرت التعليمات للصحافة المصرية المملوكة للحكومة أن تكذب وأن تدّعى أننا انتصرنا ، وكأنّ النصر أو الهزيمة شىء يمكن أن يخفى ، وهذا يدل على عمق البلاهة ، وسرعان ما اتضحت الحقيقة الفاجعة ، وعلى الصفحة التالية صورة من صور النصر المزيّف .

وفى كل يوم تظهر معلومات عن هذه الحرب يشيب لها الولدان ، ونحن نرصد هنا هذه المعلومات لعلها فى يوم من الأيام تجد من يُعْنَى بها ، ويحاسب المسئول عن هذه المأساة .

وفى مذكرات الفريق أول محمد فوزى أحاديث مهمة عن الظروف التى سبقت هذه الحرب والتى أدت إلى نتائجها ، ونقتبس من أحاديثه لمحات تبرز لنا ما يمكن أن يكون خافيا على الكثيرين ، وأبرز ما يكرره الفريق أول محمد فوزى هو الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، ذلك الصراع الذى بدأ مبكرا ، والذى كان يهدف إلى التسابق فى السيطرة على الجيش ، وقد كان عبد الناصر أسبق من عبد الحكيم عامر فى الاتصال بالوحدات المختلفة بالجيش ، وفى ضمان ولائها له وكان ذلك قبل الثورة ، ولكن وجود عبد الحكيم عامر بعد الثورة كنائب أول للرئيس ، وقائد

---

(١) دكتور ابراهيم دسوقى اباظة : الخطايا العشر ٦٠ — ٦١ .



الادعاء الأبله بنصر مزيّف

عام للجيش جعله أقرب إلى قيادات الجيش من عبد الناصر ، وبخاصة أنه اعتمد على شمس الدين بدران وكان هذا ورفاق دفعته لا يتجهون بالولاء إلا إلى عبد الحكيم عامر •

وقد حاول عبد الناصر — كما يقول محمد فوزى — إقصاء المشير عن الجيش عدة مرات :

١ — كانت المحاولة الأولى فى عام سنة ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثى وما سبَّبه لمصر من خسائر •

٢ — أما المحاولة الثانية فكانت فى أكتوبر سنة ١٩٦١ عقب انفصال سوريا عن مصر ، وما نُسِب لعامر من أنه من أهم أسباب الحركة الانفصالية •

٣ — والمحاولة الثالثة كانت فى نوفمبر سنة ١٩٦٢ حينما حاول « مجلس الرياسة » أن تكون له سلطة التعيين والترقى بدءا من رتبة العقيد ، وقد قيل إن هذا الطلب كان بإيعازٍ من عبد الناصر •

والعجيب أن عبد الناصر هُزِم فى هذه المحاولات ، بل أنه أصدر قرارات تزيد اختصاصات المشير ، وكان فى ذلك مغلوبا على أمره ، أما هذه القرارات فهى :

١ — قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٧٨ سنة ١٩٦٢ الذى ترك المسئولية كلها الخاصة بالجيش والدفاع عن البلاد إلى المشير عامر •

٢ — قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٧ لسنة ١٩٦٤ الذى نقل اختصاصات وسلطات القائد الأعلى إلى نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

٣ — قرار رئيس الجمهورية رقم ١٩٥٦ لسنة ١٩٦٦ بأن يتولى شمس بدران معاونة نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة فى ممارسة اختصاصاته ويكون مسئولا أمامه •

وهكذا نجد تضاربا خطيرا بين محاولة اقصاء عامر أو تقليل سلطاته ، وبين توسيع هذه السلطات على حساب رئيس الجمهورية الذى ظهر مغلوبا على أمره (١) ٠

المشير يهدد :

وعندما أحس عامر بالضغط عليه مرة من عبد الناصر سافر إلى مرسى مطروح بعد أن كتب استقالته ، وختمها بقوله :

إنه يرجو ألا يبدر من أحدٍ ما قد يندم عليه مستقبلا (٢) ٠

وكانت هذه الاضطرابات بين الرئيس ومشيره من أهم أسباب ضعف الجيش وإثارة الخلل فيه ، ونضيف إلى ذلك أن المشير لم يكن حريصا على تقوية الجيش بقدر حرصه على السيادة عليه ، ومما يدل على عدم الحرص ما يذكره الأستاذ محمود رياض من أنه التقى مرة بعبد الحكيم عامر وعبد الناصر ودار الحديث حول ضرورة استعداد الجيش لمواجهة التحرش الذى تبديه إسرائيل من حين إلى آخر فطمأنه عبد الحكيم على ذلك ، ثم أخرج عبد الناصر ورقة من جيبه وناولها لمحمود رياض وكان آنذاك وزيرا للخارجية وقال له إن عبد الحكيم عامر يريد نقل عشرة من الضباط هذه هى أسماءهم إلى وزارة الخارجية ، ودهش رياض لأن هؤلاء الضباط كانوا ذوى كفاءات عالية ، وكان الجيش فى حاجة ماسة لهم وبخاصة فى ذلك الوقت ، وكان من بينهم أحمد اسماعيل الذى أصبح وزيرا للحربية ونفذ خطة العبور فيما بعد (٣) ٠

إن أرواح الشهداء ستمسك بتلابيب هؤلاء الأوغاد ، الذين كانوا يهتمون بالجيش حسب « المزاج » وليس حسب الكفاءات ٠

---

(١) الفريق أول محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ٣٤ – ٣٦ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٤ ٠
(٣) مذكرات محمود رياض ص ٤٤ ٠



الصديقان اللدودان : رمزان للهزائم وبينهما النائب الوفدى الأستاذ علوى حافظ

وبمناسبة طلب نقل هؤلاء الضباط إلى وزارة الخارجية نذكر أن الضباط من مطلع الثورة انسابوا فى كل المواقع والمرافق ، فى السفارات ومجالس الادارات والحكم المحلى والقطاع العام ، وكان ذلك من أسباب انهيار هذه المواقع لقلة خبرة هؤلاء الضباط بهذه الأعمال ، لقد خسرهم الجيش ، وضعت بسببهم الأعمال المدنية ، ولكنهم كانوا « أهل الثقة » كما ذكرنا من قبل .

المشير يرفض طلبات عبد الناصر :

وفى رحلة رسمية لعبد الناصر بطريق البحر كانت هناك مدمرتـان تحرسان الباخرة التى يركبها عبد النـاصر ، ولكن المدمرتين تعطلتا فى البحر قبل أن يصل المركب إلى غايته ، وغضب عبد الناصر لذلك ، وطلب من المشير عقاب مَنْ أهمل فى إعداد المدمرتين ، ولكن المشير لم يذعن لطلب الرئيس (١) .

ويحابى العسكريين على حساب المدنيين :

وتمادى المشير لإذلال عبد الناصر فاستصدر قانونا بأن المواطن المدنى الذى يشترك فى خصومة مع فرد عسكرى يقـدم إلى محكمـة عسكرية ، وقُدِّم هذا القانون إلى مجلس الأمة فى مـايو ١٩٦٦ وتمَّ اعتماده فى دقائق دون مناقشة (٢) .

وللمشير ميزانية نثرية خاصة :

وكما كان لعبد الناصر ميزانية خاصة باسم « مصروفـات سرية » تقدر بمليون جنيه فى العام ، فقد كان للمشير عـامر « ميزانية نثرية » كان حجمها السنوى قدره مليون ونصف إلى ٢ مليون جنيه ، وكانت هذه

---

(١) مذكرات محمود رياض ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

الميزانية الضخمة لا توضع تحت رقابة الدولـة ، وإنما تصرف بإمضاء أى ورقة من المشير أو شمس بدران أو على شفيق [١] ٠

منح ومكافآت للقوات المسلحة :

عمل المشير على كسب ولاء القوات المسلحة لشخصه فاستجاب لرغبات أفرادها دون حدود ، وشمل ذلك المساكن وصرف السيارات المدنية ، وزيادة المرتبات ، وكثيراً من المنح والتيسيرات لهذا الغرض [٢] ٠

المعركـــة :

تلك مقدمات أوجزناها مما كتبه محمد فوزى ومحمود رياض ، فإذا سرنا مع الفريق محمد فوزى إلى معركة ١٩٦٧ ، نراه أثبت صورا عجيبة كان لابد أن تحقق الهزيمة ، وفيما يلى نلتقط لمحات من هذه التصرفات ٠

— يثبت الفريق محمد فوزى أن أمريكا خدعت مصر بأن إسرائيل لن تضرب الضربة الأولى ، وأكدت أمريكا ذلك لعبد الناصر ، وفى نفس الوقت كانت أمريكا تعد العدة مـع إسرائيل لضرب مصر [٣] ٠

— وردت برقيات إنذار مـن مكتب مخابرات العريش بقيادة المقدم إبراهيم سلامة ، ومن الفريق عبد المنعم رياض الذى كان آنذاك بالأردن ، وهذه البرقيات تفيد أن إسرائيل تتحرك لضرب مصر ، ولكن هذه البرقيات لم تصل إلى القيادة العامة إلا متأخرة ، ولو وصلت فى وقتها وتحرك الجيش بمقتضاها لكان من الممكن أن تتغير الصورة ، وإذا صح ذلك فإن خيانة عظمى تكون وراء هذا التأخير [٤] ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠ — ١٧١ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٤٣ ٠
(٣) حرب الثلاث سنوات ص ١٤١ — ١٤٣ ٠
(٤) محمود رياض : مذكراته ص ٦٤ ٠
ومحمد فوزى المرجع السابق ص ١٣١ ٠

— أصدرت قيادة الدفاع الجوى أمراً إلى جميع المطارات وجميع عناصر الدفاع الجوى بين القاهرة وسيناء بالتوقف عن إطلاق النيران فى المدة من الساعة الثامنة إلى الساعة التاسعة صباح يوم ١٩٦٧/٥/٥ لأن طائرة المشير كانت فى الجو [١] .

والذى أصدر هذا القرار يرى أن سلامة المشير أسمى من سلامة مصر .

ويقرر محمد فوزى أن المشير تسرع فى تحقيق الهزيمة على مصر وذلك بأن أصدر فى الساعة الخامسة وخمسين دقيقة صباح يوم ٦ يونية أى فى اليوم التالى لبدء المعركة ، أصدر إشارة لاسلكية من القيادة العليا بانسحاب القوات المصرية إلى غرب القناة ويقول الفريق أول محمد فوزى إن القوات البرية فى سيناء كانت متماسكة ولـم يكن هناك ما يستدعى إطلاقا التفكير فى انسحابها .

وعن ذلك يقول محمود رياض [٢] : إن عبد الحكيم عامر هو الذى أصدر الأمر العشوائى بالانسحاب الشامل من سيناء ، وهو القــرار الذى كان بمثابة حكمٍ بالإعدام على قواتنا ومعداتنا المنسحبة من الجبهة .

— ثم أصدر المشير قرارا آخر بانسحاب القوات بأسلحتها الشخصيه فقط إلى غرب القناة [٣] أى أمر بترك الأسلحة الثقيلة .

ويورد الفريق أولمحمد فوزى [٤] قائمة بخسائر هذه الحرب وهى خسائر هائلة فى الأفراد والمعدات ، ويكفى أن نذكر منها

أنها فى القاذفات الثقيلة كانت ١٠٠٪
وفى القاذفات الخفيفة كانت ١٠٠٪ كذلك .

---

(١) محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ١٣٤ .
(٢) مذكرات محمود رياض ص ٧٩ .
(٣) محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ١٥٢ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦٠ .

وفى معدات القوات الجوية والدفاع الجوى كانت ٨٥٪ ٠

وفى معدات القوات البرية ٨٥٪ ٠

ويذكر الأستاذ محمود رياض أنه كان من الممكن ألا تتجاوز الخسائر ٢٠٪ لو وزعت الطائرات بطريقة أفضل ٠٠٠٠ (١) بدلا من تدميرها وهى رابضة على أرض المطارات العسكرية صباح الخامس من يونيو (٢) ٠

وبعد يومين من بدء المعركة أصبحت القوات المسلحة بلا قيادة وذلك قاع الهاوية (٣) ٠

ولنترك محمد فوزى لنسير خطوات أخرى مع حرب ١٩٦٧ وقادتها التعساء ، والحق أن القوات المصرية لم تكن مستعدة للدخول فى معركة مع إسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وهذه حقيقة واضحة ، ولذلك فكل تحرش بإسرائيل كان معناه تسليم الجيش المصرى ومعداته وأرض مصر للعدو ٠

ويقول الفريق أنور القاضى فى لقاء مع وجيه أبو ذكرى نشر بصحيفة الأخبار فى يونيو سنة ١٩٨٨ ما يلى :

فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ (أى قبل نشوب الحرب بأقل من ستة أشهر) أرسلت هيئة العمليات للقوات المسلحة تقريراً هاماً إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة « الفريق محمد فوزى » الذى وافق عليه ، **وفيه تحذير من الدخول فى مواجهة مع العدو الإسرائيلى ، وتجنب مواجهة إسرائيل فى هذه المرحلة بقدر الإمكان ،**

---

(١) مذكرات محمود رياض ص ٦٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٦١ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٦١ ٠

ولقد ذُكر فى هذا التقرير أن الكفاءة القتالية للقوات المسلحة ليست فى أحسن حالاتها ، وأن التجهيزات دون المستوى ، وأن المعدات مستهلكة تقريبا بسبب حرب اليمن • وأن لدينا نقصا فى الأفراد بسبب اليمن لا يقل عن ٣٧٪ وأن أرض المعركة لم يتم تجهيزها وسوف يستغرق ذلك وقتا طويلا ، وأن القوات ينقصها الكثير حتى يمكن تنفيذ الخطة « قاهر » ، وهى الخطة الدفاعية التى وضعتها القوات المسلحة قبل الحرب بفترة طويلة ، وأن الوقت الذى يمكن أن يتم فيه كل هذا يحتاج إلى شهور طويلة وأموال طائلة وجهد وعرق ، ولقد حرصتُ أن أقول بصوت مرتفع يجب أن نتجنب الحرب مع إسرائيل حتى نستكمل استعداداتنا •

وقد صدَّق الفريق فوزى على هذا التقرير وأرسله إلى القيادتين السياسية والعسكرية ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى المشير عبد الحكيم عامر •

كان هذا التقرير فى ديسمبر عام ١٩٦٦ وكان هذا وحده يكفى لتجنب الحرب مع إسرائيل ولكن الذى حدث أن القيادة السياسية بإرادتها ، وبالرغم من علمها تماما بحالة القوات المسلحة قد اتخذت من الإجراءات والقرارات الخطيرة ما تعتبره إسرائيل إعلان حرب ، وكان أخطر هذه القرارات هو إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة البحرية الإسرائيلية ، وقد عارض اتخاذ هذا القرار ، رجل واحد هو المهندس صدقى سليمان رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت •

ولكن • • • • • •

لم يكن عبد الناصر جادًا فى دخول الحرب ، وكان يقوم بمظاهرة عسكرية ليكسب بعض المكاسب فى الشارع العربى ليقال إنه أنقذ سوريا

من الحشود الإسرائيلية ويخرس ألسنة الصحف العربية والإذاعات العربية . ولكنه لم يخرس الالسنة ، وإنما أطلقها تنهش عظامه بعد أن نهشت أظافر العدو أرض الوطن وشبابه ، وكان إغلاق خليج العقبة وطرد المراقبين الدوليين من شرم الشيخ دافعا لإسرائيل لتكوين وزارة حرب برياسة اشكول ، ودخلها موشى ديان ويوسف سابير ومناحم بيجين ، والثلاثة من صقور الحرب ، وأخذت إسرائيل المسألة مأخذ الجد ، ولكن كل هذا لم يوقظ عبد الناصر وظل فى « تهويشه » .

ولننتقل إلى قائد آخر من قادة معركة ١٩٦٧ ليحدثنا عن أحوال الجيش المصرى قبيل المعركة . يقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى (١) :

« مضى بنهاية يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ ثلاثة أسابيع على رفع درجات الاستعداد للقوات وفتحها تعبويا فى سيناء ، ولم تستقر الأوضاع بعد ولم تنته القيادة العليا إلى قرار حاسم محدد واضح ، فالخطة الدفاعية « قاهر » فقدت فاعليتها بمرور الأيام ، فمرة يركز المجهود الرئيسى للدفاعات فى القطاع الأوسط ، وأخرى يوجه الاهتمام إلى الغردقة ، فترسل لها القوات البرية والبحرية والجوية ، ومرة — بناء على تدخل الزعامة السياسية — يتحول الاهتمام الى شرم الشيخ ، ثم لا يلبث أن يتحول الى القطاع الشمالى ، ثم تتوهم القيادة العليا بناء على نصيحة تقدم لها بأن القطاع الجنوبى لا يقل أهمية عن غيره فتحرك القوات إليه .

« وقد كان أبرز الأخطاء القاتلة التى وقعت فيها القيادة العليا ، هو الذى تمثل فى دفعها بكل القوات المتيسرة فى الجمهورية الى سيناء ، دون الاحتفاظ باحتياطيات كافية خارج مسرح القتال ، يمكن استخدامها فى مجابهة المواقف الطارئة أو لاستغلال نجاح لاح فى منطقة ما . وقد

---

(١) « الفريق مرتجى يروى الحقائق » فى أمكنة مختلفة من هذا الكتاب .

تركت منطقة غرب القناة الى القاهرة عارية تماما من القوات المقاتلة ذات الفاعلية ، ومن هنا أعلن عبد الناصر عقب الهزيمة أنه لم يكن هناك جندى واحد بين الزحف الإسرائيلى والقاهرة •

« أما بالنسبة للقوات البحرية ، التى كانت تملك تفوقا على إسرائيل ، فقد أفلحت إسرائيل فى توزيعها على البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وقد أُرسل القسم الأكبر والأكثر ، فاعلية الى البحر الأحمر تحت فكرة خاطئة بأن عمليات اسرائيل ستوجه ضد شرم الشيخ والغردقة ، وبذلك بقيت هذه القوات بدون استغلال •

« فإذا انتقلنا إلى القوات الجوية فإننا نذكر أن عدد الطيارين كانوا أقل من عدد الطائرات الصالحة ، ولم تكن الخدمة الأرضية الفنية على المستوى المطلوب فى جميع الحالات ، وكانت وحدات اصلاح المطارات والممرات ينقصها معدات الاصلاح الحديثة ، ولم تسْلَم وحدات التوجيه من العجز ، كما أن الدفاع المضاد للطائرات لم يكن كافيا ، بل ان بعض المطارات تركت بلا أسلحة مضادة للطائرات ! وإذا وجدت تكون مقصورة على الرشاشات التى لا تصلح الا للهجوم المنقض المنخفض » •

إن الهزيمة كانت بلا شك من القيادة السياسية ، وهذه القيادة لابدَّ يوما أن تُحاسب على الدم والأرواح التى ضاعت نتيجة إهمالها : هذا الإهمال الذى سجله قادة المعركة ، وتُحاسب كذلك على سمعة البلاد التى هوت كأثر من فوضى الجهلاء الذين حملوا عبئا سياسيا فاتجهوا للمتع والسرقات ، ونسوا تماما حق الوطن والمواطنين ، لعنة الله على هؤلاء إلى الأبد •

الجاسوس اليهودى باروخ نادل :

بقيت كلمة عن حرب ١٩٦٧ توضح غفلة المخابرات المصرية التى اتجه اهتمامها للتجارة والمرأة ، فإن الجاسوس اليهودى باروخ نادل

انتحل شخصية (أرام أنور) التركى الذى مات سنة ١٩٥٤ ، وظل يلعب هذا الجاوس دوره دون أن تكتشـــفه المخابرات المصريـــة حتى تحطيم الطائرات المصرية صبيحة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ حيث فرّ •

وهذا الجاسوس يحكى قصته فى كتابه « تحطمت الطائرات عنـــد الفجر » ويصف الليلة الساهرة التى عاشها كبار ضباط الطيران والتى ظلت حتى صبيحة الخامس الحزين ، والتى كانت حافلة بالخمر والنساء والموسيقى ولم يستيقظ الساهرون إلا على القصف المدوى الـــذى أكل الطائرات المصرية •

جهل قادتنا بخطورة الأسطول السادس :

وإذا كان عبد الناصر ليس جادا فى دخول معركة مع إسرائيل وكان يقوم بهذا فى مجال التهويش ، فإن مَنْ حوله كانوا يأخذون المســألة مأخذ الجد ، ولم يعرفوا الهدف الذى كان فى نفس الزعيم ، وفى ضوء إحساس الوزراء والكبار أثير فى مجلس الوزراء احتمال دخول أمريكا الحرب مع إسرائيل وبخاصـــة أن الأسطول الســـادس موجود بالبحر المتوسط ، فردّ وزير الدفاع الجاهل شمس بدران عـــلى الوزراء ردا تهكميا هـــو : **الأسطول السادس يطلّع ايه ؟ عندنا ما يقضى عليه** (١) •

ويبدو أن شمس بدران حسب أن الأسطول السادس زورق مـــن زوارق النزهة التى كانت كثيرة الاستعمال آنذاك فى المغامرات والنزهات النهرية •

الغفلة قبل حرب ١٩٦٧ :

نثبت فيما يلى لقطات من حديث **للأستاذ أنيس منصور** نشره فى أخبار اليوم بتاريخ ١٩٨٧/٢/٢١ ونصه :

---

(١) تحطمت الطائرات عند الفجر ص ٢٨٦ — ٢٨٧ •
(١) موسى صبرى : السادات ص ٤٩٣ ومذكرات محمود رياض ص ٥٤ •

الادعاءات والأحلام :

تذكرتُ أن المخابرات الحربية قد دعتنى لمشاهدة قواتنا على الجبهة ومشاهدة النصر المؤكد لنا على إسرائيل ••• فما إسرائيل هذه إلا دولة صغيرة عالية الصوت ، ومَنْ هم زعماءها وقادتها ؟ •• وأين هؤلاء من زعيمنا جمال عبد الناصر ، إنها نزهة بالبر والبحر والجو •• ساعات وبعدها نعود نتغنَّى بالنصر الساحق الماحق بعدونا •

وكنا خمسة من الصحفيين واثنين من المصورين أركبونا سيارة حربية وزودونا بالخبز والطماطم والخيار والجبنة والمياه الباردة والبرتقال ، وعبرنا القناة واتجهنا إلى أرض المعركة ••• معركة الساعات وينتهى كل شىء • وتنتصر مصر وسوريا والأردن وتعود فلسطين إلى أهلها وبأسلحة الأشقاء العرب الذين تكاثروا على العدو ••• وفى ضربة واحدة ينتهى كل شىء •

جوع قاتل للجنود على الجبهة :

وفجأة اعترضنا أحد الجنود ، وكان الجندى يقف فى منتصف الطريق ، فوقفت سيارتنا ، واندهش السائق العسكرى وضباط المخابرات المرافقون لنا ، إذ صاح هذا الجندى قائلا : يا أفندم •• إننا منذ ثلاثة أيام لم نذق طعاما •

وتعالى صوت الضباط المرافقين لنا يستنكرون ما قاله الجندى ، ولكن الجندى لم يهتز ولم يأبه للزعيق والتهديد •• وشعر الضابط بخجل وحرج من وجودنا ، ونزل واحد منهم واقترب من الجندى الذى ضم قدميه ورفع يديه للتحية ، ولكنه لم يغير من موقفه أو لهجته أو ملامح وجهه • بينما أطل جندى آخر من الدبابة الواقفة على جانب الطريق يتابع ما يسمع ويرى ، وتسابقنا جميعا فى تقديم كل ما لدينا من طعام لهذا الجندى ، ولم يشأ أحد من الضباط أن يفسر لنا ما حدث ، ولكن واحدا من الزملاء قال بصوت مسموع : لا يستطيع أى جندى أن يتجرأ

على الضابط بالقول والإصرار والصلابة التى شاهدناها إلا إذا كان فلا يوشك أن يموت من الجوع ٠

المواصلات السلكية واللاسلكية مقطوعة بسيناء :

وسألنا الفريق مرتجى ، أين تبيتون هـذه الليلة وقلنا : طبعا فى العريش ٠٠٠ لكى نرى العدو زاحفا على يديه وركبتيه يطلب الاستسلام ٠

وحاولنا أن نتصل بالعريش تليفونيا فلم نفلح ، فالفريق مرتجى شخصيا لا يستطيع أن يتصل بالقوات عند العريش ، فالمواصلات السلكية رديئة جدا ٠٠ فلم نتمكن من حجز غرفتين أو ثلاثا نبيت فيها ٠

الشباب ضحايا التهور والدعاية :

وكان الشباب فى أى مكان ولأيّة مناسبة يخطبون ويلقون القصائد الملتهبة ويجمعونها ويضعونها أمانة فى عنقى لكى انشرها عندما أعود إلى القاهرة ، وقابلت عددا من الأقارب حديثى التخرج فى الكليات ، وكنت آخر من رآهم رحمة الله عليهم جميعا ، وعلى عشرات الألوف من أمثالهم فى اليمن وفى سيناء ٠

قابلنى شاب واقترب منى يقول : أمانة يا اونكل ٠٠ أنا ابن الأستاذ محمد أمين حماد رئيس التليفزيون ٠٠ أرجو أن تبلّغ والدى بأننى لم اذهب إلى اليمن ، وأننى هنا فى الجبهة وأننى سوف أعود فى أقرب وقت ٠

ولم افهم ، فعاد يقول : إن جبهة اليمن خطيرة ٠٠٠ أما هنا فأمان تماما ٠

وقامت معركة الساعات الست وابتلعت الحرب شبابنا الأبرياء الذين سيقوا كما سيق إخوان لهم إلى اليمن دون أى استعداد ولا رعاية ٠

ومع هذا لا يزال هناك من يترحم على هؤلاء القادة ، الذين كانوا آسادا على الشعب وكالنعام فى مواجهة المشكلات ٠

عائد البترول وعائد قناة السويس :

ويرتبط بهزيمة ١٩٦٧ موضوع مهم هو أن مصر خسرت بسبب هذه الهزيمة الشنيعة أعلى مصدرين من المصادر المالية وهما عائد البترول وعائد المرور بقناة السويس ، ومن المعروف أن أهم مناجم البترول أيضا تقع فى سيناء ، وحولها ، وأن قناة السويس توقفت وتعرضت للتلف ، هـذا بالإضافة لخسائرنا البشرية ولضياع الأسلحة التى يقدر ثمنها بمئـات الملايين .

ولم يكن هناك مـا يحل محل هذين المصدرين المهمين من مصادر المال ، ولذلك لجأت حكومة عبد الناصر إلى القروض من كل مكان وإلى التسول من البلاد العربية بوجه خاص .

قادة مصر عقب الهزيمة :

نحن دولة تقع فى قارة افريقية ما فى ذلك شـك ، وكـانت الدائرة الافريقية إحدى الدوائر التى اهتم بها عبد الناصر فى كتابه « فلسـفة الثورة » وتبعا لذلك كان علينا أن نلتزم بتقاليد القارة وآدابها ، وقـد أوردت فى الجزء السادس من هذه الموسوعة الخـاص بتاريخ افريقية **أن التقاليد المعروفة عند قبائل اليوروبا بافريقية تقضى أن الملك إذا أرسل حملة عسكرية وفشلت فإنه يقتل نفسه قبل أن تعود الحملة المهزومة إلى أرض الوطن ، وإذا لم يقتل الملك نفسه فإن الشعب يرى أن تنفيذ القانون أمر لا مفر منه ، وهكذا كان حق إعلان الحرب يعنى الانتصار أو الموت بالنسبة للملك** (١) .

ولكن الذى حدث فى مصر هو تشبث ناصر وعامر بالحياة والسلطة على الرغم من الهزيمة التى خلقاها .

---

(١) فجر التاريخ الافريقي ترجمة عبد الواحد الابيارى ص ٩٠ .

انتصارات الحضارة على التخلف سنة ١٩٦٧ :

وبمناسبة الحديث عن حرب يونيو يذكر اللواء حافظ إسماعيل [1] ، أن انتصار إسرائيل كان انتصارا للمجتمع الديمقراطى أمام المجتمع المصرى الديكتاتورى المتخلف ، فإسرائيل بلد المليونين ونصف المليون تنتصر على أكثر من أربعين مليونا فى المناطق المواجهة ، وقد توقف القتال بعد أن حققت إسرائيل كامل أهدافها الاستراتيجية ، باحتلال سيناء والوصول إلى قناة السويس وإعادة فتح خليج العقبة لملاحتها ، ثم كذلك باحتلال القدس والوصول إلى نهر الأردن واحتلال هضبة المرتفعات السورية (الجولان) وأعلنت إسرائيل فى كبرياء سقوط اتفاقات الهدنة وألا عودة لخطوط يونيو ، ونالت إسرائيل بذلك فوق ما تمنت •

رأى موسى ديان فى سياسة عبد الناصر :

وأعلن موسى ديان تصريحا خطيرا نصه : إن ما حققناه من نصر كان أكثر جدا مما تمنيناه ، ولو أن أكثر أعداء مصر قد وضع تخطيطا لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة عبد الناصر •

أسئلة وإجابات خطيرة :

وهنا تخطر بالبال أسئلة مهمة هى :

١ — لماذا أقدم عبد الناصر على معركة بدون استعداد ؟

الإجابة : التهويش والدعاية من جانب ، واعتقاده — كما قلنا — أن التهويش لن يسبب حربا — ثم إنه — كما يقول الفريق أول محمد فوزى لم يكن يعرف قواته ولا قوات العدو ، وتلك أخطر وصمة يوصم بها قائد أو رئيس •

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ١٢٤ •

وقد رأينا من قبل أن عبد الناصر توهم سنة ١٩٥٦ أن الولايـات المتحدة لن تشترك في عمل عسكري ، وبالتالي لن تقدم إسرائيل على حرب ، وأن فرنسا مشغولة بالجزائر ، .... وعبد الناصر كان أسير أوهامه ، وضاعت هذه الأوهام سدى وهاجمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مصر ....

ولم يتعلم عبد الناصر ، وظل يتبع أوهامه القاتلة ، فقد كان يدرك تماما أن مصر غير مستعدة للحرب ، ولكن توهم مرة أخرى أنه سيحقق بالتهويش بعض المكاسب دون أن تقوم حرب .

ودفعت مصر ثمنا غاليا لهذا الوهم الذي حسبه عبد الناصر الهاما لا يخفق ، وقد فشل سنة ١٩٥٦ وفشل في الوحدة مع سوريا ، وفشل في اليمن ، ثم فشل سنة ١٩٦٧ ، ولكن الرجل لم يتعلم وبقى أسير أوهامه حتى مات .

ويرى بعض المفكرين أن عبد الناصر أراد بالحرب أن يتخلص من عامر بعد أن عجز عن التخلص منه بدون حرب ، وإذ كان الجيش يؤيد عامر ضده فإن عبد الناصر كره هذا الجيش واعتبره عدوا له ، وإذا صح ذلك فإنها الخيانة العظمى .

٢ — لماذا كانت الهزيمة سريعة ؟

الإجـابة : إن القائد كان هشا ، كـان أسـدا على العزل مـن المصريين ، ولكنه كان فأرا أمام العدو ، فانهار بسرعة ، وانهياره أدى إلى انهيار القوات .

٣ — لماذا وصلت الخسائر إلى هذا الحجم الضخم ؟

الإجابة : إن انهيار عبد الناصر وقواته شجع العدو على مزيـد من التقدم لم يكن يطمع فيـه فسرعان ما أحس العدو أن لا شيء يقف أمامه فواصل زحفه دون خسائر ، وحقق نجاحا لم يكن يتوقعه ، وكان

يمكن أن يحقق نجاحا أكثر لولا الرأى العام العالمى ، فقد أعلن عبد الناصر بدون خجل كما ذكرنا من قبل أنه لم يكن هناك أى جندى بين العدو والقاهرة .

مجزرة الأبرياء :

وهنا يتحتم أن نذكر كتاب « **مجزرة الأبرياء** » للأستاذ وجيه أبو ذكرى ، فقد سيق شباب مصر للموت بالآلاف وبدون تدريب على الإطلاق ، وبدون تسليح ، وبدون أجهزة ، وبدون خطة . بل وبدون طعام .

والمسئول الأول والأوحد عن هذا هو عبد الناصر ، فهو الذى أثار إسرائيل دون استعداد ، وهو الذى أطلق الكلاب بالداخل تقضى على حماسة المصريين وشرفهم ، منذ عين صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران وعلى شفيق ليكونوا صقورا وهم أضعف من اليمام ، ليكونوا قادة وهم فى ذلة العبيد .

ويقول الأستاذ إسماعيل النقيب تعليقا على ما أثير حول جانب من جوانب الفجور فى ذلك العهد كشفت عنه امرأة فى كتاب ساقط : العجيب أن السادة أصحاب الأقلام قد أدانوا « اعتماد خورشيد » . مؤلفة الكتاب ، لأنها أعلنت عن كبائر الإثم والفواحش ، ولم يحاكموا الأفعال ذاتها ، حاكموا الإعلان ولم يحاكموا الأفعال ، وقد اتضح أن الثورة المصرية بمبادئها الستة دخلت غرف نوم الحريم ، والمحظيات ، ولم تدخل ساحة العمل الثورى (١) .

أمراض نفسية نتيجة حرب ١٩٦٧ :

جرت دراسات نفسية قام بها اثنان من المتخصصين أكدت أن نسبة المصابين من الجنود الذين تحولوا إلى العلاج النفسى كانت ١٤٫٨٪

---

(١) الاخبار فى يونيو ١٩٨٨ فى ذكرى الهزيمة السوداء ومجزرة الأبرياء للاستاذ وجيه ابو ذكرى .

وكانت أمراضهم بالترتيب : هستريا عضوية مع قلق ، قلق مع اكتئاب .. هوس .. وانتهت إلى الإنهاك والجفاف .

وتجاوزت الأمراض النفسية الجنود إلى المدنيين وبخاصة إلى الأدباء والشعراء والكتاب — الذين تشتد حساسيتهم ، وقد سقط بعض هؤلاء مرضى وأرسلوا للعلاج بالخارج (١) .

وأمراض اجتماعية :

احترقت الجسور بين الفرد والمجتمع ، وابتعد القادرون — بالهجرة — عن السفينة الغارقة ، واهتزت صورة الحاكم ، وفقدت الجماهير ثقتها فى القيادة ، واحترق الضمير الاجتماعى فظهرت الفرصة مناسبة للغرق فى تجارة اللذة ، ومن هنا انطلقت الرغبات والأهواء بلا حدود — : جنس — رشوة — فساد — لا مبالاة ... (٢) .

حركة الاستنزاف ونتائجها على مصر :

وقبيل نهاية عبد الناصر بدأ ما سمى « معركة الاستنزاف » بقصد رفع الروح المعنوية للقوات المصرية ، وجعل الحياة على الضفة الشرقية غير محتملة بالنسبة لليهود ، ولكن إسرائيل كثفت دفاعاتها الأمامية وضرباتها لقواعد دفاعنا الجوى ، وقامت قواتها بعمليات عبرت بها قناة السويس وخليج السويس ، وخلال شتاء ٦٩/١٩٧٠ بادرت بضرب أهداف عسكرية واقتصادية وجماهيرية فى العمق ، بقصد إضعاف قدراتنا على مواصلة القتال .

مصر فى حماية السوفييت :

ثم يتحدث محمد حافظ إسماعيل عن الكارثة الكبرى ، وهى أن تتولى عناصر من القوات السوفيتية إدارة شبكة الدفاع الجوى بين

---

(١) عادل حمودة : الهجرة الى العنف ص ٨٩ — ٩٠

(٢) المرجع السابق ص ٩٠

الاسكندرية وأسوان إلى أن يتم تدريب الوحدات المصرية على القيام بهذا العمل (١) .

وهكذا تحتل إسرائيل بعض بلادنا ، ويقع الباقى من مصر تحت حماية السوفييت ، ومع هذا لا يزال هناك من يمجد عبد الناصر .

معاناة الجيش من الثورة :

عانى الجيش من الثوار صوراً من الاضطراب والقلق ، ومن الثابت أن ما عاناه الجيش من الثوار لا يقل عما عاناه الشعب من هؤلاء الثوار لعنهم الله .

ومن الضباط الذين نكلت بهم الثورة لاتجاهاتهم الديمقراطية ولانحراف الثورة عن مبادئها ، أحمد المصرى ومحمود حجازى وصبحى القاضى وأحمد حمودة وفاروق الأنصارى وغيرهم ، وبلغ بهم الإيمان بما نادوا به ، إلى تكوين سرى داخل سلاح الفرسان ، لقلب مجلس الثورة وإيجاد نظام ديمقراطى بعد أن تمكنت الثورة من ضرب الديمقراطية فى أزمة مارس ، ولكن التنظيم كُشِفَ أمره ، وحوكموا أمام محكمة ثورية أصدرت أحكامها على ١٦ ضابطاً بالسجن مددا متفاوتة ، كذلك كان من ضباط الثورة الشرفاء الذين طالبوا بعودة الجيش إلى ثكناته وإفساح السبيل للحياة الديمقراطية القائم مقام أحمد شوقى الذى كان أكبر الضباط رتبة بعد محمد نجيب والذى كتب فى جريدة « المصرى » يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ ، يتهم الثورة بصراحة بالانحراف عن مبادئها ويقول :

هل كان من أهداف الثورة أن تحكم البلاد ؟

هل كان من أهداف الثورة أن تكمم الأفواه وتقييد الحريات ؟ .... ؟

هل كان من أهداف الثورة أن يزج بالمواطنين الجانى منهم والبرىء فى السجون ؟ وأن تمتلأ بهم المعتقلات ؟

---

(١) أمن مصر القومي فى عصر التحديات ص ١٥٤ .

هل كان من أهداف الثورة أن تتقحم الجيش فى السياسة وفى كل مرفق من مرافق البلاد ؟

أليس هناك من أبناء مصر من يستطيع القيام بالأعمال المعهود بها الآن لبعض ضباط الجيش حتى يتفرغ هؤلاء الضباط إلى النهوض بجيشنا لكى يتمكن من القيام برسالته ؟

إذاً عودوا إلى صفوفكم فى الجيش .

ومن الضباط الذين ثاروا على انحرافات الثورة اللواء عبد القادر عيد ، الذى رفع مذكرة للرئيس عبد الناصر وللمشير عامر عقب الانفصال عن سوريا ، وطالب فى هذه المذكرة ببعض إصلاحات من بينها الأخذ من الاشتراكية بما يتناسب مع الإسلام ، وتقديس حرية المواطنين والبعد عن التكتلات السياسية شرقا وغربا ، وفوجىء فى ٢٥ مايو ١٩٦٢ بأفراد من الشرطة العسكرية يقتحمون منزله ويحطمون أثاثه ويعتقلونه مكبلا بالحديد ومعصوب العينين لمبنى المخابرات العامة حيث كان فريسة لكل أنواع التعذيب ، وحيث اتهمته مراكز القوى فى ذلك الوقت بأنه يدبر ثورة مضادة لنظام الحكم .

ثم أحالوه إلى محكمة الدجوى مع عدد من زملائه فقضت عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم ادعوا — بقرارات رسمية — وفاته ، وصرف معاش لزوجته مع أنه حى يرزق .

وفى سنة ١٩٨٢ رفع دعوى تعويض عما أصابه من تعذيب هو وأسرته ، وشهد ثمانية شهود بأن اللواء عيد رفض منصب الوزارة مرتين عام ١٩٥٩ و ١٩٦١ تمسكا بعسكريته ، وأنه كان بطلا فى حرب ١٩٥٦ واعتقل بواسطة المخابرات العامة عام ١٩٦٢ إثر تقديمه لمذكرة لإصلاح بعض الأوضاع العامة ، وناله كثير من صنوف التعذيب المادى والمعنوى ، وتمثل التعذيب بضربه بالسياط والعصى ، ووضعه تحت الدش الكهربائى ، وآلة الرعش الكهربائى ، والكرسى الكهربائى ، وحقنه فى النخاع الشوكى ،

واحتلال فصيلة عسكرية لمسكنه وانتهاك حرمتــه لإكراهه عــلى توقيع إقرار بتزعمه تنظيما يضم مجموعة من كبار العسكريين والمدنيين ورجال الدين لقلب نظام الحكم ٠

وأصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمها بالزام رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس المخابرات العامة متضامنين بدفع مبلغ ٢٠ ألف جنيه للواء عيد وأسرته تعويضا عما لقيه من تعذيب عام ١٩٦٢ بدعوى تدبيره لانقلاب ضد نظام الحكم ، والادعاء بوفاته لأنه طالب بتقديس حرية المواطنين ٠

وقالت المحكمة إن المدعي قد لاقى صنوفا من التعذيب تقشعر منها الأبدان وأهدرت آدميته بطريقة تشيب منها الولدان ، بالاضافة إلى مــا أصابه من آلام نفسية وأحزان مع أنه كان مــن خيرة الضــباط بالقوات المسلحة فى ذلك الوقت ، وأدى دورا بارزا فى حرب ١٩٥٦ ورفض ٣ أوامر بالانسحاب من منطقة خليج العقبة وصمم على القتال حتى آخر رجل ٠

وقد صدر الحكم لصالحه فى يونيو ١٩٨٣ ٠

عبد الناصر يعانى هو أيضا من الجيش :

وكما عانى الجيش من عبد الناصر عانى عبد الناصر من الجيش ، فقد كان عبد الناصر يعيش فى ذعر من الجيش ، ويتوقع دائما أن يقوم الجيش بتحركات ضد الثوار ، ولذلك استأجر شققا بمداخل القــاهرة لمراقبة ما يمكن أن يحدث من تحركات الجيش تجاه القاهرة ، ووفر لهذه الشقق وسائل مواصلات سريعة تنقل الأخبار عن أى تحركات ٠

عصابة ومساقيط :

وأهم ما نختتم به هذه الدراسة الموجزة هى جملة رواها أنور السادات عن عبد الناصر هى : يا أنور البلد تحكمها عصابة [1] ٠

---

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والأسطورة ص ٣٥٥ ٠

وهذه الجملة صادقة كل الصدق ، ولذلك يميل كثير من الباحثين إلى استعمال كلمة « عصابة » للتعريف بما أسموه « ثورة » والذى لا شك فيه أن عبد الناصر والمشير كانا زعيمين لهذه العصابة ٠

وهناك جملة أخرى يذكرها أنور السادات هى :

تحول الناس فى مصر إلى مساخيط [١] ٠

أخطاء الثورة وقعت فى طول عهدها

ويقول أنور السادات كذلك إنه من مطلع الستينات بدأت الثورة فترة المعاناة والآلام والهزائم والنكسات والأخطاء البشعة من جانبنا [٢] ٠

والحق أن الأخطاء البشعة صاحبت الثورة ليس فقط من الستينات بل من مطلع قيام هذه الثورة كما وضحنا ذلك فى الجزء السابق الخاص بعهد عبد الناصر ، واعتقادى أن السادات أغفل الخمسينات قصداً حتى تظل هناك فترة يَنْسُبُ للثورة فيها بعضُ المفاخر حتى يعيش فى ضوئها ، والحق أن الأخطاء البشعة المرتبطة بالخمسينات لا تقل بأى حال عن الأخطاء البشعة التى ذكرها السادات عن الستينات :

ففى أغسطس سنة ١٩٥٢ حكمت المحكمة العسكرية التى شكلها مجلس الثورة بالإعدام على قائدين من قادة العمال هما خميس والبقرى ونفذ فيهما حكم الاعدام ٠

وفى نفس العام ألغى الدستور وهو أبو القوانين ، ثم حلّت الأحزاب فى مطلع ١٩٥٣ ، وتم الاستيلاء على أملاك الناس بما سمى القضاء على الإقطاع دون رحمة من جانب ، ودون ملاحظة مصلحة

---

(١) البحث عن الذات ٠٠٠٠ ص ٢٨٩ ٠

(٢) البحث عن الذات ٠٠٠٠ ص ٢٠٢ ٠

مصر من جانب آخر ، وحدد الإيجار ولا يزال ذلك التحديد حتى الآن ، ويشكو منه كل الناس ولا من مجيب .

وفى الخمسينات حدثت أحداث فبراير ومارس سنة ١٩٥٤ واعتدى الغوغاء والمأجورون بقيادة الضباط بالضرب على الدكتور السنهورى وأعضاء مجلس الدولة .

وفى الخمسينات نكل بالإخوان المسلمين تنكيلا بشعا ، وقتل ستة من قادتهم فى قمتهم العلامة الأستاذ عبد القادر عودة ، وامتد نطاق الاعتقالات فشمل الساسة ورجال الدين ، وكان التعذيب أسلوبا متبعا مع الرجال والنساء ، وفى الخمسينات ظهرت المحاكم بأسمائها المختلفة : المعسكرية ، الغدر ، الثورة ، الشعب .

وفى الخمسينات فصل بعض أساتذة الجامعات الذين رفضوا أن يسيروا فى الركب الظالم .

وفى الخمسينات حدث العدوان الثلاثى وقد تناولناه من قبل ، وأبرزنا نتائجه .

وفى الخمسينات حدثت الوحدة مع سوريا : تلك الوحدة المشئومة التى كانت قصيرة العمر والتى تسبب عنها صور من الفشل العسكرى والخلقى والمادى أثر على مصر عدة سنوات .

ونقرر أن ما يدعيه أنور السادات عن تكشر أخطاء الثورة على الستينات يتناقض مع قوله فى نفس الكتاب (١) .

إن النجاح لم يحالفنا بعد الثورة لأسباب مهمة ، أشدها عدم وضح الرؤية بالقدر الكافى ، لا فى وقت مجلس قيادة الثورة ، ولا بعد أن أصبح

---

(١) البحث عن الذات ... ص ١٢٠ .

عبد الناصر رئيسا للجمهورية ، وقد كان بطبعه كثير الشك ، ولذلك انشغل بأمنه عن الرؤية البعيدة ، وعن أهم وأثمن ما فى الوجود وهو الإنسان ، ففى غمرة شكوك عبد الناصر وانشغاله بأمنه حدثت فى مصر أخطاء جسيمة ضد أخطر وأهم ما كان يجب أن نحرص عليه ، وهو آدمية المصرى وإنسانيته •

ذلك قول صريح وحاسم ، لقد كانت الثورة وبالا على الإنسان ، وعلى الفكر ، وعلى الاقتصاد ، ولن تعود البلد إلى طبيعتها إلا بعد أن تنتهى ذيول هذه الثورة اللعينة •

التطور والجمود

من التزامات المؤرخ فى العصر الحديث أن يحاول الدقة فيما يرويه من أحداث ، ثم أن يجيد التعليق عليها بما يدفع قومه إلى حياة أفضل •

ولقد عاصرتُ هذه الحركة المشئومة التى تسمى ثورة ، ورأيت الناس وقد تفانوا فى حب عبد الناصر كما لم يحدث لسواه على الإطلاق ، وكنت فى قمة الدهشة من تصرف الناس ، هؤلاء الذين لم يروا شيئا من أفضاله ، ورأوا الكثير من أخطائه القاتلة ، ومع هذا يحبونه ، وبعضهم أخذ يفلسف هذا الحب فيقول إنه هو الذى أخرج الإنجليز من مصر ، وقد قلنا من قبل إن الإنجليز خرجوا من كل المستعمرات ، وأن جمال عبد الناصر جلبَ لبلادنا أخطر استعمار عرفته البشرية وهو الاستعمار الصهيونى ، ومات الرجل وهذا الاستعمار يسيطر على جزء مهم من أرضنا ويهدد الباقى •

وقالوا إنه أنشأ السد العالى ، وبالغوا فى حسناته ، ونسوا أن مصر عاشت آلاف السنين بدون السد العالى ولم يمسسها سوء ، ثم إن السد العالى ليس إلا واحدا من السدود التى أُقيمت على النيل ، قد يكون أكبر من غيره ، وهذا طبيعى فمع الزمن يصل الخبراء فى هذا

المجال وغيره إلى الأحسن والأنفع ، ومع هذا فالذى يطالع رأى المهندس أحمد عبده الشرباصى فى أضرار السدّ يتردد فى اجلاله لهـذا الحدّ ، ثم إن السد العالى أقيم لتوسيع رقعة الأرض الزراعية ، ولإقامة مصانع على ما يولّده السد من كهرباء ، ومرّ الزمن ولم تتسع الأرض الزراعية ولا أقيمت المصانع .

ولكن السد العالى على أى حال اذا قيس بالتطور الذى سنشير إليه ، فإنه يعتبر لا شىء على الإطلاق ، والقارىء الفاضـل يدرك أن صيحة عالية ومتكررة قام ويقوم بها رؤساء مصر من مطلع الثورة حتى الآن وتسخّر لها أجهزة الإعلام على أوسع نطاق ، بل يُسَخَّر لهـا علماء الشريعة والأطباء ، والدعاة وهى تنظيم النسل ، فالقيادات فى مصر ضاقت بالمصريين ، لأن الزيادة فى السكان تلتهم كل ما يحققونه من زيادة فى الإنتاج كما يقولون ، وهذه الكلمات مقتبسة من الرئيس حسنى مبارك الذى اشترك فى الحملة التى تحارب انطلاق النسل ، ويخيّل للإنسان من كثرة الاعلانات عن وجوب تحديد النسل أن ولاة الأمور لو استطاعوا أن يدفنوا نصف السكان فى الصحراء أو أن يلقوا بهم فى البحر لفعلوا حتى يتخلصوا مما يستهلكون من طعام وكساء ، وما يحتاجونه من تعليم وعلاج ...... بل بدأ تهديد يظهر فعلا وهو يقرر أن الدولة لن تعلم بالمجان الطفل الثالث ، ولن تقدّم لهم المواد التى يُدْفَع لها دعم .

ومن الواضح أن هذا الصراخ سببه أن دولتنا حفظها الله ، تنظر إلى هذا العدد على أنه أفواه تلتهم الطعام ، وأجساد تُبْلِى الملابس ، وقد عجزت الدولة تماما عن الانتفاع بهذه القوة لتصبح منتجة ، وهذا هو السر فى هذا الصراخ .

ونقول بصراحة إن العجز ظـاهر حتى لو بقى عدد السـكان دون زيادة ، والطريق الوحيد للإنقاذ هو إيقاف السرقات ونزيف الإنفاق ، ثم

التخطيط لمزيد من الإنتاج ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ، وبدون ذلك سنتقع الطامة ولا مفر منها ٠

والحق أن عندنا عجزا شاملا فى الطعام ، والشراب ، والكساء ، والعلاج ، ودور العلم ، وكلّ مطالب الحياة ، ولما كانت الدولة السنية عاجزة تماما عن التطور فإن العجز فى هذه الأشياء يزيد مع زيادة السكان ، ويصبح الأمر خطيرا للغاية ٠

وهنا يجيء السؤال المهم : هل هذا العجز موجود فى الدول كلها ؟ أو أنه فى مصر فقط ؟

وإذا كانت الدول تغلبت على هذا العجز فلمـــاذا لا تتعلم دولتنا وهى تقول إنهـــا تعيش فى ثورة ؟ وإذا كان عندنا بطالة بسبب عـــدم المشروعات التى تجتذب أيدى الشبان ، فإن بعض الدول تنشر الإعلانات من يوم إلى يوم عارضة مئات الوظائف التى تبحث عمن يشغلها (١) ٠

ايها القارىء الكريم ٠ ٠ ٠ ٠ ٠٠

إن الحياة فى ظل هذه الثورة حياة ركود وجمود ، ومن أجل أن نثبت ذلك سأُبرِزُ لك كيف تطورت الحياة عند الآخرين :

فى الهند :

وأبدأ مع دولة كثيرة التعداد يصل سكانها إلى حوالى ٨٠٠ مليون نسمة ، وفى وَصْفِ تَقَدُّمها نلجأ إلى كاتب من كتاب الصحف الحكومية هو الأستاذ موسى صبرى ، ماذا يقول موسى صبرى عن الهند ؟ لقد كتب مقالا بالأخبار بتاريخ ١٩٨٣/٣/١٥ عنوانه « دروس من الهند » ٠

---

(١) أحمد أبو الفتح : التحدى ص ٩٩ ٠

وأسلوب المقال مفكك ومضطرب ، ولكنه يوضح التطور الهائل فى الهند ، وفيما يلى كلماته بعد إعادة ترتيبها :

لقد زرت الهند فى عام ١٩٦٨ وأمضيت فى مختلف ولاياتها قرابة الشهر ، وزرتها أخيرا سنة ١٩٨٣ بمناسبة مؤتمر عدم الانحياز ، وقد شاهدت تطورا هائلا فى كل مجال كالآتى:

فى مجال الزراعة :

فى الزيارة الأولى كانوا فخورين بأنهم حققوا الاكتفاء الذاتى فى القمح والحبوب ، بخطه أثمرت نتائجها فى أربع سنوات ، وفى الزيارة الثانية قالت لنا انديرا غاندى ، إنهم بدأوا يَخْطون إلى الأرض الجافة كما بدأوا فى زراعة الأرز (*)

فى مجال الصناعة :

فى الزيارة الأولى تفقدت كثيرا من مصانع القطاع العام ...... وكانت الشكوى هى نفس الشكوى عندنا من عدم فاعلية الإدارة فى القطاع العام ، ورأيت مشروعات تصنيع صغيرة فى القطاع الخاص ، تشجع عليها الدولة وتمدها بالخبرة ، وتساعدها فى توفير الأرض وإقامة المصانع بالقروض الميسرة .. وكانت التجربة لا تزال فى أولى سنوات عمرها ... وفى الزيارة الأخيرة رأيت أن كل ما فى الهند ، هو صناعة وطنية ، سواء من القطاع العام أو القطاع الخاص الكبير والصغير ، ورأيت المتاجر تبيع المنتجات اليدوية ومنتجات الصناعات الصغيرة ، ومنتجات البيئة الهندية بالعملات الصعبة ، ولم ألمح أنا أو أى واحد فى **اية بقعة رأيناها أثراً لصناعة مستوردة ١٠٠٪ كل شىء من قاع الهند ، كل شىء مصنوع بأيدٍ هندية وخبرة هندية ، وكان من الصعب أن نرى سيارة مستوردة !!!**

فى مجال الذرّة :

فى الزيارة الأولى زرت مدينة الذرة • كانوا فخورين ، بأن جميع علماء الذرة من الهنود ودون سن الأربعين ••• مدينة هائلة ، وعلم هائل ، وانتماء هائل إلى الكرامة الوطنية ، وقبل الزيارة الثانية ، فجّرت الهند القنبلة الذرية •••• وكسبوا حربا عسكرية صعبة ••• وفى الزيارة الثانية شاهدنا التقدم الرائع فى التطبيق التكنولوجى فى شتى وسائل الإنتاج إلى درجات مذهلة •

هذا مثال من الهند وتطورها الهائل بقلم كاتب حكومى ،ولننتقل إلى مثال آخر :

فى سلطنة عمان :

فى سلطنة عمان وهى أيضا من بلدان العالَم الثالث كان هناك مصريون من أصدقائى يعملون لبضع سنوات فى مسقط وعادوا ، ثم دعيت لزيارة مسقط مدة أسبوعين بعد عودة هؤلاء الأصدقاء بسنوات قليلة ، فقال لى هؤلاء الأصدقاء : احترس من العقارب التى تنتشر فى مسقط ، وتدخل أحيانا عبر جهاز التكييف ، وذهبت وأنا على حذر ، وأمضيت الفترة التى ذهبت لها ، ولما عدت صرخت فى أصدقائى هؤلاء : كنتم تحذروننى من العقارب ، فما رأيكم أننى لم أجد ذبابة واحدة أو ناموسة واحدة ، لقد اكتسح التطور كلّ خطر ، وأصبحت مسقط من أرقى البلاد وأنظفها •

وأشهد الله أنه فى إحدى الليالى وأنا بمسقط هبّت على العاصمة عاصفة من العواصف الخطرة التى يعرفها سكان هذه المناطق ، دمرت بعض المنازل وخلعت الأشجار وطارت بها بعض المسافات ، ودفعت الطيور للاصطدام بالمبانى أو الأشجار فماتت الطيور من هول الصدمات ، وثار البحر فأغرق الطرق ••••• إنه شىء أشبه بيوم القيامة ، كما وصفه القرآن الكريم ، وهدأت العاصفة ، وإذا بكل الناس تقريبا وعلى رأسهم السلطان والأمراء يباشرون إصلاح الأحوال

ورفع الأشجار من الطرق ، وإزالة الأتربة والعمل على سلامة الناس فى أقصر وقت ممكن لم يزد عن يوم واحد وعادت الحياة إلى طبيعتها .

فى إندونيسيا :

وهناك مثال آخر من دول العالم الثالث هو إندونيسيا وقد كنت فيها إبان العهد الأخير لسوكارنو وقد انهارت العملة الإندونيسية إلى أحط وضع كالحال بالنسبة للجنيه المصرى واختفت البضائع من المحلات ، وزرتها من سنتين فرأيت الرخاء والتقدم والتطور ، ورأيت العملة الإندونيسية وهى تنافس الدولار ، فيقدّم الإنسان للبنك روبيات إندونيسية ويأخذ بديلا لها دولارات فى الحال ، على نمط ما إذا قدّم دولارات ليأخذ روبيات ، دون فرق فى الحالتين .

موجابى فى زيمبابوى :

وأعلن موجابى زعيم زيمبابوى الدولة الإفريقية حديثة الاستقلال أن الإنتاج الزراعى ببلاده تضاعف عشر مرات خلال ست سنوات .

والمملكة العربية السعودية أصبحت تنتج غذاءها وتقدم عونا للمحتاجين من أمثالنا ، ويعلم الله أننى مسنى الضر والحسرة عندما رأيت اسم مصر بين الدول الفقيرة التى ستوزّع عليها لحوم الهدْى من السعودية .

ألا تخجلوا أيها السادة من أبطال ثورتنا التى تسمونها ثورة مجيدة ،

أما سنغافورة وفرموزا وكوريا فعالم آخر الآن ، فهناك مليارات من الدولارات المدخرة عند هذه الدول .

ويلاحظ القارئ أننى لم أتحدث عن اليابان أو ألمانيا أو غيرها من دول الغرب ، ولكنى تحدثتُ عن دول من العالم الثالث وَجَدَتْ طريقها للرخاء ، وكلما تحدثتُ عنها أحسست بألم لأن ثورتنا وقفت بالبلاد دون

تطور ، بل ارتدَّت بها القهقرى عدة أجيال ، ومع هذا يفخرون بهـذه الثورة .

صيحة الإنتاج قاصرة :

وفى مصر نسمع صيحة تتكرر دائما هى الدعوة للإنتاج ، ولم يَضَعْ المسئولون عناصر النجاح لهذه الدعوة ، وإنما تُلْقَى جزافا ، فالمتخرج فى كلية التجارة مثلا يستطيع أن ينتج إذا وجد وظيفة فى بنك ، والمتخرج فى كلية دار العلوم يستطيع أن ينتج إذا وجـد مدرسة يعلِّم بهـا ، والمتخرج من كلية الطب يستطيع أن ينجح إذا وجد مؤسسة طبية يعمل بها ، وهكذا . أما أن ندعو للإنتاج دون تدبير الوسيلة للعمل فإن هـذه دعوة لا نتائج لها .

والجيش فى مصر وفى غير مصر يتلقى الشبـاب من القرية ومـن المدينة ، بعضهم مثقف وبعضهم لا ثقافة له ، ويهيىء الجيش لهم التدريب الكافى ، والرعاية ، والأسلحة اللازمة ، والتوجيه السليم ، ويستطيع هؤلاء أن يحققوا النصر بعد ذلك ، كما حدث فى مصر ضد الصهاينة ، وكمـا حدث فى العراق ضد إيران .

أما أن ندعو لتعمير الصحراء مثلا دون دراسة ، ودون معدات ورعاية ، فإن هذه الدعوة ستضيع فى مهب الريح ، ومثل هذا أن ندعو لرقى الصناعة دون تدريب ودون أجهزة ودون ضمائر تخاف الله .

محاكمة الثوار :

فى مقدمة هذا الكتاب أشرنا إلى المقالات التى نشرها الأستاذ خالد محمد خالد فى صحيفة الوفد بمناسبة مرور ٣٦ عاما على « الثورة » وكان عنوان هذه المقالات « محاكمة ثورة » وانتقدت مـا جاء بهـذه المقالات مما عدَّها الكاتب إنجازات لها .

والآن بعد هذه الدراسة التى ألمَّت بحياة ناصر وعامر وركبهما وما فعلوه بمصر والمصريين ، فإننا نقول : ألا يجب أن يحاكَم هؤلاء الثوار ؟

إننى أدعو إلى محاكمة عادلة أمام أعظم القضاة ، ويتقدم الباحثون بالمادة العلمية الموثقة عما أحدثه هؤلاء الثوار من خلل واضطراب وسرقات وتقصير ببلادنا ، ويقول القضاة كلمة الحق ، وعلينا أن نحترم كلمة القضاة ، فإذا كانت الكلمة خيرا مجدنا هذه الثورة واحتفلنا بذكراها وأقمنا التماثيل لزعمائها ، وإن كانت ثورة مدمرة عانى منها الإنسان والوطن طمسنا ذكراها وأزلنا التماثيل التى شيدت فى عصور القهر لزعيمها .

وعلى كل حال فإن القضاء قال كلمته فيما عُرض عليه من قضايا ، وقد سجلنا كلمة القضاء فيما سبق ، ولكنا نريد محاكمة الثورة بصفة عامة .

ومن الظلم أن نظل هكذا مختلفين حول قضية رئيسية من قضايا بلادنا ، وأكاد أؤكد أن هذه المحاكمة ستتم يوما ما على نحو المحاكمات المتعددة التى تمت عن عدوان كمشيش بعد عشر سنوات من وقوع العدوان ، ومن الخير أن نعجل بهذه المحاكمة حتى لا تظل الأجيال تعيش فى قلق واختلاف .

الثوار والاستمتاع بالمرأة

فى الحق إننى لا أريد أن أطيل الحديث عن هذا الجانب البشع من حياة بعض الثوار ، وإنما أشير له إشارة سريعة ، وقد طالعنا فى مطلع هذه الدراسة موقف الصاغ صلاح سالم من الأميرة فايزة ، وهناك روائح كريهة ترتبط بالمشير ومحظياته ومحظيات رجاله فى دمشق اقتبسناها من الدكتور حسين مؤنس وأوردناها فيما سبق ، وهناك حفلات الرقص والموسيقى والخمر والنساء التى تحدث عنها باروخ بادل الجاسوس اليهودى الذى تقمص شخصية ضابط تركى مسلم ووصف حياة الثوار وبخاصة ليلة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ .

أما الفضائح التى ارتبطت بصلاح نصر ورفاقه التى نشرتها اعتماد خورشيد **تلك الزوجة التى أرغمها صلاح نصر على أن تتزوج منه دون طلاقها** من زوجها الأول فهى فضائح جاوزت الحد .

هذه جوانب ممتعة وقاتمة فى حياة بعض الثوار كانت من أسباب ما عانيناه من هزائم واضطرابات سياسية واقتصادية ٠

قبل أن نطوى عهد عبد الناصر :

بقى قبل أن نطوى عهد عبد الناصر ، وقبل أن نتحدث عن عصر السادات أن نذكر قضيتين مهمتين هما :

١ ــ قصة عز الدين عبد القادر حفيد أحمد عرابى ٠

٢ ــ ختام عهد كما يصوره الدكتور عبد الحميد سلطان ،

وفيما يلى خلاصة هذين الموضوعين :

قصة حفيد أحمد عرابى :

هذه القصة نشرتها الصحيفة الحكومية (الأخبار) وكتبها الأستاذ ابراهيم يونس وخلاصتها إن عز الدين حفيد أحمد عرابى ضاقت به الحياة فى مصر فى مطلع الثورة مثل كثير من الشبان ، فهاجر إلى المغرب ، وهناك وجد صنوفا من التكريم بسبب انتمائه للزعيم أحمد عرابى ، فاستطاع أن يكمل دراسته وأن يحصل على درجة الدكتوراه ، وبالتالى أسندت له وظيفة مرموقة ، وتحسنت حالته إلى مدًى بعيد ٠

وبدأت سلبيات عبد الناصر تشيع وتنتشر ، ويبدو أن عز الدين تكلم ناقدا ككل شباب مصر فى الداخل والخارج ، فاتجهت جهود صلاح نصر لإحضاره لمصر ، وقد روينا فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن بعض رجال المخابرات ذهبوا إلى إيطاليا ، حيث استطاعوا أن يخدّروا مصريا تلفّظ بعبارات نقد لزعيم مصر ، ووضع رجال المخابرات هذا الرجل فى صندوق كأنه بضاعة تشحن فى طرد إلى مصر ، وكانت فضيحة لأن أثر المخدّر زال قبل وصول الصندوق لمصر ٠٠٠٠٠٠٠٠

ومع عز الدين اتجهت المخابرات إلى طريقة أيسر ، إذ أرسلوا له برقية رسمية عاجلة نصها : احضر على أول طائرة لأنك مرشح وزيراً للشباب ، ومع البرقية تذكرة طائرة بالدرجة الأولى إلى مصر ٠

ووقع الشاب فى الفخ وصدق هذه الأكذوبة ، وأجرى له أصدقاؤه حفلات وداع ، وحزم حقائبه وحضر ، واستقبله الزبانية فى المطار ، ودفعوا به من سلم الطائرة إلى عربة حملته للجحيم ، وبعد عدة وجبات من الضرب ، قدم لمحاكمة صورية قضت بالحكم عليه بالسجن المؤبد ، ولم يخرج من السجن إلا فى عصر السادات بعد أن دمره التعذيب ولم يلبث أن مات شاكيا إلى الله ما عانى من هذا العهد الأسود .

ختام عهد :

يقول الدكتور عبد الحميد سلطان فى مقال نشره بصحيفة الوفد .

اننا لو أردنا تقييم عهد عبد الناصر تقييما موضوعيا لقلنا : انه عندما جاء إلى الحكم عام ١٩٥٢ كان الانجليز يقيمون فى قاعدة القناة وكنا ندينهم بمبلغ ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى ، وعندما رحل بعد ١٨ عاما من الحكم المطلق كانت مصر قد أصبحت قاعدة روسية بها ١٧ ألف جندى روسى ، وكانت سيناء والقدس وغزة والضفة الغربية والجولان قد أصبحت تحت الاحتلال الاسرائيلى ، كما كانت قناة السويس مغلقة ومدنها وقراها مهجورة ومحطمة ، وسمعتنا جيشا وشعبا فى الحضيض وديوننا الخارجية قد أصبحت فوق الاحتمال .

هذا من الناحية الاقتصادية والعسكرية أما من الناحية الاجتماعية فكانت هذه السنوات سنوات قهر وإذلال ومرارة .

وبعد

ذلك هو التراث الذى تلقاه السادات ، وقد واجه السادات فنجح فى بعض جوانبه كالحرب وإطلاق الحريات إلى حد ما ، وفشل أحيانا كالمسيرة التى سارها أخوه عصمت على نسق ما سار آل عبد الناصر ...

وسنرى الرجل وهو يسير ، ويخطو للأمام أحيانا ويتعثر أحيانا ، وسنقدم دراستنا بأقصى ما يمكن من حيدة .

والله المستعان

خطوات السادات الأولى فى الرياسة

عندما نبدأ حديثنا عن مسيرة مصر فى عهد السادات نجد أن أحداث هذا العصر تنقسم قسمين :

١ — قسم يرتبط بسنة من سنوات حكم السادات كالقضاء على مراكز القوى سنة ١٩٧١ وكالحرب ضد إسرائيل سنة ١٩٧٣ ٠ ٠ ٠ ٠٠

٢ — قسم لا يرتبط بسنة من سنوات هذا الحكم ، بل هو طبيعة فى السادات امتدت بصورة أو بأخرى من عام إلى عام وذلك كالديكتاتورية والترف ، أو هو مشكلة امتدت عبر عدة أعوام كالديون والثورات ٠

ومن أجل هذا سنتجه فى هذه الدراسة إلى البدء بالأحداث التى ترتبط بالسنوات فنذكرها من عام إلى عام أشبه بنظام الحوليات ، مع ملاحظة المنهج الذى اتبعته فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة [1] وهذا المنهج يقرر أن نتتبع الأحداث بتسلسلها التاريخى ، ولكنا عندما نبدأ الحديث عن حدث امتدت أطرافه إلى عام آخر أو أعوام أخرى بعد العام الذى بدأ فيه ، فإننا نظل معه حتى ننتهى من عرضه ؛ فحرب أكتوبر مثلا بدأت سنة ١٩٧٣ ولكن مشكلاتها امتدت إلى سنة ١٩٧٤ حيث تم فك الاشتباك الأول ، ثم إلى سنة ١٩٧٥ حيث تم فك الاشتباك الثانى ٠٠٠ وفى هذه الحال وما شابهها سنظل مع الحدث حتى نهايته ٠

وبعد الانتهاء من الاحداث المرتبطة بالسنوات ، نعود للحديث عن القضايا الأخرى التى ترتبط بعهد السادات دون أن تكون حدثا من أحداث عام بذاته ٠

ولنبدأ الدراسة تبعا لهذا المنهج :

---

(١) انظر ذلك المنهج فى جـ٩ ص ٢٣٨ ٠

حوليات عصر السادات

أحداث سنة ١٩٧٠

تولَّى أنور السادات رياسة مصر فى منتصف أكتوبر سنة ١٩٧٠ بعد الاستفتاء ومعنى هذا أن الفترة التى كانت باقية من سنة ١٩٧٠ فترة قصيرة •

ولكن أنور السادات اعتاد طيلة مدة رياسته ان يعدّد مفاخره من عام إلى عام ، فيذكر إنجازاته فى كل عام من أعوام رياسته ولم ينْسَ عام ١٩٧٠ وهو يعدّد هذه المفاخر مع قصر المدة ، ونحن بحكم الحيدة لن نضنّ عليه بذكر مفاخره ، ولكننا سنعلق عليها أحيانا ، ونضيف مالم تذكره هذه المفاخر من أحداث •

حلف اليمين الدستورية :

وأول شيء يرتبط بالسادات عقب إعلان نتيجة الاستفتاء أنه ذهب إلى مجلس الشعب لأداء اليمين الدستورية أمامه ، وفيه أقسم أن يؤدى عمله بأمانة وإخلاص ، وأن يرعى مصالح الوطن وسلامة أراضيه ••••

أهمية الأَيْمان عند حالفيها :

وعلى ذكر اليمين الدستورية نقرر أن المناصب العليا تحتم على من يُعَيَّن فيها أو ينتخب لها أن يبدأ عمله بحلف اليمين الدستورية ، فيقف الرئيس أو الوزير ومعه ورقة كُتبت عليها كلمات القسم ، ويقرؤها كما يقرأ التلاميذ فى كتاب المطالعة ، وأغلب الظن أن الكثيرين يقرءونها وهم يفكرون فى شيء آخر ، فليست هذه القراءة إلا عملا روتينيا ، وقلّ جدا من اتبع الدستور ، ولم يزيف الانتخابات ، وكثر جدا من يُثْرون على حساب مصالح الشعب ، ومن يضللون الرعية لتخفى عنهم الحقائق فى أخطر الأمور ، وفيهم من طغى وتجبر ، وأزهق الأرواح البريئة ، وامتدت عينه ويده إلى ما لا حقّ له فيه •

وعلى كل حال فقد ذهب أنور السادات إلى مجلس الشعب الذى صفق له طويلا قبل القسم وبعده ، والتصفيق شىء تَبَرَّعُ فيه مجالسنا لكل رئيس يتقدم لها من قبل أن ترى منه أىَّ خير .

السادات وبرنامج عبد الناصر :

وخطر ببال أنور السادات أن يفعل شيئا يخدع به معارضيه ، فأعلن أن برنامجه هو برنامج عبد الناصر ، وأنه سيسير على هُداه ونوره ، وأودع فى المجلس نسخة من بيان « ٣٠ مارس » الذى كان قد أصدره عبد الناصر واستفتى عليه الشعب سنة ١٩٦٨ ليكون دليلا على التبعية المطلقة لأفكار زعيم الهزائم .

هل كان لعبد الناصر فكر أنار لنا طريق الحياة ؟ وماذا استفدنا من « فلسفة الثورة » أو من « الميثاق » أو من « بيان ٣٠ مارس » ؟

الحقيقة أننا لم نستفد شيئا ، وأن الهزائم لا يعالجُ جراحَها أمثالُ هذه الورقات الخداعة .

الانحناء أمام تمثال عبد الناصر :

ولم يقنع أنور السادات بذلك الإعلان ، بل استدار إلى تمثال لعبد الناصر كان موضوعا على المنصة ، فانحنى له انحناءة تَقْرُبُ من الركوع ، وصرخنا فى البيوت من هذه الوثنية الأليمة .

وبعد القسم بدأ أنور السادات يباشر سلطاته الدستورية كرئيس للدولة ، والحق أنه لم يكن فى واقع الأمر حاكما وحده لمصر آنذاك ، بل كان هو وخصومه يتقاسمون السلطة والحكم ، فمن الواضح أن كلا الطرفين كان يتربص بصاحبه ، وكان أنور السادات يُسِرُّ هذا التربص ، ويَعُدُّ أنفاس خصومه ، ويفكر فى اختيار الزمان والمكان الذى يُنْشِب

أظافره في أعناقهم ، أما هؤلاء البلهاء فكانوا يتخذون من كثرتهم ومن تشعب السلطات التي يسيطرون عليها وسيلة للتغلب عليه ، وسنرى في أحداث سنة ١٩٧١ عملية الصراع وخطواتها ونتائجها .

وقد ظل الصمت على كل حال يغطي هواجس النفس ، وما يمكن أن يكون هناك من إعداد لساعة الصدام .

الحراسات :

تقول قائمة مفاخر السادات إنه في عام ١٩٧٠ ألغى قوانين الحراسة ، أي أمر بتصفية هذا الكابوس المرير الذي فرضه عبد الناصر ، والذي كان سلاحا استُعْمِل للإيقاع بالذين لا يعلنون ولاءهم للنظام ، وكان هذا الكابوس قاسيا ظالما يتجه للتعذيب والإجاعة ، وقد فرض ناصر وعامر الحراسات على العديد من الأسر ، وفرض السادات بعض الحراسات كذلك كما سنرى فيما بعد ، ولكن عصر السادات بدأ فعلا في تصفية الحراسات ، أما مسيرة التصفية فكانت بطيئة واصطدمت بعقبات كثيرة ، وفي حالات كثيرة جاءت التصفية بعد وفاة الذين فُرِضت عليهم هذه الحراسات ، أو بعد هجرتهم من البلاد أو بعد وصولهم إلى أعمار وأمراض لا تجعلهم ينتفعون بهذه التصفية التي جاءت بعد فوات الآوان .

ولم يضع السادات قانونا لإلغاء تامٍّ للحراسة ، بل إنه عدّل القانون الذي كان موجودا ، وبمقتضى هذا التعديل أُوقفت الحراسة كإجراء إداري ، وأصبحت لا تتم إلا بحكم قضائي ، ولا تُفْرض الحراسة على أحد قبل أن يُسْمَع دفاعه عن نفسه حتى تطمئن قلوب الناس ، وقد عارض رجال عبد الناصر هذا التعديل زاعمين — سامحهم

الله — أنه يتضمن حماية للعناصر غير الاشتراكية ، وانه مقدمة لتصفية الإجراءات الاشتراكية (١) •

كيف أطلقوا لفظ الاشتراكية على الاستيلاء على مال الغير دون محاكمة ؟ ودون أن يُسأل صاحب المال ؟ ودون تعويض ؟ إنها نظام العصر الأسود •

وفى سنة ١٩٧٠ كذلك ألغى السادات القرار الخاص بمنع المصريين من السفر للخارج •

---

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٦ •

أحداث سنة ١٩٧١

فى سنة ١٩٧١ عَرَفت مصر مجموعة مـن الأحداث التى تتصـل بالجبهة الداخلية ، ومجموعة أخرى من الأحداث المصرية ذات الاتصـال بالقوى الخارجية •

ثورة التصحيح :

فى قمة الأحداث التى جرت هذا العـام يقف ذلك الحدث الـذى سمى « ثورة التصحيح » ولذلك نجد « أخبار اليـوم » الصـادرة فى ١٤/١١/١٩٨١ عندما عددت مفاخر السـادات فى سنى حكمه تتحـدث بإفاضة عن « ثورة مايو » كحدث وحيد فى سنة ١٩٧١ •

وتؤكد صحيفة أخبار اليوم أن هذه الثورة لم تكن منفصلة عن ثورة يوليو ، وأنها امتداد لها ، وتصحيح" لمسارها لحماية مبادئها فى الحريـة والاشتراكية والوحدة ، وأنها تؤكد على الديمقراطية ، فالسيادة أصبحت للشعب وحده وهو مصدر السلطات ، كما أن ثورة التصحيح تؤكد على مبدأ الشرعية وسيادة القانون واحترام الحريات ونهاية المعتقلات •••••

وجماعة الثوار استطابوا كلمة « ثورة » فإذا كان عبد الناصر قد استولى على ثورة يوليو ، وطرد زملاءه وسـجنهم أو قتلهم ، فلماذا لا يُحْدِث أنور السادات « ثورة » يتغنى بها كما تغنى سلفه بثورته ؟

أقول هذا لأن الذى حدث فى مايو سنة ١٩٧١ لم يكن يستحق أن يسمى ثورة على الاطلاق لقـد انقض" أنور السـادات بذكائه أولا ، وبجيشه وشرطته ثانيا على مجموعة من الأفراد الذين وصفناهم من قبل بأنهم بلهاء ، والذين كانوا موضع ازدراء الشعب واحتقاره ، وفى لحـة من الزمن اختفى هؤلاء ، واعتقلوا ثم" كوّن الحاكم الجديد محكمة على نحو ما فعل سلفه مع اعدائه فقضت عليهم بالسجن عدة سنوات ، فليس فى المسألة ثورة ولا شبه ثورة •

وإن القول بأن السيادة أصبحت للشعب ، وأصبح الشعب مصدر السلطات ، وإن الديمقراطية شملت أرجاء مصر ، هو إلى الأساطير أقرب ، إنها أقوال قالها عبد الناصر وردّدها من جاءوا بعده ، ولم تصبح الأمة فى الحقيقة مصدر السلطات ، ولا أن الديمقراطية الحقيقية عرفت طريقها لمصر منذ بدأت هذه الثورة المشئومة سنة ١٩٥٢ .

وينبغى أن نتذكر أنه فى غيبة وَعْى عبد الناصر السياسى ، وفى غفلته الاجتماعية ، تكوّنت مراكز كثيرة للعبث بشئون الناس ، ومن هذه المراكز تلك القوة الجبارة التى كان يقودها رجل لا يفيق هو عبد الحكيم عامر ، وكان معه مجموعة ضربت الرقم القياسى فى الانحلال والخيانة الوطنية ، ولم تسقط هذه المراكز إلا عندما سقطت البلاد فى هاوية الهزيمة سنة ١٩٦٧ ، وسرعان ما تكوّن مركز آخر من بعض الشخصيات الذين كانوا إلى القش أقرب منهم إلى الصلابة هم على صبرى رئيس الوزراء وعضو اللجنة المركزية وشعراوى جمعة وزير الداخلية ومحمد فوزى وزير الحربية ومحمد فائق وزير الإعلام وسامى شرف وزير شئون رياسة الجمهورية ومعهم أمين هويدى مدير المخابرات العامة ولم يكن هذا المركز فى مستوى المركز الذى أنشأه عبد الحكيم عامر ، فعامر كان يناوىء عبد الناصر وينافسه ويعتمد على الجيش ، أما هؤلاء فكانوا ذيولا لناصر ويعيشون فى رحابه ، ولما سقط تضعضعت مكانتهم إذ لم تكن لهم قوة ذاتية .

وهكذا حدث الخلاف بين رئيس الدولة الجديد ، وبين هذه القوة المتداعية التى سقط من كانوا يعمدون ظهورهم عليه .

ولنعـد للمسألة من أولها :

كانت المؤسسات التى خلقها عبد الناصر وهى مجلس الوزراء ، والاتحاد الاشتراكى ، فاللجنة المركزية ، فاللجنة التنفيذية العليا ،

فمجلس الأمة ، كلها كانت واقعة تحت سلطة هذه الطغمة التى ذكرتها باعتبار هؤلاء كانوا لسان عبد الناصر ويده ، وكان ذلك فى وقت لم يكن السادات شيئا ، وكان السادات عقب الاستفتاء يتوق للتخلص من هـذه المؤسسات لإعادة تكوينها على هواه ، وكان على صبرى فى قمة الزعامة عند وفاة عبد الناصر وبالتالى كان شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد فوزى وفائق من رفاقه ، فلما جاء السادات ضرب هذا أول ضربة خفيّة له ، بأن جعل الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزارة ، ونقل على صبرى ليصبح نائبا لرئيس الجمهورية ، وهو بهذا أضعف صلته بالوزراء إلى حد ما ، ولكن هؤلاء لم يسرّوا حقدهم وعصيانهم واستعانوا بالمؤسسات التى كانت تخضع تماما لهم ، وفى ظاهر الأمر اتضح أن كفتهم راجحة حتى شاع فى الأوساط العليا من أول الأمر أن السادات لن يستمر فى الحكم أكثر من بضعة أسابيع .

مؤامرات وتفاهات مراكز القوى :

وبدأت مراكز القوى تنفذ مخططها فى مهاجمة السادات كالآتى .

— وُضِعت كل التليفونات التى تتصل بالقصر الجمهورى تحت المراقبة ، ويقول محمد حسنين هيكل إن تليفونات القصر لم تكن مراقبة ، ولكن كل التليفونات التى يمكن أن تتصل بالقصر أو يتصل بها القصر وضعت تحت المراقبة للتعرّف على تحركات القصر ، وبهذا وضعت تليفونات القصر تحت المراقبة بشكل غير مباشر .

— فى اجتماع الاتحاد الاشتراكى أعلن الوزراء الذين تكلموا أن قيادة البلاد ضعيفة ، وأنهم لا يثقون فى القيادة ، وأن سياسة مصر فى الفترة الأخيرة كانت ضد كل ما كان عبد الناصر يمثّله .

— تَذْكر السيدة جيهان السادات [1] أن إحـدى جاراتها ذكرت لها أن ضباطا من الشرطة عاينوا سطح منزلها بحجة حماية بيت السادات ،

---

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ٩٩٢ وما بعدها .

وأدركت جيهان السادات أن المقصود هو البحث عن أحسن الوسائل للهجوم والقبض على السادات ، إذ لم تكن هناك أوامر بالحراسة .

ـ فى عيد العمال بحلوان فى أول مايو أجلست مراكز القوى بعض الأتباع فى الصفوف الأمامية ، وكان هؤلاء من حين الآخر يرفعون صور عبد الناصر ، وبخاصة عند تصفيق الجماهير لأى مقطع من مقاطع خطاب السادات (١) .

ـ اتصل الأستاذ محمد حسنين هيكل بالسيدة جيهان السادات وحذّرها من أن يدخل زوجها مبنى التليفزيون ، وذكر لها أن هناك مؤامرة للقبض عليه هناك .

ـ وكان السادات ينوى أن يزور مديرية التحرير ، وأُشيع أن مؤامرة ستقضى عليه هناك ، وارتبط ذلك باسم فريد عبد الكريم رئيس الاتحاد الاشتراكى فى الجيزة ، والذى روت السيدة جيهان السادات أنه قال لمحمود السعدنى تليفونيا : سنتخلص منه حينما يذهب إلى مشروع الاستصلاح بمديرية التحرير .

وهناك كتاب عنوانه « رجال عبد الناصر والسادات » كتبه محامٍ هو الأستاذ كمال خالد ، والكتاب عبارة عن مرافعات المحامين فى قضية مراكز القوى ، وليس به تنسيق الكتب وتخطيطها ، ومن الاطلاع عليه يمكن اقتباس بعض النقاط التى توضح التحركات ضد الرئيس السادات فى ذلك الوقت .

ـ فى اجتماع ضم الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة

---

(١) محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ٢١٥ وانظر « الحكومة الخفية فى عهد عبد الناصر للاستاذ جمال حماد ص ١٤٤ وانقلاب ١٥ مايو للاستاذ عبد الله امام ص ٢٧٦ » .

وعبد المحسن أبو النور الأمين العام للاتحاد الاشتراكى اتفق الاثنان على معارضة قانون الحراسة الجديد [١] .

— كان هناك مجموعة من الشبان يترددون على المقاهى ويهاجمون الرئيس السادات ، ويصفونه بأنه ديكتاتور ، وكان نشاطهم فى دائرة قسم الدقى ، ويشيعون انهم مكلفون بذلك من فريد عبد الكريم ، وهو بالتالى مكلف من شعراوى جمعة [٢] .

— إثارة إشاعات بأن السادات يحاول أن ينفرد بالسلطة ، ولا يستشير المؤسسات [٣] .

— ضبط بمنزل ضياء الدين داود مضبوطات ضد الرئيس السادات كان من أقذعها منشور عنوانه :

الصدق والكذب بين سادات اليوم وسادات الأمس

وهو منشور يحوى كثيرا من الاتهامات والعدوانية ضد أنور السادات .

— وطرأ على الحياة السياسية طارىء يتطلع للوحدة بين مصر وسوريا وليبيا ، ولعل أحدا لم يكن متحمسا لهذه الوحدة تحمسا حقيقيا ، وآثار الانفصال لم تغب بعد عن عقول المصريين وعيونهم ، ولكن السادات تظاهر بالحماسة لهذه الوحدة لا عن اعتقاد ، ولكن ليثير زوبعة ؛ يهدئ فيها هذه المؤسسات ويتخلص من أولئك الطامعين .

وتصدى على صبرى للهجوم بقسوة على اقتراح الوحدة فى اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى يوم ٢١ ابريل ، وقد أصدر السادات قراراً بفصله من كل وظائفه فى ٢ مايو .

---

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٤ .
(٢) رجال عبد الناصر والسادات . ص ٣٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٣ .

وكان على صبرى يتوقع ردّ فعل سريع من مجموعته لمقاومة فصله ، ولكن كل ما تلقاه من هذه المجموعة هو : اهدأ ، لا تتعجل .. انتظر يومين .... ولذلك طلب على صبرى صهره محمد فائق وقال له : شعراوى وسامى يقدمان لى « البنج » .

واتجهت الجهود إلى الاستعانة بالجيش ، وقد عبر سعد زايد عن ذلك بقوله : لو كان معى كتيبة دبابات لعملت بها ... [1] .

وكان التعليق على هذه الجملة بأن ذلك نوع من هوس سعد زايد الذى كان للأسف محافظا للقاهرة فى عهد ناصر ، ومن هذا النوع ما روى عن محمود رياض أنه قال « ما فيش ضابط جدع يعمل انقلاب ويخلصنا ؟ »

وانفلتت بعض أعصاب الذين كانوا يشغلون أرقى المناصب فى الدولة مما يدل على مدى تفكيرهم فمثلا ضياء الدين داود يقول : أنا جزمتى تفهم فى السياسة أكثر من أنور السادات ، وأنه يدعى أنه هو الذى صنعنى ، والحق أن الذى صنعنى هو عبد الناصر .

وليس لنا من تعليق على هذا القول إلا أن نقول : بئست الصنعة .

وبدأ الصدام يظهر بعد عزل على صبرى زعيم هذه المجموعة ، واتضح أن الفوز سيكون لمن يسانده الجيش والشرطة ، ولذلك اتجه أنور السادات لهاتين القوتين فى صمت ، فبدأ يقوّى علاقته بالفريق « محمد صادق » رئيس أركان حرب القوات المسلحة وهو من عائلة كبيرة متدينة غنية بريفنا بمركز أبو حماد شرقية ، وقوّى علاقته كذلك بالسيد « ممدوح سالم » وهو من رجال الشرطة المشهود لهم بالقوة والانضباط ، وكان يشغل منصب محافظ الإسكندرية ، وأعدّ الاثنين ليتولى الأول وزارة الحربية والثانى وزارة الداخلية .

---

(١) كمال خالد : المرجع السابق ص ١٧٠ .

واتجه السادات كذلك لتأمين نفسه بواسطة قوى هائلة هى الحرس الجمهورى ، وكان قائده هو اللواء « الليثى ناصف » وكان الليثى يدرك أن مهمته هى حماية الرئيس تماما ، ولكنه كان على علاقة طيبة بالشخصيات السابقة ، شخصيات مراكز القوى التى وضعته فى هذا المنصب وبخاصة سامى شرف كما اتجه السادات كذلك لتجنيد بعض الشخصيات العامة بحرص وفى الخفاء (١) .

ويقول سامى شرف فى بيان سلطاته على الحرس الجمهورى : « كنت أصدر أوامرى بالإشارة فأطاع » وظن سامى شرف أن نفوذه لا يزال باقيا فقال لشعراوى جمعة : الراجل أنور السادات اتجنن وباعت يجيب ممدوح سالم علشان يعينه وزير داخلية مكانك ، وأنا ناوى أقبض عليه وأجيبه لك فى قفص » ولكن شعراوى جمعة كان أكثر كياسة فحذره من أى تصرف من هذا اللون (٢) .

وكان الرئيس السادات يحس بمكان سامى شرف فى الحرس الجمهورى ، لذلك استدعى الليثى ناصف وسأله بحزم :

إذا طلبت منك إلقاء القبض على الوزراء فهل تنفذ الأمر ؟

فأجاب : نعم يا سيادة الرئيس فهذا واجبى ولن أتردد فى تنفيذه .

وسنرى فيما بعد أن الحرس الجمهورى قبض على هؤلاء الوزراء ، وحوكموا . . . . ولكننا نريد أن نقف وقفة من الليثى ناصف الذى نفذ حركة القبض على هؤلاء الأشخاص ، وتقول عنه السيدة جيهان السادات (٣) .

كان الليثى واقعا تحت ضغط عصبى ونفسى ، كان يتمزق بين واجبه

---

(١) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ٢١٦ .
(٢) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ١٠٨ .
(٣) سيدة من مصر ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

من جانب وصداقته لهؤلاء ولسامى شرف بوجه خاص من جانب آخر ، وقد ملأ الخوف قلبه ، وبعد أن انتهت هذه المشكلة أصابته حالة من الاكتئاب العميق ، فأرسل إلى لندن للعلاج ، وهناك سقط من شرفة فى الدور الخامس ولقى حتفه • وتواصل جيهان كلامها قائلة :

واعتقد الجميع فى مصر أنه انتحر لعدم استطاعته التوفيق بين واجبه تجاه الرئيس وولائه لعبد الناصر ومريديه ، ولعل الأدوية التى تناولها أضعفته أو أثرت عليه فقفز من الشرفة دون أن يدرى • وقد حزن عليه أنور السادات حزنا شديدا •

ولنعد لنواصل المسيرة مع هذه المجموعة من مراكز القوى فنذكر أنه انكشف بعد ذلك شىء من مساوئهم وهو أشرطة « تصنت » على عدد كبير من المواطنين فى مقدمتهم أهل القمة لمعرفة أسرار حياتهم الخاصة والعامة ، حتى يكون هؤلاء أسرى كلماتهم التى قالوها فى سر ، فإذا هى معلنة بواسطة هذه الأشرطة السوداء ، وعندما انكشف سر هذا التصنت الدنىء استقال شعراوى جمعة من وزارة الداخلية يوم ١٢ مايو وتولى مكانه ممدوح سالم •

ولم يبق لدى مراكز القوى إلا اللجوء للجيش وبخاصة أن معهم « محمد فوزى » القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية ، وكذلك اللجوء للمؤسسات الجماهيرية التى كانوا يمسكون بمقاليد السلطة بها ، واتخذوا طريقهم لذلك أن يتقدموا استقالات جماعية ، وأن يذيعوا هذه الاستقالات قبل أن تصل إلى يد السادات إذ كان وزير الاعلام « محمد فائق » واحدا من هؤلاء •

وذهب محمد فوزى ليلعب دوره فى تحريك القوات المسلحة ، فدعا قادة القوات المسلحة إلى اجتماع فى مكتبه بوزارة الحربية ، وقال لهم : إن رئيس الجمهورية يبيع البلد للأمريكان ، وكان يعرض بذلك للعرض

الذى تقدم بـــه روجرز ، والذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وتساءل محمد فوزى عن موقف القوات المسلحة من ذلك ، ولكن محمد صادق رد عليه ردا حاسما هو : أنت قدمت استقالتك ، ثم إنك تعرض علينا ما لا دخل لنا فيه ، فكل جهودنا متجهـــة لمهمتنا الرئيســية ، ولا دخل لنا فى أمـــور السياسة ، ومن الأوفق لك أن تعود لبيتك لتستريح فإنه يبدو عليك أنك متعب •



الفريق أول محمد فوزى

ويتحدث الفريق محمد صادق عن أول اتصال لـــه بالسادات فيقول :

رأيت من واجبى أن أتصل لأول مرة بالرئيس السادات ، فبلغته أن القوات المسلحة خارج الصراع ، وأنها لا تكن أى ولاء إلا للسلطة الشرعية ولمصر ، فطلب منى الحضور فورا لمنزله لأحلف اليمين كوزير للحربية ، فاعتذرت له بأنى لن أترك مكانى فى القيادة حتى أطمئن ، لأن الموقف لا يسمح بغير ذلك •

ويواصل الفريق محمد صادق كلامه فيقول : اتصلت بقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وقادة الجيش ، ••••• وطلبت من الجميع

البقاء فى أماكنهم وعدم إطاعة أى أمر من أى شخص إلا إذا كان صادرا منى شخصيا [١] .



الفريق أول محمد صادق

وعيّن محمد صادق وزيرا للحربية ، وقبل السادات استقالة المستقيلين وعيّن بدلهم بسرعة ، وعندما انتصر السادات فى هذه الجولة اتجه له بالولاء الغالبية العظمى ممن كانوا بالأمس يقفون مع الوجوه الزائلة .

إنها السياسة الكاذبة لا تعرف الأصدقاء ولكنها تدين بالنفعية .

وأصبح السادات بذلك رئيسا بالفعل غير منازع ، وصار لامعا بعد أن كان باهتا ، وأجريت محاكمة هؤلاء فحكم عليهم بعقوبات مختلفة ، ودفع بهم خلف جدران السجون كما فعلوا بالكثيرين من قبل .

---

(١) عبد الله امام : انقلاب ١٥ مايو ص ٣٠٤ .

وينبغى هنا أن نورد ما دونه أنور السادات عن أحداث مايو سنة ١٩٧١ يقول سيادته [١] •

— كان المفروض أن أذهب فى يوم الخميس ١٣ مايو سنة ١٩٧١ إلى مديرية التحرير ، ولكنى علمت أنهم قد دبروا كمينا هناك لاغتيالى • فأجلت الرحلة معتذرا بأنى مُجْهَد •••••• وقررت أن أتخلص منهم ولكن كان لابد من بيِّنة •

— منذ تاريخ توليتى فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٠ إلى ١١ مايو سنة ١٩٧١ ، كانت هناك أسـباب كثيرة للتخلص منهم ولكن كانت تنقصنى البينة • • • • • • إلى أنْ أتى يوم ١١ مايو سنة ١٩٧١ فجاءنى ضابط بوليس شاب لم تكن لى بـه سابق معرفة •••••••• وهو يحمل معه شريط تسجيل عليه مكالمة تليفونية بين اثنين من مراكز القوى يتضح فيها تآمرهم علىَّ وعلى الدولة •

ولم يذكر أنور السادات مَنْ هما هذان المتحدثان ، ولم يذكر كذلك محتويات هذا الشريط بشىء من التفصيل ، وترك الأمر هكذا مُبْهما ، ولكن الفريق أول محمد فوزى يذكر بعض تفصيلات عن هذا الشريط ، ولسنا نعرف بالتأكيد مدى صحة ما يقوله محمد فوزى ، لأنه نشر كتابه بعد وفاة السادات ، وعلى كل حال فهو يقول ما يلى :

صباح يوم ١١ مايو ١٩٧١ اتفق ثلاثة مـن الضـباط العاملين فى التسجيلات وهم المقيدان محمد معوض جاد المولى وحسن رشوان سليمان ورائد طه زكى على تبليغ الرئيس مـا يحدث من تسجيلات عنه ، فذهب الأخير وسلم سكرتير الرئيس السادات شريطا طلب منه أن يستمع الرئيس لمحتوياته ، وهذا الشريط كان عبارة عـن تسجيل لمكالمـات تليفونية بين

---

(١) البحث عن الذات ص ٢٠٤ — ٢٠٥ •



السادات ومحمد صـــادق
الصداقة عنـــد الضرورة

فريد عبد الكريم أمين الاتحاد الاشتراكى بالجيزة ومحمود السعدنى الكاتب الصحفى ، وكان الحديث يدور حول الموقف السياسى والأحداث الدائرة آنذاك ، وكذلك ما حدث فى اجتماعات اللجنة المركزية يوم ١٩٧١/٤/٢٥ بالذات ، بالإضافة إلى تناول شخصية الرئيس وحرمه بعبارات وألفاظ خارجة نتيجة بعض تصرفات حدثت فعلا تتعلق بمحاولة الاستيلاء على أحد القصور بمنطقة الهرم ، واستمع الرئيس السادات إلى الشريط واستدعى الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فحضر واستمع إليه كذلك (١) .

وذكر الرئيس السادات (٢) كذلك أن الإذاعة كانت محاصرة يوم جلسة اللجنة المركزية للاستفتاء على مشروع الوحدة .... حتى إذا ذهبت للإذاعة لأخاطب الشعب أحاصر هناك ويغتالوننى .

وعندما وصلنى هذا الدليل قلت يجب أن أصفيهم على الفور ، فلم يعد هناك شك فى تآمرهم على مصر ، وبدأت بإقالة وزير الداخلية المسئول عن التسجيلات وفى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء نفس اليوم ١٣ مايو سنة ١٩٧١ جاءنى أشرف مروان (وهو زوج كريمة عبد الناصر) وكان يعمل مديرا لمكتب سامى شرف ، وهو يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة ووزير الحربية ووزير الإعلام ووزير شئون رئاسة الجمهورية وأعضاء من اللجنة التنفيذية وأعضاء من اللجنة المركزية العليا ..... وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد ، فقبلتها جميعا وأعلنتها على الشعب فى الحال ، وحددت إقامتهم فى بيوتهم ... وفى نفس الليلة أجريت تعديلا وزاريا وأعيد تشكيل الوزارة ولم يحدث أى انهيار دستورى مما كانوا يحلمون به ، بل على العكس خرج الناس إلى الشوارع وهم يهللون فرحين بما تمّ ،

---

(١) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ٢١٨ .
(٢) المرجع السابق .

وهكذا تخلصت مصر من كابوس مركز القوة الأساسي الذى شل حركة مصر سنوات طويلة .....

ولكن كان من الضرورى أن نتخلص من آثار هذه المراكز التى ظلت جاثمة فوق الصدور سنة بعد سنة ، تعبث بأقدار الناس ، تزرع الخوف فى صدر الإنسان المصرى ، وتعطل العدالة ، وتشيع الحقد ، وتذيق الناس من ألوان القهر والتعذيب مالا طاقة لهم به وتحرمهم من أهم مقومات الحياة وهى الحرية ......

فأمرت بحرق جميع شرائط التسجيل الموجودة فى وزارة الداخليه والتى تشمل أسرار الناس ، وكان هذا زمرا لإعادة الحرية إلى المواطنين .

وأمرت على الفور بإغلاق جميع المعتقلات ، وتحريم الاعتقال ، وأعلنت أن لكل مواطن الحق فى أن يفعل أو يقول أى شىء فى ظل سيادة القانون .

تعليقات مهمة على « ثورة التصحيح » :

إن الباحث فى موضوع ثورة التصحيح يحس أن هناك تعليقات مهمة حول هذا الحدث ، نوجزها فيما يلى :

١ — ثورة التصحيح تناولت أعداء السادات لا أعداء الشعب . فكثيرون من رجال ثورة ٢٣ يوليو كانوا متورطين فى الكثير من الجرائم والانحرافات المنسوبة لعهد عبد الناصر ، مثل صلاح نصر وشمس بدران ، ولكن السادات لم يفتح ملفاتهم ولم يعلن للشعب انحرافاتهم مادام هؤلاء لم يعلنوا سخطهم على السادات ، بل إن السادات تعاون مع مجرمى عهد عبد الناصر ، فقد سمح بخروج العقيد شمس بدران من مصر على الرغم من اتهامه فى عشر جنايات من قضايا أمن الدولة ، وعلى الرغم من مسئوليته كوزير دفاع وقت الهزيمة (١) ومما يروى عن هذا الرجل أنه

(١) دكتور ابراهيم اباظة : الخطايا العشر ص ٢٤ و ٢١٥ .

ذهب مرة لزيارة المعتقلين للاطمئنان على الشدة فى معاملتهم ، ورأى ضرب الجنود لهم ، فلم يقنع بذلك ، وتناول « الكرباج » وأخذ يضرب الجنود بقسوة ، ويقول لهم هذا هو الضرب الذى نريده لهؤلاء .

وسنرى السادات فيما بعد يحمى صلاح نصر ، وعندما حكم عليه بالسجن أمر أن يكون سجنه فى المستشفى لمرضه ، ثم سرعان ما أصدر عفوا صحياً لـــه .

٢ ـــ أعداء السادات الذين قفلوا أفواههم فلم يقولوا كلمة ضده ، نجوا من عدوان السادات ، وظلوا على صمتهم وقنعوا بالنجاة من جانب وباستمرار مكاسبهم على حساب الشعب من جانب آخر ، ومـــا أكثر هؤلاء .

٣ ـــ لم تغير ثورة التصحيح شيئا من الأوضاع ، ولا عدلت جوهر النظام ، فالاختيار الأول لأهل الثقة ، واليد العليا للحاكم وحده ، واليد السفلى لكل الشعب ، وليس هناك تغير فيما يتعلق بالقطاع العام ، أو فيما يتعلق بالشركات الحكومية الخاسرة (١) .

٤ ـــ عقدة مراكز القـــوى جعلت السادات حريصا على ألا يـــدع فرصة لإنسان نابهٍ ليستمر فى عمله السياسى طويلا خشية أن يصبح فى يوم مـــا مركز قوة ، ولعل هذا هو السر فى تخلصه من محمد صـــادق الذى لعب دورا مهما فى مواجهة محمد فوزى كما ذكرنا من قبل ، وبالتالى أبعد الجيش عن التورط فى السياسة كما أرادها محمد فوزى ، وتخلص السادات كذلك من الجمصى الذى حقق بقدراته ومواهبه مكانا مرموقا .

٥ ـــ أورد الأستاذ محمد حسنين هيكل صورة زنكوغرافية لخطاب خطير من محمد فوزى وزير الحربية إلى محمد صادق رئيس أركان حرب

(١) دكتور ابراهيم دسوقي اباظة : الخطايا العشر ص ٣٢٤ .

القوات المسلحة ، وهو فى هذا الخطـاب يعطى أوامر للفريق صـادق ليتحرك ببعض الجيش .... (١) .

ولم ينفذ الفريق صادق هذه الأوامر ، ثم إنه لم يعلن هذا الخطاب ويعتبر ذلك قمة الكياسة والسماحة ، ولو كان قد أعلنه فى فترة المحاكمات لكانت مسئولية محمد فوزى خطيرة لأنه أمر بالزج بالجيش فى هـذه الأمور السياسية لصالح الطغمة الفاسدة ، وذكر فى هذا الخطاب ان مصدر الأوامر فوزى — شعراوى — سامى .

وقد تحرك الجيش مرة فى يوليو سنة ١٩٥٢ فجلب لمصر كل صنوف الهزائم والظلم والفقر والقهر ، واعتقادى أن الجيش تعلّم من هـذه المأساة ، فلن يقدم مرة أخرى على خوض هذا الطريق .

ويعلق المؤرخ العسكرى الكبير جمال حماد (٢) على موقف محمـد صادق بقوله :

وقد كان للموقف الوطنى الحكيم الذى وقفه الفريق محمد صادق الفضل فى استقرار الأوضاع داخل تشكيلات الجيش ووحداته ، وعدم إتاحة الفرصة لأحد لإحداث أية فتنة أو بلبلة أو استغلال الفرصة للقيام بحركات مضادة للشرعية .

وكان من الأسباب التى لم تشجع محمد فوزى على محاولة تحريك الجيش لصالح جماعته ، ما ذكره أحمد كامل مدير المخابرات العامة لهذه الجماعة ، فقد قال لهم بصراحة : من تتبعى للرأى العام فى الجيش أقرر أنه يكره جماعتكم كراهة تحريم ، كما أن الفريق محمد فوزى مكروه جدا فى الجيش ، وأن الغرض من إنشاء قوات الأمن المركزى هو استخدامها ضد أى حركة فى الجيش (٣) .

---

(١) خريف الغضب ص ١١١ .
(٢) الحكومة الخفية فى عهد عبد الناصر ص ١٥٣ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

٦ — يتحدث أنور السادات فيما اقتبسناه سابقا منه عن الشعب الذى خرج للشارع فى فرح وسرور بسبب القضاء على مراكز القوى ، وهذا الادعاء مبالغ فيه ، فقد بالغت الصحافة الحكومية فى عرض الأشرطة التى حُرقت بوزارة الداخلية ... وهذه الأشرطة تتصل بالكبار ولا تمس الشعب من قريب ولا بعيد ، ولكن البلهاء الذين رقصوا بمجلس الشعب يوم التاسع والعاشر من يونيو ، ودماء الآلاف من المصريين لا تزال تقطر فى سيناء ، هؤلاء البلهاء لا يُستبعد أن يرقصوا لأى حدث يرضى الزعيم ، ولكن الشعب الحقيقى لم يعرف الفرح منذ قامت هذه الثورة واتجهت بالعدوان على الحرمات والأموال والأعراض .

٧ — شُكلت محكمة سُميت « محكمة الثورة » لمحاكمة المتهمين وكان رئيسها حافظ بدوى وعضواها بدوى حمودة وحسن التهامى ومما يذكر عن مثل هذه المحاكم أن الحاكم الفعلى فيها هو الخصم ، وما قضاة هذا الحاكم إلا الصوت المعبر عن صوته ، فقانون محكمة الثورة رقم ٤٨ لسنة ١٩٦٧ يقضى بعرض الحكم قبل النطق به على رئيس الجمهورية الذى خَوَّل له القانون إجراء تعديل على الحكم سواء بالإلغاء أو التخفيف أو التشديد ، ولا تنطق المحكمة بالحكم النهائى إلا بعد إجراء ما يراه الرئيس من تعديل فيه ، ثم يصدّق عليه .

وكان المتهمون فى القضية ٩١ متهما ، اتُهم بعضهم بالخيانة العظمى ، واتهم آخرون بتهم مختلفة ، وطلب المدعى الاشتراكى عقوبة الإعدام على بعضهم وعقوبات بالسجن على الآخرين .

واتهم على صبرى باستغلال النفوذ ، وأنه حصل على رشوة فوقف على صبرى فى القفص يقول :

---

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٠ .

يتهمنى المدعى الاشتراكى باستغلال النفوذ ، وأنى حصلت على رشوة من مقاول إحدى شركات القطاع العام التى بَنَت لى الفيلا التى أقيم بها ، وأننى لم أسدد إلا مبلغا ضئيلا لا يتناسب مع تكاليف البناء الفعلية ، والمقاول المقصود هو عثمان أحمد عثمان ، والشركة المعنية هى شركة « المقاولون العرب » والقانون يعاقب الراشى والمرتشى ، وإذا كنت أنا المرتشى فقد كان على المدعى الاشتراكى أن يقبض على عثمان أحمد عثمان ويضعه معنا فى القفص لأنه دافع الرشوة .

ثم إن الفيلا التى بُنِيَت لى هى واحدة من ثلاث فيلات أُقيمت فى وقت واحد ، وفى موقع واحد ، وبنموذج واحد ، وبسعر واحد ، فأين ملاك الفيلتين الآخيرتين ، ولماذا لا يكون معنا فى القفص أشرف مروان ، وحاتم صادق زوجا ابنتى جمال عبد الناصر اللذان يسكنان فى الفيلتين مع زوجتيهما (١) .

وقد حكمت هذه المحكمة بالإعدام على أربعة من المتهمين هم على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف وفريد عبد الكريم ، وحكمت على الباقين بالسجن لمدد متفاوتة ، ولكن رئيس الجمهورية أمر بتخفيف حكم الإعدام فجعله الأشغال الشاقة المؤبدة ، كما أمر بتخفيف الحكم على بعض المحكوم عليهم بالسجن ، فقلل مدة السجن .

صورة هؤلاء الحكام :

وجاء فى حكم المحكمة « براءة على صبرى من تهمة استغلال نفوذه للحصول على فوائد وميزات ذاتية له ولأسرته » (٢) .

وكانت هذه البراءة نتيجة طبيعية لدفاع على صبرى عن نفسه ،

---

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١١٧ و ١١٨ .
(٢) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٦٠ .

ذلك الدفاع الذى جرّ إلى المسئولية أولاد عبد الناصر الذين يملكون فيلات تماثل فيلا على صبرى ، ودفعوا ثمنا يماثل الثمن الذى دفعه ، كما جرّ إلى المسئولية عثمان أحمد عثمان الذى دفع الرشوة ، فيبدو أن توجيها صدر بالتغاضى عن هذه الانحرافات التى كان التمسك بها خطيرا على بعض ذوى النفوذ .

ومما يذكر أن هذه المحاكمة شملت عـددا كبيرا كان أكثرهم من رجال السياسة أو رجال الإعلام .

صور لزعماء عصر عبد الناصر :

وهنا نقدم صورا لبعض الشخصيات الهزيلة التى كانت لامعـة فى عصر عبد الناصر ، ثم كشفت الأيام عن طبيعتها ، فـاذا بهم ينهارون ويتبادلون التهم ، وذلك قمة الصَّغار :

ــ مثلا **الفريق أول محمد فوزى** نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية شهد ضد شعراوى جمعة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . وقال إن شعراوى سأله عما إذا كان يمكنه استخدام الجيش فى عمل انقلاب ، وإنه (أعنى الفريق فوزى) رد على استفسار شعراوى بأنه « حايشوف » وأنه « حايدرس » .

أما على صبرى (نـائب رئيس الجمهورية) فقـد اعترف عـلى عبد المحسن أبو النور الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى بأنه هو الذى دفعه إلى الهجوم على الرئيس السادات خاصة فى اجتماع ٢٥ ابريل وقال إن الرئيس ناوى يشيلك . « خش عليه جامد » ! [1] .

وشـهد أكثر من متهم ضد على صبرى . بأنه كـان غاضبا لأن الرئيس السادات لم يكن يستشيره فى أى موضوع .

---

(١) دكتور مصطفى أبو زيد فهمى : مجلة أكتوبر (١٩٨٨/١٠/٣٠) .

وشهد أحمد كامل رئيس المخابرات آنذاك أن شعراوى جمعه قال :

« نخلى الجيش يعمل عملية (انقلاب) ونشكل مجلس رئاسة برئاسة الفريق محمد فوزى • لكن أحمد كامل قال له — ولهم — إن الجيش يكره الفريق فوزى وانه لا يمكنه اطلاقا أن يسير خلف فوزى ليكون رئيسا للدولة •

وعلى كل حال فقد كانوا جميعا مرحبين ومترقبين ومتلهفين إلى أن يجىء محمد فوزى لينهى الموضوع بانقلاب عسكرى • وتبلغ اللهفة والترقب من جانب على صبرى أنه يسأل أكثر من مرة وبإلحاح : فوزى أخباره إيه ؟ وطبعا هو هنا لا يستفسر عن صحة الفريق فوزى !

ومرة أخرى — أو فى حوار آخر مسجل بين على صبرى وسامى شرف — يقول على صبرى : « هذا التدبير يحتم موضوع فوزى » • أى تدخل فوزى •

ونجىء الآن إلى حسين الشافعى الذى قال عنه شعراوى جمعة فى المحاكمة إنه احتل أحد القصور الملكية « قصر الطاهرة » وصمم على أن يقيم فيه ، وقد تمكن شعراوى جمعة بأسلوب هادىء أن يقنعه عن العدول عن هذا الموقف (١) •

والشخصية التالية التى نريد أن نرسم لها صورة هى شخصية سامى شرف الذى كان معه نفوذ غير محدود ، وكان معه خاتم رئيس الجمهورية ، ومفاتيح خزانته ، وكان يمثل الصلة بين الوزراء وبين الرئيس جمال عبد الناصر •

---

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٣٧ •

وقد ثبت أن سامى شرف قال قبل تحديد إقامته إن السادات ثعبان أزرق ، وفيه كل الخسة والمكر والنذالة والغدر (١) .

هذا الإنسان لم يكن فقط خائنا للسادات ، بل إنه كان خائنا للجميع ، فقد ثبت أنه أمر أحمد كامل رئيس المخابرات أن يسجل محادثات كبار المسئولين التى حوكموا بها ، وكان ذلك برأيه أو برأى سيده ناصر .

هذا الإنسان عندما صدرت قرارات بتحديد إقامته ومحاكمته انهار انهيارا كاملا ، ولم تكن فيه قدرة الرجال لمواجهة هذه الأحوال الجديدة ، وبكى وولول ، وكتب رسالتين للنائب العام يلقى فيهما بالمسئولية على زملائه ، ثم عاد بعد ذلك يسحب كلامه ويقرر أن الخطابين اللذين كتبهما للنائب العام حدثا وهو فى ظروف نفسية وصحية سيئة ، وأنه كتبهما وهو بدون وعى ، ولم يكن يعنيه إلا النجاة بحياته (٢) وإن كان فى ذلك ما يؤدى بمن كانوا رفاقا له (٣) .

وهكذا حاول هذا الإنسان أن يستنكر ما جاء على لسانه بهذين الخطابين ، إذ أحس أنه اساء إساءة بالغة لمن كانوا بالأمس زملاءه .

وكان من وسائل انهياره وصغار نفسه أنه توجه بالتماس إلى الرئيس السادات يقول فيه : إنك الوالد ، ويستحلفه بروح حبيبه جمال عبد الناصر !! وبحياة بنته «نانا» « ابنه السادات » يا له من صغر .

ويذكر الأستاذ جمال حماد أن أدلة قوية تؤكد أن سامى شرف كان مجندا لحساب المخابرات الروسية ، وأن اسمه الحركى كان « الأسد » ويطالبه بدفع هذا الاتهام عن نفسه إذا استطاع بدلا من السكوت الذى

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

استغرق عشر سنوات ، ويقرر أن هذه تهمة شائعة وبخاصة أنه كان شديد القرب من عبد الناصر ، ويهدده بمحكمة التاريخ التى تذل الجبابرة والطغاة (١) ٠

ولا شك أن هذه الصورة ترينا مكانة الذين حكمونا فى يوم من الأيام ٠

والصورة التالية التى نقدمها هى صورة ضياء الدين داود الذى صرح — كما ذكرنا من قبل — أن جزمته تعرف فى السياسة أكثر من أنور السادات ، ولكنه عندما جد الجد ، تهاوى وسقط وراح يستعطف ، ومن صور استعطافه ذلك الخطاب المخجل الذى كتبه للمهندس سيد مرعى ، وكان هذا نائبا لرئيس الوزراء آنذاك ٠

وهو فى مطلع خطابه الطويل يضفى أرق الصفات على سيد مرعى ، ثم يتقرب للسادات بأن يدعى أنه لا يرتبط بعلى صبرى بشىء ولا يتأثر له برأى ٠

ويعتذر عن كلامه فى اللجنة التنفيذية بما أغضب السادات ويقول : إنى أعترف أنى اندفعت فى الكلام وكان الأفضل ألا أتكلم ٠

ويقرر استعداده بأن ينسحب من الحياة السياسية تماما ، ثم يشير إلى حياته فى السجن وأنه أمضى به شهرا فى أسوأ ظروف صحية ونفسية وعصبية ٠

ويذكر أنه كتب للرئيس السادات من السجن كتابين يلتمس فيهما عفوه ورضاه ، ويتقرب إليه ٠

ثم يختم خطابه بأن يستحلف سيد مرعى بالله بأن يساعده فى

---

(١) الحكومة الخفية فى عهد عبد الناصر ص ٦٠ و ٦٩ و ٨٢ ٠

محنته ، وأن يتذكر أن والدته تعانى خلال الشهور الثلاثة الماضية من الأمراض والحرمان وتحتاج للمواساة [١] .

هؤلاء — أيها القارىء الكريم — هم الذين حكموا خلال فترة الظلام وهم غير جديرين على الإطلاق بالمكانة التى شغلوها .

الإفراج بعد عشر سنوات :

فى ١٣ مايو سنة ١٩٨١ قرر أنور السادات الإفراج عمن بقى من المحكوم عليهم بالسجون فى مؤامرة مايو سنة ١٩٧١ ، وكان الكثيرون قد امضوا العقوبة وخرجوا ، وبقى بالسجن على صبرى وسامى شرف وفريد عبد الكريم وشعراوى جمعة الذين كان قد حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، فاكتفى السادات بعشر سنوات .

ولم يحس الناس بفراغ عندما سجن هؤلاء ، ولا فرح الناس عندما تمّ الإفراج عنهم ، لقد كانوا فى نظر الجماهير كمّاً مهملا ، عاشوا فى السلطة لتحقيق أهدافهم ، ولا يَذْكر لهم أحد أية مفخرة وطنية أو موقف يستحق الثناء .

عام الحسم :

عُرِف عام ١٩٧١ بأنه عام الحسم ، وكان عبد الناصر قد توفى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وأعلنت مصر الحداد مدة أربعين يوما تنتهى فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠ وكان هذا داعيا لموافقة مصر على مد فترة وقف إطلاق النار مع إسرائيل مدة ثلاثة شهور أخرى تنتهى فى ٥ فبراير سنة ١٩٧١ وأعلن أنور السادات أنه بعد ذلك لابد من تسوية الموضوع فالعام (١٩٧١) هو عام الحسم .

---

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١٨١ — ١٨٢ .

ويبدو أن أنور السادات اتخذ هذا الأسلوب للتمويه على أعدائه « مراكز القوى » حتى يظنوا أنه مشغول عنهم ، فينقضوا عليه وهو فى دائرة هذا الانشغال بالتزامات عام الحسم .

ثم طرأ على الساحة الدولية فى ديسمبر هذا العام ما سبب تأجيل عام الحسم ، فقد نشبت الحرب بين الهند وباكستان ، على إثر التدخل الهندى المسلح عبر حدود باكستان الشرقية (بنجلاديش الآن) لفض النزاع فيها لإعادة ملايين اللاجئيين لها إلى بنجلاديش ، وكان الاتحاد السوفيتى يؤيد الهند ، وأيدت الولايات المتحدة باكستان ، وكان النصر للهند وللأسلحة الاتحاد السوفيتى ، ورأى الاتحاد السوفيتى أن هزيمة الولايات المتحدة فى هذه المعركة لا تحتمل هزيمة أخرى فى الشرق الأوسط ، فأجل توريد الأسلحة اللازمة لمصر لتحقيق الحسم عام ١٩٧١ ، وهكذا تأجل الحسم الذى كان أملا للمصريين ذلك العام .

فكرة « عام الحسم » لها نتائج خطيرة :

عندما لم يتحقق ما وعد به السادات فى « عام الحسم » اتخذ الناصريون واليساريون هذه الفرصة ففجروا مظاهرات ضد السادات فى الجامعة وفى المجتمعات الأخرى ، وفى مقابل ذلك قدم مستشارو السادات له النصح ليسمح لنشاط الجماعات الدينية بالظهور ، فهؤلاء هم الذين يستطيعون مقاومة الاتجاهات اليسارية والناصرية ، ووافق السادات على ذلك ، وظهرت عبارة « الرئيس المؤمن » وقدمت مساعدات لهذه الجماعات الدينية ، فظهرت هذه الجماعات وأصبح الزمام فى يدها بالجامعات والمجتمعات وسيطرت على اتحادات الطلبة وفازت فى الانتخابات فوزا كاملا .

ونسى السادات أن الجماعات الدينية لا يمكن أن تعمل لحسابه ، فسرعان ما اصطدمت به وبنظامه فظهرت الأحداث الخطيرة التى سنلم بها فى مكانها .

محاولات لحلول سلمية :

كانت موافقة مصر على مد فترة وقف النار مع إسرائيل تنتهى فى ٥ فبراير كما ذكرنا آنفا ، وقبيل حلول هذا التاريخ كانت الجهود تبذل لحلول سلمية حتى لا تستأنف الدولتان إطلاق النيران ، والجهود السلمية تركزت فى الآتى :

١ — فى ٤ فبراير أعلن أنور السادات بمجلس الشعب استعداده لمدّ وقف إطلاق النار مدة شهر آخر يتم خلاله انسحاب جزئى للقوات الإسرائيلية من سيناء ، وتبدأ مصر عقب ذلك تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة •

٢ — وفى ٨ فبراير تقدم الدكتور يارنج ممثل الأمم المتحدة بمشروع يقضى بإعلان إسرائيل أنها تنسحب إلى حدود ١٩٦٧ على أن تتعهد مصر بتوقيع اتفاق سلام معها تضمن حرية الملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران مع ترتيبات خاصة لشرم الشيخ وقبلت مصر هذا الاقتراح ورفضته إسرائيل •

٣ — فى ٤ ، ٥ مايو زار وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية مصر على الرغم من قطع العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وكان الذى شجعه على هذه الزيارة الأمل فى أن القيادة الجديدة ستختلف عن قيادة عبد الناصر ، ثم أن السادات كان قد أقال على صبرى من جميع وظائفه فى ٢ مايو ، وعلى صبرى هو درع الاتحاد السوفيتى فمن الأفضل للولايات المتحدة أن تَمُدّ رجلها فى ظل هذه الظروف وأعلن روجرز أن الدبلوماسية النشطة يمكنها أن تعدّل موقف إسرائيل وتدفعها لقبول المسالمة ، وقدم اقتراحات تفيد اهتمام الولايات المتحدة بالتوصل إلى اتفاق مرحلى ومحاولة التوفيق بين تفسير مصر وتفسير إسرائيل للقرار

رقم ٢٤٢ واستعداد أمريكا للقيام بهذا الدور إذا طلبت مصر منها أن تقوم بدور الوسيط •

وأعلن روجرز أن إسرائيل توافق على دور أمريكى نشط كما أعلن أن الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر عامل معوّق للإدارة الأمريكية •

٤ — فى ٩ مايو جاء لمصر سيسكو مساعد وزير خارجية أمريكا يحمل وجهات نظر إسرائيل فى الحل السلمى ، وهى وجهات نظر جائرة وخلاصتها : وقف دائم لإطلاق النار والاتفاق حول إعادة فتح قناة السويس بانسحاب جزئى لإسرائيل على ألا تعبر قوات مصرية إلى شرق القناة ، وأن يبقى فى خط بارليف مهندسون مدنيون إسرائيليون [1] •

ورفضت مصر هذه المقترحات ، وأحست مصر أن أمريكا فى يدها الحل ولكنها لا تريد استعماله ، وأن السوفييت غير متحمسين لمساعدة مصر ، ولكنهم الذين يؤمل منهم العون العسكرى ، وإذا كانت أمريكا قد ألقت بثقلها مع إسرائيل فلابد لمصر أن تخطب ود الاتحاد السوفيتى على الرغم من كل شىء ، وهذا الموقف هو الذى قاد لتوقيع معاهدة صداقة وتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وسنتحدث عنها فيما يلى :

معاهدة صداقة وتعاون مع السوفيت :

ذكرنا آنفا أن السوفييت هم الذين كان يُرْجى منهم العون العسكرى لمصر لتحرير أرضها ، وأن إلقاء أمريكا بكل ثقلها مع إسرائيل دفع السادات لمحاولة الاعتماد على السوفيت •••••••• ويضاف إلى ذلك أن أنور السادات بعد أن أقال على صبرى فى ٢ مايو وقبض على مراكز القوى فى ١٥ مايو أراد أن يتقرب من موسكو حتى لا يظن زعماء

---

(١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى ص ١٧٣ — ١٧٧ •

السوفيت أن القضاء على تلك العناصر سيؤثر على علاقة الاتحاد السوفيتي بمصر ، وأراد أنور السادات كذلك أن يبرهن للسوفيت أن حضور روجرز وسيسكو للقاهرة لن يؤثر على علاقته بموسكو .

وأقبل السوفيت على هذه المعاهدة ليبرهنوا على عدم تمسكهم برجال مايو ، وأن علاقتهم الحقيقية إنما هى بالقيادة المصرية ، ووقع الطرفان معاهدة صداقة فى ٢٧/٥/١٩٧١ .

وقد نصت هذه المعاهدة (١) على قيام صداقة راسخة بين البلدين والشعبين ، وعلى بذل الجهود للتوصل إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، ودعت إلى التشاور بين البلدين فى الأمور التى تهمهما ، وإلى تنسيق موافقتهما للتصدى لأى تهديد للسلام أو خرق له ، كما نصّت على تطوير التعاون فى المجال العسكرى بهدف تعزيز قدرات مصر الدفاعية وتمكينها من إزالة آثار العدوان .

دهشة الأمريكان لهذه المعاهدة :

ويذكر الأستاذ هيكل أن الأمريكيين دُهشوا لهذه المعاهدة وتساءلوا : لماذا تخلّص السادات من أصدقاء السوفيت مما صوَّره لهم بأنه متّجه لليمين ، ثم إذا هو فجأة يأخذ زاوية حادة فى الاتجاه لليسار ويعقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتى ؟ وإن عبد الناصر الذى كان مكروها لدى الأمريكان لم يُقْدِم على هذه الخطوة (٢) .

وغضب العرب أو أكثرهم لهذه المعاهدة ،وخافوا أن تكون مصر متجهة لليسار ، ولكن السادات دافع عن وجهة نظره بأن الأمريكان ماضون فى سياستهم التى تؤيد إسرائيل إلى أقصى حد ، فكان لزاما عليه أن يتجه للسوفيت ليحصل على ما يحتاج إليه من سلاح .

---

(١) هذا الايجاز من مطالعة نصوص المعاهدة المذكورة .
(٢) خريف الغضب ص ١١٨ .

وحضر الملك فيصل إلى مصر وكان دائما يؤكد أن المعاهدة تصرف ظاهرى للضرورة ، ولكن النوايا الحقيقية للسادات بعيدة عن الولاء للسوفييت .

وبرهنت الأيام على أن السادات لم يكن فى نفسه ولاء حقيقى للسوفييت ، فسرعان ما طرد الخبراء الروس من مصر ، ثم ألغى هذه المعاهدة كما سنرى ، وبخاصة عندما اتضح له أن زمام الأمر كله فى يد أمريكا ، فهى التى تستطيع أن تأمر إسرائيل بما ينبغى أن يكون ، وإذا رفضت إسرائيل مطلبا لأمريكا فهو من قبيل الدلال وليس من قبيل العناد والمواجهة .

توتر مع السوفيت بسبب السودان :

لم تمض فترة طويلة على توقيع هذه المعاهدة حتى ظهرت فى الأفق سحابة" كثيفة ، ففى يوليو من هذا العام (١٩٧١) شهدت السودان أحداثا خطيرة ، ففى العاشر من هذا الشهر نجح اليسار السودانى فى السيطرة على مقاليد الأمور بالسودان وإلقاء القبض على الرئيس نميرى .

ويقول محمد حافظ إسماعيل (١) : إن الرئيس السادات عارض الانقلاب السودانى بشدة ، وأعلن رفضه قيام حكم شيوعى على حدود مصر الجنوبية ، وأكد تأييده لنميرى ، وخلال يومين أو ثلاثة فشل الانقلاب فى تحقيق أهدافه ، واستعادت القوات المؤيدة للنميرى بمساعدة مصر سيطرتها على الموقف وقامت بالإفراج عن الرئيس .

وقد ترتب على هذه الأحداث توتر فى العلاقات السوفيتية بالسودان وبمصر ، فقطعت العلاقات بين السودان والاتحاد السوفيتى ،

---

(١) أمن مصر القومى ص ١٨٢ .

وبالنسبة لمصر أجل السوفييت الوفاء بما وعدوا بـه فى المعاهدة مـن تقديم الأسلحة والذخائر ٠

وهكذا لم يحدث هناك تطور فى موقف مصر من إسرائيل فلا التدخل الأمريكى أجدى ، ولا الوعود السوفيتية تحققت ، ولعل الخلافات الداخلية بين السادات ومراكز القوى سببت هذا التراخى حتى يتضح من سيمسك بالزمـام ٠

إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى :

عقب انتصار السادات على أعدائه ، جرت انتخابات لتشكيل جديد للاتحاد الاشتراكى ، فالتشكيل القديم تمّ فى عهد عبد الناصر وكان ولاؤه له ولزبانيته ، وأجريت الانتخابات من القاعدة ، ولكنها لم تصل إلى القمة ، فبعد انتخابات اللجنة المركزية أعلن السادات تأجيل انتخـاب اللجنة التنفيذية العليا بحجة حاجة أعضاء اللجنة المركزية إلى التعارف قبل أن يَخْطُوا لانتخاب اللجنة التنفيذية العليا ٠

وكان هذا يتيح للسادات أن يحكم دون منافس ، ودون الرجوع إلى أحد أو دون أن يستمد سلطاته من أى فرد أو من أية لجنة ٠

دستور السادات : عرض ونقد :

كان من أهم الأعمال التى أصدرها أنور السادات سـنة ١٩٧١ ، إعلان دستور جمهورية مصر العربية ، وقد حُرِمت مصر من الدساتير من مطلع الثورة حتى هذا التاريخ ، فعلى مدى عشرين عاما تقريبا كانت مصر تحكم بدون قوانين وبدون دساتير ، ثم جاء هذا الدستور الذى أعلنه أنور السادات ، وبمطالعة هذا الدستور نجده فى كثير من مواده استمرارا لاتجاهات الثورة ، ويقول رجال القانون وبخاصة رجال المعارضة إن هذا الدستور كان تعبيرا دقيقا عن اتجاهات السادات التى تعنى دكتاتورية

مغلفة بغلاف رقيق دقيق من الديمقراطية لا يتعارض مع اتجاهاته المطلقة ، فالدستور بذلك كائن خداع ، وسنعيش معه فى هذه السطور نعرضه وننقده •

فى مطلع الدستور مقدمة جميلة تذكر أن هذا الدستور تعلنه جماهير الشعب ، فكأنما كان الدستور نابعا من عقول الشعب ومعبرا عن آماله ، وذلك ليس بصحيح •

وفى هذه المقدمة حديث عن التطوير المستمر للحياة فى وطننا •

والملاحظ أن الحياة فى وطننا توقفت مع مطلع الثورة ، وبدأ الثائر الأعظم عبد الناصر يعمل لصالحه هو ، وسارت حاشيته ومن جاء بعده فى هذا النطاق •

وتتحدث المقدمة عن الحرية للإنسان المصرى وذلك هدف لم نصل لتحقيقه حتى الآن •

ثم تجىء مواد الدستور فتقرر المادة الأولى أن جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطى واشتراكى •

وقد ذكرنا فى دراساتنا السابقة أن مصر لم تعرف الديمقراطية منذ مطلع الثورة حتى الآن ، وأن الانتخابات تزيف كما يريد الحاكم ، ثم أين هو النظام الاشتراكى مع السرقات التى وصلت ببعض الناس إلى درجة المليونيرات أو أكثر من ذلك •

وتقرر المادة الثالثة أن السيادة للشعب وحده •

ويعلم الله أن السيادة لولى الأمر ، وليس للشعب فيها نصيب يذكر •

وتتحدث المادة الخامسة عن الاتحاد الاشتراكى العربى وقد عدلت هذه المادة فيما بعد ، فقد ألغى هذا الاتحاد المشئوم بعد أن ترك فيضا من الآلام فى نفوس الشعب ، ولكن النظام الجديد الذى حل محل الاتحاد

لا يزال يحتفظ بنسبة الخمسين فى المائة على الأقل للعمال والفلاحين فى أى تنظيم سياسى".

ونرى أن العمال والفلاحين يمثلون عنصرا مهما فى حياة مصر ، ولكن عزلهم عن باقى الشعب أمر مرفوض تماما ، فأغلب المثقفين والتجار ينتمون إلى أسر العمال والفلاحين ، وعزل الطبيب عن أبيه العامل أو الفلاح شىء يرفضه الطبيب والعامل والفلاح جميعا .

ومن الواضح أن هذا التقسيم لم يأت بأية ثمرة للعامل والفلاح ، والثمرة الوحيدة التى جاء بها هى أن يوضع فى قوائم المرشحين ، وفى المجالس النيابية جماعة يصفقون للحاكم ، فهو أتى بهم الى هذه اللجان ، وهم يأتون به لمنصب الرياسة بكل اليسر ، وبشكل يبدو فى الظاهر ديمقراطيا .

والمادة رقم ١٩ تقرر أن التربية الدينية أساسية فى مناهج التعليم العام .

ومن الملاحظ أن التربية الدينية تفتقد نصيبها فى هذا التعليم ، ولا توجه لها عناية تذكر فى المدرسة أو فى الجامعة أو فى وسائل الإعلام .

والمادة العشرون تقرر مجانية التعليم فى جميع مراحله .

وقد تحدثنا من قبل عن أن هذه المادة خلقت جيوشا من العاطلين ، فقد فتحت المجانية بلا حدود لغير الموهوبين ، ثم إلى الذين استطاعوا أن يتسربوا إلى التعليم من غير كفاءة ، ومع الرسوب والنجاح والرسوب والنجاح حصلوا على شهادة بدون علم ، ووقفوا فى صفوف العاطلين ، هذا بالإضافة إلى المصروفات التى تدفع فى المدارس الخاصة والتى وصلت إلى أرقام الآلاف ، وكذلك بالإضافة إلى الدروس الخصوصية التى تثقل كاهل كل الآباء .

والمادة رقم ٣٠ تتحدث عن القطاع العام وتصفه بأنه يقود التقدم فى جميع المجالات •

وقد أثبتت التجارب أنه حافل بالخسائر والسرقات ، ولكن هـذا الدستور يحميه كما حمته القوانين الثورية منذ مطلع الثورة ، ومع أن أشهر الدول الرأسمالية والاشتراكية أخذت تتخلص من القطاع العام ، فأن مصر تستبقيه ليكون وسيلة لإسعاد المحاسيب والأصهار ، ومنحهم أرقى المناصب فيه •

وتتحدث المادة رقم ٧٤ عن الاستفتاءات والانتخابات •

ومن الواضح أن هذه وتلك تتم حسب إرادة الحاكم ، وتستعمل فيها نظام « التسعات » مبالغة فى الأمر ، أما الشعب فإنه فى الحقيقة بمعزل عن هذه الاستفتاءات وتلك الانتخابات •

وينتقد علماء الفقه الدستورى هذه المادة لأنهـا تطلق لرئيس الجمهورية السلطات الاستثنائية وفى قمتها إعلان حالة الطوارىء عندما يرى الرئيس أن هناك تهديدات الأمن الدولة أو السلام الاجتماعى ، وبذلك تقيم هذه المادة نوعـا من الديكتاتورية يعلنها الرئيس وقتما يشاء ، وليس عليه إلا أن يجرى استفتاء على ما اتخذه من اجراءات خلال ستين يوما من اتخاذه لها •

ومن الواضح أن نتائج الاستفتاءات مضمونة لديه ليحقق ما يشاء •

وتقرر المادة رقم ٧٧ أن مدة الرياسة ست سنوات ثم يجوز إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدة تالية ومتصلة ليكون مجموع سنى حكمه أثنى عشر عاما •

ولكن إيعازات عالية المستوى دفعت إحدى عضوات مجلس الشعب

لتقترح أن تكون مدة الرياسة مفتوحة وألا تتقيد بنص هـذه المـادة ، واستجاب المجلس بالإجماع لهـذا الاقتراح بسرعة ، وأصـبح رئيس الجمهورية يبقى فى مكانه إلى أن يمـوت بعد عمر طويل ، وقد أجرى استفتاء لذلك التعديل فى ٢١ مارس سنة ١٩٨٠ ٠

وعندما جاء حسنى مبارك إلى الرياسة أعلن وجوب العودة للنص الأصلى بالدستور والاكتفاء بمدتين ٠

ولكن سرعان مـا تنوسى هذا الإعلان ، ولم تتخذ أيـة إجراءات لتنفيذه ، والعودة للنظام الذى كان قد قرره دستور ١٩٧١ قبل تعديله سنة ١٩٨٠ ٠

وطريقة اختيار رئيس الجمهورية بواسطة الاستفتاء طريقة صورية تسير على وفق هوى الرئيس ، فالشعب لا يشترك فى اختياره ، ولا يجد أمامه إلا هو فى بطاقة الاستفتاء ٠

والوضع الطبيعى أن يكون اختيار الرئيس بالانتخاب ، وأن يكون لدى الجماهير عدة أشخاص مرشحين ويختار الشعب أحدهم ، وذلك هـو النهج المتبع فى الدول الديمقراطية وحتى الصغيرة منها مثل قبرص وإسرائيل ٠

ومع أن الرئيس فى مصر يختار بهـذا الطريق الأعـرج وهـو الاستفتاء ، فإن الدستور يخوله سلطات هـائلة كحل مجلس الشـعب ، ويعطيه سلطات تنفيذية وتشريعية بل وقضائية ، مما يركز على السلطات فى يده ، وليس هناك ما يقابل ذلك من إمكان مساءلته ، وذلك شىء عجيب ولا يوجد فى النظم الديمقراطية على الإطلاق ٠

ومن السلطات الممنوحة لرئيس الجمهورية طبقـا لهذا الدسـتور اختيار رئيس الوزراء ٠

والمادة رقم ٧٩ تشمل قسماً يبدأ به رئيس الجمهورية عمله ، كما يؤديه كذلك الوزراء وأعضاء مجلس الشعب ، وخلاصته أن يحترم الدستور والقوانين ، وأن يرعى مصالح الشعب رعاية كاملة ، ونحن نتمنى أن يتذكر هؤلاء هذا القسم طيلة حياتهم ، وألا يكون كلمات فى ورقة يقرؤنها ثم يهملونها كما يهملون الورقة نفسها .

وتتحدث المادة رقم ٩١ عن المكافأة التى تصرف لأعضاء مجلس الشعب .

والحق أنه للأسف أصبحت عضوية مجلس الشعب وظيفة سخية الربح لها مكافأة شهرية ، ومكافأة أخرى لحضور الجلسات ، ومكافأة ثالثة لحضور اللجان بالإضافة إلى ما نشاهده بأعيننا فى التليفزيون وما نسمع عنه من ملاحقة الأعضاء للوزراء للحصول على توقيعاتهم لينعموا بكثير من المكاسب المادية والأدبية .

والمادة ٩٣ تنص على اختصاص مجلس الشعب وحده بالفصل فى صحة عضوية أعضائه ، وذلك انتقاص من حقوق القضاء .

والمادة ١١٥ لا تجيز لمجلس الشعب أن يعدل مشروع الموازنة العامة للدولة إلا بموافقة الحكومة .

وتقرر المادة ١٣٩ أن لرئيس الجمهورية أن يعين نائبا لـه أو أكثر ويحدد اختصاصاتهم ويعفيهم من مناصبهم ، وقد أثبتت التجارب أن نائب الرئيس هو الذى يكون رئيسا بعده ، وهى عملية تسلسل تزيد عما كان معروفا فى نظام الملكية .

المطالبة بتعديل هذا الدستور :

وفى ختام هذه الدراسة السريعة نتفق مع رجال القانون بضرورة تعديل سريع لهذا الدستور بحيث يصحح ما أشرنا إليه من أخطاء ، ثم

يشمل التصحيح النقاط التالية التى أدخلت وأقحمت على هذا الدستور فجعلته غير صالح للبقاء ، ولذلك نطالب بما يلى :

— إلغاء النظم الشاذة التى احتواها هذا الدستور وفى مقدمتها نظام المدعى الاشتراكى وما يتبع ذلك من إقامة محكمة القيم ٠

— عدم السماح بإنشاء محاكم غير قضائية لوجود أعضاء بها ليسوا من رجال القضاء المتخصصين وبالتالى عدم السماح بإنشاء محاكم أمن الدولة والمحاكم العسكرية للمدنيين ٠

— يجب أن يشمل الدستور الحرية المطلقة لتكوين الأحزاب وإصدار الصحف ، وبالتالى إلغاء المجلس الأعلى للصحافة والاكتفاء بنقابة الصحفيين ٠

— وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تكون قومية حقيقية ولا تتبع فى نهجها وأدائها أى حزب من الأحزاب ٠

— ينبغى أن تحدد طريقة لمساءلة الوزير ، فهو فى هذا الدستور بمنأى عن المساءلة الجنائية طالما بقى فى دست الوزارة ٠

— إلغاء بدعة الخمسين فى المائة المخصصة للعمال والفلاحين ، تلك التى لا ينتفع بها العمال والفلاحون ، وإنما هى وسيلة لوضع جماعة من الناس فى المجالس لا عمل لهم إلا التصفيق للرئيس وللقرارات التى يريدها ٠

— يكون هناك نص صريح بأن تجرى الانتخابات هيئة محايدة تماما من القضاة أو من أساتذة الجامعات ، وأن من يزيف الانتخابات يواجه محاكمة قاسية ٠

— يكون هناك انتخاب للرئيس وليس استفتاء فيرشح لهذا المنصب عدد من ذوى الكفاءات ، ويختار الشعب واحدا منهم .

— وفى القمة من الإصلاحات وجوب العودة للنص الـذى كـان موجودا بالدستور حول إعادة انتخاب رئيس الجمهورية بحيث لا يعاد انتخابه أكثر من مرة ، وعلى أن تكون مدة كل مرة أربع سنوات كمـا هو متبع فى أمريكا التى نتغنّى باتجاهاتها إلا فى هذه النقطة .

تلك ملاحظات سريعة على دسـتور سنة ١٩٧١ وهو فى جملتـه يحتاج لتغيير سريع ، فهو فى الحق كان معبّرا عن رأى أنور السادات أكثر من تعبيره عن رأى جماهير الشعب .

أحداث سنة ١٩٧٢

إن الدارس لأحداث عصر أنور السادات يجد أن أحداث سنة ١٩٧٢ تمثل فترة انتقال بين أحداث سنة ١٩٧١ التى تخلص فيها أنور السادات من منافسيه وأعدائه ، وبين الحدث الأكبر سنة ١٩٧٣ وهو الحرب ضد إسرائيل ، ومن هنا فإننا لا نتوقع فى هذا العام كثيراً من الأحداث بعد أن استقر الزعيم فى كرسيه ، وأخذ يرسى قواعده ويعد العدة للجولة العسكرية ، وفيما يلى نذكر أهم أحداث هذا العام .

طرد الخبراء السوفييت :

أشرنا من قبل إلى أن وزير الحربية الفريق أول محمد صادق كان بعيدا عن الشيوعية بسبب تدينه ونشأته وثرائه ، وقد كتب فى أوائل يناير سنة ١٩٧٢ تقريرا خطيرا عن القوات المسلحة أبرز فيه الجفوة بين القيادة العسكرية والخبراء السوفييت ، وأنهم المسئولون عن عدم إعداد القوات المسلحة المصرية لمعركة هجومية .

وتزايد الإحساس بأن الخبراء السوفييت كانوا ينفذون رغبة زعماء الاتحاد السوفيتى بتجميد الأوضاع بين مصر وإسرائيل ، وأن تستمر حالة اللاسلم واللاحرب أو بلغة أخرى أن يظل الاسترخاء بالمنطقة .

وكانت أحداث السودان مؤثرة على العلاقة بين مصر والسوفييت مما قلل الثقة فى هؤلاء الخبراء الروس .

وكان هؤلاء الخبراء يمثلون قوة هائلة فى مصر فكانت لهم مناطق لا يسمحون للمصريين بالدخول فيها مما خلق جانبا من الرعب منهم .

ثم إن مصر كانت تصر على الدخول فى معركة مع إسرائيل وكان أنور السادات يحس بأن النجاح فى هذه المعركة سينسب لا لمصر ، وإنما لهؤلاء الخبراء ، وهذا سيكون شيئا يقلل من مكانة مصر ، فمصر تريد أن تزاول معركتها بنفسها ، وهى تحس بالقدرة على ذلك ، ولا تحتاج لأشخاص ، وإنما لأسلحة كتلك التى تتدفق على إسرائيل من أمريكا .

ثم ما العمل إذا قامت المعركة مع وجود هؤلاء الخبراء ، ثم صدرت لهم أوامر من الاتحاد السوفيتى بالتوقف عن المشاركة فى المعركة ؟ إن ذلك يضع زمام المعركة فى أيدى السوفييت وهو أمر محفوف بالمخاطر .

وتنفيذا لسياسة الوفاق التى كان الاتحاد السوفيتى قد اتفق عليها مع أمريكا وتقضى بإبقاء الأمر على ما هو عليه فى الشرق الأوسط ، تسلم أنور السادات رسالة من الاتحاد السوفيتى بعيدة عن اللياقة تذكر أنه ليس من الضرورى المطالبة بمزيد من الأسلحة لمصر لأن فرص التغلب على إسرائيل عسكريا غير محتملة ، وهذا أثار أنور السادات وأحس بتخلى الجانب السوفييتى عنه .

وساءت العلاقات بين ضباط الجيش المصرى وبين هؤلاء الخبراء حتى وصلت إلى درجة الكراهية ، بل إلى درجة الإحساس بأن هؤلاء الخبراء ينقلون أخبار الجيش المصرى وتحركاته إلى إسرائيل ، مما سبب بعض الخسائر فى حرب الاستنزاف ، ومما دعا إلى عدم الاطمئنان إلى نهاية طيبة لو قامت حرب بين مصر وإسرائيل .

والحق أن هذا العدد الهائل من الخبراء السوفييت كان يدعو للذعر ، فالمفروض أن الخبراء يأتون للاستفادة منهم فيما لا يعرفه الخبراء المصريون ، وأن يكون عددهم لذلك فى حدود العشرات أو المئات أما أن يصل عددهم إلى ١٧ ألفاً ، فذلك شىء يدعو إلى الذعر .

ولكل هذه الأسباب أعلن أنور السادات فى يوليو سنة ١٩٧٢ أنه مع شكره للاتحاد السوفيتى على ما قدم من مساعدات عسكرية يريد إنهاء خدمات الخبراء اعتبارا من ١٧ يوليو سنة ١٩٧٢ ، ولا يبقى إلا الفنيون ، على أن يوضع هؤلاء تحت القيادة المصرية إلى أن يتم تدريب المصريين على المعدات أو أن تسحب هذه المعدات نفسها .

واستجاب الاتحاد السوفيتى لهذا الطلب ، وقرر سحب الخبراء

استجابة لطلب مصر ، أما بالنسبة للأسلحة والمعدات المملوكة لهم بمصر فقد « أصروا » للأسف على سحبها مع الوحدات السوفيتية .

وانتهت بذلك أزمة من الأزمات الحـادة بين مصر وبين الاتحـاد السوفيتى .

عزل بعض الصحفيين والكتّاب أو نقلهم :

كان المثقفون فى مصر يتعجلون المعركة مع إسرائيل ، وكان كل يوم يمرّ عليهم ، وإسرائيل رابضة" فى سيناء يمثّل حملا ثقيلا ، ولهذا كتب هؤلاء خطابا للرئيس السادات فيه نوع من الشدة جاء فيه :

لقد كثر الكلام عن المعركة دون معركة ، حتى صارت المعركة مضغة فى حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها ، ولا نستطيع أن نلفظها .

ووقع على هذه الرسالة أكثر من مائة كاتب وصحفى ، وثار السادات لذلك ، وتناول توفيق الحكيم الذى كان قد كتب هذا الخطاب بكلمـات جارحة ، وامتدّت يد السلطة بالبطش والعـدوان على هؤلاء الكتـاب والصـحفيين ، ونقلتهم إلى مواقع بعيـدة عن عملهم ، وكانت هـذه صورة من صور الثورة عندما تغضب على المفكرين والباحثين .

إقالة الفريق محمد صادق :

ذكرنا من قبل أن أنور السادات كان حريصا على ألا تقوم مراكز قوى فى عهده ، وكان معروفا ان الفريق محمد صادق هو الذى أجهض محاولة الزج بالجيش فى السياسة من جديد ، ولم ينفذ تعليمات محمد فوزى وزير الحربية التى أشرنا لها من قبل ، وكان السادات يخاف مثل هذا الرجل .

هذا جانب ، وجانب آخر أن الفريق محمد صادق كان معروفـا

بعدائه للشيوعية ، وأنه المسئول عن طرد الخبراء السوفييت ، ولذلك توقف السوفييت عن توريد السلاح بعد طرد خبرائهم ، ويقـال إنهم طالبوا بإعفاء محمد صادق من منصـبه إذا أراد السادات أن يستأنف الروس توريد الأسلحة ، ويقال كذلك إن الفريق صادق كان يعارض خطة المغامرة بحرب محدودة أى بعملية تشبه عملية العبور ، ويؤيد حربـا شاملة ، وقد تجمعت هذه الأسباب فصدرت تعليمات بإقالة الفريق محمد صادق فى أكتوبر سنة ١٩٧٢ وتولى أحمد إسماعيل وزارة الحربية .

أحداث سنة ١٩٧٣

نبدأ حديثنا عن أحداث سنة ١٩٧٣ بأن نسأل : هل كانت هناك أحداث ذات بال فى هذه السنة غير حرب التحرير ؟

وأكاد أتأكد أن أحداثا مهمة وقعت فى هذا العام ، ولكن حديث الحرب طغى على كل الأحداث ، وربما واجهتنى وثيقة عن عمل من الأعمال خلال هذا العام ، ولكن أحداث المعارك لم تدع فرصة ليظهر أىّ حدث آخر ، وتضاءلت أو اختفت جميع الأحداث الأخرى ، فلنقتنع بأن هذا العام هو عام حرب التحرير .

ولا شك أن العام كله شغل بالإعداد لهذه الحرب ، ثم بمباشرتها ، ثم بالانشغال بنتائجها ، فحرب كهذه لا تدع نصيبا لأى حدث آخر .

وننتقل إلى نقطة أخرى هى أننا عرضنا فيما سبق صورة حياة السادات قبل الثورة ، وصورة لحياته من مطلع الثورة حتى صار رئيسا للجمهورية ، ثم بدأنا نتكلم عن أنور السادات رئيسا للجمهورية ، وفى هذا النطاق ذكرنا أن أنور السادات لم يأت من فراغ ، وإنما هو امتداد لعصر مؤسس هذه الثورة ، الذى خلّف أكداسا وأحمالا من المتاعب ، فألمنا بها ، ثم جئنا إلى أنور السادات نتتبع تاريخه عاما إثر عام .

والمهم أن الدراسات الماضية كشفت الكثير من أوزار الثورة وأوزار أنور السادات نفسه ، وانتقدنا أنور السادات فى ذلك وفى غيره انتقادا مباشرا وشديدا أحيانا .

ولكنا الآن أمام صفحة رائعة خلّفها السادات ، أمام حرب أعدّ لها بإتقان ، وباشرها بكفاءة عالية ، وعلى الرغم من أن مصر لم تكن — كما سنرى — فى حال تحتمل قسوة الحروب وتكاليفها .

ثم باشر أنور السادات المفاوضة مع اليهود والصهاينة ، والمفاوضة

مع هؤلاء عمل عسير أشار لــه القرآن الكريم فى سورة البقرة ، قال تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم »[١] .

إنها فى الحق مفخرة تنسب لأنور السادات ، رفع رءوسنا بعد أن كانت الهزائم قد نكست هذه الرءوس ، وأعاد لنا كياننا بعد أن اهتز هذا الكيان ، وحقق لنا أملاً كان عزيز المنال ، وضع العزة بدل الذلــة ، والنصر بعد الهزائم المتلاحقة ، والابتسامة العريضة بعد طول عبوس .

ان كل مصرى ، وكل عربى ، وكل مسلم ، ينبغى ألا ينسى هــذه المفخرة ، وأن يذكر بخير الرجل الذى دبّر ونفّذ .

وفى سيرة عثمان بن عفان رضى الله عنه مواقف كثيرة رائعــة ، ولكنه كان بالغ الكرم فى جيش العسرة الذى كان على وشك أن يزحف إلى غزوة تبوك ، ورأى الرسول صلوات الله عليه كرمه البالغ فقال عنه : ما ضرَّ عثمانَ ما فعله بعد اليوم . وأنا لا أستطيع أن أقول عن السادات ما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولكنى أقول بملء الفم : إن جهود السادات فى حرب ١٩٧٣ تمثل ثقلا عظيما فى كفة حسناته .

تلك هى طبيعة المؤرخ ، أن يكون محايدا يمدح ويثنى عند دواعى المدح والثناء ، وينقد ويهاجم عند الانحراف والإهمال .

وقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى لأنور السادات أن قــام بالحرب ضد إسرائيل هذا العام ، ولو تأخر الهجوم على إسرائيل عــاما إثر عام لمــا كان فى استطاعة العرب مواجهة إسرائيل وإيران معا ، فمن مفاخر السادات أنه عجل بحرب إسرائيل لينتهى من هذه الحرب قبل أن

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٠ .

تشتعل حرب ايران مع العراق بوجه خاص ومع العرب بوجه عــام ، ومـــا كان فى استطاعة العرب أن يحققوا النصر فى ميدانين •

والآن نسير مع أحداث حرب ١٩٧٣ :

وول ما نسجله أن السادات استنفد كل الحيل للحلول السلمية ، فقد عرض عدة مبادرات ووسّط كثيرا من زعماء العالم ، ولكن كل ذلك لم يأت بفائدة ، إذ أن العدو لا يعرف السلام ، وإنما يهوى الغَصْب والاستيلاء على حقوق الآخرين ، فأصبح لابدَّ من حركة عسكرية إن لم تكن حاسمة لاستعادة الحقوق كاملة فلتكن لبعث الحياة فى القضية ، حتى يهتم بها أولئك الذين ظنوا أن العرب انتهت شوكتهم ، وأن لا بأس من إهمال قضية العرب ، وبدأ السادات يُعدُّ العدة لهذه المعركة ، وكـــان من أهم ما اتجه له أن يقوم بعمليات مصالحة مع المواطنين بالداخل ، ومع العرب ، ثم مع دول العالم ، فقد كان عبد الناصر قد قطع خيوط الصلح فى هذه الجهات جميعا •

ففى الداخل أوقف أنور الســـادات الاعتقـــالات (١) والتعذيب والمحاكم الجائرة ، والمصادرات •

ومع العرب حل الود والتقدير محل نتف الذقــون والبذاءة التى تمس الآباء والأمهات ، وركز أنور السادات على نقاط الالتقاء والتقارب بين الدول العربية ، واهتم بدعم هذه النقاط إلى أقصى حدٍّ ، ولم تقف جهود السادات عند المصالحة بين مصر من جـــانب والدول العربية من جانب آخر ، بـــل اهتم كذلك بإجـــراء مصالحات وتقريب بـــين الدول العربية بعضها والبعض ، وفى خلال شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ قـــام السادات بجولة فى سوريا والسعودية وقطر وأجرى فى هـــذه اللقاءات اجتماعات كثيرة بين زعماء العرب •

---

(١) نترك الآن اعتقالات ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١ فلنا عنها حديث فيما بعد •

ومن جهود السادات فى هذا المجال أنه أشعر العالم العربى بجدّيه الجهد الذى يبذله لمواجهة إسرائيل ، وأن المواجهة فى هذه المرة ليست لحماس عاطفى ، وبلغة أخرى ليست للتهويش ، والدعاية ، وإنما هى عمل جادّ يُقْصَد به استعادة الكرامة للإنسان العربى .

ويقول أنور السادات فى ذلك : عندما توليت الرياسة فى مصر رحّب بى زعماء العالم العربى وأبدوا استعدادهم لمعاونتى ، فأعلنت سياستى الواضحة ، وهى أنه بالنسبة للعرب فمصر لا تفرق بين دولة وأخرى ، على أساس ما يُسَمى بالرجعية والتقدّمية ، أو الملكية والجمهورية ، الأمر الوحيد الذى يجب أن نلتزم به جميعا هو أننا عرب فحسب (١) .

وفيما يتعلق بعمليات الصلح مع العالم اهتم أنور السادات بمؤتمر الوحدة الإفريقية ، وبمؤتمر عدم الانحياز ، وبدول أخرى غير التى تنتمى لهذين المؤتمرين ، ومنها كثير من دول الغرب ، فنما الود والتعاون بين مصر وبين هذه الدول .

وبدأت بذلك الاستعدادات للمعركة ، وينبغى أن نذكر أن الاستعدادات لهذه المعركة جاءت وهناك أزمة اقتصادية وصفها أنور السادات بأنها طاحنة ، وبهذا كان الاعتماد على الذات والاستعداد للتضحية أكثر من الاعتماد على السلاح والمال ، ويمكن القول بوضوح إن مصر كانت تدخل معركة استماتةٍ بقدرات ذاتية ، وبدون أسلحة كافية .

جيش مصر سنة ١٩٦٧ وجيشها سنة ١٩٧٣ :

إن أى تقدير يقارن بين وضع مصر سنة ١٩٦٧ ووضعها سنة ١٩٧٣ يقطع بمدى الصعوبة التى كان يواجهها الجيش قبل حرب أكتوبر وفى أثنائها .

---

(١) البحث عن الذات ص ٣٢٤ .

— فى سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يملك ترسانة ضخمة من الأسلحة ، ولم يكن الحال كذلك سنة ١٩٧٣ فان الاتحاد السوفييتى لم يعوض مصر ما فقدته سنة ١٩٦٧ وكان يخشى أن تتكرر الهزيمة فتستولى إسرائيل على العتاد السوفييتى .

— وفى سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يرابط على حدود العدو ، ولو تم تقدم لكانت أقدام الجيش المصرى داخل أرض إسرائيل ، أما سنة ١٩٧٣ فالجيش الاسرائيلى هو الذى يحتل الأرض المصرية وأرض إسرائيل بعيدة جدا عن أقدام المصريين .

— وفى سنة ١٩٦٧ كانت علاقة مصر بالسوفييت قوية ، أما سنة ١٩٧٣ فلم تكن العلاقة سليمة بعد طرد الخبراء الروس وإلغاء المعاهدة ومعارضة الاتحاد السوفييتى فى السودان .

— وفى سنة ١٩٦٧ كانت الروح المصرية عالية والأمل كبير فى نجاح الزحف ، وفى سنة ١٩٧٣ كانت الرجفة موجودة مخافة أن تتكرر الهزيمة .

وهذه المقارنة تصور بطولة الجيش المصرى وعظمة السادات الذى خطط ونفذ على الرغم من كل هذه المعوقات .

وكان الذى يساعد الجيش المصرى هو الإحساس بأن أرض سيناء تنادى الإنسان المصرى ، ليعود لها ولينقذها من الاستعمار ومن الاحتلال الإسرائيلى ، وكأن سيناء تتعبد بأن تقدم العون وتتمسك بأقدام الزاحفين .

وكان الذى دعا إلى هذه المغامرة أن انتظار الاستعداد الاقتصادى والعسكرى الكامل سيطول ، وأن الجيش والشعب كانا يتمزقان من هول الهزيمة السابقة ، ومن السنوات التى تلتها ، فلتكن المغامرة التى كان الأمل كبيرا فيها أن تكون طيبة النتائج .

وقد وصل القلق بالشعب إلى درجة أن ضابطا مصريا قاد كتيبة إلى منطقة آهلة بالحركة هى منطقة الإمام الحسين، وهناك صرخ يستعجل الحرب ، ويعلن عدم موافقته هو وجمع كبير من زملائه على تأخير اقتحام القناة لإنقاذ سيناء من الأسر الإسرائيلى •

نظرية الأمن الإسرائيلى ومناقشتها :

ومن المعروف أن نظرية الأمن الإسرائيلى تقوم على فكرة الحدود الآمنة ، ثم على الاحتفاظ بالمبادأة ، وتجنب القتال فى أكثر من جبهة ، والحرب الخاطفة قصيرة المدى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى فى كل وقت (١)

وقد درست القيادة المصرية هذه النظرية ، ووضعت خطة مضادة لها تضمن عناصر النصر •

فعن الحدود الآمنة فرضت القوى العربية حصارا حول باب المندب والبحر الأحمر لتضرب إسرائيل من بعيد •

وعن المبادأة قررت القيادة المصرية أن تكون البادئة بالضربة الأولى •

وعن تجنب القتال فى أكثر من جبهة تم الاتفاق على أن يكون الصراع على جبهتى سيناء والجولان بأن تبدأ سوريا ومصر ضرب إسرائيل فى وقت واحد •

أما عن الحرب الخاطفة قصيرة المدى ، فقد اتجه العزم إلى الاستعداد لحرب طويلة ليست كحروب عبد الناصر التى كان يقبل وقف إطلاق النيران بعد ساعات أو أيام من بدئها •

أما مؤازرة القوى العظمى (أمريكا) لإسرائيل فكان يقضى أن تتجه الدول العربية لقوة عظمى أخرى وهى الاتحاد السوفييتى ، ولكن هذه القوة لم يكن من الممكن الاعتماد عليها اعتمادا كاملا على نحو ما تعتمد إسرائيل على أمريكا بسبب الخلافات الدينية والاقتصادية بين العالم

---

(١) عاطف السيد : من سيناء الى كامب ديفيد ص ٧٦ .

العربى والاتحاد السوفييتى ، ولكن النقص فى هذا الجانب لم يكن عائقا دون البدء فى المعركة .

هدف المعركة :

هل كان الهدف من المعركة استعادة سيناء والجولان والضفة وقطاع غـزة ؟

إن الاتجاهات اختلفت حول الهدف من هذه المعارك ، فكان اتجاه الفريق محمد صادق أن تكون الحرب شاملة لتحقيق هذه الأهداف ، أما الرأى الآخر فهو أن تكون الحرب هزة لإسرائيل من جانب وللمجتمع العالمى من جانب آخر ، وأن تحقق العبور والاستيلاء على جزء مـن الجانب الشرقى ، وبعد ذلك يترك أمر استكمال النصر للمفاوضة بسبب قلة الأسلحة التى تحقق الهدف الذى كان يتطلع لـه الفريق محمد صادق ، وتبعاً لهذا الاتجاه استقال الفريق محمد صـادق ، وأسندت وزارة الحربية للفريق أحمد اسماعيل على الذى أصبح وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٧٢ كما ذكرنا من قبل ، ومن الواضح أن مصر لم يكن فى مقدورها أن تدخل حربا شـاملة تعيد لها كل أرضها ، فلم يكن السلاح ولا الاقتصاد يحتمل مثل هذه الحرب كما قلنا ، والأهم من ذلك أن القوات المصرية الزاحفة عبر قناة السويس كانت تقوم بهذا العمل تحت حماية حائط الصواريخ المصرى ، وهـذه الحماية يمكن أن تمتد إلى مسافة لا تزيد عـن عشرة أميال ، ولـو أن الجيش المصرى تجـاوز هـذه المسافة لسـقط تحت رحمـة الطيران الإسرائيلى ولخسر الجيش المصرى خســارة كبـيرة .

ونثبت فيما يلى الأمر الصادر من رئيس الجمهورية عن الحرب وهو يتبع الاتجاه الذى اسـتقر الرأى عليه وفيما يلى نصه :

توجيه استراتيجى من رئيس الجمهورية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

الى : الفريق أول أحمد إسماعيل على
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة :

١ — بناء على التوجيه السياسى الصادر لكم منى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى :

قررت تكليف القوات المسلحة تنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :

(أ) إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتبارا من يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

(ب) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

(جـ) العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطوير إمكانيات وقدرات القوات المسلحة .

٢ — تنفيذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ .

٥ أكتوبر ١٩٧٣ م .

توقيــــع
انور السادات
رئيس الجمهورية

التمويه والخداع :

وقد وضعت القيادة المصرية خطة هائلة للتمويه والخداع ، بحيث لا يتطرق الشك للمخابرات الإسرائيلية والأمريكية بأن مصر تريد الهجوم ، ولما كان الاتفاق قد تمّ على تحديد السادس من أكتوبر بدءًا للهجوم ، فقد اتبعت القيادة المصرية لتحقيق ذلك خطواتٍ دقيقة للتمويه ، نوجزها فيما يلى :

(أ) أذاعت القاهرة نبأً عن زيارة سيقوم بها وزير دفاع رومانيا لمصر يوم ٨ أكتوبر بناء على دعوة من وزير الدفاع المصرى •

(ب) نشرت الصحف المصرية خبرا يشير إلى أن القوات المسلحة وافقت على قيام من يرغب من الضباط والجنود فى أداء العمرة خلال رمضان وحدّدت مواعيد تلقى طلبات الراغبين تمهيدا لإجراء القرعة بينهم •

(جـ) أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليمات بتسريح دفعة من الجنود الذين أتموا الخدمة العسكرية فى اليوم الأخير من شهر سبتمبر على أن يعودوا إلى حياتهم المدنية فى اليوم الأول من أكتوبر •

(د) صدر إعلان عن إجراء عَمْرةٍ للقطع البحرية المصرية فى موانى باكستان فى شهر سبتمبر •

(هـ) سربت وزارة الدفاع للخارج تقريرا سرّيًّا يذكر أن ٤٠٪ من السلاح الجوى المصرى فقط صالحة للاستعمال ، وأن ٦٠٪ من الطائرات المقاتلة تُعد فى حالة غير صالحة ، وقد أذاعت وكالة أنباء يونايتدبرس هذا الخبر من بروكسل على أنه سبق " إعلامى " لها •

(و) أمرت القيادة العامة بإجراء مناورات كبرى لجميع القوات المسلحة كنهاية لموسم التدريب السنوى ، وتحت شعار المناورة تمكنت

القيادة من اتخاذ إجراءات أخرى مثل إلغاء إجازات الضباط والجنود ابتداء من أواخر سبتمبر •

(ز) وضعت خطة خاصة لتحريك معـدات العبور من الخلف إلى الجبهة مع عدم نقل هذه المعدات إلى ساحل القناة إلا فى آخر وقت ممكن وعلى أن تكون هذه المعدات فى صناديق ضخمة تخفى محتوياتها •

(ح) صدرت الأوامر لبعض القواد فى الجبهة أن يعيش الجنود فى حالة عادية كاستحمام الجنود فى القناة قبل الهجوم ببضع ساعات وكاسترخائهم على الشاطىء وهم يمصّون القصب •

(ط) ووصلت الخديعـة بمخابرات إسرائيل أن أعلنت أن مصر تشبه « كيسا فارغا » فأجهزة الرادار بها شبه عميـاء ، وردود فعلها بطيئة جـدا •

وهذه الصورة التى كانت لدى الإسرائيليين عن الجيش المصرى دفعت الجيش الإسرائيلى إلى الترهل والاسترخاء ، بل دفعت الشعب الإسرائيلى كله إلى الخلود للمتع والنعيم بعد أن ضمنت لهم السلامة ، ويروى أنه بعد حرب ١٩٦٧ والإحساس بضعف مصر وضعف العرب تضاعفت فى إسرائيل نوادى الليل ، وكثرت المومسات الباريسـيات ، والخادمات الإيرانيات ، وظهرت المطاعم الفاخرة التى جذبت الكثير من موظفى الحكومة وجنرالات الجيش (١) •

اختيار أنسب وقت للهجوم :

أجريت دراسات مستفيضة لاختيار أنسب شهور السنة وأنسب

---

(١) كلمات مقاتل اسرائيلى يدونها الاستاذ وجيه أبو ذكرى فى كتابه « حرب أكتوبر : شهادة اسرائيلية » •

أيـــام الشهر ، وأنســب وقت لبــدء الهجوم الـــذى يناسب كلتـــا الجبهتين المصرية والسورية ، وقــد وقــع الاختيــار عـــلى شـــهر أكتوبر حيث تستعد إسرائيل لإجراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين منه ، وحيث تقع فيه أعياد الغفران ، ويأتى فيه شهر رمضان وهو شهر صيام ، ولهذا لا يتوقع الصهاينة أن يقاتل فيه المسلمون ، واختير يوم سبت ، وهو عطلة نهاية الأسبوع عند اليهود ، ولكونه فى العاشر مـــن رمضان يضىء فيه القمر من غروب الشمس حتى منتصف الليل ، فيساعد ذلك على إقامة المعدات والكبـــارى ليلا (١) ، وكان ممر التيـــار بالقناة مناسبا بالنسبة للمصريين •

وقد نجحت خطة الخداع نجاحا عظيما ويعبر عن ذلك موسى ديان بقوله : وحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصيا فى أن الحرب ستنشب فعلا ، ولم أكن أنا الوحيد الذى أعتقد ذلك •

استعدادات إسرائيل قبل أكتوبر :

وكانت إسرائيل قد دبّرت أمرهـــا فى المـــدة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ فأعدّت عدة شيطانية لحماية نفسها ضد أيـــة محاولة تقوم بها مصر ، إذ كانت تدرك بسالة الجندى المصرى ، وأن هزائمه فى الحروب السابقة لم تكن عن ضعف ، ولكن عن ســـوء إدارة ، وأن أحفاد الأبطـــال الذين هزموا المغول والصليبيين لابد أن تعمل إسرائيل لهم ألف حساب ، ومن هنا بدأت إسرائيل تضع خططها ضد أية محاولة تقوم بها مصر ، وكانت قناة السويس حاجزا مهما بين إسرائيل ومصر ، اعتمدت عليه إسرائيل فأجرت فيه وحوله خططا تجعل منه مانعا حصينا أمام أية محاولة مصرية للعبور إلى سيناء •

---

(١) عاطف السيد : من سيناء الى كامب ديفيد لقطات من الصفحات من ٧١ — ٨٣ •

وهنا نقف وقفة نذكّر فيها الأجيال المصرية أن إسرائيل بعد احتلال سيناء فى عهد عبد الناصر أخذت تتصرف على أن سيناء أرضها فأقامت المستعمرات والمطارات ، ثم اتخذت من قناة السويس وسيلةً لتكوّن منها حاجزا بينها وبين مصر ، على أن تكون القناة نفسها مناصفة بين مصر وإسرائيل ، وهذا الوضع يجسّم جُرْم الإهمال فى عهد عبد الناصر ويبرز عظمة السادات الذى استعاد الأرض بالحرب والمفاوضة .

وقناة السويس فى ذاتها تعتبر مانعا حصينا ، ثم أضاف العدو لذلك إضافات مهمة للمزيد من التحصين ضد المصريين إذا حاولوا العبور إلى سيناء ، وطبيعة القناة والإضافات الشيطانية التى أضافها العدو تتضح فيما يلى :

١ — انحدار الشاطىء من الناحيتين وتدبيشه ، مما يعوق المركبات البرمائية من النزول إلى المانع المائى أو الصعود منه إلا بعد تجهيزات هندسية صعبة ، ولا يشترك مع قناة السويس فى هذه الصفة سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

٢ — قيام العدو بإنشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ الى ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أن مركبة برمائية العبور إلا بعد إزالة هذا الساتر ، ثم إن هذا الساتر كان يخفى ما خلفه من معدات عسكرية .

٣ — إنشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى لضرب أى قوات تحاول العبور ، وقد اختيرت مواقع هذا الخط بعناية فائقة ، بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة فى أى جزء منها .

٤ — وجود خزانات لموادّ ملتهبة يسع كل واحد منها مائتى طن من هذه المواد ، على مسافات متقاربة ، بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق

سطح المياه ثم يشعلها ، فيتحول سطح القناة إلى حمم ملتهبة تحرق كل شيء فوق الماء ، بل تشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٣٠٠ متر ، ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران بالاستمرار فى دفع المواد الملتهبة إلى سطح الماء •

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائى ، بل أنه مانع فريد ليس لـه شبيه فى العالم ، وليست هنـاك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع ، وكان لابد من حل هذه المشـاكل حتى يتحقق العبور •

وسنرى أن أبطالنا استطاعوا التغلب على هذه المشاكل فى أقصر وقت ممكن ، وتخطوا كل هذه العقبات •

الإعداد لإذاعة بيان العبور :

فى الساعة الثانية بعد ظهر السادس من أكتوبر وقبل انطلاق الأمر بالضرب ، صدرت الأوامر لجهازى الإذاعة والتليفزيون للاستعداد لإذاعة بيان مهم ، وفى الحال طلب محمد محمود شعبان رئيس الإذاعة أن يتجه الأستاذ صبرى سلامة إلى استوديو الهواء استعدادا لإذاعة هذا البيان ، كما طلبت الأسـتاذة همت مصطفى رئيسـة التليفزيون من الأسـتاذ أحمد سمير أن يتجه إلى الاستوديو انتظارا لإذاعة البيان نفسه •

وبعـد دقائق قليلة انطلق الأبطال وأذيع البيـان فى الإذاعـة والتليفزيون •

مع حرب أكتوبر يوما بيوم

فى قفزة أقرب إلى الخيال ، وفى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السادس من أكتوبر تغير كل شيء فى المنطقة ، فالطائرات المصرية لم تعد تلك التى تهاجَم وهى رابطة ، بل وراحت تزأر حتى شلَّت حركة

الفانتوم التى كانت تعتمد عليها إسرائيل ، وقصّرت خطواتها وفى الوقت نفسه بدأ الضرب بمنطقة الجولان •

ولنرفع أيدينا عن الكلام لنعطى الزمام لقادة المعركة الظافرة ، وقد تحدثوا بعض الشىء وكشفوا ما يمكن كشفه من أسرار المعركة ومن أحاديثهم نقتبس بعض لقطات •

يقول الرئيس أنور السادات :

بعد ثلث ساعة بالضبط ظهرت نتائج ضربة الطيران • كانت ضربة رائعة أعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التى انتهكت عام ١٩٦٧ وقبلها فى عـــام ١٩٥٦ •

كان الهجوم بأكثر من ٢٣٠ طائرة ، ولأنه طيران نفاث وسرعتـــه تفوق سرعة الصوت فإن الضربة لم تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة ، وقد قام أبنائى بأروع واجب يمكن أن يقوم به أى سلاح طيران فى العالم من حيث الكفاءة والدقة والمفاجأة فى تحقيق كل مهمة أسندت إلى طيار من الطيارين ، وكان تقدير الخبراء الروس أننا سنفقد فى الضربة الأولى من ٣٠٪ إلى ٤٠٪ وأننا سنحقق ٣٠٪ من الهدف ، ولكننا لم نفقد سوى خمس طائرات أى حوالى ٢٪ وحققت الضربة ٩٩٪ من الهدف • وقـــد فقدت إسرائيل ثلث سلاح طيرانها فى الأيام الثلاثة الأولى للمعركة •

ويقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل :

عندما انطلقت « الشرارة » كما أسماها الرئيس أنور الســـادات وبدأت خطة « بدر » كما أطلق عليها العسكريون بدأ كل شىء يتحرك وفقا لهذه الخطة •

ضربة الطيران الرئيسية : أكثر من مائتى طائرة تقوم من الجبهة المصرية بالضربة الأولى على مواقع العدو الحساسة ، ومائة طائرة تقوم بالضربة الأولى من الجبهة السورية •



رفع العلم المصرى على سيناء

تمهيد هائل بالمدفعية : ألفا مدفع تهدر فى قصفات متلاحقة .

موجات الهجوم الأول : فجأة وجد العدو أمامه ثمانية آلاف رجل ينزلون إلى قوارب المطاط وغيرها من الوسـائل ويبدأون العبور تحت النـار .

قاوم العدو من النقط الحصينة لخط بارليف على طـول القنـاة ، وبواسطة الدبابات الرابضة فى مكانها بجانب النقط الحصينة ، واشتركت المدفعية التى تعزّزها فى محاولة صدّ موجات الهجوم الأولى .

جنودنا يصلون إلى النقط الحصينة ، برغم كل مقـاومة ، وبعض النقط الحصينة كانت عنيدة فى دفاعها ، ولكن جنودنا يقتحمون بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية هذه الحصون .

كان الساتر الترابى فى بعض المواقع عرْضه مائتا متر ، ولم تكن الأرض صالحة لنصب كبارى العبور ، لكن المهندسين كانوا فى أعظم لحظات حياتهم ، وكان مدير سلاح المهندسين يشرف بنفسه على مواقع الجسور ، واستشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور العبور .

قواتنا البحرية تتحرك لتضرب أهدافا حيوية للعدو على شـاطىء البحر الأبيض وعلى شاطىء البحر الأحمر ، واستطاعت تدمير مجموعة من سفن العدو ، وقطع خطوط مواصلاته ، ونجحت فى عدة معارك بحرية ضد زوارق العدو وضفادعه البشرية ، وسيطرت سيطرة تامة على البحر الأحمر (١) .

قواتنا الخاصة تنزل وراء خطوط العـدو فى عمق سـيناء لتضرب خطوط إمداده ولتعطل هجماته المضـادة وتعرقلها ، وبعد ساعات قليلة من بدء الحرب كان رجال الصاعقة ينقضّون على أهدافهم فى عمق العدو

(١) اقرأ بعض التفاصيل فى كتاب « حرب رمضان » تأليف اللواء حسن البدرى وآخرين ص ١٢٨ و ١٥٢ و ٢٠٦ .

وينجزون مهامهم بكفاءة عظيمة ، غير هيابين أية تضحية من أجل نجاح أهدافهم [١]

التدفق من الغرب إلى الشرق مستمر فى نفس الوقت ، لا يتوقف ولا ينقطع .

فى أربع وعشرين ساعة كانت لدينا فى الشرق خمس فرق كـاملة ، وذلك شىء لم يحدث مثله من قبل فى تاريخ الحروب .

نهاية خط بارليف :

اخذنا ننسف مواقع خط بارليف ونزيلها من مكانها إلى الأبـد ، محتفظين بواحدة منها للعبرة والذكرى ، فى أول يوم دمرنا ١٤ موقعا ، وفى اليوم التالى تسعة ، وهكذا حتى تحولت المواقع ، حلم إسرائيل فى الأمن المطلق إلى أنقاض وركام ، وسرعان ما اعترفوا بذلك .

قلة الجرحى :

ومن عجب أن الله سبحانه وتعالى حمى الجندى المصرى فى هـذا الزحف ، فالشهداء كانوا قليلين جدا ، والجرحى كانوا قليلين كذلك ، لدرجة أن كتائب الأطباء تأخر عبورها لقلة الخسائر ، واكتفت القيادة فى الأيام الأولى بنقط الإسعاف ، ولم تعبر كتائب الأطباء إلا بعد ثلاثة أيام ، مع أنه كان مقررا أن تعبر بعد ساعات من بدء الهجوم .

مشكلات العبور والتغلب عليها

أما عن مشكلات العبور وكيفية التغلب عليها فنتجـه إلى الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب الجيش المصرى آنذاك وهـو يصف لنا هذه المشكلات ، ويذكر أن القيادة قامت بتجزئتها إلى عـدة مشاكل ، وحاولتْ وجربتْ حتى استطاعت التغلب عليها ، وفيما يلى كلماته :

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ و ١١٩ .

كانت المشكلة الأولى التى يجب علينـا أن نتغلب عليها هى كيف نتغلب على النيران الملتهبة التى سوف تغطى سطح القناة عند بدء العبور ، وقد اتجه تفكيرنا أول الأمر إلى إطفائها وقمنا بعمل تجارب على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة ، فاتضح لنا أن عملية الإطفـاء تحتـاج إلى مجهودات ضخمة ، وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة وذلك لإنقاص فترة تعرّض قواتنا للحريق إلى أقـل وقت ممكن ، ومن هنا بدأنا العمل ، وتم استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع ، فاتضح أنـه يضع هذه المواد فى خزانات كبيرة مدفونـة تحت سـطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح المياه ، وكـان من الواضح أنه لو أمكن إغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور ، فإن السوائل الملتهبة لن تصل إلى سطح الماء ولن تحدث اشتعالا وكان هذا هـو الاتجاه الذى أخذنا بـه وبدأنا نتدرب عليه • وهكذا اتجهنا إلى أن نبعث ببعض الغواصين المتسللين لإغلاق هذه المواسـير بالأسمنت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها فى حالة الفشل فى إغلاق المواسير الموصلة للمياه ، وزيادة فى الحيطة درسنا اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم وانتخبنا قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار ، وبذلك نتفادى النيران فوق سطح المياه ، وقد تمت العملية بنجاح تام ، ولـم ينجح العدو فى إشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، وتمّ الاستيلاء على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، بل وتم أسر الضابط المهندس الإسرائيلى الذى قام بتصميمها ، وقد أدلى فى أقواله أنـه حضر إلى القناة فى اليوم السابق للقتال لكى يختبر هذه المستودعات (١) •

---

(١) هناك رواية اسرائيلية خداعة تذكر أن اسرائيل هى التى ألغت مفعول هذه المنشآت قبل المعركة ، ولست أصدق ذلك ، فهذه المنشآت لم تشيد الا بعد دراسة واسعة ، فلا يمكن لاسرائيل أن تلغى مفعولها •

وكانت المشـكلة الثـانية هى كيف يمكن إزالة السـاتر الترابى الذى أقامه العدو على الضـفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعـدات والكبارى على القناة ، ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية إذا علمنا أن ثغرة واحدة فى الساتر الترابى عرضـها حوالى سبعة أمتار تعنى إزالة ألف وخمسمائة متر مكعب من الأتربة ، وكانت احتياجات العبور تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول القناة فى كل جانب أى إزالة ٩٠٫٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابى شرق القناة ، فإذا علمنا أننا فى خلال السنوات الستة الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا فى غرب القناة خشية أن يقوم العدو بهجوم مفاجىء علينا ، اتضح أن المشكلة أصبحت مضاعفة ، وأنه يتحتّم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة فى الساتر الترابى الغربى ، فاتجه تفكيرنا أول الأمر إلى أن نفتح هذه الثغرات بواسـطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هى السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ إلى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف ، وهى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال فى إزالة هذه الرمال ، وقمنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظريـة التفجير وأخـذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات إلى أن أصبح فى مقدور رجـال سـلاح المهندسين أن يفتحوا الثغـرات المطلوبة فى مـدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات .

لم يكن فتح الثغرة فى الساتر الترابى هو نهاية المشكلة بل كـان من الضرورى تهذيب جوانب القناة ، بالنسـف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية .

وإذا جاز لنا أن نقدّم كشف حساب عما قام بـه المهندسـون العسكريون ، فإننا نقول إنهم قاموا بشق ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى ، وأقاموا عشرة كبارى ، وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ و ٩ ساعات ، وقد تمّ التنفيذ طبقا لما كان مخططا

تماما فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة ، حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ، ونتج عن ذلك بعض التأخير فى إقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططا ، وإن هذه الأعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائما مثار فخر للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم .

وكانت المشكلة الثالثة هى كيف يستطيع المهندسون أن يقوموا بهذه الأعمال الهندسية الضخمة وهم تحت نيران العدو المسيطر فى الضفة الشرقية ، وكانت الإجابة الفورية هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين ، وهو ما يطلق عليه فى التعبير العسكرى ، « تأمين رؤوس الكبارى » .

وكانت المشكلة الرابعة هى كيف يستطيع المشاة أن يعبروا القناة ويؤمنوا رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التى أقامها المهندسون وكيف يصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ و ٢٤ ساعة إلى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ؟ وبعد دراسة مطولة أمكننا حل هذه المشكلة بناء على الأسس التالية :

١ — قوة المشاة التى تكلف العبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعيين ، والمياه ، وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة ، وكان إجمالى ما يحمله كل جندى حوالى ٢٥ كيلو جراما ، وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود إلى ٣٥ كيلو جراما .

٢ — ابتكار عربات صغيرة يضع فيها المشاة ما لا يستطيعون حمله ، ويجرونها بأيديهم عبر الساتر الترابى وعند تحركهم شرق القناة .

٣ — تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ، ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو بواسطة الدبابات .

٤ — تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات كذلك ، وبخاصة الصواريخ الخفيفة ، وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا فى أثناء العبور وبعده .

٥ — تجهيز المشاة بسلالم لمساعدتهم فى تسلق الساتر الترابى وجرّ أسلحتهم وذخائرهم المحملة فى عربات الجر .

٦ — تنظيم عبور المشاة فى قوارب تنظيما تفصيليا بحيث يعلم كل جندى مكانه فى القارب ومكان العبور ووقته وواجبه فى أثناء العبور.... الخ .

٧ — التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط إلا بعد استكمال عملية العبور وإكمال حصارها لهذه النقط .

وخلاصة القول لقد استخدمنا المشاة بنفس الأسلوب الذى كان يستخدم به المشاة منذ العصور القديمة ، وإن اختلفت الأسلحة التى كانت فى أيدينا عن تلك التى كانت فى أيديهم .

وكانت المشكلة الخامسة هى كيف يمكن لقوة المشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح مالم نقم بتدمير وإسكات الرشاشات والمدافع التى تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها ، وقد قامت مدفعيتنا بحل هذه المشكلة على أحسن وجه ، وكانت نتيجة ذلك أن تمكن مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا .

وكانت المشكلة السادسة هى كيف نعيد تنظيم قواتنا على الشاطىء الشرقى ؟ وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة إلى وحدات المشاة التى سبق عبورها ؟وكيف يتم ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها ؟ ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة إذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان

يتحتم عبورها لتنضم إلى وحدات المشاة التى عبرت اتزيد من قدرتها على التمسك بالأرض ، وضد هجمات العدو المتكررة ••• وقد أدى سلاح الإشارة وإدارة الشرطة العسكرية واجبهما على الوجه الأكمل ، فقد أمكن مد كوابل الإشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور ، وتم تحديد الطرق والمدقات بحيث كان يعلم السائق أنه إذا تبع اللون الأحمر مثلا فإنه سيصل إلى وحدته فى رأس الكوبرى بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر ، وهكذا • وقد دُرِّبت القوات قبل المعركة على ذلك وقامت بتنفيذها بكفاءة تامة •

وامتلأ ميدان المعركة برائحة الدخان والدم والموت ، كما امتلأ بالضجيج والتراب والرمال ••••• وأصوات انفجارات ، وأزيز طلقات الرصاص ، وصفير القنابل الساقطة من جوف الطائرات ، وصيحات العدو الذى لا يعرف كيف يصد الهجوم •

وكان هذا بالضبط ما أرادته القيادة ؛ أن تمزّق مواقع خط بارليف المنيع بموجات متتالية من البشر ، وعلى امتداد خط المواجهة كله ، فى وقت واحد ، حتى لا تتاح فرصة لموقع لمساندة موقع آخر ، وحتى تعجز القيادة الإسرائيلية عن نجدة هذه المواقع كلها •

كانت القيادة المصرية تعرف أن هناك احتياطات معدة لنجدة المواقع المختلفة لخط بارليف ، وأن هذه المواقع قادرة على التدخل لنجدة بعضها البعض ••• ولكن تخطيطنا جعل كل موقع جزيرة منعزلة محاطة بأمواج بشرية مصرية •

وعندما اندفعت هذه الاحتياطات لصد الهجوم المصرى ، كانت الصواريخ المضادة للدبابات فى انتظارها •••• وانفجرت عشرات الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية ، واصطدمت الدوريات الإسرائيلية بالكمائن المصرية المعدة للتعامل معها •

ومع الموجات الثانية عبرت مجموعات من المشاة تحمل صواريخ

« ستوريلا » (سام ٧) لحماية القوات التى ستنشىء رؤوس الجسور من التدخل الجوى •

وظهرت بطولات وتضحيات أسطورية لا يتسع لها المجال •

لقد فشل العدو فى مقاومة العبور ، وخاب أمل موشى ديان الذى صرح بأن العملية سوف يقضى عليها فى يوم واحد ، فقد بنى رأيه على التقديرات التالية :

(أ) ضرورة فشل المصريين فى العبور نتيجة النيران الكاسحة التى يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف ، وكذلك السوائل الملتهبة التى كان يأمل أن تغطى القناة •• وبذلك فليس هناك أى أمل فى وصولنا إلى الشاطىء الشرقى •

(ب) عدم قدرة المهندسين فى إزالة الساتر الترابى وإنشاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى ، وأنه بفرض نجاح المصريين فى اقتحام جزء من القناة فان المهندسين سوف يحتاجون إلى حوالى ٢٤ ساعة لإنشاء هذه لكبارى ، وبالتالى فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم ، وكان هذا الوقت يكفى لجلب الاحتياطات المدرعة من العمق لتقوم بتصفية القوات التى نجحت فى إنشاء رؤوس الكبارى فى الشرق •

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لإمكانياتنا فى العبور وبخاصة فى النقاط الرئيسية التالية :

١ — قدرة المشاة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التى تكون على ارتفاع منخفض ، والتشبث بالأرض ولو بدون أسلحة ثقيلة لمدة طويلة •

٢ — كفاءة مهندسينا وقدرتهم فى إقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع فى مدة تتراوح بين ٦ و ٩ ساعات ، وجاء فى كتاب « حرب رمضان » عن جهود المهندسين ما يلى :

« وجدير بالذكر أنه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التى عبرت القناة ، والتى راحت تعمل فوق سطح الساتر الترابى وفوق صفحة القناة قد تجاوز الخمسة عشر الف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات » (١) .

٣ — التنظيم الجديد للعبور والذى وصل إلى أن كل ضابط وجندى فى القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم لـه ، كـان يعلم جيدا دوره بالتفصيل (٢) ، والوقت الذى ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة ، إلى الحد الذى جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر فى وقت واحد .

٤ — المفاجأة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتيجتها بوضوح فى الأيام الأولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعـدم التنسيق وبالارتجال لمدة يومين على الأقل .

٥ — العقيدة والإصرار اللذين كان يقاتل بهما جنودنا البواسل ، فلقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيـدا أنه يدافع عـن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته بالتراب أحداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظلما ، وكـان يحاول أن يسترد أرضه ، ويستعيد كرامته وعزته ، بينما كان الجندى الإسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع .

٦ — وهل وضع ديان فى حسابه الأثر المعنوى الذى أحدثه الهتاف العظيم « الله أكبر » الذى ردده الجنود وهم يعبرون القناة ؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته .

مع جيش إسرائيل وساسة إسرائيل :

إذا كنا سرنا مع الجيش المصرى وهو يتقدم ويحقق النصر ، فمن

(١) حرب رمضان ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) قبيل المعركة بحوالى أسبوعين زارنا أحد الأقارب مـن جنود المؤهلات وذكر أنه لو قامت المعركة فان كل واحد منا يعرف دوره عن ظهر قلب ويكرره كل يوم — تحية لهذا القريب وزملائه ، وتحية تقدير للفريق الشاذلى ورجاله على هذا الجهد الكبير . أحسن الله جزاءهم .

الحق علينا أن ننتقل للجبهة المعادية فى إسرائيل لنعايش الجيش الذى كان يدعى أنه لا يقهر ، ولنرى ماذا جرى لــه ؟ وكيف واجه النسور المصرية وهى تقتحم عليه خنادقه وحصونه ؟

فى اليومين الأولين للمعركة كانت بلاغات إسرائيل حافلة بالغرور ، وكانت بلاغاتنا فى منتهى الدقة ، ولكن العالم صدق بلاغــات إسرائيل التى ادعت فيها أنها ستطحن عظام العرب ، وتكسر جماجمهم ، وسيرا مع هذا الغرور اتصلت جولــدا مائير بواشنطون تليفونيا وأبلغتهم أن إسرائيل فى حاجة إلى يومين فقط لتحطم عظام العرب فى مصر وسوريا ؟ وبعد الانتهاء من هذه المهمة البسيطة ستطالب إسرائيل أمريكا بتعويض الأسلحة التى فقدتها فى القضاء على العرب ، وطمأنت مائير واشنطون بألا تقلق أمريكا على إسرائيل التى تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب .

ومضى يومان بعد مكالمة جولدا مائير ، واتصلت إسرائيل تليفونيا بواشنطون ، لتقول إنها مازالت فى حاجة إلى يومين آخرين للقضاء على العرب لأنها استخدمت اليومين الماضيين فى التعبئة والحشد بسبب عيد الغفران الذى عطل هذه العملية ، وبخاصة أن إسرائيل لم تعلن حــالة التعبئة وأكد ديان فى حديثه على حق إسرائيل فى تعويض الأسلحة بعد القضاء على العرب فى ظرف ٤٨ ساعة .

الزازال ، أنقذونا :

وفى نهاية المهلة الجديدة التى طلبها ديان ، استغاث السفير الإسرائيلى فى واشنطن بوزارة الخارجية الأمريكية فى رسالة عاجلة تصرخ : أنقذوا إسرائيل ، ، .... واعلن السفير أن إسرائيل فقدت أربعمائة دبابة على الجبهة المصرية والحالة فى غاية الخطورة لأن الطريق أصبح مفتوحا إلى تل أبيب ، وانتهت الرسالة التاريخية عند هذا الحد .

وتقول جولدا مائير فى كتابها « حيــاتى » لقد طلبت من الســفير

الإسرائيلى بالولايات المتحدة عدة مرات أن يتصل بالمسئولين فى واشنطن فورا لإنقاذنا ، وفى إحدى المرات قال لها : إننا فى الساعة الثالثة صباحا ولا أستطيع أن أوقظ أحداً الآن ٠

وكان ردها : لا يهمنى كم تكون الساعة الآن ٠٠٠٠ إن الموت يأكل جنودنا ، إن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جدا ، أيقظهم جميعا : اتصل بالدكتور كسينجر فورا ٠

وعندئذ طلب كسينجر جولدا مائير مباشرة بالتليفون وقال لها : إن السفير الإسرائيلى فى واشنطن قد أبلغه باستغاثة إسرائيل العاجلة وطلبها أربعمائة دبابة فورا بدلا من الدبابات التى فقدتها على الجبهة المصرية ، وأبلغها كسينجر أيضا أنه طلب تقريرا عاجلا من البنتاجون الذى استعان بالقمر الصناعى فى كتابة التقرير ، وتشير كل الدلائل إلى أن المعركة على الجبهة المصرية تسير فى غير صالح إسرائيل نهائيا ، وأن خسائر إسرائيل بلغت حدا لا يصدق فهل هذا صحيح وهل صحيح أن إسرائيل طلبت النجدة السريعة ؟ ٠٠٠٠

أجابت جولدا مائير على كيسنجر بالإيجاب وأبلغته أن ديان طلب ذلك بناء على موافقة مجلس الوزراء الإسرئيلى ، واعترفت بأن إسرائيل فى انتظار الوصول الفورى للدبابات الجديدة حتى تنقذ إسرائيل نفسها من الهوة الرهيبة التى وقفت على حافتها وأوشكت على السقوط فيها بالفعل ، بل إنها استخدمت تعبيرا ذكره اليسار رئيس الأركان الإسرائيلى فى مذكراته وهو : « إن إسرائيل فى القاع » (in the Bottom)

عندئذ صارحها كيسنجر برأيه وقال لها إن على إسرائيل أيًّا كانت النتيجة النهائية أن تجهِّز نفسها للأوضاع الجديدة المترتبة على هذه الهزيمة ٠ ومع ذلك فستبذل أمريكا أقصى ما فى وسعها لإنقاذ إسرائيل ومساعدتها بكل الوسائل الممكنة (١) ٠

---

(١) جولدا مائير : حياتى فى عدة أمكنة ٠

وكان موسى ديان قد اعترف فى نهاية الأيام الأربعة الأولى أن لا مجال إطلاقا لرد المصريين إلى منطقة القناة بعد أن استولت على خط بارليف ، وأن هذه الحرب ليست إلا زلزالا هزّ إسرائيل وكان من رأيه أن يصارح الشعب الإسرائيلى بذلك ولكن الساسة منعوه .

وتقول صحيفة « هاعولام هازيه » الإسرائيلية « إن الجنرال موشى ديان قد انهار فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عندما حطمت القوات المصرية جميع الهجمات الإسرائيلية فى سيناء ، ووصلت القوات السورية إلى مسافة قصيرة من وادى الأردن وأوقعت خسائر جسيمة فى الدبابات والطائرات الإسرائيلية ، كل هذه الأحداث حوّلت ديان إلى رجل محطّم » (١) .

ثم تدخلت الولايات المتحدة لإنقاذ إسرائيل وبدأ الجسر الجوى الأمريكى يحمل إلى إسرائيل فيضا من الأسلحة والمعدات ، وبعضها كان يستعمل لأول مرة ، وسنرى تفصيل ذلك ص ٢٩١ وما بعدها .

نهاية تفوق الطيران الإسرائيلى :

وإذا تحدثنا عن نموذج من خسارة إسرائيل فى معارك السادس من أكتوبر فإننا نذكر أن أعظم الخسائر التى نزلت بهم كانت فى الطيران ، ومن المشرّف أن نقرر أن طائراتنا من طراز ميج ١٧ ذات السرعة الهائلة كانت قادرة على إسقاط طائرات الفانتوم الأمريكية ، فضاع ثلث سلاح الطيران الإسرائيلى فى ثلاثة أيام ، وضاعت بذلك سمعة الطيران الإسرائيلى الذى كان يتمتع بالسيادة المطلقة على أجواء المنطقة كلها .

المدرعات الإسرائيلية :

ولم يقتصر الأمر على ضياع خرافة السلاح الجوى الإسرائيلى ،

---

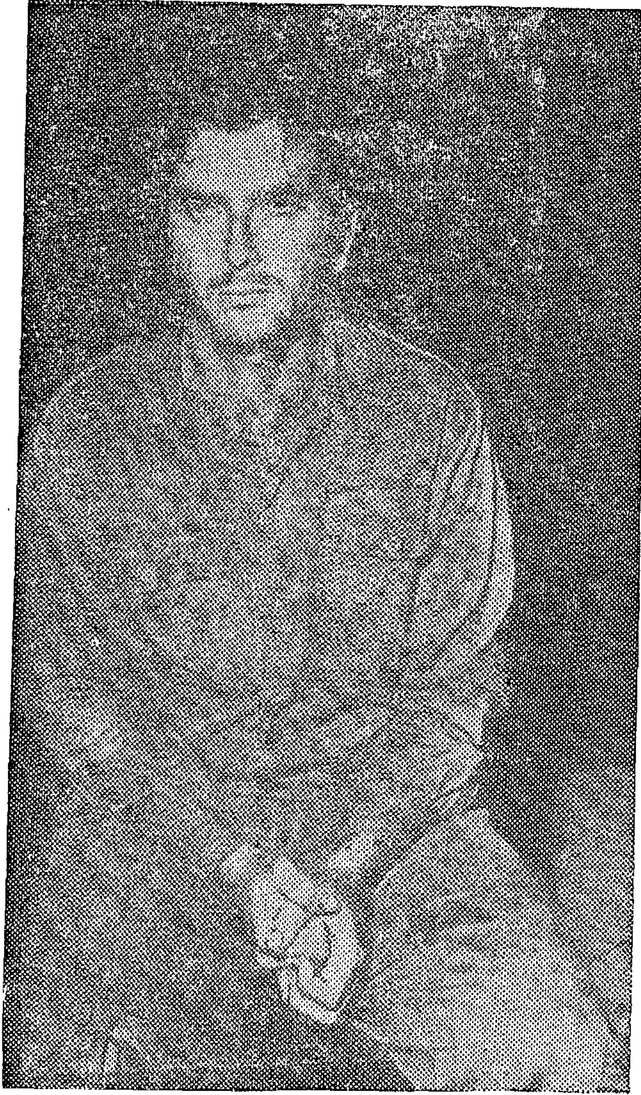
(١) نقلا عن « حرب رمضان » للواء المجدوب وآخرين ص ١١١ .

وتحطيم سمعة الجندى الإسرائيلى ، بل إن شهرة المدرعات الإسرائيلية دفنت فى الأوحال وهى تفرّ مذعورة أمام المدرعات المصرية لدرجة أن قائد المدرعات الإسرائيلية الشهير إبراهام مندلر لقى حتفه على الجبهة المصرية بعد أن ظل يستغيث بالإشارات العاجلة ، ولكن لم يكن هناك فى إسرائيل من ينجده أو حتى يسمع صرخاته المذعورة التى طغى عليها هدير المدرعات المصرية •

ومن أروع الانتصارات المصرية فى معركة المدرعات القضاء على اللواء ١٩٠ الذى كان من أقوى لواءات إسرائيل المدرعة ، وكان يقوده عساف ياجورى الذى أصيب بانهيار عصبى عندما نظر حوله فوجد أنـــه فقد اللواء بأكمله فى ثلث ساعة وكان هذا اللواء يتكون من ١٢٠ دبابة ، وقد خطط على أنه يستطيع الصمود عدة أيام وأسابيع ولكن أمره انتهى فى دقائق ، ووقع قائده فى الأسْر ، كما استسلم مئات الجنود الإسرائيليين واقتيدوا أسرى إلى الأراضى المصرية •

تلك لمحة سريعة من لمحات الهزائم التى نزلت بالجيش الإسرائيلى فأزالت كبرياءه إلى الأبد ، وقد نشرتها صحف العالم ودوّنها الرئيس أنور السادات فى مذكراته التى نشرها فى الذكرى الثانية لهذه الحرب •

بقيت كلمة تتعلق بالشعب الإسرائيلى الذى خدعته الطبقة العسكرية وأوهمته أنه يعيش فى أمان وتفوق ، فهزتـــه انتصارات العرب وزلزلت كيانه ، فعاد بعضه من حيث أتى ، وبقى آخرون فى إسرائيل يترنحون من هول المأساة ، وقد أدّت هذه الهزيمة إلى التمزق والانهيار الحزبى فى إسرائيل ، كما أدت إلى عزل إسرائيل دوليا أو إلى الغلاء الفاحش واللجوء إلى الضرائب التصاعدية التى وصلت إلى ٨٢٪ بالإضافة إلى الهجرة العكسية فزاد عدد من يغادرون إسرائيل بنسبة ٤٠٪ •



نهاية الخديعة

ظن أن إسرائيل لا تهزم ، ثم رأى الهزيمة المدمرة

يوم ميمون طويل :

ويسجل اللواء محمد حافظ إسماعيل أحداث اليوم الأول للهجوم ، ومن هذا السجل الدقيق يبدو لنا أنه كان يوما ميمونا كثير البركة ، وأنه قد حدثت به أحداث يضيق يوم واحد عن احتوائها يقول سيادته :

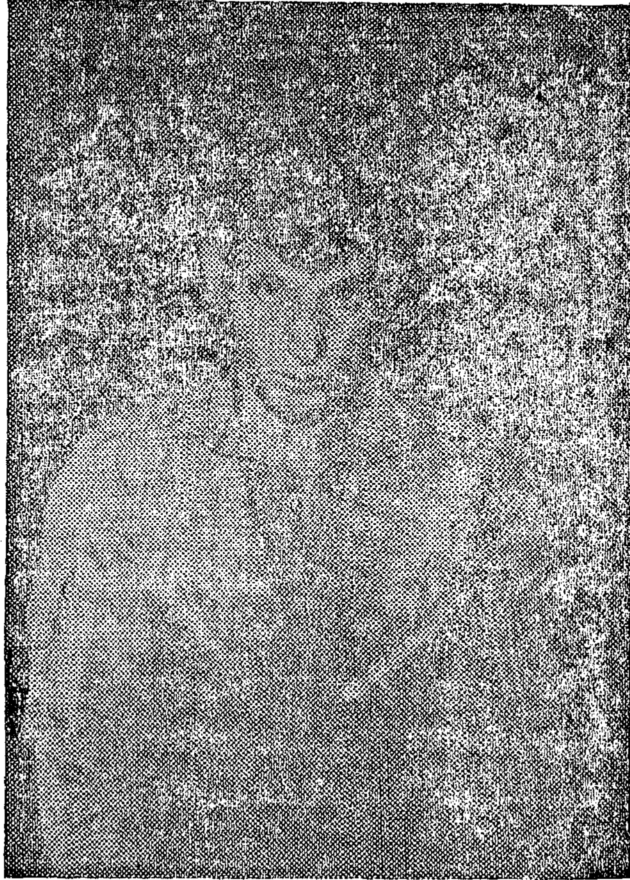
وعلى جبهة القتال ، وتحت ستر النيران عبرت القناة مغارز اقتحام الدبابات وجماعات الصاعقة ، وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد فى اقتحام قناة السويس ، وخلال دقائق كان ٨٠٠٠ جندى يقفون على الشاطىء الشرقى للقناة ، وتلا ذلك بإحكام ودقة فتح ثغرات فى الساتر الترابى وإنشاء الكبارى عبر القناة .

واستمر تدفق الموجات المتتالية من الفرق المشاة الخمس حتى السادسة والنصف عندما أصبحت جميع النقط الحصينة لخط بارليف وقد حاصرها ٣٠ ألف جندى ، ينتشرون على جبهة تمتد ١٧٠ كيلو مترا من بورسعيد حتى السويس بعمق ٣ ــ ٥ كيلو مترات ، وقبل منتصف الليل بدأ تدفق الدبابات والمدفعية والمعدات الثقيلة لتدعيم المراكز الدفاعية الجديدة شرق قناة السويس ، بينما كانت عشرات من طائرات الهليوكوبتر تعبر القناة وخليج السويس حاملة مجموعات من قوات الصاعقة صوب أهدافها على عمق ٣٠ ، ٤٠ كيلو مترا وراء الخطوط الإسرائيلية (١) .

ويقول الباحث العسكرى عاطف السيد : وحتى الساعة الحادية عشرة صباح ٧ أكتوبر كان قد تم تدمير ٣٣ طائرة إسرائيلية و ٢٠٠ دبابة وسقوط نحو ٦٠٠ قتيل وجريح ، على حين نجحت تشكيلات المشاة المصرية فى إنشاء رؤوس كبارى شرق القناة بعمق ٤ ــ ٥ كيلو متر ومعها حوالى ١٠٠٠ دبابة ، واستولت على معظم نقط العدو القوية وحاصرت النقط الباقية بخسائر لا تتجاوز ثلاثمائة شهيد وعشرين دبابة (٢) .

---

(١) أمن مصر القومى : ص ٣١٣ .
(٢) من سيناء الى كامب ديفيد ص ٩٦ .



هموم الأسير

تلك كانت حصيلة الاندفاع الأول ، وهى حصيلة مشرّفة وباعثة على الرضا والسعادة ، ونسير بعد ذلك مع المعركة لنرى مسيرتها فيما تلا من أيام .

معركة الدبابات :

قامت الدبابات المصرية بدور هائل فى المعارك بين مصر وإسرائيل ، ولعل أدق تصوير لنجاح مصر فى هذه المعارك هو ما قاله موشى ديان (١) نفسه وهاك كلماته :

منيت القوات الإسرائيلية بخسائر هائلة فى الرجال والمدرعات ، وخرجت من المعركة ولم يبق لديها شىء سوى قلة من الدبابات القادرة على القتال .

وعن الدبابات أيضا نقفز قفزة زمنية لنتذكر أنه حينما اشتد الضغط على سوريا خرجت القيادة المصرية عن الخطة المرسومة وخاضت معركة مدرعات هائلة من ١٣ ـ١٦ أكتوبر ووصفها المؤرخ الصهيونى والتر لا كير بأنها تفوق فى شدتها وحجمها معارك الحرب العالمية الثانية باستثناء معارك الجبهة السوفيتية الألمانية (٢) .

وهناك ضباط وجنود مصريون سقطوا جرحى فى هذه المعارك ، ونقلوا لساحات العلاج والإنقاذ ، وتقول السيدة جيهان السادات (٣) أنهم كانوا يريدون العودة للميدان قبل أن يتم علاجهم ، وكان الأطباء المصريون يبذلون أقصى الجهد لإبقائهم فى ساحات العلاج حتى يتم شفاؤهم .

---

(١) قصة حياتى : ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات القسم الثانى ص ٥٢٣ .

(٢) دكتور صلاح العقاد : السادات وكامب ديفيد ص ١١٤ .

(٣) سيدة من مصر ص ٣٤٢ .

أمريكا ثم الثغرة :

من المحتم على المؤرخ المتعمق أن يربط بين أمريكا وثغرة الدفرسوار ، فلقد خلقت أمريكا هذه الثغرة وطورتها ، ودفعت إسرائيل بها إلى الجانب الغربى من القناة ، وعندما صدر قرار وقف إطلاق النار وارتضته مصر وإسرائيل اتضح أن أمريكا حثت إسرائيل على مزيد من الاندفاع للوصول إلى السويس ومحاولة احتلالها ، ومن الواجب على كل مصرى وكل عربى وكل مسلم ، أن يتدارس بعمق هذه القضية ، وأن يدرك أن **عدونا الحقيقى هو أمريكا على الرغم مما يقوم بيننا وبينها من علاقات ،** وهذا الإجمال نعطى له بعض التفاصيل •

كانت الضربات الأولى على إسرائيل شديدة وقاسية وغير متوقعة ، فدمرت غرور هذه الدولة ، وحطمت كبرياءها ، وعندما استسلم عساف ياجورى ودمر اللواء المسلح الذى كان يقوده وعندما انتهت سطوة خط بارليف ••••• لم يستطع اليهود احتمال الكارثة فراحوا يولولون كالمرأة الثكلى ، فموسى ديان الجبار المتغطرس وزير الدفاع الإسرائيلى انهار ، وبكى أمام رجال الإعلام الأجانب ، وجولدا مائير رئيسة الوزراء صرخت : الزلزال أنقذونا •

ومن المعروف أن أمريكا غرست إسرائيل فى هذا المكان لتكون رأس حربة فى قلب العالم العربى والإسلامى ، وأنها كما صرحت كثيرا « ولدت لتعيش » ومن هنا سرعان ما قام « البنتاجون » وزارة الدفاع الأمريكية بإصدار تقرير يؤكد أن إسرائيل على وشك أن تخسر الحرب أو خسرتها فعلا وتبعا لهذا التقرير تغير كل شىء ، فقد تدفقت الأسلحة والمتطوعون عن طريق الطائرات والسفن من أمريكا أو من قواعدها بأوربا ، وكانت المساعدات العسكرية تصل مباشرة إلى مدينة العريش لتيسير اشتراكها فى المعركة ، ولم تقنع أمريكا بإمداد إسرائيل بالأسلحة المتفوقة كالدبابات والصواريخ ، بل أرسلت أحدث ما عرفته

التكنولوجيا الأمريكية من الأسلحة التى كانت لا تزال تحت الاختبار ، وقنابل المافريك المدمرة وقنابل « أكاستر » ذات الخطورة البالغة .

وفى مدى وجيز قدّم الجسر الجوى الذى أمدت به أمريكا إسرائيل أسلحة تزيد قيمتها عن ٢/١ ٢ مليار من الدولارات الأمريكية ، وقد وقع فى أسر القوات المصرية بعض الدبابات الأمريكية حديثة التصدير ، وكانت قراءة عدادها لا تزيد عن ٢٠ كم وهى المسافة من العريش إلى مكان المعركة .

وتقول السيدة جيهان السادات — وكانت تشرف على الإسعافات الطبية لمرضى المعركة — : لقد لاحظنا أن طبيعة الإصابات قد تغيرت بطريقة لم نر لها مثيلا من قبل ، مما جعل الأطباء يحسون أن سلاحا جديدا لم يكن معروفا من قبل بدأ يظهر فى المعركة .

ولعل هذا هو ما أشار له أنور السادات بقوله (١) :

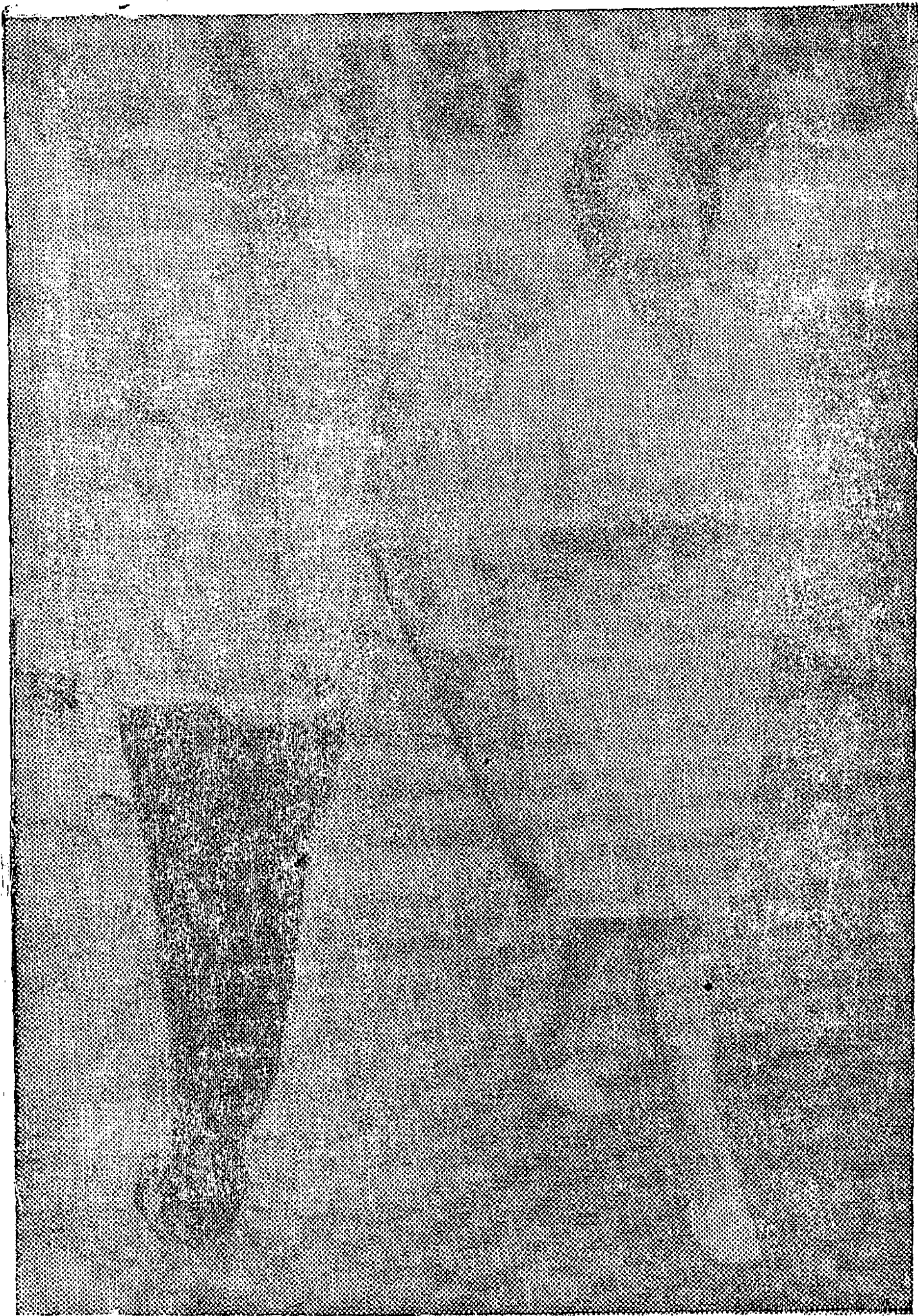
إن هناك أمورا لم تعلن وأسرارا لم تكشف بعد عن حرب أكتوبر ، وهى مذهلة يشيب لهولها الولدان ، وستعلن فى الوقت المناسب ، فلقد كان هدف أمريكا القضاء على قوات مصر ، وذلك بإبادة جماعية مدروسة .

وقبيل ذلك قال فى حديث آخر :

إنه أصبح واضحا أن أمريكا طرف أساسى فى المعركة ، إذ تدخلت تدخلا كاملا ، وأقامت جسرا جويا هائلا إلى سيناء ، فأصبح مطار العريش يستقبل الطائرات الضخمة ، التى تبلغ سعة كل منها ١٢٠ طنا ، وكانت الدبابات تنزل فى المطار وهى جاهزة ببنزينها وطقمها كله ، وتتجه مباشرة إلى المعركة (٢) .

---

(١) الاهرام فى ١٩٧٥/١/١٠ .
(٢) الاهرام فى ١٩٧٥/١/٣ .



كانت جيهان السادات تشترك فى تمريض جرحى الحرب

ولم تقنع الولايات المتحدة بهذا العون الكبير لإسرائيل بل أعلنت أنها ستقف ضدنا ، وذكرت أنها ستقاوم أى عمل مصرى يخالف تعليماتها .

واتصلت أمريكا بالمرحوم الملك فيصل ليساعدها فى إيقاف المعركة ، ولكن الملك فيصل رفض هذا الاتجاه ما لم يتقرر الانسحاب الإسرائيلى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى وبعث للرئيس السادات برقية يؤكد فيها : إننا بجانبكم بكل إمكانياتنا داعين للجيش المصرى بالنصر .

عون الأصدقاء عند الشدة :

وبينما كانت الأسلحة الأمريكية تتدفق على إسرائيل كان السوفييت يتقاعسون عن إمدادنا بالأسلحة اللازمة ومن هنا اهتز أصدقاء مصر لهذا الوضع ، فسافر الرئيس الجزائرى هوارى بومدين للكرملين وقدم مائتى مليون دولار ثمنا لمائة وخمسين دبابة ترسل فورا لمصر وسوريا كما أرسل الرئيس اليوغسلافى تيتو إلى مصر مائة وأربعين دبابة ، وقدم جلالة الملك فيصل صورا من المساهمة المادية والأدبيــة واشتركت الــدول العربية الأخرى اشتراكا فعليا ، وقدمت السعودية صــفقة أسلحة أهمها سرب طائرات « ميراج ٥ » الفرنسية وقدم المغرب فوج مشاة وقدم السودان لواء مشاة ، وقدم العراق سرب طائرات هوكر هنتر وقدمت الكويت كتيبة مشاة ، وقدمت العراق إلى سوريا فرقتين مدرعتين وثلاثة ألوية مشاة كما تلقت سوريا مساعدات عســكرية مــن الأردن والمغرب والسعودية والكويت .

تحية إجلال لهذا العون العربى الذى لو انتظم لحقق للعرب أسمى الأمــانى .

عون أدبى أفريقى :

ومع العون العربى قدمت الدول الافريقية عونا أدبيا عظيما ، فقد بلغ عدد الدول الإفريقية التى قطعت علاقاتها مع إسرائيل خلال الحرب

٢٢ دولة بالإضافة إلى ثمانى دول كانت قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل منذ سنة ١٩٦٧ ولم يبق إلا أربع دول افريقية لها علاقات مع إسرائيل بالإضافة إلى دولة غريبة عن المجتمع الافريقى وهى « جنوب افريقيا » (١) •

سوريا بين النصر والهزيمة :

وكانت سوريا فى الأيام الأولى للحرب قد حققت انتصارا هائلا ضد إسرائيل ، واستعادت الجولان كله أو أكثره ، وفى صباح اليوم العاشر من أكتوبر اتجهت القوات الإسرائيلية إلى الضغط على الجبهة السورية ، والاكتفاء فيما يتعلق بالجبهة المصرية إلى إيقافها وكانت تقصد بذلك أن تتغلب على سوريا وأن تخرجها من المعركة ، وتنفيذاً لهذه الخطة اتجهت إسرائيل لقذف أهداف استراتيجية فى عمق سوريا وبخاصة الأهداف الاقتصادية لإجبار سوريا على الاستسلام •

إنقاذ سوريا عرّض مصر للخطر :

واتصلت سوريا بالقاهرة ترجو أن تضغط على إسرائيل حتى تخفف إسرائيل ضغطها على الجبهة السورية ، وكانت سياسة مصر آنذاك ترمى إلى ما يسمى « وقفة تعبوية » بعد الجهد الكبير الذى بذلته فى الأيام الأولى ، ولأن مصر حققت ما كانت تصبو إليه مما ذكرناه من قبل وهو أن الحرب ليست لاسترداد سيناء ، وإنما لإحداث هزّة لإسرائيل من جانب وللمجتمع العالمى من جانب آخر لخلق صحوة تعيد الحياة للقضية ، ولكن نداءات سوريا دفعت مصر للاستجابة فأصدرت القاهرة تعليماتها لاستئناف الزحف ، واتجهت القوات المصرية لمزيد من التقدم تجاه المضايق ، وانشغلت بهذا الجهد ابتداء من صباح يوم ١٣ أكتوبر

وقد سبق أن ذكرنا أن الجيش المصرى زحف إلى الشرق فى حماية

---

(١) لواء حسن البدرى ولواء طه المجدوب والعميد ضياء زهدى : حرب رمضان ص ٢١٥ •

حائط الصواريخ الذى كان نفوذه يمتد إلى مسافة لا تتعدى عشرة أميال ، ولذلك كان تقدم الجيش المصرى تجاه المضايق مغامرة ، لكنها أصبحت مغامرة مقبولة لأن الطيران الإسرائيلى خسر خسارة كبيرة خلال زحف الجيش المصرى فى أيامه الأولى ، ولأن هذا التقدم أصبح ضروريا لمساعدة سوريا •

أمريكا تكتشف الثغرة :

فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٣ من أكتوبر حدث أمر خطير ، إذ قامت طائرة استطلاع أمريكية من طراز لوكهيد SR-71-A برحلة استطلاع فوق الجبهة المصرية ، وشوهدت حركاتها على شاشة الدفاع الجوى فى غرفة العمليات بالمركز الرئيسى ، وقدمت هذه الطائرة نتيجة جولتها الاستطلاعية ، وكانت هذه النتيجة خطيرة للغاية فقد اكتشفت هذه الطائرة هى والأقمار الصناعية الأمريكية وجود ثغرة بين الجيش الثانى والثالث عرضها ٢٥ كيلو مترا ، وأبلغت الولايات المتحدة إسرائيل بهذا الوضع وحثتها على استغلال هذه الفرصة للعبور إلى غرب قناة السويس •

ويقول الفريق أول محمد على فهمى وهو يتحدث سنة ١٩٨٢ إلى أخبار اليوم فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر ما يلى عن الثغرة وموقف أمريكا منها :

أخطرنا الرئيس السادات فى اجتماع القناطر الخيرية يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ مع بعض القادة العسكريين أن « كيسنجر » قد أبلغه بأن الأمريكيين عندما استطلعوا عدم وجود احتياطى مدرع فى الغرب نتيجة دفعه إلى الشرق أعطوا النور الأخضر لإسرائيل للاندفاع نحو الغرب ، ولذا فإن أمريكا تقرر أن الوضع الخاص بالثغرة من صنعهم •

ويقول شارون : كانت المبادرة بأيدى المصريين الذين استطاعوا أن

يلحقوا أفدح الخسائر بالجيش الإسرائيلى ، وكــان القتال يمكن أن يتوقف فى أية لحظة وموقفنا فى غاية السوء ، وهذا سيكون كارثة كاملة بالنسبة لإسرائيل وسمعتها ، ومن أجل ذلك كان لابد مــن عمل شيء ، فألححت يوم ١٦/١٠/٧٣ على القيادة لتوافق على استغلال الفراغ بين الجيش الثانى والثالث للعبور إلى الغرب عند الدفرسوار •

ويضيف شارون قوله إننى شعرت فى الأيام الأولى لهذه العملية أن إقامة الجسور إلى الغرب كان خطأ عسكريا فقد كان القذف المصرى بالغ العنف •

أمريكا تؤيد الثغرة :

كانت صيحة وقف إطلاق النار من مجلس الأمن على أشدها حين ذاك ، ورأت مصر أن أمريكا دخلت المعركة فعلا بأسلحتها وبالمتطوعين الذين وفدوا منها ، وبطائراتها الاستطلاعية ، وأقمارها الصناعية ، فقبلت وقف إطلاق النار كما قبلته إسرائيل وأعلن أنور السادات ذلك بقوله : فى خطاب حزين إلى الرئيس حافظ الأسد نصه :

أخى الرئيس حافظ الأسد :

لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر ، وفى الأيام الأربعة الأولى كانت إسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية والسورية ، وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتى طائرة ، أما فى الأيام العشرة الأخيرة ، فإننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما فيها من أسلحة .

إننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا أو أن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى ، لذلك فإننى قد أخطرت الاتحاد السوفيتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ — ضمان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢ — بدء مؤتمر السلام فى الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتى (١) .

وإن قلبى ليقطر دما ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم علىّ اتخاذ هذا القرار ، ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب ، مع تمنيات .

أنور السادات

---

(١) كوسيجين كان قد زار مصر فى أثناء المعركة وألح على أنور السادات أن يوقف المعركة فرفض .

وقفات مع الثغرة :

الوقفة الأولى هى أن عملية الثغرة أطلق عليها الإسرائيليون (وادى الموت) لأنها وضعت جنود إسرائيل بين شقى الرحا .

ويقول أنور السادات عن الثغرة وعن سهولة القضاء عليها ما يلى :

كنت واثقا كل الثقة من أن عملية الثغرة مغامرة طائشة ساذجة ومكتوب لها الفشل المحقق ، فلو أنى صفيت الثغرة حسب الخطة الموضوعة والتى وقعتها بنفسى كانت إسرائيل ستفقد ٤٠٠ دبابة وعشرة آلاف عسكرى ما بين قتيل وجريح ، ولم يكن هذا بالأمر الصعب أو المحتمل بل الأكيد ، ففى هذه المعركة لم يكن أمامى قناة أعبرها أو خط بارليف أقتحمه .. العدو أمامى وعلى مساحة ضيقة من الأرض ، ظهره للبحيرة ووراءه على الضفة الشرقية خمس فرق كاملة لى ، ومدخل الثغرة من الضفة الشرقية فتحة هى ست كيلو مترات فقط عند نقطة الارتكاز بين الجيشين الثانى والثالث ، كل الحسابات العسكرية كانت تشير إلى أن هذه المعركة لو تمت فستكون مذبحة التاريخ .

ويقول أنور السادات كذلك عن الثغرة : لقد وجهنا الضربات الموجعة والمميتة للثغرة الإسرائيلية ، وأنا فى هذا أستشهد بكلام اليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى المعزول عن خسائرهم فى الثغرة الرهيبة التى **دفعوا ثمنها باهظا من أجل استعراض تليفزيونى سخيف .**

وبالإضافة إلى شهادة اليعازر هناك شهادة أحد الطيارين الأسرى الذين كانوا يعملون فى نقل الجرحى الإسرائيلين ، وهذه الشهادة مسجلة عندنا وتوضح الخسائر الرهيبة التى أصابت إسرائيل فى الثغرة التى كانت مقبرة لهم بكل ما تصوره المقابر من صور الموت ، وقد أعلنت وأنا فى عمان أخيرا أننى أتحدى أن تعلن إسرائيل عن خسائرها فى الثغرة وعن تفاصيل هذه العملية المسرحية .

وفى هذا المجال كذلك يَرْوى اللواء محمد حافظ إسماعيل أن موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى أوشك يوم ١٧ أكتوبر على اتخاذ قرار باستدعاء القوات التى كانت قد عبرت القناة إلى الشرق مقدّرا فشلها فى تحقيق مهمتها (١) .

والوقفة الثانية مع الثغرة تقرر أن هذا الاختراق ليس عملية عسكرية فريدة فى نوعها فتاريخ الحروب ملىء بالأمثلة العديدة لعمليات الاختراق وعمليات التصدى لها وتصفيتها (٢) .

والوقفة الثالثة حول الثغرة هى أن الولايات المتحدة التى أصرّت على وقف إطلاق النار حمت إسرائيل بعد الاتفاق على الموعد المحدد لذلك ، وسمحت لها بالاستمرار فى الزحف وتوسيع الثغرة والسير لحصار السويس ، فحققت إسرائيل فى المدة بين ٢٢ و ٢٤ أكتوبر أى بعد قبول الأطراف المتحاربة لقرار وقف إطلاق النار زحفا وسّع من نطاق هذه الثغرة وجعلها أشد خطورة .

والوقفة الرابعة مع الثغرة تصف أثرها على صحة الرئيس السادات وهو يذكر ذلك بقوله : كان الألم قد استولى علىّ بسبب هذه الثغرة ، فأصبت بنزيف لمدة ٤ أيام واستدعيت الأطباء ليفحصوا البول الذى كان قد صار كتلا من الدم ، فقال الأطباء إن هذا النزيف بسبب التوتر النفسى ، ولكن لا خطورة منه ووصفوا لى بعض الأدوية التى كانت مفيدة فى هذا الشأن (٣) .

والوقفة الخامسة مع الثغرة تتمثل فى الجهود المصرية لتصفيتها بعد وقف إطلاق النار وبعد أن امتدت الأيام لوجودها غرب القناة ،

---

(١) أمن مصر القومى ص ٣٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤١ .
(٣) البحث عن الذات ص ٣٥٧ وضاع جيشنا كله فى ١٩٦٧ ولكن عبد الناصر وعامرا لم يصابا بأى نزيف .

ويوضح أنور السادات هذه النقطة وتهديد الولايات المتحدة لو أقبلت مصر على تصفيتها بقوله :

فى ديسمبر ١٩٧٣ كنت مستعدا لتصفية جيب الثغرة ، فقد بدأت قواتنا حرب الاستنزاف معها ، ولم يتوقف ضغطها على الثغرة لحظة واحدة ، مما جعلنا نكسب أرضا جديدة كل يوم تارة بالأمتار وتارة بالكيلومترات ، ولكننا كنا نكسب دائما ، وأنا فعلا كنت على أتم الاستعداد لتصفية الثغرة ، وخاصة أنه ليست أمامى قناة لعبورها ، ولا خط بارليف للقتال يصدنى ، ولكن الخطر الذى كان أمامى كان تدخل أمريكا ، ففى ١١/١٢/١٩٧٣ جاء كيسنجر وقلت له : أنا غير مستعد أن أقبل أسلوب اليهود حول موضوع الثغرة وأنا سأصفى الثغرة .

فقال لى : أنا قبل أن أحضر إليك عارف أنك جاهز ، أنا طلبت صورة الموقف من البنتاجون ، فأعطونى تقريرا كاملا ، حائط صواريخك يتكون من كذا بطارية ، دباباتك حول الثغرة ٨٠٠ دبابة مدافعك عددها كذا ، وتستطيع فعلا أن تصفى الثغرة ، ولكن أعلم أنك إذا فعلت هذا سيضرب بك البنتاجون .

قلت له : هذا هو السؤال : ما هو موقف أمريكا ؟

قال لى : سيضربك البنتاجون ، سيضربك البنتاجون ، بسبب واحد وهو أن السلاح الروسى قد انتصر على السلاح الأمريكى مرة ، ولن نسمح له فى الاستراتيجية العالمية أن ينتصر للمرة الثانية .

واستأنف كيسنجر حديثه قائلا : هل تعرف أنه عندما أزمت أنت الموقف عالميا وقلت للقوتين تعالوا هاتوا لى خط ٢٢ أكتوبر أو أن تستعيده على شرط ألا يقف البنتاجون ضدك .... تعرف الخطة اللى وضعها البنتاجون فى ذلك الوقت ماذا كان شكلها ؟

كنـــا سننزل عنـــدك فى ســـيناء ونخلص عليك إذا الروس نزلوا عندك فى الغرب لأننا كنا نريدك أن تعلم أن الروس لا يُعْتَمَد عليهم ، فنضربك ضربة نضرب بها الروس ، نفس الوضع الآن ، لو أنت حاولت أن تصفى الثغرة • سيدخل البنتاجون ويضربك ، لأن هذه هى سياســـة أمريكا المقررة [١] •

والوقفة السادسة مع الثغرة توضح الخلاف فى وجهات النظر بين القائد العام للقوات المسلحة المشير أحمـــد إسماعيل ورئيس الأركـــان الفريق سعد الدين الشاذلى ، فقد اتجه رأى رئيس الأركان إلى سحب بعض القوات من شرق القناة إلى الغرب للقضاء على الثغرة ، أما القائد العام فلم يكن يرى سحب جندى واحد من الشرق ، وكان يرى أن التعامل مع الثغرة ينبغى أن يكون عن طريق القـــوة الموجودة غرب القنـــاة ، واستُدعِىَ الرئيس السادات لحسم الخلاف وأقـــر الرئيس وجهة نظر القائد العام بألا يجرى انسحاب من الشرق إلى الغرب [٢] •

ويقول أنور السادات إننى فى هذه الليلة أعطيت تعليمات لأحمـــد إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القـــرار على القوات حتى لا يَحدُثَ رد فعل عندنا أو عند الإسرائيلين وفى نفس الليلة استدعيت الجمصى وعينته رئيساً للأركان •

والوقفة السابعة مع الثغرة عن منافسات أضرّت بمصر فى الثغرة ، فقد أرسل الرئيس السادات إلى رئيس الأركان الفريق سعد الدين الشاذلى للتعامل مع الثغرة ، وكان من السهل جداً التعامل معها فى ذلك اليوم ، فقد كان السباق فيها للزمن • ولو أنه نفذ ما طلب منه لأحاط شاطىء البحيرة بسد يسجنهم داخلها ويوقفهم فى مكانهم ولأصبح من الســـهل القضاء عليهم ، وكان فى إمكانه أن ينتهى من العملية كلها بعد وصولـــه

---

(١) البحث عن الذات ص ٣٥٥ — ٣٥٦ •
(٢) محمد حافظ اسماعيل — أمن مصر القومى — ص ٣٤١ •

بساعات ، ولكنه أضاع الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشاء قيادة لـه ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل ، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول ، واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة ... ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة (١) .

والباحث يقرر أنه كان من أخطاء السادات أن وضع قائدين كبيرين متنافسين فى مكانيهما من الجيش ، ومهما كانت الرغبة فى نكران الذات ، فإنه لا يؤمن أن تتحرك الأهواء فى وقت من الأوقات وهو مـا حدث فى هذه الأزمة الخطيرة .

ويقول المطلعون إن الخلاف بين المشير أحمد إسـماعيل والفريق سعد الشاذلى يرجع إلى أيام خدمتهما فى الكونغو (زائير) فى أوائل الستينات ، وكان سعد الشاذلى قائداً للكتيبة المصرية التى كانت تعمل تحت علم هيئة الأمم المتحدة ضمن قوات الطوارىء الدولية التى تم إرسالها إلى هناك .

أما أحمد إسماعيل فكان على رأس البعثة العسكرية المصرية التى أرسلها عبد الناصر بناء على طلب لومومبا إلى الكونغو ، وكان سعد الشاذلى برتبة مقدم وأحمد إسماعيل برتبة العقيد ، وأراد أحمد إسـماعيل أن يكون الشاذلى تحت أمره بسبب أنه يحمل رتبة عسكرية مصرية أعلى من رتبة سعد الشاذلى فى تلك المنطقة ، ولأن المجموعتين كانتا تنفيذاً لاتجاهات عبد الناصر فى التدخل فى شئون افريقية ولكن سعد الشاذلى رفض ذلك لأنه يعمل تحت علم هيئة الأمم المتحدة ، وليس تحت علم مصر ، وهو بهذا يتلقى أوامره من قائد القوة الدولية ، ومنذ ذلك الحين نجم الخلاف بينهما وتفاقم .

---

(١) البحث عن الذات ص ٣٤٨ .

ثم حدث أن أنور السادات أصدر قراراً بعبور الفرقة الاحتياطية الموجودة غرب القناة لمساعدة الحالة المتدهورة فى الجبهة السورية ، وقد تسبب هذا فى إحداث الفراغ الذى التقطته الاقمار الصناعية الأمريكية وكانت الثغرة [1] ٠

وهكذا لاحقتنا لعنة عبد الناصر ، فكانت فى حربنا الناجحة سنة ١٩٧٣ نقطة سوداء ، أحدثت بعض الاضطرابات فى الجبهة ، ولكن الله سلم ٠

والوقفة الثامنة مع الثغرة ترتبط بأحاديث ودراسات مهمة سجلها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه (عند مفترق الطرق) عن حرب أكتوبر بوجه عام والثغرة بوجه خاص ، ومنه نقتبس سطورا قليلة :

— بعد أسبوع من حرب أكتوبر قال رئيس إسرائيل : لقد عشنا سنوات طويلة على وهم أننا أكبر قوة فى المنطقة ، وقد جاء الوقت لكى نرفع عن عيوننا هذه الغشاوة ونطل على الأمور بمنظار الحقيقة ٠

— كانت إسرائيل تقف فى موقف الشريك للولايات المتحدة بعد حرب ٦٧ وكانت تزهو بذلك ، ولكنها ابتداء من حرب ٧٣ عادت إلى دور التابع وهو حجمها الحقيقى ٠

— اعترف الجنرال شارون : إن المصريين استطاعوا أخذ المبادأة والمفاجأة والحقوا بنا خسائر فادحة وكنت أخشى أن يصدر قرار اطلاق النار ونحن فى وضعنا السيء وبذلك تكون الكارثة ، ونفقد سمعتنا وعن هنا بدأت قضية الثغرة ٠

---

(١) من حديث للدكتور عبد الحميد سلطان نشر بصحيفة الوفد فى ١٩٨٨/١١/٨ ٠

— يقول الجنرال بارليف فى حديث صحفى وافق عليه رسميا للنشر ما يلى :

١ — إن الجنرال شارون خالف عقيدة هامة من عقائد الحرب الإسرائيلية ، وهى أن تكون الخسائر البشرية فى أقل نطاق ممكن ، وقد دفعنا خسائر كثيرة فى عملية شارون .

٢ — إن الجنرال شارون لا ينكر أن احتمال صدور قرار بوقف اطلاق النار كان على الأبواب ، وأنه أقدم على مغامرته متأكدا أن وقف اطلاق النار سوف يحميها ويغطى مخاطرها .

٣ — أن الجنرال شارون يعترف أن مغامرته كانت لتخفيف الصدمة التى تلقاها الجيش الإسرائيلى عندما اقتحم الجيش المصرى قناة السويس واجتاح خط بارليف .

٤ — إن الجنرال شارون استعمل الغش فى الثغرة فهو لم يستطع تعزيز مواقعه على الضفة الغربية إلا بعد سريان وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ، وفى ظل هذا القرار الذى ضمنته الولايات المتحدة مد سيطرته على رقعة من الأرض تزيد مرتين على الرقعة التى كان قد استولى عليها قبل قرار وقف اطلاق النار ، وعلى كل حال فإن الغش على هذا النحو ليس بعيدا عن عقائد الحرب الإسرائيلية .

وعلى العموم فقد كانت القوات الإسرائيلية فى الغرب يمكن أن تكون رهينة إسرائيلية فى متناول مصر أكثر منها خنجرا فى كتفها وذلك لأنها محشورة حشرا ، وخطوط مواصلاتها بعيدة ، ومدخلها إلى الغرب محصور بين الجيش الثانى والثالث ، وقوات مصر تحيط بها كأنها حائط من الفولاذ ، ولهذا كانت الثغرة ليست موضوعا تضغط علينا بـه إسرائيل

وإنما كانت أقرب إلى أن تكون موضوعا نضغط به نحن على إسرائيل [١] •

والوقفة التاسعة فى أحاديثنا عن الثغرة هى اقتباس من أقوال المعلقين السياسيين الأجانب ، فقد قالوا إن الغرض من قتال الإسرائيليين فى غرب القناة كان استعادة هيبة جيش الدفاع الإسرائيلى التى فقدها فى معارك شرقى القناة ، ولم يكن بغرض تحقيق أهداف عسكرية وفيما يلى كلماتهم اقتباسا من صحيفة الأوبزرفر البريطانية :

«On the west bank of the Canal, fighting went on for press oppression and not real achievements.»

والوقفة العاشرة والأخيرة عن الثغرة أن مصر أعدت خطة عاجلة لتدمير الثغرة ، فقد تمّ تشكيل فرق كاملة بقيادة اللواء سعد مأمون ، وسمّيت « قوات تدمير الجيب الإسرائيلى المحاصَر » ووضعت خطة لتفتيت الجيب ، ومحاصرة كل جزء منه ، ثم ضرب عنق الثغرة لعزل الإسرائيليين تماما عن سيناء ، وتعهد سعد مأمون لقيادة الجيش بالانتهاء تماما من القضاء على الإسرائيليين بالغرب خلال ثمانى وأربعين ساعة على الأكثر •

وأدركت أمريكا ذلك فهددت بالتدخل المباشر ، ووعدت بسحب الثغرة فى أسرع وقت ممكن •

ماذا قالوا عن الثغرة ؟

يقول حاييم بارليف : حشدت إسرائيل فى الثغرة ٧ ألوية كاملة ، بالاضافة إلى خمسة ألوية لحماية مداخل الثغرة ، فقد كانت قوات الثغرة مجرد رهينة يسهل أسرها •

ويقول اريل شارون قائد الثغرة : إننى كنت أدرك تماما أن كل

(١) عند مفترق الطرق — ص ٣٠٢ وما بعدها .

الإسرائيليين الموجودين فى الضفة الغربية لقناة السويس أصبحوا رهينة فى أيدى المصريين ، ولذلك وقعت اتفاقية الفصل بين القوات تحت ضغط هذه النقطة (١) .

معركة السويس :

أشهد الله أننى أكتب معركة السويس ولا أستطيع أن أحبس دموعى ، إنها معركة البسالة والقوة والإيمان ، وإن بلدا به مدينة كالسويس ، وشعب مثل شعب السويس لن يعرف الضيم ولا الهزيمة أبدا إن شاء الله ، لقد كان الصراع يدور بين قوة عاتية من السلاح الأمريكى والجفاة الإسرائيليين من جانب ، وبين حائط من البشر المعزل تقريبا من جانب آخر ، جماعة من أبناء السويس وأعوانهم ، حاربوا بأبسط الأسلحة دون أن تلين قناتهم أو أن يعرفوا الفرار أو الهزيمة ، وكان لهم النصر .

وهناك بطل لا ينسى دوره فى الصراع الذى قامت به مدينة السويس عقب هزيمة ١٩٦٧ وكذلك فى قيادة شعب السويس فى معارك سنة ١٩٧٣ التى نتكلم عنها الآن ، ذلك هو الشيخ حافظ سلامة ، لقد عاش هذا الرجل فى السويس فترة المحنة ، وثابر على دعوة العلماء والمفكرين ليحاضروا المدنيين والجنود بالمدينة الباسلة ، وقد شرفنى أن كنت من الذين استجابوا له ، ورأيت جهده العجيب وإيمانه العميق ، وكان هذا البطل على خط النار فى مقاومة جيوش إسرائيل المزودة بأخطر وأحط ما أنتجته التكنولوجيا الأمريكية ، تحية لهذا الرجل ، ودعاء أن يثيبه الله على ما قدم للسويس وللمثل العليا .

والآن نلجأ لباحث عسكرى دقيق هو اللواء محمد حافظ إسماعيل

---

(١) وجيه أبو ذكرى : حرب أكتوبر : شهادة اسرائيلية ص ١٠٨ و ١١٠ .

الذى يقدم وصفا حيا لمعركة السويس وبطولة أبناء السويس ، وفيما يلى كلماته :

كان يوم ٢٤ أكتوبر طويلا وثقيلا فمنذ الفجر قررت القيادة الإسرائيلية — قبل وصول مراقبى الأمم المتحدة — أن تسارع بالهجوم لاحتلال مدينة السويس التى حوّلت عنها ترعة المياه الحلوة إمعانا فى الضغط عليها ، ولهذا كلف لواءان مدرعان تعززهما كتيبتان أحضرتا ضمن وحدات أخرى سحبت على عجل من جبهة الجولان باقتحام مدينة السويس من الشمال والغرب على أن يسبق الهجوم قصف الطيران والمدفعية لعدة ساعات لتحطيم الروح المعنوية للمدافعين .

وفى قلب النار والدخان بدأ اقتحام المدرعات والمشاة للمدينة فى وجه مقاومة وحدات من الفرقة ١٩ تؤيدها فئات شعبية استطاعت لساعات تعطيل الهجوم المدرع ، وتشتيت وحدات المشاة المصاحبة له ، وانزال خسائر فادحة بها ، إلا أن العناصر الأمامية للواءين بلغت فى النهاية وسط المدينة ، وتعجز الكلمات عن وصف القتال الذى دار بين المدرعات والعربات المدرعة من ناحية والرجال والأطفال المسلحين بالإيمان والحماس وبأسلحة خفيفة بدائية من جانب آخر ، وامتد القتال للشوارع وبين المبانى وفى داخلها حيث يتشبث الإسرائيليون بمواقعهم .

وأمام حجم الخسائر فى الأفراد والمعدات قرر الجنرال آدن أن يفض الاشتباك داخل السويس قبل غروب شمس ٢٤ أكتوبر ، وعندما جلسنا إلى مائدة الإفطار كانت المعركة توشك أن تنتهى ويسود السكون جبهة القتال ، وقد أعيا الجهد المقاتلين وتراجعت القوات الإسرائيلية الأساسية من أطراف المدينة ، ولحقت بها بعد منتصف الليل الوحدات المحاصرة فى قلب المدينة بعد أن نجحت فى التسلل عبر جماعات القتال المصرية .

كانت القوات الإسرائيلية قد استنفدت كل طاقتها ولم يعد متوقعا أن تبذل جهدا آخر ، كانت قد تجاوزت حدود قدراتها ولم تعد علی استعداد لمواصلة اقتحام المدينة وقبول المزيد من الخسائر بينما تتكسر هجماتها على حائط البشر المدافع عن مدينة السويس .

شاهد عيان إسرائيلى يصف بطولات السويس :

يعتبر مؤلفو كتاب « التقصير » الإسرائيليون أن معركة السويس كانت أكبر كمين سقطت فيه القوات الإسرائيلية ، فقد دخلت هذه القوات المدينة وتوغلت فيها ، وتصورت أنها خالية ، ولكن سرعان ما دوى كل شىء حولنا ، صواريخ لا نعرف مصدرها ، وقذائف من كل جانب ، ويقول أحد القادة الإسرائيليين (نيف) إننا بعد أن توغلنا فى المدينة حوالى كيلو متر انهالت علينا طلقات النار من جميع المنازل ، ومن جميع الشبابيك والمنافذ ، وتساقطت علينا قنابل البازوكا والقنابل اليدوية ، وقد خرج علينا جنود مصريون من المنازل رافعى الأيدى متظاهرين بالاستسلام ، فلما اقتربنا منهم لنلقى القبض عليهم ألقوا علينا قنابل يدوية ، وكانت القنابل تلقى علينا ولا نعرف مصدرها ، وأصبحنا شبه أسارى فى شوارع المدينة ، ودخلنا بعض المنازل فاتضح لنا أنها أسوأ مصيدة ، إذ ألقيت علينا القنابل من الطابق الثانى والثالث ، ومن المنازل المجاورة ، مما جعلنا فى حصار نتمنى الإفلات منه ، فقد اتضح لنا أن قوى شعبية وبعض كتائب كوماندوز مصرية ، وبعض قوات من الجيش الثالث اتخذت من المدينة الباسلة مراكز لها ، فوضعنا خططنا للهرب من المدينة [1] .

وخلال الليل وتوقعا للانتصار بعث المراسلون المرافقون للقوات المهاجمة أن مدينة السويس قد أصبحت تقريبا تحت سيطرة الإسرائيليين ، ولكن القيادة الإسرائيلية اضطرت يوم ٢٥ إلى نفى النبأ ، والاعتراف

(١) حرب اكتوبر : شهادة اسرائيلية ص ٦٣ — ٦٤ .

بأن قواتنا فى ضواحى مدينة السويس ، وأنها لا تسيطر على المدينة وقالت : إننا نحاصرها ولكننا لسنا بداخلها • **لقد عجزت هذه القوات أن تبقى بداخل المدينة ، ويقول كتاب التقصير : إن الجيش الإسرائيلى لم يفاجأ باندلاع الحرب فحسب ، وإنما بأسلوب لقتال المصرى أيضا** (١) •

معركة بورسعيد :

لم تكن السويس وحدها هى التى عانت هجوما قاسيا من العدو واستبسلت فى الدفاع عن نفسها ؛ بل إن بورسعيد تشاركها هذا الفخر ، ولكن الفرق هو أن الهجوم على بورسعيد كان بالطائرات ، وكان الدفاع عنها بواسطة الكمائن المضادة للطائرات بما بها من صواريخ فتاكة ، ولكن عدد الطائرات الإسرائيلية كان أكثر جدا من عدد البطاريات الدفاعية مما مكن لهذه الطائرات أن تقصف مواقع الصواريخ بعد أن قدمت ثمنا غاليا لهذا القصف ، وأخذت بورسعيد بذلك تتعرض لنيران العدو الذى تملؤه الخسة والحرص على إفناء الإنسان والاستمتاع بدم البشر ، ولو لم يكن هناك هدف آخر •

وتقول الرواية أن الطيارين الإسرائيليين أبلغوا قيادتهم أنهم نفذوا مهامهم ضد القواعد الاستراتيجية بالمدينة ، ولم تعد هناك أهداف تقصف ، ولكن القيادة الإسرائيلية ألزمتهم بضرب سكان المدينة لإشاعة الرعب فيهم ، لعلهم يغادرونها بعد أن ثبت تمسكهم بالمدينة والدفاع عنها ، وفى اليوم الحادى عشر من أكتوبر جاءت ست عشرة طائرة لهذا الهدف ، وكانت آمنة على نفسها بعد تدمير مواقع الصواريخ ، ولكن القوات المصرية كانت قد أعدت صواريخ جديدة استطاعت أن تسقط اثنتى عشرة طائرة فى مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الأربع الباقية ولم تعد الطائرات الإسرائيلية تهاجم بورسعيد بعد ذلك •

---

(١) حرب اكتوبر : شهادة اسرائيلية ص ٥٦ •

تحية لبورسعيد الباسلة على جهودها المشرّفة (١) .

بعد توقف القتال

وأخيرا توقف القتال يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ومنذ هذا التاريخ برزت أمور خطيرة نتدارسها فيما يلى :

الاشتباك بين الجيش المصرى والإسرائيلى :

لقد كان من أخطر الأمور التى واجهت السياسيين والعسكريين موضوع التداخل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، فالقوات الإسرائيلية تحيط بالسويس ، والجيش الثالث معزول فى سيناء لا يمكن الاتصال به إلا عن طريق الجو وبصعوبة ، والقوات المصرية تقف حائطا من الفولاذ خلف القوات الإسرائيلية تحرمها من الحركة وتتخطف أفرادها ، وطريق التموين الغذائى لمدينة السويس مقطوع ، بل والماء أيضا ، إذ حولت إسرائيل مجرى الماء الواصل للسويس كما ذكرنا من قبل .

لقد كان الجانب الإنسانى مفقودا تماما عند هؤلاء القساة ، ولم يكن يهمهم طفل أو امرأة ، وعاش أهل السويس فترة من الزمن يتقاسمون القليل من الطعام والشراب .

وهكذا كان فك الاشتباك ضروريا للجانبين حتى يتم القضاء على الثغرة التى أريد بها أن تكون فخا ، ولكن القوات الإسرائيلية وقعت هى فى الفخ .

وسارت خطوات فك الاشتباك على النحو التالى :

أولا : النقاط الست :

فى ١١ نوفمبر وبواسطة كيسنجر اليهودى تمّ الاتفاق على ما

---

(١) لواء حسن البدرى وآخران حرب رمضان ص ١٩٠ .

يسمى النقاط الست ، وهى تؤكد الالتزام بوقف اطلاق النار والمفاوضة للعودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر ، ولكن أهم ما جاء بها هو أن تتلقى مدينة السويس يوميا إمدادات من الغـذاء والماء والدواء ، ويتم ترحيل جميع الجرحى المدنيين من مدينة السويس ، ويتم تبادل الأسرى ٠

ثانيا : مباحثات الكيلو ١٠١ :

بعد أن تم التوقيع عـلى اتفاق النقاط الست بدأت المباحثات المعروفة بمباحثات الكيلو ١٠١ على طريق السويس وكان يمثل الجانب المصرى الفريق عبد الغنى الجمسى ، ويمثل الجانب الإسرائيلى الجنرال أهارون بارليف ، وكان اختيار إسرائيل لهذا الموقع مقصودا لإيضـاح أن إسرائيل تقف بجيوشها عنده بين القاهرة والسويس ، وبدأت المباحثات حول ما يسمى فك الاشتباك ، وقدمت عـدة اقتراحات اتضح منهـا تعصب الجانب الإسرائيلى ، وكان مـن هذه الاقتراحـات انسـحاب إسرائيل إلى شرق المضايق إذا خففت مصر مستوى تسليحها فى سيناء إلى الحد الرمزى ، ووافقت مصر عـلى ذلك بشرط أن تخفض إسرائيل تسليحها فيها بعد المضايق ، ومن الاقتراحات التى قدمت أن ينسحب كل طرف من الأرض التى استولى عليها فى الحرب ، وكان هذا الاقتراح دافعا لإغضاب الجمسى ، وفشل هذه المحاولة (١) ٠

ثالثا : اتفاقية الفصل بين القوات على الجبهة المصرية (فك الاشتباك) :

فى ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ تم التوقيع على هذه الاتفاقية وبمقتضاها اتفق على أن الوجود المصرى فى سيناء ينبغى على ألا يزيد عمقه فى سيناء عن ١٥ كم ، وأن تخفض القوات المصرية بهذه المنطقة إلى ثمان كتائب أى نحو ٧٠٠٠ جندى ، وأن تنسحب قوات الثغرة الإسرائيلية من الغرب ، وأن تنسحب كذلك القوات الإسرائيلية بسيناء إلى عمق

---

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ١٨٣ ــ ١٨٤ نقلا عن كوانت ص ٢١٩ ٠



مع الجمسى البطل الذى نذكره بخير دائما

سيناء ، وأن توجد منطقة عازلة بين القوتين تعسكر فيها قوات الأمم المتحدة التى يجدد ترخيصها كل ثلاثة أشهر •

فك الاشتباك فى الجولان :

حرص الرئيس السادات على أن يتم فك الاشتباك فى الجولان على نحو ما حدث فى مصر ، وقد قام كيسنجر بالمباحثات لتحقيق هذا الهدف ، وبمقتضاه كان على إسرائيل أن تنسحب من الأراضى الجديدة التى احتلتها فى حرب أكتوبر ، وبضغط من أمريكا وافقت على الجلاء من بعض المناطق من الجولان منها مدينة القنيطرة ، واشترطت إسرائيل أن المناطق التى ستجلو عنها من الجولان لا تدخلها القوات السورية ، بل تكون منطقة عازلة وتعود لها فقط الإدارة المدنية السورية ، وقد تم ذلك فى مايو سنة ١٩٧٤ وبناء على هذا تم تبادل الأسرى (١) •

وللأسف الشديد مضت إسرائيل فى التوسع الاستيطانى فى الجولان ، ثم أعلنت ضم هذه المناطق لإسرائيل فى نوفمبر سنة ١٩٨١ ، ولا يزال الصراع النفسى مشتعلا بسبب هذه التصرفات الإسرائيلية الطائشة •

فك اشتباك آخر على الجبهة المصرية :

لم يكن فى الحقيقة هناك اشتباك هذه المرة كالاشتباك الذى كان واقعا قبل فك الاشتباك الأول ، فمن الواضح أن الجيش المصرى أصبح الآن بعيدا عن الجيش الإسرائيلى ، وليس هناك تداخل ، بل إن هناك منطقة عازلة تحتلها قوات الأمم المتحدة ، ولكن هذا الاصطلاح (فك الاشتباك) اقترحته الدبلوماسية حتى لا يقال إن صلحا منفردا أو شبه صلح تم بين مصر وإسرائيل •

---

(١) اسماعيل فهمى : التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط ص ١٣٣ وما بعدها •

وكان من أسباب هذا الاتفـاق الجديد أن الرئيس السادات فى ظل فك الاشتباك الأول ، بدأ دون توانٍ فى تعمير مدن القناة التى كانت قد دُمرت سنة ١٩٦٧ وبدأ كذلك فى إعداد القناة نفسها للملاحة الدولية ، ثم تمَّ ذلك الإعداد وأُعيد فتح القناة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، وهذا الاتجاه أوحى إلى أمريكا وإسرائيل أن مصر ليست متجهة لإشعال الحرب مرة أخرى ، فبدأت الجهود تتواصل لتحقيق مزيد من خطوات السلام ، وبذلك تم عقد الاتفاق الثانى لفصل القوات فى سبتمبر ١٩٧٥ وفيما يلى خلاصة هـذا الاتفاق :

— انسحاب إسرائيل إلى خـط جـديد يبعـد مسـافة تصـل إلى أربعين ميلا من قناة السويس ، ويكون خلف الممرات •

— تتقدم القوات المصرية إلى الشرق لتتسلم المنطقة التى كانت عازلة بين مصر وإسرائيل •

— تسليم ممرات متلا والجدى إلى الأمم المتحدة لتقيم بها قواتها بدل المنطقة العازلة التى سلمت لمصر •

— إعادة حقول البترول إلى مصر •

وفى داخل الممرات اتفق على أن تكون هناك محطتان للمراقبة لتوفير إنذار استراتيجى مبكر ، محطة يقوم بالعمل فيها أفراد مصريون ، والثانية يقوم بالعمل فيها إسرائيليون •

وإلى جانب هاتين المحطتين نصت الاتفاقية على أن تقوم الولايات المتحدة بإقامة ثلاث محطات للمراقبة فى ممرى متلا والجدى تدار بواسطة أفراد مدنيين أمريكيين •

وفى المنطقة التى تشمل حقول بترول أبو رديس سُمِحَ للمدنيين بالمرور فى طريق طويل تقوم قوات الطوارىء الدولية بالإشراف عليه ، وتعهدت إسرائيل بأن تترك كافة المنشآت صالحة للعمل ، وقد وافقت

مصر على ضرورة تسوية نزاع الشرق الأوسط بالسبل الديبلوماسية ، وحظرت استخدام القوة المسلحة أو اللجوء إلى الحصار العسكرى ، ووافقت على مرور البضائع الإسرائيلية غير العسكرية عبر قناة السويس .

واتفق على تخفيض قوات كل طرف على جانبى المنطقة العازلة إلى ٨٠٠٠ جندى ، و٧٥ دبابة و ٧٢ قطعة مدفعية ثقيلة (١) .

وكان هذا الاتفاق مطلع الخلاف بين مصر ، وبين بعض الدول العربية ، وقد اعترفت إسرائيل أن من أهداف هذا الاتفاق إحداث الفرقة بين الدول العربية .

ويقرر الأستاذ إسماعيل فهمى خطأ اعتبار فك الاشتباك الثانى عملا مصريا خارجا عن نطاق الاتفاق العربى ، وفيما يلى كلماته :

من المهم هنا أن أوضح بعض النقاط عن فك الاشتباك الثانى ، لأن كثيرا من الكتاب وبخاصة الإسرائيليون صوروه على أنه نصر سياسى لإسرائيل ، أو حتى معاهدة سلام تحت اسم آخر ، وهذا ببساطة ليس صحيحا ، لقد قدمت الولايات المتحدة تنازلات سياسية كبيرة لإسرائيل ، ولكن مصر لم تقدم أية تنازلات ، وإنه لتشويه كامل للحقائق أن يقال إن لغة بعض مواد الاتفاق تعنى ضمنا إنهاء حالة الحرب ، وسوف يتضح هذا لأى شخص يتجشم عناء قراءة هذا الاتفاق بعناية ... (٢) .

وأخذ اسماعيل فهمى بعد ذلك يورد نصوص المواد التى تؤكد أن هذا الاتفاق ليس حلا سياسيا وليس إنهاء للحرب بين مصر وإسرائيل وبخاصة أن المادة الثالثة تنص على « أن ينظر الطرفان إلى هذا

---

(١) دكتور صلاح العقاد : السادات وكامب ديفيد ص ١٥٢ .
(٢) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط ص ٢٤٩ .

الاتفاق كخطوة هامة نحو سلام عادل ودائم وهو ليس اتفاق سلام نهائى » (١) .

والآن بعد هذا الصراع الطويل هناك نقاط ضرورية ترتبط به نشرحها فيما يلى :

١ — هل أضاع السادات أية فرصة عسكرية أو سياسية ؟

يتجه الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى أن السادات بعد الانتصار فى أكتوبر اتجه بسخاء شديد لتسليم ٩٩٪ من أوراق القضية إلى أيدى واشنطن ، وأنه بعد حرب أكتوبر عاد إلى مطالبه القديمة ، التى كان ينادى بها سنة ١٩٧١ دون ملاحظة المسافة بين التاريخين (٢) .

واعتقادى أن ذلك مبالغ فيه جدا ، فقد طالب أنور السادات بأقصى ما يستطيع أن يطالب به مفاوض ، ولكنه واجه الجشع الصهيونى والتأييد الأمريكى الواسع ، وصبر وصابر حتى حقق أقصى ما يمكن تحقيقه ، وما كان له أبدا أن يحقق زحزحة إسرائيل عن سيناء لو لم يحقق انتصار أكتوبر وهذا يدل على استغلال السادات لهذه الانتصارات .

٢ — لماذا أقبل السادات على الولايات المتحدة ؟

الحق أن مكانة الاتحاد السوفيتى قد اهتزت فى ذهن السادات ، وفى ذهن أكثر المصريين خلال معارك أكتوبر وقبلها فبينما كانت الولايات المتحدة تلقى بثقلها كله مع إسرائيل كان السوفيت يتقاعسون عن إرسال الأسلحة اللازمة التى اتفق عليها حتى اضطر الرئيس هوارى بومدين أن يسافر إلى موسكو ومعه شيك بمائتى مليون دولار لشراء أسلحة لمصر وسوريا كما قلنا من قبل .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٠ .
(٢) خريف الغضب : ص ١٤١ و ١٦١ .

وكانت الولايات المتحدة تضغط عسكريا على مصر ، والسوفيت يضغطون أيضا لإيقاف إطلاق النار حتى أن بومدين عندما عـاد إلى الجزائر من موسكو جمع مجلس الثورة وقال لهم : إذا كان الأمريكان وإسرائيل يريدون أن يهزموا السادات قيراطا فالاتحاد السوفيتى يريد أن يهزمه ٢٤ قيراطا (١) .

ثم إن العون الضخم الذى قدمــه جلالة الملك فيصـــل وغيره من الرؤساء العرب الذين تربطهم بالولايات المتحدة روابط كثيرة كان لــه أثره فى توجيه السياسة المصرية للغرب حتى لا تشذ مصر عن الدول العربية .

وكان السادات يعتقد أن الولايات المتحـــدة هى الدولة العظمى الوحيدة فى العالم — وأن الاتحاد الســوفيتى ليس الدولة الثانية ، وإنما يجىء بعد الولايات المتحدة بعشر درجات أو بعشرين درجة (٢) ، ثم إن الولايات المتحدة بالنســبة لإسرائيل هى صاحبة اليد والكلمــة والسلطة ، فحل مشكلة الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة وحدها ، وقد أكدت حرب رمضان هذه الحقيقة ، فإن الولايات المتحدة أرادت بإصرار أن تحافظ على ربيبتها إسرائيل ، وحرصت كل الحرص على دفع الهزائم عنها ، فقد وضعتها الولايات المتحدة بهذا المكان بهدف السيطرة الاستراتيجية على المنطقة . واستمرار الحصول على الثروات بها وعلى البترول بوجه خاص ، وقد برهنت الظروف على أن إسرائيل شـــديدة التعمق فى الحياة السياسية الأمريكية وأنها بجانب ذلك قد أثبتت نفعها كأداة ردع فى يد السياسة الأمريكية بالمنطقة (٣) .

وكان واضحا من هذا أنه مهما بلغت قوة مصر العسكرية فإن أمريكا لن تترك إسرائيل تنهزم .

---

(١) من تصريحات السادات للصحافة .
(٢) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ٦٩ .
(٣) محمد حسنين هيكل : عند مفترق الطرق ص ٢٤ .

ومن جانب آخر لقد هزت انتصاراتنا أمريكا ، وبدأت تدرك مكاننا ، وتحرص على إرضائنا بما لا يصدم الأطماع الصهيونية صداما مباشرا •

وطمع السادات فى أن يصل إلى حل عن طريق الولايات المتحدة فألقى بنفسه فى رحابها •

٣ — نتائج معارك أكتوبر :

حدد الرئيس أنور السادات نتائج معارك أكتوبر بقوله فى المؤتمر القومى يوم ١٩٧٥/٧/٢٣ إن من نتائج هذه المعارك انهيار نظرية الأمن الإسرائيلى ، وتصدير أزمة الشك والتمزق وعدم الثقة من العالم العربى إلى المجتمع الإسرائيلى ، واقتناع العالم بأن إسرائيل لم تعد سلاح الإرهاب الذى يستخدم ضد العرب ويحمى المصالح الخارجية ••• وأن هذه المصالح لا يحميها إلا التفاهم مع العرب ••• ثم إن هناك القوة البترولية والمالية للعالم العربى ، وإقبال كل القوى العالمية على الحوار معنا ، وترتيب مستقبلها فى التفاهم مع أصحاب الأرض •

وقال الزعيم الحبيب بورقيبة : إن حرب أكتوبر مكنتنا من أن نرفع رؤوسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ المرة ، ولولا معونة أمريكا لإسرائيل فى هذه الحرب لمنيت إسرائيل بهزيمة ساحقة (١) •

وقال الرئيس جعفر النميرى : إن الواقع العربى محكوم وسيظل محكوما لفترة طويلة بالنتائج الباهرة التى حققتها حرب أكتوبر ، وإن حرب أكتوبر طحنت الكيان الإسرائيلى ومزقته ، وأفقدت إسرائيل قوى الدعم الخارجى ، وحولت الرأى العام العالمى لصالح العرب (٢) •

---

(١) مجلة الفجر القطرية الصادرة فى ١٩٧٥/٦/٢١ •
(٢) حديث نشر فى الأخبار أول يوليو سنة ١٩٧٥ •

وأجاب المرحوم المشير أحمد إسماعيل على سؤال للإستاذ محمد حسنين هيكل عن نتائج أكتوبر الإيجابية ، فقال : [١]

هناك نتائج محققة ، وهذه النتائج يمكن تقسيمها إلى مجموعات مختلفة :

هناك مجموعة من النتائج العسكرية هى كما يلى :

— لقد زالت خرافة الجندى الإسرائيلى ، بعـد أن كادت تَتَثْبَت فى بعض الأذهان بطريقة خطيرة ، لقد وجدنـاه جنديا عاديا ، دُرِّب تدريبا حسنا عَزَّز قدرته القتالية ، وهذا هو كل شىء ، أى أنه فى مقدور أى جندى آخر غيره دُرِّب تدريبا حسنا يعزِّز قدرته القتالية أن يتصدى لـه وأن يهزمه .

— لقد ثبت لى أن الجندى المصرى من أشجع الجنود وأصـلبهم فى العالم ، ويكفيه صبره وبسالته ، فقد مرت عليه أيام كان لنا فيهـا جنود يعيشون على نصف التعيين المقرر لغذائهم ، ولكن استعدادهم للقتال لم يتأثر ، وهناك ضمانات يجب أن نعطيها للجندى المصرى لنأخذ منه أحسن ما عنده : تدريب جيد ، وسلاح يثق فيه ، وضابط يشعر به ، هذا هو كل شىء .

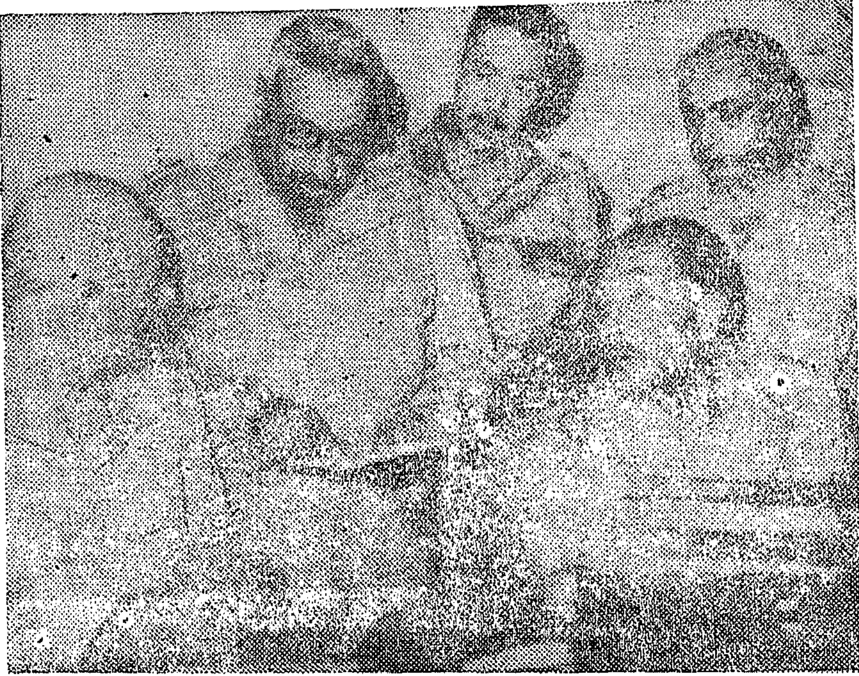
— إن أى عمل يَحْسُن التخطيط لـه علميا ، ويحسُن التدريب عليه عمليا قابل للنجاح بنسبة مائة فى المائة .

— هناك دروس أخرى مسـتفادة ، فى نواحٍ فنية ، ولا أظنها مما يهم الناس بصفة عامة ، وإنما هى تهم القوات المسلحة بصفة خاصة .

ويواصل المرحوم المشير أحمد إسماعيل قائلا

---

(١) عند مفترق الطرق ص ٢١٦ وما بعدها .



مع البطل أحمد إسماعيل

وأنتقل بعد ذلك إلى مجموعة أخرى من النتائج السياسية والاستراتيجية وأعدها كما يلى :

— لقد كسرنا الجمود الذى كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط .

— لقد غيرنا صورتنا أمام العالم كله ، فبعد أن كان يظننا جثة هامدة ، رآنا قادرين على الحركة ، قادرين على القتال ، قادرين على الانتصار ، ولم تتغير صورة مصر وحدها أمام العالم ، ولكن تغيرت صورة الأمة العربية كلها .

— لقد أثبتنا لإسرائيل أن منطقها فى الحدود الآمنة منطق مضروب : لم تكن قناة السويس مانعا كافيا أمام إرادة مصممة ، ولم يكن خط بارليف عائقا كافيا أمام استعدادنا للتضحية ، وإذن فإن على إسرائيل أن تبحث عن منطق آخر فى الأمن ، وفوق ذلك ، فإن إسرائيل فى أى منطق الآن تحاول العثور عليه ، لا بد لها أن تعرف أن أمامها فى مصر عدوا يتحتم عليها أن تحسب حسابه ، بل أقول وعليها أن ترهبه .

— إن الحرب أثبتت بطريقة قاطعة أن شرم الشيخ ليست لها الأهمية الكبرى التى كانت إسرائيل تظنها وتبنى عليها بقاءها فى سيناء ، إن شرم الشيخ لم تعد مفتاح إيلات وإنما نزل هذا المفتاح إلى أقصى الجنوب عندما ظهرت استراتيجية عربية للبحر الأحمر قررنا بمقتضاها قفل باب المندب .

ويلخص اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية ما حققته حرب أكتوبر فيما يلى [1] :

إن القوات المصرية ، كما قال الرئيس أنور السادات ، قامت بمعجزة على كل مقياس عسكرى ، وإن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا

---

(١) جريدة الاهرام ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٣ .

أمام عملية السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ولقد أثبتت هذه الحرب بالدليل القاطع خطأ نظرية الحدود الآمنة المستندة إلى أقوى التجهيزات العسكرية والموانع الطبيعية ، واضطر وزير الجيش الأمريكي يوم ١٨ أكتوبر إلى الاعتراف بأن عبور القوات المصرية لقناة السويس هو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية ، والواقع أنه لأول مرة في التاريخ العسكري الحديث تتمكن قوة عسكرية من إنجاز عملية عبور ضخمة كهذه في مواجهة عدو مزود بطيران حديث دون أن تفقد القوات التي عبرت أية طائرة من طائراتها .

إن الذي يتبع سير الحياة في إسرائيل بعد ٦ أكتوبر يدرك أن المجتمع الإسرائيلي لا يزال وسيظل يترنح من هول الضربة التي وجهها لـه الجندي المصري ، ولأول مرة يحس المجتمع الإسرائيلي أنه يصارع هؤلاء الذين دوخوا التتار وقضوا على الصليبيين .

على أن هناك نقطة مهمة من آثار حرب أكتوبر جديرة بالذكر ، وهي تتعلق باقتصاد إسرائيل وعنها يتكلم وزير المالية الإسرائيلي في الذكرى الثانية لهذه الحرب فيقول :

إن إسرائيل تحتاج إلى عشرة أعوام على أقل تقدير لسداد الديون والأعباء الاقتصادية التي تكلفتها بسبب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقال الوزير الإسرائيلي إن حرب أكتوبر قد ألقت بإسرائيل في أسوأ أزمة اقتصادية منذ قيامها حتى الآن (١) .

ويقول محمد كامل إبراهيم وزير الخارجية سابقا : لقد أخذ السادات يعمل بكل ما أوتي من قوة ودهاء وصبر وصمت حتى قامت حرب أكتوبر ، وفي أثنائها أعلنت الدول العربية حظر البترول ، وارتجف العالم وتغير ، فقد ردت هذه الحرب إلى الأمة العربية روحها ، واستعادت هذه الدول

---

(١) حديث تناولته وكالات الأنباء .

ثقتها المفقودة ، وانتهت أسطورة الحدود الآمنة وخط بارليف والجيش الإسرائيلى الذى لا يُهْزَم ، وسارعت الدول الأوربية بإصدار البيانات التى تحدّد موقفها مـن النزاع العربى الإسرائيلى ، وتعترف بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة ، وتؤكد وجوب الانسحاب الإسرائيلى من الأرض المحتلة •

وفى الولايات المتحدة نفسها حدث زلزال عنيف يدعوها للتأمل فى مواقفها السابقة التى كانت فيها تؤيد إسرائيل تأييدا مطلقا معتقدة أنها قوة رهيبة فى الشرق الأوسط تعتمد عليها الولايات المتحدة اعتمادا تاما ، فلما زلزلت هذه القوة وَجَدَت الولايات المتحدة أن من الضرورى أن تتحرك للعمل على حل النزاع العربى الإسرائيلى الذى بات يهدد أمن العالم واقتصادياته (١) •

٤ ــ خسائر إسرائيل فى المعركة :

سئل المشير أحمد إسماعيل عن خسائر إسرائيل فى المعركة فأجاب بأن التقديرات الأمريكية تكفينى ، وهذه التقديرات تعد خسائر إسرائيل كالآتى :

٤٥٠٠ قتيل حسب المصادر الأمريكية ، ويرتفع الرقم حسب المصادر الاخرى إلى الآتى :

٥٦٠٠ قتيل حسب المصادر البريطانية •

٦٨٠٠ قتيل حسب المصادر الفرنسية •

١٠٫٠٠٠ قتيل حسب المصادر السوفيتية •

٢٠٫٠٠٠ جريح كما تقول المصادر الأمريكية وهو رقم قريب من الحقيقة •

٩٧٠ دبابة وهذا العدد أكثر من نصف القوة المدرعة التى بدأت إسرائيل بها الحرب •

١٥٠ طائرة وشواهدنا ووثائقنا تؤكد أن خسائر العدو فى الطائرات

(١) السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٢٤ ــ ٢٥ •

أكثر من هذا بكثير ، وربما كانت المصادر الأمريكية تعد الخسارة فى الطائرات الأمريكية وحدها .

والأسرى :

وسئل المشير أحمد إسماعيل عن الأسرى فقال :

لقد أسرنا من العدو عددا كبيرا من الضباط والجنود ، وكانوا يستسلمون عند اليأس دون ضغط أو إكراه ، وقد سجلت وثائق الأمم المتحدة ذلك ، أما أسرانا فكانوا حتى يوم ١٦ أكتوبر لا يزيدون عن ٧٠ أسيرا وكان معظمهم من قوات الصاعقة التى أُسْقِطت وراء خطوط العدو ، وكان هؤلاء من أشرس المقاتلين وقد ظلوا يطلقون النار حتى نفدت ذخيرتهم ، وقاوموا حتى أحيط بهم إحاطة كاملة [١] .

أما العدد الذى ذكرته إسرائيل عن الأسرى المصريين فقد جاء بعد الثغرة عن طريق أَسْر بعض الإداريين أو مطاردة جموع من سكان المنطقة من الفلاحين والقبض عليهم ، وهؤلاء المدنيون لا يعتبرون أسرى حرب [٢] .

والخسارة المالية :

فإذا جئنا إلى الخسارة المالية فإننا نذكر سقوط خط بارليف فى يوم واحد ، وقد كلف إسرائيل ٤٠ مليونا من الجنيهات الاسترلينية وهو مبلغ هائل فى ذلك الزمان ، وكان قد تم إنشاؤه سنة ١٩٦٩ ، ويشتمل على ٢٢ موقعا محصنًا ، و ٣١ نقطة قوية .

ونذكر كذلك أن المعلقين العسكريين يقولون إن خسائر الحرب فى ١٩ يوما فاقت بكثير خسائر الأمريكيين فى حرب فيتنام فى مدة ١٠ سنوات ، وقد كان معدل الخسائر فى الأفراد والمعدات مرتفعا جدا

---

(١) محمد حسنين هيكل : عند مفترق الطرق ص ٢١٤ — ٢١٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .

بالنسبة لأى معدات معروفة أو متوقعة للحرب الحديثة ، نتيجة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات ، والدبابات ، والحرب الالكترونية .

وخسائر إسرائيل فى حرب أكتوبر بالنسبة لتعداد سكانها تعتبر أكثر من ٣٠ مثلا لخسائر أمريكا فى الحرب العالمية الثانية ، وأكبر من خمسة أمثال خسائر المصريين فى الحرب .

أما عن بعض جهود المصريين فى هذه الحرب فنذكر أن المصريين أزالوا حوالى ٣ ملايين متر مكعب من الأتربة والرمال لفتح ثغرات خلال ٦ أو ٩ ساعات ، وتم تنفيذ ٦٠ ثغرة وتمهيد ١٠ ممرات ، وتشييد ٥٠ معدية فى أماكن مختلفة (١) .

٥ ـ اعترافات بالبطولات المصرية :

شهادة من المعهد البريطانى للجندى المصرى

أصدر المعهد البريطانى لدراسات الحرب تقريرا ذكر فيه أن عبور الجيش المصرى لقناة السويس الذى تمَّ فى السادس من أكتوبر كان يصعب تحقيقه بهذا النجاح لو كان الأمر مجرد عملية تدريب بدون عدو مواجه ، وقبل أن نورد فقرة هذا التقرير التى تَحْمِل هذا المعنى نذكر أن الجندى الذى عبر القناة فى سنة ١٩٧٣ هو الجندى نفسه الذى هُزِم سنة ١٩٦٧ أو أخوه أو ابن عمه ، وكل ما تغير فى الأمر هو ظروف مصر وقيادة مصر ، ونص الفقرة التى أشرنا إليها هو :

« كل التقارير تشير إلى أن المصريين هاجموا بشجاعة بالغة وإصرار ، ودافعوا عندما كان عليهم أن يفعلوا ذلك بعزيمة ونجاح ، ولقد صمد مشاتهم بكل تأكيد أمام هجوم كبير بالدبابات وهى من أكثر الأشياء إثارة للرعب عند مواجهتها .

---

(١) من تصريحات رسمية للفريق أول محمد على فهمى .

ولسوف يوافق كل المحترفين على أن عبور القناة قد تمّ بصـورة رائعة غير عادية .... ولو افترضنا أن المرء كان مكلفا بأية تدريبات فى أى ظرف آخر دون أن يكون هناك أى عدو ، وكان عليه أن يقوم بكـل أعمال تجميع القوات الهندسية والقيـام بواجبات أركـان الحـرب ، والانطلاق بها دون أية غلطة ، لكان الأمر من الصعوبة بمكان ، وكان إنجازه بلا خطأ أمرا مرضيا جدا مع عدم وجود عدو . ولم يكن هنـاك من يصدق أن المصريين كانوا قادرين على ذلك منذ عشر سنوات ولكنهم فعلوه ، لقد دفعوا بقوات هجومهم عبر القناة ، وحققوا النتائج التى تعرفونها .... لقد استيقظت روح القتال بكل تأكيد لدى المصريين .

واعتراف من كيسنجر اليهودى الأمريكى

يقول اللواء محمد حافظ إسماعيل : قابلت الدكتور كيسنجر عقب الحرب ، وذكر لى مقابلاته لوزراء الخارجية للدول الغربية فى واشنطن واستمر يُصِر على أن الجيوش العربية المقاتلة قد حققت أداء متميزا على نحو لم يكن متوقعا (١) .

العـرب والمعركـة

وهذا الانتصار الكاسح الـذى ظهر منذ اللحظات الأولى للزحف حقق نتائج سريعة كانت بدورها شـديدة التأثير فى نجاح المعركـة ، فالإخوة العرب هزهم هذا الانتصار وملأهم سرورا ، وأزال عن نفوسهم كابوسا كان ثقيلا ومريرا ، فراحوا يتغنون بالمنتصرين ويشـجعونهم ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن الانتصارات قائلة : تخطى جيشنا ، واستطاع رجالنا ، وحقق أبطالنا .... وأمثال هذه العبارة ،فقد اعتبر الجميع أن جيش مصر جيشهم وأبطـال مصر أبطالهم ، وهـذه حقيقة نقررها ونفخر بها ، وأسرعت وحدات من الجيوش العربية إلى أمكنتها

---

(١) أمن مصر القومى ص ٣٤٣ .

فى ساحات القتال ، وكان ذلك شرفا حرص الجميع على أن ينالوا منه نصيبا ، وفى وسط أهازيج النصر فتح بعض العرب خزائنهم ليقدموا للجيش المصرى والسورى مـا يحتاجانه من إمدادات وأسلحة ومساعدات .

ثم خطا العرب خطوة أخرى كانت عظيمة النتائج ، فقـد قرروا تخفيض ضخ البترول بنسبة معينة ومنع تصديره تماما إلى الولايـات المتحدة وهولندا ، فتوقفت مصانع ، وظهرت أزمة الطاقة كأكبر معلم من معالم سنة ١٩٧٣ وكان السادس من أكتوبر هو صاحب الفضل فى هذا التجمع العربى الهائل ، وبدون السادس من أكتوبر كان تحقيق هـذا الهدف يحتاج لعدة قرون (١) .

وأسهمت الطبيعـة فى ضرب المعتدين من الصهاينة وأصدقائهم ، فكان شتاء ذلك العام قاسيا ، ومع الزمهرير من جانب وانقطاع البترول من جانب آخر أحس الغرب بقـدرة البلاد العربية ، وضرورة تسـوية القضـية .

٦ ــ من بطولات أكتوبر :

قام جنود الصاعقة بصور من البطولات يعجز القلم عن تفصيلها ، ولا يتاح لنا إثباتها لكثرتها ولغموض نهاية بعضها ، وليس هـذا كثيرا على جنود الصاعقة ، فهم جماعة يسهل عليهم تقـديم الأرواح فـداء للوطن ، يعتبرون ذلك مهمتهم ، فالجنود العاديون يدخلون المعارك ولهم أمل كبير فى النجاة فيقتل بعضهم وينجو الكثيرون ، أما جنود الصاعقة فيدخلون أخطر المعارك وهدفهم الأول هو خدمة الوطن فى ظروف حرجة ، أما حياتهم فليست فى الحسبان ، إن ماتوا فى سبيل عملهم فذلك عندهم شىء طبيعى ، وإن قدرت لهم النجاة بعد نجاح خطتهم فتلك منحة من اللـــه .

---

(١) حديث للرئيس أنور السادات نشر الاهرام فى ١٩٧٥/١/٣ .

وقد أثبتت حرب أكتوبر صورا عجيبة تبرز صدورا قهرت الحديد ، وشبابا من الصاعقة التحموا بأخطر وسائل الحرب الإسرائيلية ، وعندنا من هؤلاء الكثير والكثير ، ونقدم نماذج قليلة مما قام به أفراد الصاعقة بوجه خاص ، وما قام به سواهم بوجه عام .

وهناك صورة من بطولات الصاعقة يقدمها الأستاذ جمال حمـاد. فيذكر أن ١٢٠ من هؤلاء الرجال الأشداء كانوا فى السادس من أكتوبر يقفون على استعداد لمزاولة مهمتهم ، وجاءت لهم طائرات هيليوكوبتر فحملتهم إلى ما وراء خطوط العدو فى سـيناء ، وكانت الحماسـة تملأ قلوب هؤلاء الشـباب الذين اسـتهانوا بكل شيء ، وركبوا الطائرات وأناشيدهم تتجاوز أزيز الطائرات ، وسرعان ما نزلوا هناك بعيدا فى قلب سيناء ، وفى ذلك الوقت كان الجنود المصريون يدمرون خط بارليف ويُعِدون العدة للكبارى لتحمل الدبابات المصرية إلى أرض سيناء ، وكان متوقعا أن تزحف القوى الإسرائيلية لتعوق تقدم المصريين ، وكان على جنود الصاعقة أن يلتحموا بالقـوى الإسرائيلية الهـائلة التى تزحف تجاه القناة لتعطل التقدم المصرى ، ولمحاولة انقاذ خط بارليف ولكن النقيب أحمد شلبى قائد هذه المغامرة الخطيرة عمل مع جنوده لعرقلة تقدم الإسرائيليين .

وقد قامت معارك رهيبة بين جنود الصاعقة وبين أعتى الدبابات الإسرائيلية ، وعرقلت هذه المعارك تقدم هذه الدبابات فترة تقرب من الثمانى ساعات فساعد ذلك على بناء الكبارى ونجاح الزحف المصرى إلى سـيناء .

أما المعارك الانتحارية التى أدّت إلى هذه النتيجة فيصفها شخص واحد من أفراد الصاعقة كتبت له النجاة فيقول : شاهدنا تحرك رتل من الدبابات الإسرائيلية ، وكان هذا الرتل هو مقدمة لواء العقيد « ميتكا » وكان يتكوّن من كتيبة دبابات وعناصر من المشاة الميكانيكية فى مركبات

مدرعة نصف جنزير ، وبعض المركبات الأخرى ، وترك النقيب أحمد شلبى الدبابات الأمامية التى تتقدم الرتل المدرع دون اشتباك معها ، وعندما دخلت القوة الأساسية منطقة الكمين أصدر أوامره إلى أفراد سريته بالاشتباك ، فانهالت على الرتل المدرع فجأة صواريخ المالونكا وقذائف البازوكات ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ، وفى هذه المعركة تم تدمير ١٨ دبابة وعربتين مدرعتين نصف جنزير ، وقد تحدثت القيادة الإسرائيلية عن هذه المعركة بكثير من الدهشة ، وقالت : لقد قاتل الرجال بصورة انتحارية ، ولم يكن فيهم واحد يخاف الموت وسد حطام الدبابات الطريق ، وجاءت المعونات الإسرائيلية ولكنها أيضا وقعت فى الفخ ، وانتهت من أيدى رجال الصاعقة كل أسلحتهم ، وحاول بعضهم فى اللحظات الأخيرة أن يختطف السلاح من الإسرائيليين وأن يقاومهم به واستعمل بعضهم الأظافر والأسنان مع العدو ، وفى النهاية أحاطتهم الأسلحة الإسرائيلية من كل جانب ، وقامت معركة عجيبة بين حديد الدبابات وأجساد الشهداء ، ولكن بعد أن عرقلت هذه القوة الصغيرة تقدم الزحف الإسرائيلى الذى كان يحاول أن يعرقل التقدم المصرى الذى يثب لاسترداد الأرض السليبة ، فسلام على أولئك الذين ضحوا بالنفس والدم من أجل الوطن .

وقصة أخرى ترتبط بجنود الصاعقة أيضا ، فقد قامت بها جماعة بقيادة النقيب فايز إسماعيل ، وكانت هذه المعركة على الضفة الغربية للقناة فى صراع مع المتسللين عبر الثغرة ، وكان النقيب فايز قد شاهد إحدى الدبابات الإسرائيلية وبجوارها عربة مدرعة يجلس فوقها عدد من الجنود اليهود ، فأصدر أوامره إلى كتيبته بالاشتباك مع الدبابة والعربة ، وسرعان ما تم تدميرها ، ولم ينج من أفراد هذه القوة اليهودية أحد ، وقد حدثت هذه الملحمة عند أبو سلطان ، وتسمى ملحمة الوحدة الصحية .

ومن بطولات الصاعقة كذلك ما قام بـــه النقيب رفعت عبد الوهاب وجماعته البواسل فقد استطاعت هذه الجماعة أن تصل إلى مضيق سدر فجر يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وهناك أعدت كمينا مستترا عاش بضع ساعات فى هدوء لا يحش به أحـــد ، وقامت طائرات الاستطلاع ولكنها لم تر للكمين أثرا ، فأعطت إشارة الأمان للدبابات الإسرائيلية لتتحرك دون خوف ، وعندما وصلت إلى أسماع رجال الصاعقة أصوات جنازير الدبابات والعربات المدرعة ، اندفع جنودنا البواسل يضربون الدبابات بالصواريخ ويلقون القنابل على العدو ، مما جعل المنطقة جحيما من النيران ، وعندما أحس القائد المصرى بالخطر عليه وعلى رجاله صرخ فى رجاله قائلا : لابدّ أن نأخذ ثمن استشهادنا ، فانهالوا بجســـارة عجيبة حتى أخذوا ثمنا غاليا من أرواح العدو ومعداته قبل أن تصعد أرواحهم إلى بارئها ٠

وتحكى الوقائع أن جنديا قذف بنفســـه فى إحدى فوهـــات النار بخط بارليف ليكون جسده معطلا للنيران التى تنبعث من هذه الفوهة ، واستطاع زملاؤه بذلك أن يندفعوا إلى هدفهم وأن يحققوا أملهم ٠

وفى بعض الحالات استطاعت قوات العدو أن تغرق بعض قوارب المطاط التى كان الجنود ينتقلون عليها إلى الضفة الشرقية ، ولكن الجنود سبحوا بمهارة وسرعان مـــا التحموا مع جـــدران خط بارليف وأنزلوا بجنود هذا الخط خسائر فادحة ساعدت على سقوطه ٠

وأخيرا فحالات الفداء والاستشهاد كـــانت كثيرة جدا ، وكـــانت ســـلامة الوطن أغـــلى بكثير عنـــد هـــؤلاء من ســـلامة أنفســـهم ، فكتب هـــؤلاء الجنود بدمـــائهم النجـــاة للوطن والخلود لأنفســـهم ، وصدقت عليهم الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى ســـبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » ٠

٧ — من كلمات الكتاب المصريين عن أكتوبر والسادات :

الأستاذ مصطفى أمين :

من حق هذا الرجل أن يطلق عـلى عصره عصر العبور ......
عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر ....
وعبور الشعب العربى من الانقسام إلى الوحـدة ....
وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة ....
وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل ....
وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار
وعبور المقيدين من الأغلال إلى حياة الأحرار ....

وسوف يعبر بعد هؤلاء كثيرون ، فإن أكتوبر أعطانا درسا عظيما ، وهو ماذا يستطيع الإنسان المصرى أن يفعل وهو حر دون أن يعتقل فرد واحد فى أثناء المعركة سوى أسرى الأعداء ....

الأستاذ توفيق الحكيم :

عبرنا الهزيمة بعبورنا إلى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك فإن الأهم الوثبة ... فيها المعنى أن مصر دائما مصر ... تحسبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تنام ، إذا هجعت قليلا فإن لها هبة ، ولها زمجرة ثم قيام ، وقد هبت مصر وزمجرت ، ليدرك العـالم مـا تستطيع أن تفعل فى لحظة من اللحظات ، فلا ينخـدع أحد فى هدوئها وسـكونها ، وكانت يدها التى بدرت منها اليقظة هى جيشها المقدام بصيحة رئيسها العظيم ، سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخـر .

٩ أكتوبر سنة ١٩٧٣ — الاهرام

الأستاذ يوسف أدريس :

بضربة إرادة واحدة تمت المعجزة ، تحولنا من كائنات لا كرامة لها ، كائنات كالسائمة أو الحيوان إلى بشر ذوى كرامة .

بضربة إرادة واحـــدة ردّت إلينا كرامتنا وعادت إنسانيتنا ، لم أكن قبلا أؤمن كثيرا بدور الفرد فى التاريخ ، ولـــم أكن أعلم أن الفرد باستطاعته حين يجمع إرادته أن يحتوى فيها إرادة أمة وتاريخ شعب وقدرة حضارية ، ولكن البطل أنور السادات غيّر من مفهومى ، ســـحق الهزيمة الكامنة فى كل منا حين قرر العبور ، فبقراره لم يعبر جيشـــنا القناة فقط ، ولكن شعبنا عبر معه فيافى الذل والمسكنة ، وعبر الصغائر والحقـــارات ، وعبـــر الآلام التى لا يطيقهـــا بشر ، آلام العجـــز كيفما اتفق ، إلى الحياة كما يجب أن تكون ، كان العبور هو الخلاص ، يالسعادتى ، وأنا أسمع إسرائيل تتحدث عن « العدوان » المصرى ، ياوقع الكلمة الحبيبة فى أذنى ، إننا أخيرا أصبـــحنا معتدين ، نحن أصـــحاب حق ولا يستعيد الحقّ إلا أصحاب" معتدون ، أكاد لا أصدق كل مـــا يحدث ، أحقا أصبحنا نقاتل لاستخلاص أرضـــنا وكرامتنا ؟ أحقا ثبت لنـــا أننا لا عيب فينا وإنما العيب دائما فى الظروف ؟ أحقا عبرنا القناة ونحرر سيناء ونحطم المدرعات ونســـقط الطائرات ؟ .. ونأسر منهم مئات ؟ أحقا يحدث هذا كله بأيدى المصريين مثلى ومثلك ... ألم أقل إنها معجزة ... معجزة إرادة الأمة حين تحتويها إرادة بطل ، فهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات . الاهرام — ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى :

خلال الظلام كنت تدعو يا ســـيادة الرئيس إلى العمل والصـــبر والصمت ، وتحكّم الموازين والحساب ... لا يستفزك اتهام ولا يحوّلك عن طريقك استفزازات أياما كـــان مبعثها .

وظللت تخطط وتعمل فى حكمة مطمئنة ، وفى ثقة وإيمان بالله ، وبهذا الشعب ... وبأن جندنا هم الغالبون .

لا يلويك عن طريقك شىء .... حتى الألم نفسه ، ولا الكيد ولا الطغيـــان اللئيم إذا اغتنى . . . ولا صـــلف الجنـــون إذا انتصر ،

وعندما اتخذت القرار بردع المعتدين وسحق العـدوان فى الوقت المناسب ، كنت تعبر عن أحلام المعذبين فى الليالى السود بفجر الحرية والكرامـة •

وكنت تخلص إرادة سلالات من شهدائنا العظام الذين سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض الغالية عبر الأجيال ، وتحققت معجزة حربية فاقتحم المقاتلون المصريون البواسل أكبر مانع طبيعى وصناعى عرفه التاريخ •

تحققت معجزة حربية سيظل العالم يدرسها ويتخذ منها العبـرة واضعا بها العقل المصرى ، والحكمة المصرية والعزائم المصرية فى مكانها الصحيح •

وهى معجزة حربية تملأ قلوبنا وتغمر نفوسنا بالثقة ، وتردُّ إلى المصرى كرامته التى حاول السفهاء أن يلطخوها بالأوحال على مـدى أكثر من ست سنوات •

وما من ريب أن كل مصرى يشعر اليوم بالزهو لأنـه ينتمى إلى هذا الوطن ولأنك تقود هذه الأمة على طريق الحقيقة والحرية •

إن هذه أول مرة يلتحم فيها الجيش المصرى مع جيش إسرائيل فى معركة حقيقية وقد أثبت هذا الجيش المفترى عليه أنه كما قال عنـه الرسول الكريم (خير أجناد الأرض) ما كان ينقصه غير حسن السياسة وحكمة القرار ودقـة التوقيت •

وعندما توافرت لـه القيادة التى حلم بها شعبنا أظهر المقاتلون بطولة رائعةً روعةَ أبطال الأساطير ، إننى إذ أحييكم أيها الزعيم والقائد من فراش مرضى لأشعر بريح العافية تهبُّ على هذا الوطن تحت قيادتكم

فتمنحه العنفوان والشباب والحيوية والثقة بأنه فوق اليأس وفوق كل مـــا عسى أن يواجهه بـــه الزمن من تحديات .

عشت زعيما فذًّا لشعبنا وقائدا حكيما لحركــة التحرير الوطنى ورائداً للعرب على طريق الحقيقة ومناضلا إنسانيا يحمى نضارة الحياة وبسمات الأطفال وروعة المستقبل .

روز اليوسف ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

الأستاذ أنيس منصور :

لقد صبر المصريون على الغطرسة وعلى الهوان فى كل مكان ... بل أن رئيسنا أنور السادات كان إذا تحدث عن الاستعداد للقتال بلغ به التأثر درجة عالية وهو يقول لشعبه المحب له الواثق فيه :

لن أتحدث عن المعركة ، إننى أقول كلمة واحدة ... عبارة واحدة هى : لا حل إلا بالقتال ، ونحن نستعد وفى هذا الكفاية ، ولا أريد أن أطيل عليكم فقد تعبنا من الكلام ، وتعبتم أنتم أيضا .

وليس سرا أن أقول اليوم : إن الرئيس السادات وعد شعبه وقواده أنه لن يقرر الدخول فى معركة إلا إذا قرر العسكريون المصريون ذلك ... وإلا إذا قرروا أنهم على استعداد لمعارك طويلة ، ولكل الاحتمالات .

فليس المهم أن ندخل الحرب ولكن المهم جدا أن ندخلها وأن نصمد وأن نضحى ، فالعدو شرس لا أخلاق له ، وموارده لا تنتهى من المـــال والسلاح .

وليس الآن وقت للحديث عن الذى فعله جنودنا الأبطال ، ليس لآن ، إننا الآن مشغولون بالزحف إلى الأمام وإلى التثبت من مواطىء الأقدام ، وإلى سلامة الطريق . ونظافة السماء فلا بديل لنا من القتال ولا بديل لنا من استرداد أرضنا كلها .

إننا تعلمنا واستفدنا ..

ويكفى أن نستمع إلى الإذاعات المصرية ... ويكفى أن تقرأ البيانات الرسمية ، بل يكفى أن تستمع إلى الطريقة التى يتلو بها المذيعون بياناتهم الرسمية : العقل والهدوء والدقة ... لأننا نريد أن نسترد ثقة المصرى والعربى والأجنبى ... لقد دُهِشَ المراسلون الأجانب ، كيف أننا تغيَّرْنا إلى هذه الدرجة الجذرية فى كل شىء ... فعلاً تغيرنا إلى الأحسن ... إننا كنا نشعر بذلك ... ولكن نريد العالم كله أن يدركه . آخر ساعة — ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

دكتور مصطفى محمود :

فى هذه اللحظة ... ومع هذا المداد الذى تسيل به الحروف ، هناك صدور تتلقى النيران دفاعا عنك ... وأخذاً بثأرك ... هناك أخ يستشهد وهو يكسب لك قطعة أرض ترفع عليها أعلامك ، وتسترد كرامتك .... هناك أبطال شرفاء يموتون لتولد أمة .. ويبعث جيل وتحيا نفوس من عدم .. هناك أقدام تخطو على الألغام وتقتحم المهالك لتأخذ بيدك من موقع المهانة إلى موقع الشرف ... أقدام" قد تنسفها القنابل لترفع رأسك ... وتقول ... لقد انتصرت" لقد تحررت لقد محوت العار . روز اليوسف ١١ أكتوبر ١٩٧٣ .

الأستاذ نجيب محفوظ :

ردَّت الروح بعد معاناة طعم الموت ست سنوات ، رأيت المصرى خلالها يسير فى الأسواق مرتديا قناع الذل ، يثرثر ولا يتكلم ، يقطب بلا كبرياء ، يضحك بلا سرور ، يتعامل مع المكان وهو غريب ، ويساير الزمان بلا مستقبل ، من حوله عرب متقاربون وقلوبهم شتى ، وأصدقاء من العالم يعطفون عليه بإشفاق لا يخلو من زراية ، وعدونا يعربد يصارعنا فى السماء ويتحدانا فى الأرض .

ووقعت المعجزة وانتقل الجيش من الغرب إلى الشرق ، وبــادر العرب إلى العروة الوثقى ، وذهل الأصدقاء والأعداء ، وانتقلت مصر من عصر إلى عصر ، ومن عهد إلى عهد ، ومن موت إلى خلود ، .. أيها الزعيم لقد وفّرت السلاح ، ولقد سلحت شعبك قبل ذلك بالقانون والديمقراطية والحوار الحر ... فإلى الأمام ومهما تكن المواقب فقد ردّت إلينا الروح والنصر والمستقبل .

الأستاذ محمد حسنين هيكل :

كان يوم ٦ أكتوبر بداية لعملية تراجع الأسطورة أمام التاريخ ، وقد كانت حالة اللاسلم واللاحرب قد طالت أكثر ممــا هو لازم لأى شعب يريد أن يحتفظ بحيويته النضالية ، ولكن القرار لم يكن سهلا ، خصوصا أن الملابسات المحيطة بالعمل الوطنى فى مصر تضع مسئولية القرار على كتفى رجل واحد .... أى أنه بالنسبة لأنور السادات فإن القرار كان مصيريا ، وفى الوقت نفسه كان عليه أن يتخذه وحده .

وربما كان من حقه وواجبه أن يسمع وأن يناقش ، ولكنه فى النهاية كان مطالبا بأن يكون وحده عقلا وقلبا وضميرا ، ثم يصل إلى القرار ويتحمل تاريخيا مسئوليته .

وفى أربع ساعات من بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، مــا بين الثانية والسادسة كانت مصر وكانت الأمة العربية كلها قد اجتازت حائط الخوف . الاهرام — ١٥/١٠/١٩٧٣ .

الأستاذ أحمد بهاء الدين :

لقد أنهى الرئيس السادات غرْبتنا الكبيرة بقرار أكتوبر ١٩٧٣ فهو قرار ربما كان كلمة واحدة ، ولكنه خلاص لكل الآلام العظيمة والآمال الكبار المختزنة منذ ست سنوات .... وقــد أنهت القوات المسـلحة

غربتنا بالطريقة الفذة التى نفذت بها القرار ، إنهم هناك تحت اللهيب والنار وكأنهم حملوا الغبار الثقيل إلى العدو ••• السماء تنقشع كلها فى لحظة واحدة عن وجه مصر الحقيقى • الاهرام فى ١٥/١٠/١٩٧٣ •

الأستاذ إبراهيم راشد :

كل شىء ضاع على يد عبد الناصر : الأرض والهيبة والمال والرجال والسلاح ، وضاع كل هذا فى ساعات •

ضاعت سيناء كلها ••••• بمن فيها وما عليها •

ضاعت آبار بترول سيناء كلها • • • حقول البلاعيم البحرية والأرضية ومنطقة أبو رديس كلها • • • وحقول عسل وسدر ورأس مطارقة • • • أكثر من ٨٥٪ من حجم الانتاج المصرى كله سقط فى يد إسرائيل • • • ثم جاءت حرب أكتوبر المجيدة وعبر المقاتل المصرى إلى سيناء واسترد أرضه • • • وحرر وطنه • • وترتب على الانتصار المصرى أن عادت إلينا حقول سيناء كلها ، وعاد لنا الشرف والكرامة •

أخبار اليوم أكتوبر ١٩٧٥

دكتور عبد العظيم رمضان :

محمد أنور السادات لم يكن إنسانا عاديا ، كان قائدا وطنيا عملاقا ، من أصلب وأشجع من أنجبتهم أرض مصر العريقة ، وهذا ما سوف يسجله التاريخ دائما لمحمد أنور السادات : شجاعة فى إصدار القرار فى وقت غابت فيه الشجاعة عن الجميع •

وقد أبطل يوم ٦ أكتوبر مفعول الهزيمة التى حلت بنا سنة ١٩٦٧ ، فعاد الشمل العربى إلى الالتئام وبدأت نغمة الاعتزاز بالعروبة تعلو بعد أن كانت العروبة شيئا مخجلا قبل ٦ أكتوبر وهذا يجعل ٦ أكتوبر نهاية عهد وبداية عهد جديد (مصر فى عهد السادات ١٣١ — ١٣٢) •

وظل هذا النجاح أغنية على مر الزمان ، ففى ذكرى يوم العبور يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨٢ قال الرئيس حسنى مبارك :

إن القـــوات المسلحة صنعت فى مثل هذا اليوم عـــام ١٩٧٣ أعظم أمجـــاد مصر . . . وحققت أروع انتصـــاراتنا ، . . . وأن العبور الأسطورى فى هذا اليوم المبارك كان عبورا بالأمة العربية كلها إلى فجر جديد تسير فيه مرفوعة الرأس شامخة الجبين .. مرهوبة الجانب . . مهيبة فى العالمين .

وقال الرئيس مبارك أن هذا الإنجـــاز التاريخى الهائل للقـــوات المسلحة المصرية كان الطريق الذى لابد من ســـلوكه لتحقيق الســـلام وإن استكمال تحرير سيناء المقدسة فى الخامس والعشرين مـــن أبريل ١٩٨٢ كان إنجازا جديدا للقوات المسلحة .

وفى ذكرى العبور سنة ١٩٨٨ كتب الأستاذ أنيس منصور يقول :

كانت حرب أكتوبر هى الشـــفاء ، وهى الدواء من الداء الـــذى فرضه عبد الناصر على مصر والمصريين ، ولم يكن المصريون يتوقعون أن يحارب السادات ولا يصدقون تهديده بالحرب ، ولكن عدم تصديق المصريين للسادات هو الذى أكسبه جانبا كبيرا من خداع الرأى العام العالمى .. وخداع إسرائيل وأمريكا ، وكان موقف السادات هو أبشع عزلة عرفها زعيم فى التاريخ ... وكان لابد أن يحارب وأن ينتصر .. المهم أن ينتصر ، وفى ذلك رد اعتبار الجيش المصرى والجيوش العربية ، **واعتذار للشعب المصرى الـــذى استسلم لزعيم الثورة عبد الناصر فأغرقـــه فى الوحل .**

ومصر قد انتزعت نفسها من الحضيض إلى أعلى الدرجات ، شعب تخطى الهزيمة ومضى فوق جثث اليأس ، فانتقل من أرضه فى وادى النيل إلى أرضه فى سيناء ، كل سيناء وطابا ، وكان من آماله أن تفعل الدول

الأخرى ما فعلته مصر ، فأين هم وأين مصر ؟ .. تحررت مصر تماما بالحرب وبالسلام وبالعقل . وبقيت الأرض العربية الأخرى محتلة ، لأن عقولهم قد احتلها الحقد على مصر ، ولأن جيوبهم مليئة بأموال دول الخليج .. فهم لا يريدون حلا ولا خروجا من مستنقعات الإحباط التى جففتها مصر لتعيش شريفة على أرض مقدسة .

أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٨٨

٨ — من أقوال زعماء العالم عن حرب أكتوبر :

هنرى كيسنجر فى مذكراته :

أبلغت ألكسندر هيج مستشار الأمن القومى عند اشتعال حرب أكتوبر أن الإسرائيليين لا يحتاجون لأكثر من يوم أو يومين لإعادة تصحيح وضعهم العسكرى ، ولكن الخطأ الوحيد الذى ارتكبته هو أننى لم أدرك أن الإسرائيليين كانوا على حافة الكارثة .

وعن صاحب القرار قال كيسنجر فى الجزء الأول من مذكراته .. لعل من أكبر الأخطاء التى ارتكبتها فى حياتى على الإطلاق هو ما اعتقدته بخصوص أنور السادات الذى توقعت سقوطه بعد أسابيع من توليه الحكم ... ولكن الأيام تمر ويثبت السادات أنه واحد من أعظم زعماء العالم على الإطلاق .

ريتشارد نيكسون فى كتابه « زعماء عرفتهم » :

لو لم نمده الجسر الجوى إلى إسرائيل لما كان فى مقدورها الصمود أكثر من ٤٨ ساعة أخرى .

٩ — اعترافات إسرائيلية :

المؤرخ الإسرائيلى يعقوب تلمون :

ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق الولايات المتحدة بكامل ثقلها فى كفة الميزان عندما أرسلت إلينا بالإمدادات والمعدات وأعلنت حالة التأهب فى جيوشها ■

جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى فترة الحرب تقول فى مذكراتها :

بعد يومين فقط من بدء العمليات العسكرية كانت قواتنا فى موقف لا تحسد عليه ... وطاف بذهنى شبح نهاية إسرائيل ، فأرسلت برقية عاجلة لنيكسون قلت فيها : إسرائيل تحترق أنقذونا ... أنقذوا إسرائيل .

موشى ديان وزير دفاع إسرائيل :

ذكرت أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٧٤/٢/١٦ أن وزارة الدفاع الإسرائيلية أذاعت أسرارا جديدة عن حرب أكتوبر كشفت الوزارة عن أن موشى ديان وزير الدفاع أعلن أمام رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية فى اليوم الرابع بعد بدء الحرب أن التفوق العسكرى الإسرائيلى قد انهار .

وفكر ديان فى ذلك اليوم فى توجيه حديث تلفيزيونى إلى الإسرائيليين يعلن لهم فيه هذه الحقيقة ولكنه تراجع حتى لا تنهار الروح المعنوية . وأضاف موشى ديان قوله :

بعد الأداء الرائع للجنود المصريين فى الأيام الأولى للحرب ... وبعد أن أصبح عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين مخيفا أعددت بيانات وجمعت القيادة العليا لأقرأ عليهم بيانا ، كان هذا بيان الاستسلام .

١٠ — من كلمات مراسلى الصحافة الغربية عن حرب أكتوبر :

الأوبزرفر :

كانت مفاجأة حرب أكتوبر لقادة إسرائيل هى أنهم لم يأخذوا كلام السادات بجدية ، لقد أعلن السادات عزمه مرارا وتكرارا وبأوضح عبارة ممكنة أنه سيخوض الحرب إذا أخفق فى استرداد الأرض بالطرق السلمية ، لقد فهمت إسرائيل هذه اللغة بعد فوات الأوان ، كذلك لم

يدرك الا القليلون أبعاد الثورة الهادئة التى حققها السادات فى الجيش
« الأوبزرفر عدد ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ » •

يونيتد برس :

فى يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣ قال مراسل وكالة يونيتد برس فى تل أبيب إن إسرائيل أعلنت أخيرا أنها انسحبت نهائيا من خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة وأن هذه تمثل واحدة من أسوأ الانتكاسات العسكرية فى تاريخ إسرائيل •

وفى يوم ١٣ أكتوبر يقول مراسل وكالة يونيتد برس إن معارك الدبابات التى تدور رحاها فى الشرق الأوسط وصلت وتجاوزت فى بعض الحالات أكبر معارك للدبابات على الإطلاق تلك التى وقعت فى الصحراء الغربية أو فى ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ، ويقولون إن خبراء الدفاع يبدون دهشتهم إزاء أعداد المدرعات التى تم حشدها لهذه المعركة خاصة من الجانب المصرى والتى زادت عن ٥٠٠ دبابة ، ويضيف أن نقل هذه الدبابات إلى الجبهة ومن جانب دولة صغيرة نسبيًا يعتبر حدثا عسكريا لم يسبق له مثيل فى التاريخ العسكرى •

واشنطون ستار نيوز :

وفى يوم ١٦ أكتوبر أيضا يقول جورج شيرمان المحرر العسكرى لصحيفة « واشنطون ستار نيوز » الأمريكية إن إسرائيل خسرت ثلث سلاح طيرانها ، وما يتراوح بين ٥٠٠ إلى ٦٥٠ دبابة أى ثلث سلاح مدرعاتها أيضا •

نيويورك تايمز :

بعد أربعة أيام فقط من الملحمة قال درو ميدلتون الخبير والمحرر العسكرى لصحيفة « نيويورك تايمز » إن الصراع أخذ أبعادا مختلفة

بطريقة مذهلة عما كان عليه انتصار إسرائيل الخاطف فى حرب عـام ١٩٦٧ وقال ميدلتون إن عجز الإسرائيليين أمـام المصريين والسوريين هو أول صدمة عنيفة لهم منذ قيام الدولة الإسرائيلية • وقال ميدلتون أيضا إن هناك اختلافا مخجلا بين مـا تزعمه إسرائيل من أنها حطمت رؤوس الجسور المصرية على القناة وبين عبور العمليات الحقيقى ، وإن المصريين يحاربون بروح معنوية عالية لا وجه للمقارنة بينها وبين مـا حدث عام ١٩٦٧ وقال إنهم يحاربون بصلابة تدعو إلى التقدير ، وقال إن ميزان القوى يتحول إلى صالح العرب •

وفى يوم ١٦ أكتوبر يعلن الخبير العسكرى درو ميدلتون فى صحيفة « نيويورك تايمز » عـن مفاجآت حـرب أكتوبر وهى عجـز الطيران الإسرائيلى ، ويقول ميدلتون إن التفـوق الإسرائيلى الذى كـانت الولايات المتحدة والدول الغربية تعتبره أمرا مسلما به قد تلقى ضربة خطيرة وإن ذلك يعتبر إحدى النتائج الهامة للحرب •

امريكا والقنبلة الذرية لإنقاذ إسرائيل :

نشرت الصحافة المصرية فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٨٥ خبـرا خطيرا نقلته عن نيويورك ووكالات الأنباء ونصه :

اعترف الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسـون بأخطر أسرار حـرب أكتوبر ١٩٧٣ قال إنه بحث اسـتخدام القنبلة الذرية الأمريكية لإنقـاذ إسرائيل من الدمار فى أثناء حرب أكتوبر •

وكانت جولدا مائير — كما هو معروف — قد بعثت إليه بالرسالة الشهيرة عقب عبور القوات المصرية قناة السويس وتحطيم خط بارليف وفشل محاولات الهجـوم الإسرائيلى الكبير المضـاد عـلى القوات المصرية ، كانت الرسالة تقول « إسرائيل تحترق ••• أنقذونا •• » وفى

الوقت نفسه أعلن موشى ديان وزير الدفـــاع الإسرائيلى بأن إسرائيل تنتهى ••• وكان يريد أن يذهب إلى إذاعة تل أبيب ليعلن نهاية إسرائيل وقـــد منعته الســـلطات الإسرائيلية فى اللحظـــة الأخيرة •

وقد جاء اعتراف نيكسون بهذا السر الخطير فى تصريح لمجلة تايم الأمريكية •

وبعد ، هذه هى الحرب المشرّفة ، وتلك هى أقـــوال زعماء الفكر وقادة العالم عنها ، وهى تدعونا أن نذكر بالخير والدعاء هذا البطل الذى خطّط للمعركة ، وأعدّ العدّة لها ، وباشرها •

وعندما نقارن انتصار السادات بهزائم عبد الناصر المتكررة نجد الفرق شاسعا بين رجل ورجل •

رحم الله السادات وأحسن جزاءه ، أمـــا دماء الآلاف الذين دفع بهم عبد الناصر للموت دون استعداد سنة ١٩٥٦ ، وفى اليمن ، وسنة ١٩٦٧ ، فستظل نذير سخط على الرجل الذى انهار أمام إسرائيل ولكنه كان جبارا عاتيا على الإنسان المصرى •

هيلموت شميث : السادات أعظم شخصية فى هذا القرن :

ونجاح السادات فى الحرب والمفاوضة والاتصالات الدولية جعل المستشار الألمانى الغربى هيلموت شـــميث يعلن أن الزعيم الراحل أنور السادات هو أعظم شخصية سياسية شهدها القرن الحالى وقال فى برنامج (شاهد على العصر) الذى بثته القناة الثانية بالتليفزيون الألمانى أمس ان القرن الحالى شهد العديد من الشخصيات الســـياسية البارزة مثل ماوتسى تونج وجيمى كارتر وفيلى برانت وميخائيل جوربا تشوف واستطرد قائلا ولكن أعظمهم جميعا كان أنور السادات • (صحيفة الأخبـــار فى ١٩٨٩/١٢/٢٧) •

المفاوضة واستعادة سيناء

لقد هزّت معركة أكتوبر إسرائيل هزًّا عنيفا ، ولو كانت إسرائيل وحدها لحققنا آمالنا ، واستعدنا الأرض العربية كلها ، ولكن سرعان مـا تبين أن إسرائيل معها القوة الأولى فى العالم ، معها الولايات المتحدة التى دخلت المعارك بأخطر الأسلحة ، بل بأسلحة محرّمة لم تستعمل من قبل ، وهدّدت بأنها ستضرب مباشرة ، وفى بعض اللحظـات أعطت إشـارة استعداد على أعلى مستوى ، ولهذا وقفت الحرب تحت هذه العوامل .

والتقط اليهود أنفاسهم ، واستعادوا صلفهم اعتمادا على الولايات المتحدة وبدأت المفاوضات ، ولكن الصهاينة واجهوهـا ومعهم أمريكـا فتشدّدوا فى المفاوضة إلى أقصى حدّ حتى فيما يتعلق بفك الاشتباك الذى كـان ضروريا لهم ليفلِتَ جيشُهم من فناء كان يمكن أن يكون محققًا لولا تهديد الولايات المتحدة وحمايتها لهذا الجيش .

وسارت المفاوضات على هذا النحو مـن العسر ، فمصر كسرت الباب وحطّمته فى السادس من أكتوبر ، وكـان يمكن أن تفرض رأيها لولا أنها سرعان مـا وجدت خلف الباب أخطر قوة فى العالم ، وها هى هذه القوة موجودة كذلك فى المفاوضات ، وقد سبق لنـا أن أوردنا الآية الكريمة التى توضّح صعوبة التفـاوض والتفاهم مـع اليهود ، وهى قوله تعالى : « أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم »[1] .

وعاش أنور السادات فى المفاوضات بين اللين والشدة ، وطال أمدها هنا وهناك حتى عندما تفرغ لها كارتر ما يقرب من أسبوعين ، وتفرّغُ رئيس الولايات المتحدة لأمرٍ مدةَ أسبوعين شىء خطير للغاية ، وانتهت المفاوضة إلى تحرير سيناء ببعض القيود .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٠ .

يقول البعض إن السادات تهاون ، وكان يمكن للنصر الذى أحرزته جيوش مصر أن يحقق مزيدا من النجاح •

واعتقادى أن ذلك قول الإنسان وهو بعيد عن المعمعة ، وبعيد عن بيجين وديان والولايات المتحدة ، أما القريب من النار فلا يرى أن مـا وصل إليه السادات كان قليلا ، وإذا كان فيه نقص فقد أثبتت الأيام تلاف الكثير من اتجاهات النقص •

هل كان صلحا منفردا ؟

ويقول البعض إن مصر أقامت صلحا منفردا ، ونحن نردّ ذلك ، وقد كانت المعركة والمفاوضة تسيران بروح الجماعة ، ولكن مـا العمل إذا تخلّف عن الركب بعض السيارة ؟ وماذا إذا كانت أطمـاع بعض البعيدين عن المعركة بعيدة على التحقيق للظروف التى أشرنا إليها ، فقد كان هناك طموح ولكن ماذا نعمل إذا عجزنا عن تحقيق هذا الطموح كله ؟

بيان دار الإفتاء :

وهذا المعنى ورد فى بيان دار الافتاء الذى أصدره فضيلة المفتى بمناسبة توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل ، وفيما يلى بعض ما جاء فى هذا البيان :

يقال إن مصر انفردت بالصلح مع إسرائيل ، وخرجت بذلك عـن تعاهد العرب على حل جماعى ، ولكن هذا القول لا يلتقى مع الواقع ، واقع الاتفاق الذى تمّ والخطوات المترتبة عليه ، فإن العرب متفقون على حلّ سلمى بعد أن استحالت الحرب للظروف الدولية التى لا يمكن الإغضاء عنها ، فإذا تقاعس بعض العرب عن السعى الى حل سـلمى دون سبب ولا سند كان على من يستطيع كسب الموقف السباق اليه وصولا للغاية المرجوة ، والأمر موكول إلى القدرة على الحركة ، فمن استطاع

ذلك كان لـــه بل كان عليه أن يسعى إليه لأن هذه مسئولية ولى أمـــر المسلمين (١) .

الإسلام لا يمانع من عقد معاهدة مع إسرائيل :

وفى البيان دراسة دينية توضح أن الإسلام يحث على إجراء معاهدات مع غير المسلمين مادام فى ذلك حقن دماء المسلمين بشرط ألا يوجـــد فى هذه المعاهدة ما يتعارض مع الإسلام ، وفى ذلك يقـــول تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لهـــا وتوكل عـــلى الله » (ســـورة الأنفال الآيـــة رقم ٦٢) وقد عقـــد الرسول صلحا مـــع قريش فى الحديبية وأجـــرى الرسول معاهدة مع يهود المدينة عقب الهجرة ، وصالح أهل خيبر وفدك ووادى القرى وتيماء (٢) .

لقد استعدنا سيناء ، وتعثر التطبيع الذى ورد بالمعاهدة ، وكذلك لم يثمر التمثيل الدبيلوماسى .... وعلى هذا فقد استعدنا سيناء دون أن نخسر شيئا ذا بال ، وهذا المعنى هو مـــا ورد فى تحليل استراتيجى عن اتفاقيات كامب ديفيد بعد مرور عشر سنوات على توقيعها ، فقد قال وليم كوانت وكيل الخارجية الأمريكية السابق ، ومساعد مســـتشار الأمن القومى لشئون الشرق الأوسط خلال رياسة كارتر ما يلى بالحرف الواحد : إن هذه الاتفاقيات أصبحت مجرد أصداء من الماضى وإن السلام بين مصر وإسرائيل وتطبيع العلاقات بينهما لا يتعدى ما يمكن أن يسمى بحالة « عدم اعتداء » (٣) .

وليتنا استعدنا الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة على هـــذا النطاق بدل ترك هذه المناطق وسط ما تعانيه الآن من أحداث .

---

(١) بيان دار الافتاء منشور فى كتاب « المصحف والسيف » للأستاذ نبيل عبد الفتاح ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٢) انظر الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف وانظر كذلك « العلاقات الدولية فى الفكر الاسلامى للمؤلف » .

(٣) الاهرام فى ١٩٨٨/٩/١٦ .

الولايات المتحدة هى عدونا الأول

وبعد ، أيها القارىء الكريم أذكرك بالحقائق التالية قبل أن نطوى صفحات الحرب والمفاوضة :

— الولايات المتحدة هى التى أمدّت إسرائيل بالأسلحة والتأييد .
— وهى التى اكتشفت الثغرة ودفعت إسرائيل للسير فيها .
— وهى التى حمت تقدم إسرائيل بالثغرة بعد إعلان وقف اطلاق النار .
— وهى التى استعملت فى حربنا أعنف وأحقر الأسلحة التى لا يقرها شرع ولا قانون .
— وهى التى هددت بأن يضربنا البنتاجون مباشرة .
— وهى التى أيّدت عدوّنا فى المفاوضة .
— وهى البلاء لكل مصرى ولكل عربى ولكل مسلم .
— وهى أولا وأخيرا التى غرست إسرائيل وبالتالى هى التى تحميها .

ولا تظن أن هذه الصورة التى صورنا بها الولايات المتحدة تدفعنا لنصادق الاتحاد السوفيتى ، فكلاهما فى الشر سواء ، بل لابد من الاعتماد على النفس وعلى الله لنصل إن شاء الله إلى ما نتمناه .



كلمة أخيرة عن أنور السادات :

عند افتتاح الحديث عن معركة أكتوبر ذكرنا ثناء طيبا على السادات الذى أعدّ للمعركة وخاضها بكفاءة هائلة ، ونحن نكرر هذا الثناء فى ختام هذا الحديث ، لقد كان السادات بطلا ، وكان فى مستوى الحدث الكبير الذى واجهه ، وقد استطاع أن يفعل الأعاجيب فى الداخل ومع العرب ومع المجتمع كله لتحقيق النصر ، ولو لم تكن هناك أمريكا لحقق السادات مزيدا مما نصبو إليه ، وعلى كل حال فقد حقق فى الحرب وفى المفاوضة تقدما يقل جدا أن يحققه الآخرون .

إن البعيدين عن النار يتصورون الطريق مفروشا بالورود ، ولكن الذين يعرفون بواطن الأمور يدركون ما بذل الســادات من جهد ومـا واجه من عناء ، ولو كان فى العالم العربى عــدة أشخاص مثل السادات لحققنا مزيدا من الانتصــارات ، وإنى اعترف أنه كانت هناك عوامــل تشد السادات للوراء ، كالدكتاتورية والميل للترف وغير ذلك مما ذكرناه وما سنذكره ، ولكن أين الذى يخلو من هذه العوامل ؟

رحم الله السادات وأحسن لــه ، جزاء ما رفع رءوسنا بعد أن نكستها هزائم عبــد الناصر التى لــم تتخلف طيلة عهــده .

أحداث سنة ١٩٧٤

فى دراستنا السابقة وضحنا أن الرئيس أنور السادات أدرك ضرورة الالتجاء إلى الولايات المتحدة ، وأنها وحدها التى تستطيع أن تساعد لإيجاد حلاً للمشكلة العسكرية والسياسية بالشرق الأوسط ، وقد زاد من شعوره ذلك عدم ثقته بالاتحاد السوفيتى كما ذكرنا ذلك من قبل .

والاتجاه للولايات المتحدة استلزم أمورا خطيرة مثل :

— الانفتاح ونتائجه .

— التطوير السياسى لتأخذ الحياة مظاهر الديمقراطية ، وإن أخفت خلفها أظافر الديكتاتورية .

— إلغاء المعاهدة مع السوفييت .

— رحلة القدس ومزيد من التقرب للمعسكر الغربى .

— كامب ديفيد ومعاهدة السلام .

ومن الملاحظ أن هذه الأشياء وغيرها لم تحدث كلها سنة ١٩٧٤ ولكنها كانت رد فعل لاتجاه السادات نحو أمريكا ، وقد حدثت فى سنوات متتالية ، وسيأتى ذكرها مع الحديث عن هذه السنوات .

الارتباط بأمريكا وإعادة العلاقات معها :

مرة أخرى نقرر أن السادات خرج من حرب أكتوبر بأن الوسيلة الوحيدة لنيل حقوقنا من إسرائيل هى الارتباط بأمريكا ، إذ أن الحرب لا يمكن أن تحقق الأمل ما دامت الولايات المتحدة تدخل الحرب بجانب إسرائيل ، ومادام الاتحاد السوفيتى لا يحس بولاء مصر له ، وبالتالى لا يبذل جهدا كبيرا فى مساعدة مصر ، وقد تخلى عن إمداد مصر بالسلاح فى أحرج الأوقات وطالب بالثمن فورا ، وقبل ذلك عندما سحب خبراءه وسحب معهم المعدات التى جاءوا بها لمصر لتدريب المصريين عليها .

بل إن السادات ربما طمع فى أكثر من هذا ، طمع فى إيهام أمريكا أن فى مقدور مصر أن تقوم بالدور الذى تقوم به إسرائيل فى الشرق الأوسط لصالح أمريكا ، ولكن هل يصدّق الأمريكان ذلك ؟ وهل تستطيعه مصر فعلا ؟

إن ظروفا تاريخية وأخلاقية تحول دون أن تصبح مصر أداة فى يد أمريكا فى هذه المنطقة من العالم ، ولكن خيال السادات دفعه إلى مدى بعيد .

وعلى كل حال فاتجاه السادات للارتباط بأمريكا ألزمه أن يقوم ببعض التصرفات ليبرهن بها على هذا الاتجاه ، ولم يكن فى الحق يقوم بهذه التصرفات عن عقيدة ، فالديمقراطية والانفتاح وحرية الصحافة ... أشياء ضرورية لمن يريد أن يسير فى فلك الولايات المتحدة ، ولكنها أشياء تتنافى مع طبيعة السادات ومع الحكم العسكرى ، وعلى كل حال فقد حاول أن يوفق بين هذه الالتزامات وبين طبيعته ، وسنرى فى الدراسات التالية إلى أى مدى وُفّق فى ذلك .

وقد سارت الرغبة فى الارتباط بأمريكا خطوات كان من أبرزها اعادة العلاقات الدبلوماسية معها ، تلك التى كانت قد قطعت عقب حرب الأيام السود فى يونيو ١٩٦٧ وأعيدت العلاقات كاملة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٤ .

إطلاق سراح الأستاذ مصطفى أمين :

ذكرنا فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن الأستاذ مصطفى أمين اتهم فى عهد عبد الناصر بأنه أمدّ السفارة الأمريكية سنة ١٩٦٥ بمعلومات فيها إضرار بمركز البلاد الاقتصادى والسياسى ، وقُبض على مصطفى أمين فى الاسكندرية لهذا السبب ، وقدم لمحكمة الدعوى التى كانت تعالج القضايا التى لم يثبت فيها الاتهام على المدّعَى

عليهم ، وكانت هذه المحكمة لا تحكم بمـا يناسب الجـرم ، ولا يتوقف حكمها على التثبت من حدوث جريمة ، وإنما كانت عسكرية تقضى بمـا يريده عبد الناصر دون أى اعتبار آخر •

وبناء على ذلك حكمت هذه المحكمة على مصطفى أمين بالأشـغال الشاقة المؤبدة •

ولم يقنع عبد الناصر بسجن مصطفى أمين وإنما أسلمه إلى الزبانية الذين عذبوه عذابا يجل عن الوصف ، وقد أثبته مصطفى أمين فى كتبه عن سنوات السجن (١) •

ومات عبد الناصر ومصطفى أمين فى السجن ، وجاء أنور السادات فترك مصطفى أمين على حاله ، ولكن السادات عندما بدأ يوثق علاقاته بالولايات المتحدة ، كان لابد أن يفرج عن مصطفى أمين الذى نكل به بزعم أنه عميل أمريكى كما جاء فى اتهامه •

فصدر قرار بإطلاق سراحـه فى ١٨/٥/١٩٧٤ ، واعتقـادى أن إطلاق سراحه كـان تابعا للاتجاه الجديد الذى سلكه السادات نحـو الولايات المتحدة ، وليس لمـا أورده موسى صبرى أن تأجيل إطـلاق سراح مصطفى أمين كان بناء على اتهام جديد بأنه كان على علاقة فى السجن بزعماء مراكز القوى (٢) ، وليس كذلك لانشـغال السـادات للإعداد لمعركة أكتوبر كما ذكر على أمين ، وللأسف صدر قرار بإطلاق سراحه والعفو عنه ، ولم يصدر قرار بتبرئته من التهمة التى لفقت له ، وقد أعلن المدعى الاشتراكى فيما بعد براءة الأستاذ مصـطفى أمين ، وسنذكر ذلك بعد قليل •

---

(١) انظر الجزء التاسع ص ٦٨ وما بعدها ، وكتاب سنوات عصيبة للمستشار محمد عبد السلام و « سنة أولى سجن » لمصطفى أمين •

(٢) انظر وثائق ١٥ مايو ص ٣٨٨ لموسى صبرى •

وبإطلاق سراح مصطفى أمين بعد تسع سنوات فى السجن عاد أخوه الأستاذ على أمين الذى أمضى السنوات التسع فى المنفى بعيدا عن مصر ٠

اتهام ظالم أثَّر على بعض الذين صدَّقوه :

فى صحيفة أكتوبر الصادرة فى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨ حديث للدكتور مصطفى أبو زيد الذى شغل وظيفة « المدعى الاشتراكى » لأول مرة فى عهد السادات أعلن فيه اقتناعه التام ببراءة مصطفى أمين من التهمة التى وجهت إليه ، وأنه لذلك استصدر قرارا من الرئيس السادات بالعفو عنه ٠

وقد قضى الأستاذ مصطفى أمين تسع سنوات فى السجن ، ثم صدر قرار العفو دون أن يوضح أنه برىء من التهمة التى وجهت إليه وهى تقديم معلومات تضر بالبلاد نظير مال دفع له ، ولم يثبت بطلان هذه التهمة إلا بحديث الأستاذ مصطفى أبو زيد سنة ١٩٨٨ ومعنى هذا أن الأستاذ مصطفى أمين ظل فى نظر من صدقوا الاتهام الذى لفقه عبد الناصر ، ظل متهما ، وأن إطلاق سراحه كان نوعا من العفو عنه دون ذكر براءته ، وقد كتب المرحوم الأستاذ حسن صبحى صاحب مجلة « أنباء المعادى » مقالا بهذه المجلة فى عددها الصادر فى ١٩٨٨/٩/٢٩ ذكر فيه أنه هو وكثير من الناس صدقوا الاتهام الباطل الذى لُفِّق للصحفى الكبير بأمر عبد الناصر ، وظل هذا الصحفى العظيم موضع اتهام فى نظرهم طيلة ٢٣ سنة حتى كتب الأساتذ مصطفى أبو زيد يقرر أن هذا الاتهام باطل ، وختم الأستاذ حسن صبحى مقاله بقوله : **ألا لعنة الله على السياسة التى جرَّدت جمال عبد الناصر من ضميره فى قضية مصطفى أمين ، وليسامحنا الله سبحانه وتعالى لكراهيتنا لمصطفى أمين هذه المدة الطويلة وهو مواطن شريف مخلص فى خدمة بلاده ، له كل يوم عمل مجيد فى خدمة بلاده ومواطنيه ٠**

اضطرابات صحفية :

شهدت سنة ١٩٧٤ حركة واسعة فى مجال الصحافة ، فعـاد إلى العمل الصحفيون الذين كانوا فى السجون أو كـانوا قد أبعدوا عـن الصحافة وأسندت لهم أعمال أخرى ، وكذلك الصحفيون الذين كانوا قد هاجروا من البلاد ، وفى الوقت نفسه عاد إلى مصر الأستاذ على أمين ، وتحرر من السجن الأستاذ مصطفى أمين كما ذكرنا آنفا .

وفى نفس الوقت كان السادات قد بدأ يغضب على الأستاذ محمد حسنين هيكل ويبعده عن الأهرام ، وقد شهدت هذه الفترة صورا من الاضطرابات ، فعلى أمين عاد من المنفى ليعين مديرا لتحرير الاهرام ، ووضع الدكتور عبد القادر حاتم رئيسا لمجلس الإدارة ، ومن الطبيعى أن على أمين لم يحس بالاستقرار فى جريدة الاهرام ، فقد كان يرى فى كل محرر أو عامل أو فراش مندوبا لهيكل وخصما لغيره ، كذلك تبين أن « على أمين » يريد تغيير شخصية جريدة الأهـرام إلى جريدة أشـبه بشخصية الجريدة التى أسسها مع مصطفى أمين وهى أخبار اليوم ، وكان هذا وذاك سببا فى أن وجود على أمين فى الاهرام كان مدعاة للقلق وعدم الاستقرار ، أما مصطفى أمين فقد عاد إلى أخبار اليوم رئيسا لتحريرها ، وفى نفس الوقت كان الأستاذ إحسان عبد القدوس رئيسا لمجلس الإدارة فيها ، وبعد فترة عاد السادات فقرر أن يكون مصطفى أمين رئيسا لمجلس الإدارة فى أخبار اليوم وأن يعود على أمين بجوار أخيه فى مؤسستهما أما رئاسة تحرير الاهرام فقد أسندت للأستاذ أحمد بهاء الدين .

وننتقل إلى علاقة السادات بالأستاذ المرحوم على حمدى الجمال ويذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين (١) أن السادات كان يكره المرحوم على حمدى الجمال كراهية شديدة ولا يطيق سماع اسمه لأنه رأس مرة جمعية عمومية وهو نقيب الصحفيين ، وهوجم فيها السادات هجوما شديدا ،

---

(١) محاوراتى مع السادات ص ٥٢

واعتبره السادات مسئولا أو عاجزا عن السيطرة على الجمعية العمومية ، ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين إن السيطرة على الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين دائما أمر مستحيل •

ويقول مصطفى أمين إنه عندما عاد لأخبار اليوم ضـاق به إحسان عبد القدوس لأن المحررين والعمال بالمؤسسة الصحفية استقبلوا أستاذهم مصطفى أمين فى مظاهرة رائعة وأحس إحسان عبد القدوس أنه غريب فى هذا الجو •

بقيت كلمة ترتبط بعلاقة هيكل بالسادات ، فإن هيكل تعود أن يكون شريكا فى الحكم أيام عبد الناصر ، فكان لـه رأى مسموع فى تشـكيل الوزارات وصنع القرارات ، ولكن السادات لم يكن يعطى هيكل هـذه المكانة ، وقد ذكرنا من قبل أن السادات كان حريصا على ألا تنشأ مراكز قوة بجواره ، أو كان يريد دائما أن يكون الزمام فى يده هو لا فى يد أى شخص آخر ، ومن هنا استبعد هيكل عن الأهرام التى كانت بمثابة دولة داخل الدولة •

ويذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين أن السادات كانت لـه عيون فى الصحافة تنقل له النكتة التى تقال فيضحك عليها المحررون ، كما تنقل أية كلمة يمكن أن يكون فيها مساس ظاهر أو باطن بالسلطات العليـا ، وكان هؤلاء العيون ينالون من حين إلى آخر مكافآت ومراكز بناء على طلب السادات (١) •

وهكذا استلزم اتجاه السادات للغرب أن يمنح نوعا من الحريـة للصحافة ، ولكن شخصية السادات لم تسمح بأن تكـون الحرية مطلقة فتدخل بنفسه أو بعيونه فى الحياة الصحفية •

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠ •

ورقة أكتوبر ومحاولات الديمقراطية :

إن اتجاه أنور السادات إلى أمريكا استلزم أيضا أن يخلق فى مصر نوعا من الديمقراطية وتعدد الأحزاب ، وكان ذلك على نمط ما فعلتـه تركيا حتى يمكن بقاؤها فى الجسم الأوربى الذى تنتمى إليه ، وحدث ذلك أيضا فى أسبانيا والبرتغـال ، فلـم تُقْبَلا فى السوق الأوربيـة المشتركة إلا بعد أن حققتا صيغة ديمقراطية ، ويقول الأستاذ أحمـد بهاء الدين :

إن السادات حين بدأ يفكر فى التعدد السياسى كان ذلك أهم دافع لديه لتسهيل الاندماج فى عالم الغرب ، والحصول على حمايته وتحالفه [١] .

وعلى هذا اقترح السادات ما سمى « ورقة أكتوبر » على نسق ما فعله عبد الناصر من قبل فيما سُمّى (بيان ٣٠ مارس) وهو بهذا يوهم بارتباطه بعبد الناصر ، ولكنه ينطلق تبعا لفكره ، أو تبعا للضرورات التى يراها لازمة لنجاح سياسته .

وقد طُرحت ورقة أكتوبر فى استفتاء عامٍّ فى ١٥ مايو ١٩٧٤ وقد حاول فيها أنور السادات كما سنرى بعد قليل أن يحوّل الاتحاد الاشتراكى إلى (منابر) ثم أعلن أن تصبح المنابر أحزابا ، وأن تأخذ الأحزاب وجها ديمقراطيا ، وقبل أن نسير خطوات فى الحديث عن مراحل الديمقراطية كما أرادها السادات نذكر عبارة كررهـا مرارا وهى تفيـد اتجاهاته الديكتاتورية ، وإن المظاهر الديمقراطية لم تكن معبرة عن طبيعته وأعماق نفسه ، وهذه العبارة هى كمـا يرويها الأسـتاذ أحمد بهـاء الدين : « يا أحمد ، عبد الناصر وأنا آخر الفراعنة ، فعبد الناصر وأنا لا نحتاج لنصوص ، والنصوص التى نضعها هى لمن يجىء بعدنا ، فهؤلاء سيكونون رؤساء عاديين يحتاجون لنصوص ليتبعوها وليلتزموا بها » .

---

(١) محاوراتى مع السادات ص ٦٥ .

ويعلق الأستاذ أحمد بهاء الدين على هذه العبارة بقوله :

وجدت فى حديث السادات تناقضا بين ما كان يلمح به فى غموض وعدم وضوح لإيجاد صيغة للتغيير السياسى وبين كلامه عن السلطات المطلقـــة •

ولنعد إلى ورقة أكتوبر لنقتبس بعض ما جاء بها ، ثم نمشى خطوة إثر خطوة لنرى ما حدث من تغير فى النطاق السياسى تبعا للمظهر الجديد الذى أراد السادات أن يظهر به ، وهو قالب الديمقراطية التى تتبعها الولايات المتحدة وتتبعها دول الغرب بوجه عام •

جاء فى ورقة أكتوبر النص التالى :

« إن معارضة فكرة الحزب الواحد لا تتأكد إلا بالتسليم بتعـــدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى » •

وهذا النص يوضح الاتجاه نحو تعدد الاتجاهات فى حدود الكائن القديم وهو الاتحاد الاشتراكى ، ولذلك جاء فى ورقة أكتوبر أيضا أن المطلوب هو « تعدد القوى الاجتمـــاعية التى يتكون منها التحـــالف » وتكونت لذلك لجنة لتجميع الاتجاهات حول تطوير الاتحاد الاشتراكى ، وبعد الدراسة قررت هذه اللجنة النقاط التالية حسب ما فهمته من هوى السادات :

١ — اتفقت جماهير شعبنا عـــلى ورقة التطوير ، وأن الاتجاهات المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكى يمكن أن تكون انعكاسا لتعدد قوى الشعب العاملة المكونة للاتحاد •

٢ — طالبت الأغلبية بأن تقوم منابر داخل الاتحاد الاشتراكى على أساس فكرى ، حيث يقوم منبر لليمين ومنبر للوسط ومنبر لليسار ، على أن تلتزم هذه المنابر بمواثيق الثورة •

٣ — إن اختلاف المنابع الفكرية لهذه المنابر من شـــأنه أن يدعم الاتحاد الاشتراكى ويثرى فكره ويبعث فيه الحركة والحياة •

وواضح من هذه النقاط الحرص على بقاء الاتحاد الاشتراكى وأن يكون التطوير فى داخله ، وذلك ما قرره المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الذى عقد فى أواخر يوليو سنة ١٩٧٥ ، والذى بمقتضاه بدأ تأسيس المنابر .

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد أعلن الرئيس السادات فى ١٩٧٦/١/٢٦ باعتباره رئيسا للاتحاد الاشتراكى تشكيل لجنة لدراسة « موضوع المنابر » ثم تطور اسم هذه اللجنة ليكون « لجنة مستقبل العمل السياسى » وهذا الاتجاه من الرئيس كان فيه تلميح بعدم التمسك بالاتحاد الاشتراكى ، ولكن هذا التلميح لم يكن ظاهرا للكثيرين ، ولذلك رأت أغلبية هذه اللجنة أن مستقبل العمل السياسى ينبغى أن يظل فى إطار الاتحاد الاشتراكى ، وقدمت تقريرها للرئيس بذلك ، وخلاصة هذا التقرير بقاء الاتحاد الاشتراكى مع استحداث المنابر الثلاثة التى ذكرناها فى إطاره .

وعين الرئيس رؤساء هذه المنابر ، فكان ممدوح سالم رئيسا لمنبر الوسط ، ومصطفى كامل رئيسا لمنبر اليمين ، وخالد محيى الدين رئيسا لمنبر اليسار ، وتعيين رؤساء المنابر بدعة مرفوضة كانت مؤشرا لفساد الاتجاه الديمقراطى الذى يحاوله السادات ، والعجيب ان هذا التعيين استمر بعد أن تحولت المنابر إلى أحزاب وهكذا كانت أحزاب السلطة امتدادا للاتحاد الاشتراكى فيما عدا حزب التجمع الذى سار نحو الاستقلال عن السلطة ، وجرت على ذلك الانتخابات من ٢٨ أكتوبر إلى ٤ نوفمبر سنة ١٩٧٦ ، وسمح للمستقلين بدخول هذه الانتخابات وكانت نتائج الانتخابات كالآتى :

منبر الوسط حصل على ٢٨٠ مقعدا .

منبر اليمين حصل على ١٢ مقعدا .

منبر اليسار حصل على ٢ مقعدين .

المستقلون حصلوا على ٥٦ مقعدا .

ويلاحظ على هذه النتيجة أن منبر الرئيس وهو منبر الوسط فاز فوزا ساحقا ، ويعتبر المطلعون أن هذه الانتخابات هي الانتخابات النزيهة الوحيدة التي حصلت في عهد الثورة الطويل ، ويذكرون ممدوح سالم بالخير لوقفته النزيهة حيال الانتخابات .

ولكن الذي يلاحظ هو أن هذه الانتخابات كانت في حدود المنابر ، أي في حدود الاتحاد الاشتراكي ، ولم يرشح من المستقلين إلا عدد قليل لا يستوجب التدخل وتزييف الانتخابات ، ومن هنا فالحيدة طبيعية ما دامت قد خلت من أي حزب منافس ، ولهذا فمع تقديري لشخصية ممدوح سالم لا أرى داعيا لمدحه لأنه وقف على الحياد في هذه الانتخابات ولو أمتد الأجل لوزارة ممدوح سالم وشاهد الانتخابات التي كان حزب الوفد مشتركا فيها لكان من حق ممدوح سالم أن نثني عليه أعطر ثناء لو أدار الانتخابات بالحيدة التي أتبعها في أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

ويلاحظ ان الحرية التي كفلتها هذه الانتخابات سمحت لعدد كبير من المستقلين لينجحوا ويدخلوا مجلس الشعب على حساب مرشحي المنابر ، وكان هؤلاء أساسا لقيام حزب الوفد كما سنرى بعد قليل ، وكان هؤلاء كذلك سببا في العودة إلى ضرورة تزييف الانتخابات ، فحرية الانتخابات جلبت عددا كبيرا من أعداء الثورة الذين كانوا خارج الاتحاد الاشتراكي ومنابره .

وبعد سبعة أيام من ظهور نتائج الانتخابات وفي خطاب الرئيس أمام مجلس الشعب الجديد تغير كل شيء ، فقد أعلن في هذا الخطاب التحول الكبير التالي :

من المنابر الى الأحزاب :

قال الرئيس : « وبناء على نجاح تجربة الانتخابات ، واستئناف المسيرة

التى عاهدت الله والشعب عليها نحو الديمقراطية فقد اتخذت قرارا بتحويل التنظيمات الثلاثة « المنابر » ابتداء من اليوم إلى أحزاب ، وأصبح منبر الوسط يسمى « حزب مصر » وعُهِد إلى ممدوح سالم برياسته ، وكان أنور السادات واسع الأطماع فيما يتعلق بحزب مصر ، فطلب أن تمتد جذور هذا الحزب إلى كل المدن والقرى والنجوع ، وأن يجذب له العصبيات ، وأن تكون دور الحزب كالبيوت المفتوحة لكل المواطنين ، وبذلك يلتحم الحزب بالجماهير ، ويعبر عنها ويلبى حاجاتها .

ولكن الشعب كان بعيدا عن مؤسسات الثورة وأحزابها ، فالشعب قاسى كل صور المتاعب من هذه الثورة التى عاش قادتها لأنفسهم وأسرفوا فى سوء معاملتهم للجماهير ، فبقى الحزب فى واد ، والشعب فى وادٍ بعيد .

أما منبر اليمين فقد تحول إلى حزب الأحرار وعهد برياسته إلى مصطفى كامل مراد ، وهو ضابط سابق ، وكان وهو رئيس حزب موظفا فى وزارة الصناعة مما جعل الحزب يسير فى كنف الحكومة ، وعندما أراد رئيس الحزب مرة أن يتكلم بشىء من الحرية قال له وزير الصناعة : إنك موظف عندى بالوزارة .

أما منبر اليسار فقد رأسه خالد محيى الدين ، أو الحاج خالد كما يحب أن ينادى ، والفكر الماركسى يتناقض تماما مع الحج وشعائر الإسلام إلا أن يكون هناك فكر ماركسى جديد .

أنور السادات رئيسا لحزب :

وكان أنور السادات يبدو وكأنه رئيس مصر ، وليس رئيسا لحزب خاص ، ألم يكن رئيسا للاتحاد الاشتراكى الذى انبثقت منه هذه الأحزاب ؟ ولكن سرعان ما أحس بأن هذه الأحزاب بدونه لن تكون شيئا فى المحيط السياسى ، وبخاصة بعد ظهور حزب الوفد الذى سنتحدث

عنه بعد قليل ، فأعلن أنه سينزل للشارع السياسى ، وسيؤلف حزبا جديدا اختار لـه اسما هو « الحزب الوطنى الديمقراطى » .

وما كاد السادات يعلن ذلك حتى هرع لـه كل أعضاء حزب مصر ، أولئك الذين التحقوا بهذا الحزب على أنه حزب السادات وتحت رعايته وعباءته ، ولكن إذ ألف السادات حزبا جديدا فليهرع لـه النواب الذين لا يهمهم إلا السير فى ركاب الرؤساء ، ولم يبق فى حزب مصر إلا عدد يقل عن أصابع اليد الواحدة ، وفى مقدمتهم الفريق سعد الدين الشريف والأستاذ جمال ربيع والمهندس عبد العظيم أبو العطا الذى كان أحد المقبوض عليهم فى سبتمبر سنة ١٩٨١ ومات وهو فى سجن الاعتقال .

نهاية الاتحاد الاشتراكى :

كانوا يقولون عن الاتحاد الاشتراكى إنه ليس اتحادا لأنه كان حافلا بالعداوات والتكتلات ، وليس اشتراكيا لأنه كان وسيلة لتكوين ثروات كبيرة لبعض قياداته .

وهكذا كانت نهاية هذا الاتحاد الذى عاش ومات وهو بمنأى عن الشعب ، ولم يكن إلا حصنا للدكتاتورية واقتناص الغنائم ، وكان اسمه يثير الرعب فى كل مكان .

فإلى الجحيم هذا الكائن الذى رأت مصر فى وجوده شبحا للآلام ووسيلة لاستنزاف خزانة الدولة ، ولم يكن فى يوم من الأيام إلا أداة فى يد الحاكم ، يضرب بـه الشعب ، ويباشر عن طريقه أسوأ السلطات ، ولذلك كانت نهايته نهاية عصر حافل بالمرارة .

قانون الأحزاب وقيام حزب الوفد ثم تجديد نشاطه :

كان طبيعيا بعد أن أصبحت المنابر أحزابا أن يصدر قانون الأحزاب ، ولكن هذا القانون الذى صدر كان يقدّم رجلا ويؤخر أخرى ، فقد أقر

الأحزاب الثلاثة التى كانت موجودة فعلا ، ومنع بروز أحزاب أخرى إلا إذا كان لها فى مجلس الشعب الذى كان قائما آنذاك عشرون نائبا على الأقل ، وكأن هذا الشرط وُضع لمنع حزب الوفد بوجه عام من الظهور ، فقد اتخذت الطرق حتى لا يتجمع هذا العدد لتأييد قيام حزب الوفد ، ومع ذلك فقد ثابر أتباع هذا الحزب على محاولتهم حتى جمعوا توقيعات عشرين نائبا ، وكان أكثرهم من المستقلين أعضاء المجلس ، وكان بعضهم من حزب الوسط نفسه ، ويقول الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة [1] : إن قيام حزب الوفد الجديد سجل دويًّا كبيرا فى الأوساط الشعبية ، فقد ظل الوفد بزعامته التاريخية وماضيه النضالى مطبوعا فى ضمير الأجيال القديمة والجديدة ، ولذلك ما إن ظهر الحزب حتى أقبل الآلاف على الانضمام إليه ، فاهتزت الثقة الشعبية فى الأحزاب التى أقامتها السلطة ، تلك الأحزاب التى عُرفت بأنها أحزاب المصالح وطلاب المنافع ، وأصبح الوفد الجديد أول حزب بعد الثورة يُولَد ولادة طبيعية ، وكانت زعامته وقياداته من القاعدة الشعبية العريضة ، وكانت عضويته مفتوحة لكافة الفئات الاجتماعية ، حتى أصبح أقرب إلى أن يكون جبهة وطنية منه إلى حزب سياسى متجانس .

ولم يُبْدِ الحاكم ذعرا بحزب الوفد عندما بدأ ، وهوّن رجاله عليه ظهور هذا الحزب ، معتقدين أنه لن ينال أى صدى فى نفوس الشعب ، ولكن ما إن ظهر هذا الحزب حتى علا صوته ، وارتفع نجمه ، وكأنه كان أملا للشعب ، فالتف الشعب حوله ، وأصبحت الأحزاب الأخرى أشبه بالأقزام بجوار هذا الحزب العملاق ، ومن هنا بدأ الصراع بين حزب الوفد وحزب الرئيس ، واضطر حزب الرئيس إلى النزول فى معركة مع حزب الوفد مجددا النغمات القديمة والاتهامات الباطلة التى كانت توجه لحزب الوفد قبل الثورة ، كحادثة ٤ فبراير

---

(١) الخطايا العشر : ص ١٥٣ وما بعدها وانظر ايضا الصفحات السابقة .

والإغداق على المحاسيب ، ولكن الشعب أعرض عن هذه الاتهامات الباطلة ونظر إلى حزب الرئيس على أنه الحزب الذى وقف عاجزا أمام المشكلات التى يواجهها الشعب فى حياته اليومية كالمرافق والإسكان والغلاء والبطالة ، وكان حزب الوفد هو لسان الشعب فى الدفاع عن اتجاهاته وآماله ، وسرعان ما اتضح أن حزب الوفد خطر على الحاكم وأعوانه ، ولم يجد أنور السادات بدًّا من اللجوء إلى ما أسماه « استفتاء » ليضرب قيادات حزب الوفد ، وكان الاستفتاء يتحدث عن صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى ومعارضة الذين أفسدوا الحياة السياسية وضرورة استبعادهم من الساحة الجديدة وأجرى الاستفتاء فى ١٤/٥/١٩٧٨ وسنتحدث عنه ضمن أحداث ١٩٧٨ ونال الاستفتاء الأرقام التى تعودت استفتاءات الثورة أن تسجلها ، وهى أرقام التسعات المكررة ، وبناء على هذا الاستفتاء أخرج الأستاذ عبد الفتاح حسن نائب رئيس حزب الوفد من مجلس الشعب لأنه كان من القيادات القديمة التى حرّم الاستفتاء أن تباشر حقوقا سياسية ، كما أصبح الأستاذ فؤاد سراج الدين ممنوعا من قيادة أحزاب سياسية لأنه أيضا كان من القوى السياسية التى أدانها الاستفتاء .

وفى إطار هذه التصرفات وجد حزب الوفد أنه لا يستطيع أن يمارس نشاطه فى حرّية ، وبخاصة بعد استبعاد زعماء الحزب ، فقرّر الحزب تجميد نشاطه السياسى فى يونيو ١٩٧٨ واختفى الحزب رسميا ، ولكنه ظل حيا فى ضمير الشعب إلى أن عاد للظهور بعد نهاية عصر السادات ، وكانت مدة قيام حزب الوفد لا تتجاوز عدة شهور .

الانفتاح الاقتصادى

عندما نتذكر مطلع النظام الشيوعى بالاتحاد السوفيتى نجد أن الثورة الشيوعية عندما حققت النجاح أقفلت الأبواب على البلاد تماما حتى شاع استعمال « الستار الحديدى » دليلا على صعوبة الوصول

لداخل البلاد ، وراحت هذه البلاد تبنى نفسها فى كل اتجاه ، مُعْرِضَةً عن العالم حولها بقدر الإمكان ، وكان البناء فى مجال الزراعة والصناعة وتكوين الجيش ... بل بالاهتمام بفرق الباليه وكرة القدم ... وظل الحال على ذلك حوالى ربع قرن حتى خرجت روسيا على العالم مع الحرب العالمية الثانية وهى قوة جبارة يُعْمَل لها ألف حساب فى كل المجالات .

لو قارنا ذلك الوضع بحال الثورة المصرية لأحسسنا بالندم والخجل ، فالثورة المصرية أسرعت بفتح الأبواب على مصاريعها فى الدوائر التى ذكرناها من قبل وهى الدائرة العربية والإسلامية والافريقية ، ثم دائرة عدم الانحياز ... واصطدمنا بالقوى الكبرى فى ظروف مختلفة ولم يكن عندنا وقت البناء الداخلى كما صرح بذلك اللواء محمد حافظ إسماعيل ، فانهارت مرافق البلاد وعمّها التخلف وأثقلتها الديون .

وبينما فتح عبد الناصر الأبواب على مصاريعها بالنسبة لهذه الدوائر ، فإنه قفل الأبواب على المصريين بحيث لا يخرجون من البلاد إلا لضرورة قاهرة وبإذن من ولىّ الأمر ، ومبالغةً فى حرمان الناس قرر قفل الحدود بحيث لا ترد لمصر صنوف مما يحتاجه الناس للطعام والشراب واللباس وضرورات الحياة ، وأصبح لزاما علينا عندما نذهب للخارج فى مؤتمر من المؤتمرات أن نعود محملين بالهدايا للأهل والأقارب لنقلل من حرمانهم ، وكنا نجد هذه الحاجات التى حرّمنا منها قانون عبد الناصر موجودةً فى أسواق بلاد العالم الثالث فكنا نشتريها من السودان ومن ليبيا ومن باكستان ... فكل الناس عندهم ما يحتاجون إليه إلا المصريين .

وكان واضحا لنا أن الحرمان مفروض على الشعب وحده ، أما الحكام فكانت الأبواب مفتوحة لهم على مصاريعها عن طريق رحلاتهم التى لا تنقطع ، وعن طريق الحقائب الدبلوماسية التى أعطينا لها نموذجا من قبل .

وكان هذا الانغلاق يتنافى مع طبيعة موقع مصر وتاريخها ، فموقع مصر الجغرافى فى ملتقى ثلاث قارات يجعل الانغلاق سياسة تتنافى مع طبيعتها الجغرافية ، وموقعها الحضارى ، وتراثها التاريخى •

وكانت مصر شديدة الاتصال بالعالم حولها منذ فجر التاريخ ، وعندما دخلت مصر فى نطاق الامبراطورية العثمانية سرعان ما رفضت الانغلاق وتمردت على سياسته وتفتحت على العالم فى عهد محمد على باشا وحفيده إسماعيل •

وعلى هذا كان الانغلاق الذى خضعت لـه مصر فى عهد عبد الناصر يناف طبيعة مصر والمصريين ، وكان قيدا على حياة المصريين ، فلم يكن يسمح لهم بالسفر للخارج دون إذن من السلطات الحاكمة ، وكـان الحصول على هذا الإذن شيئا عسيرا •

وكان الانغلاق كذلك فرصة للروتين والتعقيدات والبيروقراطية الفاسدة التى نشأت خلال هذا العهد ونمت بحكم الخوف والقلق ، فكان أيسر على الموظف أن يرفض أى شىء ، عن أن يوافق على أى شىء ، فلم يكن فى الرفض مسئولية ، ولكن الموافقة تحتمل كثيرا من الاتهامات •

وكانت حجة أولى الأمر فى فرض الانغلاق هـو حراسة الصـناعات الجديدة بمصر حتى لا تزاحمها الصناعات الخارجية وحتى لا يجد المصرى مفرًا من الإقبال على إنتاج بلاده ، ويمكن أن يكون هذا صحيحا ومقبولا بالنسبة للكماليات ولكن الواقع كان يشمل كل حوائج الشـعب المصرى حتى الدواء الضرورى ، وحتى الأشـياء التى لم تنتجها بلادنا ممـا تستلزمه حياة البيوت والناس ، كما كان يشمل قطع الغيار للسـيارات والآلات ، فطالما وقفت سيارة وتعطلت آلة مهمة فى انتظار قطعة غيار ترد من الخارج بوسيلة أو بأخرى •

لقد كان عصرا شعاره الحرمان ، وظهر الرجل الذى يملك المـال ولكنه لا يملك أن يشترى بـه ضرورات الحياة ، فأصبح المال لا قيمة

له ، وكان هذا من أهداف عبد الناصر ليرى العناء فى الناس ، كما رأى هو العناء فى حياته الأولى •

وبينما كان الشعب يعانى من هذه الويلات كان السادة ينعمون بكل صنوف الترف ، فطائرة على صبرى تصل محملة بكل وسائل المتعـة ، والضباط يتجهون إلى غزة — وكانت سوقا حرة ، وتحت إشراف مصر — لا لشىء إلا (للتبضيع) وإحضار ما يحتاجه السادة ، وكانت حرب اليمن وسيلة للجنود والضباط لشراء مـا يريدون من أسواق اليمن ، وتأتى بهم الطائرات إلى مطارات عسكرية ليست بها رقابة جمركية •

لو كان الانغلاق على الجميع لاحتمله الناس ، ولكنه كان فقط انغلاقا على جماهير الشعب المحروم •

وإذا كان الانغلاق بهذا المعنى ذميما وجائرا فإن الانفتاح الـذى أعلنه السادات كان خطيرا ، فلقد سمح للأبواب أن تفتح دون قيود ، وللسلع الترفيهية أن تدخل البلاد ، ويسّرت شئون الجمارك ، وفتحت الأبواب كذلك للاستثمارات العربية ، والأجنبية لإقامة مشروعات بمصر ، والتحق كثير من المصريين بالمشروعات الاستثمارية الجديدة ، وسـافر كثير من المصريين للعمل بالخارج وأخرج أغنيـاء المصريين أموالهم من تحت (البلاط) وكل هذا الثراء الجديد اتجه لسلع الترف التى امتلأت بها الأسواق ، وتراجعت السلع المصرية التى لم يكن فى مقدورها منافسة السلع المستوردة •

وهكذا بدل أن يتجه الانفتاح للإنتاج وخدمته وتوفير آلاتـه ، وخدمة المصانع الزراعية والصناعية ، وخدمة السياحة ، بدلا من ذلك اتجه الانفتاح للسلع الاستهلاكية بل للتافه منها ، فأصبح كارثة عـلى الاقتصاد القومى بدل أن يساعد هذا الاقتصاد ويفك أسْره ، وكانت

السلع فى حالات كثيرة تافهة ، وكانت ترد من كل بقاع الأرض وكان الناس يتخطفونها لطول ما عانوا من حرمان ، وأحيانا كانت السلع دجاجا فاسدا أو ألبانا فاسدة ، وتدفع رشاوى باهظة للحصول على إذن بصلاحيتها وهى غير صالحة ، وهكذا أصبح الانفتاح ضارا بالأخلاق وبالصحة وبالاقتصاد جميعا .

الاستيراد بدون تحويل عملة :

ثم ابتكرت عقلية ذلك العصر موضوع الاستيراد بدون تحويل عملة ، وهى قضية تدعو للسخرية فالذى يريد أن يستورد بضاعة كان عليه أن يدبر العملة الصعبة دون أن يطلب هذه العملة من البنوك المصرية ، وبسهولة جدا اتجه هؤلاء التجار إلى المصريين الذين يعملون بالخارج وهم طبعا يأخذون مرتباتهم بالعملات الصعبة ، وأجروا معهم عملية استبدال ، فأخذوا مرتباتهم وأودعوا لهم بدلها نقودا مصرية ، ودخلت فى ذلك عمليات الإغراء ، فاشترى التجار العملات الصعبة بأكثر من سعرها الرسمى ، فأصبح الموظف بالخارج بدل أن يرسل مدخراته إلى القاهرة يسلمها لهؤلاء التجار الذين يودعون له بمصر ما يتفق عليه من العملة المصرية .

وعلى هذا فنظام « الاستيراد بدون تحويل عملة » كان نظاما بعيدا عن الحكمة لأن التحويل تم بعملة صعبة كانت سترد إلى الخزانة المصرية .

هل كان السادات يقصد بالانفتاح أن يحقق فى مصر نظام الاقتصاد الحر تقربا من الولايات المتحدة والدول الغربية الذى اتجه السادات للانضواء تحت لوائها ؟

ربما كان ذلك ، ولكن النظام الذى أعلنه السادات كان قاصرا لأن الانفتاح السياسى لم يساير الانفتاح الاقتصادى ، ثم إن هذا الانفتاح

الاقتصادى فتح الباب لجماعة من المحرومين ، وجماعة من الانتهازيين ، فإذا بالانفتاح يصبح شديد الخطورة ، إذ لم يوضع الانفتاح فى أيدٍ أمينة ، وإنما تلقفه الانتهازيون والمنحرفون .

وشمل الانفتاح نظام تشجيع الاستثمارات الأجنبية والإعفاء من الضرائب مدة عشر سنوات للشركات التى تظهر تبعا للقانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ ، وأُعلنت بور سعيد منطقة حرة ، وكان المقصود تشجيع الشركات الأجنبية على تصنيع منتجاتها فيها بهدف إعادة تصديرها إلى المناطق المحيطة بمصر لكن ما حدث فعلا هو أن ٨٠٪ من البضائع التى دخلت الميناء وجدت طريقها إلى الأسواق المحلية (١) .

وأكثر من ذلك فإن بور سعيد حظيت بالقليل جدا من النشاط الصناعى ، وأصبح أكثر نشاطها تجاريا .

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل حقائق خطيرة إذ تشير الأرقام إلى أنه فى ظل سياسة الانفتاح تمّ إنشاء ٥١٢ مشروعا ، ومع ذلك فإن عدد العاملين فى هذه المشروعات كلها لم يتجاوز ٢٨٫٠٠٠ عامل ، ولم تُصَدِّر هذه المشروعات إلا منتجات قيمتها ٢٫٤ مليون جنيه فى العام ، فى حين إنها تستورد فى العام من الخارج بما قيمته ٥٥٠ مليونا من الجنيهات (٢) .

الآلاف المليونيرات :

وفى ظل هذا الانفتاح ظهر أغنياء جدد وصل ثراؤهم إلى المليونات ، وأُطلق عليهم آنذاك وصف « القطط السمان » أو « الأبقار السمان » وقد وصل عدد أصحاب الملايين فى مصر فى أواخر عهد السادات إلى ٢٠٠٫٠٠٠ مليونير ، فى حين كانت الغالبية العظمى من المصريين لا تزال

---

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٢١٢ .
(٢) محمد حسنين هيكل : المرجع السابق ص ٢١٣ .

تعيش على الكفاف أو ما تحت الكفاف ، وفى سياق الحصول على المال ظهرت وسائل غير شريفة للوصول للثراء كالاتجار فى المخدرات والتهريب والابتزاز والبلطجة بالاضافة الى المتاجرة فى العملة [1] .

ولم يستطع القطاع العام أن يواجه هذا الزحف الانفتاحى مما تسبب عنه تراكم السلع التى تنتجها شركات القطاع العام إذ أصبحت هذه السلع لا تنال الرواج أمام السلع المستوردة ومن أمثلة القطاع العام فى هذا المجال مصانع المحلة الكبرى التى وجدت نفسها أمام طوفان من السلع المستوردة وكانت النتيجة أنه وُجِدت لديها بضائع مخزونة تقدر قيمتها بحوالى ١٠٠٠ مليون جنيها [2] .

قوانين الإسكان الجائرة ونتائجها :

وفى ظل المال الوفير الذى ظهر بمصر عقب هجرات المصريين للعمل بالخارج وبخاصة فى الدول العربية ، وبسبب حاجة هؤلاء إلى المساكن لينشئوا بها حياتهم ، بعد أن اختفت العمارات التقليدية بسبب قوانين الإسكان الجائرة والتى لا نظير لها فى أى قطر آخر ، .. فقد اتجه المستثمرون إلى إقامة العمارات لبيع شققها للمحتاجين للسكنى من الشباب ، وهكذا التهمت هذه العمارات أكثر مدخرات هؤلاء المصريين فأصبح الشاب المصرى يغترب ويعانى مشاق الغربة والجهد عدة سنوات لينال فى النهاية شقة يسكن بها ، ولا يعنى تملكها أنه معفى من دفع المبالغ الشهرية ، بل إن هذه العمارات تحتاج إلى حراسة ورعاية فالتزم كل ساكن أن يدفع كل شهر مبلغا أكثر مما كان يمكن أن يدفعه إيجارا لشقة فى العهود الماضية ، وهذا على فرض أنه يتسلم شقته من المستثمرين ، ولكن الواقع يقرر أنه فى حالات كثيرة باع المستثمرون كل

(١) جمال سليم : ديكتاتورية السادات ص ١٧ .
(٢) هيكل : المرجع السابق : ص ٢١٤ .

شقة لأكثر من مشترٍ ، وعندما جاء المشترى ليتسلم شقته لم يجد الا عقدا ورَقيًا لم يَفْتح له باب شقة ولم يضمن له مسكنا .

شركات توظيف الأموال :

ومن جنايات هذا الانفتاح كذلك أن بعض العمال لعبت بهم الأطماع فأودعوا مدخراتهم فى شركات أقيمت فى هذا العصر باسم « شركات توظيف الأموال » وتبين فيما بعد أن قلة قليلة من هذه الشركات هى التى قامت على أسس سليمة وضمنت لأصحاب المدخرات أموالهم وأرباحهم ، وللأسف فإن الحكومة أجازت قيام هذه الشركات ، وقامت وسائل الإعلام الحكومية بالدعاية لها بشكل يؤكد سلامة هذه الشركات فسقط الشعب خديعة للشركات ولتأييد الحكومة .

وكانت هذه الشركات تخدع الجمهور بتقديم أرباح خيالية ، ولم تكن هذه أرباحا حقيقية ، بل كانت فى الحق أموال المودعين الجدد تعطى للطامعين القدامى ، وكان ذلك يغرى الكثيرين بعدم سحب أموالهم بل بعدم سحب أرباحها طمعا فى ربح أكثر بضم الأرباح الى رءوس الأموال ، وفى خطاب القاه وزير الداخلية اللواء زكى بدر فى أول أغسطس سنة ١٩٨٩ ونشرته الصحف المصرية يقول سيادته إن المشرفين على شركات توظيف الأموال نصّابون حتى أولئك الذين وفّقوا أوضاعهم تبعا للقانون الجديد ، فالكل نصابون وعوض أصحاب الأموال على الله .

وإذا صح هذا فإنها كارثة تقع على مئات الآلاف من المصريين الذين وقعوا فريسة للشركات ولتأييد الحكومات المتتابعة لها .

والعجيب أن القطاع العام لم ينل أى اهتمام من السادات وظل مسرحا للخسائر والاضطرابات وكان المفروض أن يكون وسيلة من وسائل التطور ، ومقاومة الاحتكارات ، ويقول المطلعون إن القطاع العام لم ينجح فى شىء قدر نجاحه فى أن يخلق وظائف للمحاسيب والأقارب والأصهار .

بقى فى ميزان الحيدة أن نذكر رأى السيدة جيهان السادات فى هذا الانفتاح ، تقول هذه السيدة :

لقد أدرك أنور أن هناك حاجة ماسة لمعالجة الوضع الاقتصادى فى مصر ، وكان على أهبة الاستعداد للدخول بقوة فى مشاكلنا الاقتصادية كما فعل فى مشاكلنا العسكرية ، فقد قام فى عام ١٩٧٤ بالابتعاد الجذرى عن سياسات عبد الناصر الانعزالية بأن أعلن سياسة اقتصادية جديدة عُرفت بسياسة الانفتاح ، ونتيجة لهذه السياسة بدأت حركة السياحة من الغرب وأوربا فى الازدهار ، ووُجدت للمصريين وظائف شاغرة إذ فتحت مصر ولأول مرة أبوابها للمستثمرين الأجانب الذين ساهموا مع رجال الأعمال المصريين فى أعمال مشتركة كبناء المصانع الجديدة والبنوك والفنادق الفخمة وكان المصريون يقومون بإنتاج الغسالات وأجهزة التليفزيون والاستريو ، بل صنعوا سيارات فيات بمصر (١) .

وكلام هذه السيدة فيه القليل من الحق من جانب وفيه الكثير من المبالغات من جانب آخر ، فالثورة لم تتح للمصريين أن ينتجوا الغسالات أو التليفزيونات أو السيارات ، وكل ما كانوا ولا يزالون يقومون به هو تركيب هذه الأشياء من أجزاء تَرِدُ لهم من الخارج ، وإذا عجزت مصر عن استيراد هذه الأجزاء توقفت المصانع تماما فترة من الزمن تطول أو تقصر حتى تَرِدُ هذه الأجزاء .

المثالية والواقع :

وإحقاقا للحق نذكر أن سياسة الانفتاح وُضعت لها فى الأصل ضوابط دقيقة لحماية الاقتصاد المصرى والإنتاج المحلى ، وكان من ذلك أن يضيف المشروع زيادة حقيقية للدخل القومى ، وأن يكون على مستوى عالمى من التكنولوجيا ، وأن تُمنح أولوية للمشروعات التى توفر المواد

(١) سيدة من مصر ص ٣٥٥ .

الغذائية ، وأن تستخدم هذه المشروعات الأيدى العاملة المحلية وأن تدربها على المهارات الجديدة .

ولكن هذه الضوابط أهملت للأسف الشديد .

نماذج من لصوص الانفتاح :

برز من لصوص الانفتاح أعداد هائلة ، بعضهم من عامة الناس ، وبعضهم ينتمون إلى طبقة السادة ، ولسنا نستطيع حصرهم لكثرتهم ولحصانة بعضهم ، ولذلك نكتفى بأن نتكلم كلمة قصيرة عن نموذجين صدرت أحكام قضائية ضدهما هما رشاد عثمان وفكرى عازر :

رشاد عثمان :

كان السادات يوصيه بالاسكندرية ، فكان هذا الرجل فى نظر السادات راعيا أمينا لجوهرة البحر المتوسط .

من هو رشاد عثمان ؟

نازح من قنا فى صعيد مصر سنة ١٩٧٠ للبحث عن عمل ، اشتغل بالميناء بأجر يومى قدره ٣٠ قرشا ، ثم وجد تزاحم البواخر على الميناء حاملة السلع الاستهلاكية ، وشديدة الحرص على تفريغ حمولتها ، فبدأ يعمل بمساعدة آخرين لحجز مكان على الرصيف للباخرة التى تتصل به نظير رشوة كبيرة يقتسمها مع أصحاب النفوذ ، وأصبحت البواخر تتهافت عليه لتيسير وصولها للرصيف ، وكوّن مجموعة من البلطجية لمساعدته .

ثم خطا خطوة واسعة لاستيراد السجاير والخشب .

وانضم للحزب الوطنى بماله وجاهه فزاد جاهه ، وزاد ماله ، وعمق اتصاله بالمسئولين فأتاح ذلك له أن يستولى على أرض واسعة للدولة دون أن يتعرض له أحد .

إنه نموذج للكثيرين من أمثاله الذين وصلت لهم العدالة أو لم تصل •

فكرى عازر يجمع من الرشاوى ثروة طائلة :

وفى مواجهة الانفتاح ورغبة فى تيسير أمور المستثمرين ظهرت الرشاوى ، ثم اتسع نطاق الرشاوى فأصبحت الرشوة وسيلة مهمة لقضاء الحاجات ، ونقدم مثلا واحدا من آلاف الأمثلة على هذا الوباء الذى امتد من زمن الى زمن ، فقد نشرت صحافة القاهرة الصادرة فى ١٩٨٩/٥/١٩ ما يلى :

قضت محكمة جنايات الاسكندرية أمس بمعاقبة رئيس قطاع بدرجة وكيل وزارة بشركة البتروكيماويات المصرية بالسجن ٣ سنوات ومصادرة أمواله التى تبلغ مليونا و ٦٠٠ ألف جنيه ، و ٢٤ ألف دولار أمريكى وألف جنيه استرلينى والزامه برد مثل هذا المبلغ للدولة وذلك لاتهامه بالكسب غير المشروع •

وكان أحد المقاولين المتعاملين مع الشركة التى يعمل بها المتهم فكرى عازر قد أبلغ الرقابة الادارية بحصول المتهم منه على سلسلة ذهبية قيمتها حوالى ٣٠٠ جنيه كرشوة لانهاء بعض مصالحه بشركة البتروكيماويات •• وبعد استئذان النيابة تم تفتيش مسكن المتهم وكانت مفاجأة لرجال الرقابة الادارية حيث عثروا على عدة صناديق صابون بحجرة نوم المتهم مملوءة عن آخرها بالنقود وبلغ مقدارها مليون جنيه مصرى وعملات أجنبية أخرى بلغت ٢٤ ألف دولار وألف جنيه استرلينى وستون ساعة يد وحائط مختلفة الأنواع وعدد كبير من الآلات الحاسبة والأقلام الثمينة وكمية من الجنيهات الذهبية وبعض الهدايا الثمينة الأخرى ، وبتفتيش خزائنه بأحد البنوك عثر على السلسلة الذهبية التى حصل عليها كرشوة وبعض المصوغات الذهبية التى قدرت قيمتها بـ ٥٧ ألف جنيه •

وتم اخطار ادارة الكسب غير المشروع فأمر رئيسها بالتحفظ على تلك الأموال وتولت ادارة الكسب غير المشروع التحقيق فظهر أن تضخم ثروة المتهم وزيادتها هذه الزيادة الطارئة حصل بسبب استغلال وظيفته ، وهذه الزيادة لا تتناسب مع موارده وعجزه عن اثبات مصدر مشروع لها وهى تشمل المبالغ المضبوطة بالاضافة إلى امتلاكه ٧ شقق بالاسكندرية وفيلتين بالعجمى وكنج مريوط و٦ سيارات خاصة وكمية من المصوغات الذهبية وعدد من أجهزة الفيديو وبعض الهدايا الأخرى وتم حبس المتهم وأحيل إلى محكمة جنايات الاسكندرية التى أصدرت الحكم السابق وقد صدر الحكم برئاسة المستشار ابراهيم السعدنى وعضوية المستشارين مسعد عبد الله ومحمدى عبد المجيد وأمانة سر عبد الحافظ بكر .

لقد كان الانفتاح نعمة لو اتّجه للإنتـاج الزراعى والصناعى والسياحى ... ، وجلب الآلات اللازمة ووضعها فى أيدٍ أمينة ، أما الانفتاح الذى شهدناه فقد اتجه لجانب الاستهلاك فسلب أموال المصريين ودفعها إلى ما لا فائدة فيه ، أو ما قلّت فائدته ، ثم عمل هذا الانفتاح الاستهلاكى على مقاومة المنتجات المحلية التى لم تقو على منافسة المستورد ، أو أن ذهن المصريين كان قد اتجه لإجلال كل شيء مستورد بسبب ما عانوا من انغلاق قاس فى عهد عبد الناصر .

وقد أمسكت العدالة ببعض الذين نعموا بالمال الحرام ، وهناك كثيرون أفلتوا من عين العدالة ، ولكنهم على كل حال لن يفلتوا من عين الله جل وعلا ، وسيظل هؤلاء يعانون القلق فى الدنيا ثـم ينقلبون إلى الله فينالون سوء المصير .

التشجيع على الهجرة

ارتبط بعصر الانفتاح سياسة تهجير العمالة إلى الخارج فتدفق المصريون على السفر إلى خارج البلاد فرارا من السجن الذى عاشـوا

فيه طيلة عصر عبد الناصر من جانب ، ورغبة فى الحصول على المرتبات المجزية من جانب آخر •

وكانت الهجرة تنقسم قسمين ، قسم هاجر للعمل مؤقتا بالخارج على نية العودة من حين إلى آخر لقضاء إجازة ، ثم العودة النهائية بعد حين ، والقسم الثانى أولئك الذين هاجروا بنيــة البقاء خارج البلاد ، وإذا كان القسم الأول قد اتجه غالبا إلى البلاد العربية ، فإن القسم الثانى اتجه إلى استراليا وكندا وأحيانا إلى الولايات المتحدة وأوربا •

ومما يلاحظ أن الذين هاجروا للعمل المؤقت لم توجه لهم رعــاية كافية ، وقابلوا فى مغتربهم منافسات ومضايقات كثيرة ، ولكنهم احتملوا من أجل لقمة العيش ، ولم تنشأ وزارة الهجرة إلا بعد مــدى طويل ، وحتى بعد إنشائها لم تقم بدورها كاملا كما ينبغى أن تقوم •

ويرى بعض الباحثين أن الحكومة أسرفت فى الســماح للعمــالة الفنية بالهجرة من أجل المال ، فالمال — كما يقولون — يمكن الحصول عليه من مصادر كثيرة ، أما العقول والسواعد فلا يمكن الحصول عليها من أى مصدر ، ولقد كان تحت يد الحكومة المصرية فى بعض المناسبات مساعدات وقروض بلغت المليارات من الدولارات ومع ذلك لم تستطع استخدامها فى المشروعات الاستثمارية ، وكان ذلك لأسباب كثيرة على رأسها اختناقات العمالة ، وندرة القدرات الفنية والمهارات اليدوية [١] •

وبالاضافة إلى العمالة الفنية جذبت هذه الهجرة عشرات الآلاف ، أو مئات الآلاف من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات ، وقد انتشر هؤلاء بعلمهم وخبراتهم فى ربوع الوطن العربى كله ، فساعدوا مساعدات واضحة فى التطور الذى كان ضروريا لهذه البلاد ، بعد ارتفاع أسعار البترول وتطلع الشعوب العربية إلى حياة أفضل •

---

(١) دكتور ابراهيم دسوقى اباظة : ص ٨٣ •

ومع ما فى هذه الهجرة من فوائد مادية ، فقد نتج عنها فى كثير من الحالات أضرار اجتماعية عميقة ، فإذا سافر الأب للعمل وترك زوجته وأولاده ، وأغدق عليهم من المال ليعوضهم حرمانهم من الحياة معه ، فإن المال لم يكن أبدا حاميا لهذه الأسر من الانحراف ، فالوحشة ألمت بالزوجة والأولاد ، ووجود المال فى يد الأولاد مع انعدام رقابة الأب كان فى كثير من الأحوال سببا فى الانحراف والغواية ، هذا ولا ننسى أن الأب الذى يعيش بعيدا عن أسرته عدة سنوات تنعدم الصلة النفسية والاجتماعية بينه وبين أسرته ، وتتمزق نفسه ، وقد يجذبه هذا إلى انحراف من نوع ما . وعلى ذلك فلم يكن المال خيرا كله ، بل كثيرا ما عالج مشكلة وخلق مشكلة أخرى .

أما الهجرة الأخرى « الاستيطانية » فقد اتجهت كما قلنا إلى المحيط الغربى بأمريكا أو أوربا أو استراليا ، وكان من هؤلاء المهاجرين عدد كبير من الأقباط المصريين ، وللأسف الشديد نسى بعض المصريين بالخارج علاقاتهم الوطنية ، وتشبثوا بعلاقات دينية ، فقام نزاع ومنافسات بين المسلمين والأقباط هناك ، وعينت الكنيسة المصرية بعض الأساقفة للخدمات ، وكان من أبرز هؤلاء الأنباء صموئيل أسقف الخدمات الذى استطاع أن يوجد وظائف كبيرة لكثيرين من الأقباط فى البنوك الأجنبية والشركات الأجنبية فى الخارج أو التى فتحت لها فروعا بمصر ، وكان هذا الرجل واسع النشاط بارز الكفاءة ، وموضع ثقة من كل الأقباط والمسيحيين بوجه عام ، وعندما قتل الانبا صموئيل مع الرئيس السادات فى حادث المنصة يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ ظهر أن هناك حسابا باسمه فى أحد البنوك السويسرية مقداره ١١ مليون جنيه استرلينى ، وهو ما يعادل ٣٠ مليون دولار تقريبا وكان هناك فى نفس الوقت اقرار من الأنبا صموئيل يحدد أن هذه الأموال أموال الكنيسة ، ولا حق فيها لأحد غيرها ، وبالفعل فقد كانت هذه كلها تبرعات واعتمادات ، وضعت

تحت تصرفه بوصفه أسقفا للخدمات مسئولا عن العلاقات الدولية للكنيسة [١] .

وفيما يتعلق بهذه الهجرة الاستيطانية والمنافسات بين المسلمين والأقباط فى بلاد المهجر فإننى أحب ألا أسير فى عرض هذه المنافسات وظروفها ونتائجها رغبةً فى الحفاظ على الوطن الذى يضم الجميع ، والذى لا يمكن أن يستغنى عنه المسلم أو القبطى مهما طال بعده عنه . فللوطن حنين لا يهدأ ، وبالوطن جذور لا تموت ، وبه أهل لهؤلاء وأولئك أقاموا ولم يهاجروا .

ولكن شيئا واحدا أريد أن أتحدث عنه ، فالمهاجرون من مصر أناس شرقيون على كل حال ، لهم تقاليد وعادات لا يمكن إهمالها ، وقد نما فى الغربة أبناؤهم وبناتهم ، وأوشكت تقاليد الغربة أن تطغى على التقاليد الشرقية ، فالاختلاط الشائع فى بلاد الغرب بدأ يمد جذوره إلى المهاجرين المصريين ، وربما أوشكت فتاة مسلمة أن تقع فى هوى فتى غير مسلم ، وهذا وذاك لم يخلق الاستقرار للأسر المهاجرة وبخاصة للأسر المسلمة ، وكان واضحا كذلك أن الدراسات الإسلامية والعربية التى تُقَدَّم للنشء الإسلامى بهذه البلاد ضئيلة وغير كافية ، ونتيجة لكل ذلك عادت بعض الأسر المصرية إلى الوطن مضحية بالثراء من أجل الاستقرار والمحافظة على الآداب والقيم .

إلغاء زيارة بريجنيف لمصر

كانت قد حددت سنة ١٩٧٤ موعدا لزيارة الرئيس بريجنيف رئيس الاتحاد السوفيتى لمصر ، ولكن اندفاع السادات نحو الولايات المتحدة وأوربا ، وسياسة الانفتاح باعدت بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، ونتيجة لذلك ألغيت زيارة بريجنيف لمصر .

---

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٣٤٧ .

أحداث سنة ١٩٧٥

شهدت سنة ١٩٧٥ مجموعة رائعة من نتائج حرب أكتوبر فإن الرئيس السادات وقع اتفاقية فك الاشتباك الأول فى مطلع عام ١٩٧٤ كما ذكرنا من قبل ، وقد ضمنت هذه الاتفاقية لمصر السيطرة الكاملة على ضفتى القناة ومنذ ذلك الحين بدأت جهود مصر تعمل فى ميدانين مهمين :

الميدان الأول : تعمير مدن القناة ، وإعادة المهجرين إلى أوطانهم .

الميدان الثانى : تطهير قناة السويس لتعود صالحة للملاحة الدولية .

وكان العملان يفيدان اتجاه مصر للسلام ، إذ ليس هناك معنى لتعمير مدن القناة لو كانت مصر تتجه لحرب جديدة ، وقد قدرت الدول لمصر هذا الاتجاه ، فساعدت مساعدات واسعة فى إنجاح هذين الميدانين .

وكانت المساعدة فى الميدان الأول وهو ميدان التعمير خصبة وسخية من العالم العربى ، وقد قدمت المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة فيضا سخيا من المساعدات التى جعلت إعادة تعمير مدن القناة ميسورة وسريعة ، وتقديرا لهذه الجهود سميت بعض مناطق المدن المعمرة بأسماء زعماء هذه البلاد فظهرت مدينة فيصل ومدينة الصباح ومدينة الشيخ زايد .

أما تطهير قناة السويس وإعدادها للملاحة الدولية فقد اشترك فيه مع الفنيين المصريين كل الخبرات العالمية لإزالة كل معوقات الملاحة البحرية فى مجرى القناة ولا يمكن أن ينسى الباحث ما قدمته اليابان والولايات المتحدة وانجلترا من جهود جبارة فى هذا الميدان ، لقد وفدت إلى ساحة القناة ، أخطر الآلات العملاقة وأعظم المهندسين العالميين ، وكان تكتل الجهود داعيا لسرعة النجاح فى تطهير القناة وإعدادها للملاحة الدولية لتستأنف نشاطها فى خدمة الإنسان فى كل مكان والاقتصاد العالمى لكل الدول .

وكان إقدام السادات على تعمير مدن القناة ، وتطهير القناة

وإعدادها للملاحة الدولية عاملى ضغط على إسرائيل ، فقد أحسست أن مصر صادقة فى مسيرتها نحو السلام ، فحدث ما سمى فك الاشتباك الثانى ، أى عودة القوات الإسرائيلية إلى خلف المضايق كما ذكرنا من قبل ، وذلك حتى تكون القناة فى مأمن من أى عدوان ، وحتى يعبرها الناس وهم فى أمان واطمئنان .

واتجهت عقلية السادات إلى جعل يوم ٥ يونيو سنة ١٩٧٥ موعدا لافتتاح القناة ، وتم ذلك فى مهرجان كبير ، والسادات بذلك يدمدم جرحا فى قلوب المصريين ، إذ كان هذا الجرح يؤلمهم كلما جاء اليوم الحزين يوم الخامس من يونيو ، فرأى أنور السادات أن يضع ابتسامة على أفواه المصريين فى هذا اليوم لعلها تكفكف آلامهم .

ولم يقنع السادات بافتتاح قناة السويس ، بل عمل على تطوير القناة وتعميقها ، وجعلها مزدوجة فى بعض أجزائها ، وكل هذا كان تحسينا للخدمة فيها ، ورفع طاقتها إلى درجة كبيرة .

نهاية الملك فيصل

من الحق أن نذكر أن الملك فيصل كان له دور فريد فى حرب رمضان وقد بدأ هذا الدور قبل اندلاع المعركة فقد صرح الرئيس أنور السادات بأنه عرض على الملك فيصل قبل المعركة بفترة نية مصر نحو بدء الصراع ضد إسرائيل ودعا الملك فيصل لمصر بالتوفيق ، ووعد بكل التأييد فى كل المجالات وكان له شرط واحد أن تكون المعركة طويلة فطولها فرصة للثقة والجدية وبالتالى للتجمع العربى والتضامن ، ووعد أنور السادات بذلك .

ومع بدء المعركة وصلت برقية الى الرئيس السادات من الملك فيصل يقول « نؤكد لكم بأننا إلى جانبكم بجميع إمكانياتنا داعين للجيش المصرى المظفر بالنصر والتأييد » .

ودارت المعركة ووقف الرجل عملاقا هائلا كأنه فى غرفة العمليات الحربية ، ويقول عنه الرئيس السادات :

« إن كل ما صدر بعد ذلك عن قضية البترول ، وعن مدّ مصر بكل ما تحتاج إليه ، وعن الوقوف الصلب فى المحيط الدولى ، وعن الدعم للتضامن العربى ، كل ذلك صدر من الملك فيصل دون أن يطلب أحد منه شيئا » .

وعلى هذا فسيظل التاريخ يذكر للرجل دوره الكبير فى المعركة الناجحة .

ومن الواضح أن صدى قطع البترول عن أمريكا كان عنيفا للغاية فلقد أحس كل بيت وكل مصنع بهذه الصفعة الشديدة ، وانطلقت ألوان من التهديدات الثائرة ، ولكن الرجل كان أصلب عودا ، وكان كالجبل الأشم فلم تنل منه هذه الترهات منالا ، وتراجعت التهديدات من تلقاء نفسها ، وسحبها أولئك الذين ظنوا أن صداها سيكون له تأثير على نفس الملك ، مع العلم أن الملك لم يقل شيئا يردّ به على هذه التهديدات ، ولكن صمته كان أبلغ من كل كلام ، فالذين هددوا توقفوا عن التهديد ثم سحبوا هذا الشعار الزائف وتراجعوا ثم سلكوا الطريق الذى يرضى الصف العربى الذى نال بالملك فيصل قوة وثباتا وجلالا .

ولم يكن قرار فيصل عن البترول وليد انفعالات صاحبت المعارك العسكرية وإنما جاء تنفيذا لحكمة ولحساب دقيق ، ومن أجل هذا اجتمعت حول هذا القرار كلمة جميع الدول العربية المنتجة للبترول ، وكانت معركة البترول نموذجا لاستخدام الحكمة والدهاء والمرونة ، التى هزت أنماط التفكير الغربى من أساسه ، فبدأ يعيد الحسابات فى مواقفه نحو العالم العربى وكانت النتائج مذهلة :

— تحركت دول أوربا الغربية لتصدر قرارا جماعيا تطالب فيه بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها .

— تخلت اليابان عن حيادها وأعلنت انحيازها وإيمانها بالقضية العربية ، وبدأت تشارك بصورة فعالة فى عمليات تنمية الدول العربية .

— ثم تحركت الولايات المتحدة وبدأت تبحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط بعد انحيازٍ كامل دام أكثر من ربع قرن نحو ربيبتها المدللة إسرائيل .

— وانتهت إلى الأبد حالة اللاحرب واللا سلم وشرع كيسنجر فى رحلاته المتصلة لنزع الفتيل من الأرض المشتعلة المهددة بالانفجار .

— أفاق العالم بأسره من غيبوبة اللامبالاة ، ومن اعتناق أسطورة الدولة المسالمة التى يريد العرب إلقاءها فى البحر .

وهذا الرجل الذى رفع شأن بلاده وأعز شأنها وأيد المعركة قبل أن تقوم ودعمها وهى مشتعلة ، وناصرها بحزم بعد أن توقفت ، سقط شهيدا فى لحظة كان العالم العربى والعالم الاسلامى بحاجة شديدة إليه ، وكان موته غدرا بيد ابن أخيه المسمى فيصل بن مساعد بن عبد العزيز وقد أطلق عليه هذا الشاب الرصاص وهو يتظاهر بأنه يريد أن يقدم له التحية ، وفى لحظة سريعة أفرغ فى جسد الملك رصاص مسدسه وسقط الرجل العظيم شهيدا فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ (٢٥ مارس ١٩٧٥) وأحدث نبأ اغتيال الملك فيصل دويا هائلا فى العالم كله بوجه عام ، وفى العالم الإسلامى والعربى بوجه خاص وكان الشاب القاتل قد عاد حديثا من أمريكا ولا نستبعد أن يكون قد تأثر بالحنق الذى يذيعه الصهاينة وعملاؤهم ضد الملك الراحل ، فأقبل الشاب على فعلته الطائشة لهذا السبب أو لسواه ، وقد قيل عقب الحادث إن الشاب مختل العقل ، ولكن سرعان ما أثبت الأطباء أنه عاقل مسئول عما فعل ، وبناء على ذلك قدم الشاب للمحاكمة وقد استغرقت

محاكمته عدة أشهر ولما سئل أحد أولاد الملك الراحل عن القصاص قال : وماذا يجدى القصاص من ذلك الشاب بعد أن قضى بفعلته الشنعاء على رجل كان العالم الاسلامى يتطلع إليه ويرقب فضله ، ولكن القصاص على كل حال يحمى الأحياء من مثل هذا التصرف الإجرامى وهو المعنى الذى تشير إليه الآية الكريمة « ولكم فى القصاص حياة » .

وفى صبيحة يوم ١٨ يونية سنة ١٩٧٥ صدر حكم المحكمة الشرعية بإعدام القاتل الأثيم وتم تنفيذ الحكم فى نفس اليوم وصدر بذلك بيان رسمى يقول :

تمّ تنفيذ الإعدام فى المجرم القاتل بناء على حكم أصدرته صباح اليوم المحكمة الشرعية العليا لارتكابه جريمة قتل فقيد الأمة العربيـة والإسلامية المغفور له الملك فيصل ، وكان جلالة الملك خالد بن عبد العزيز قد صدق على الحكم فور صدوره وأمر بتنفيذه عقب صلاة العصر .

وقال الراديو نقلا عن بيان للقصر الملكى إن القاتل اعترف خـلال محاكمته بأنه قتل الملك لكى يضع حدا للإسلام ، وأن جريمته هى جزء من أهدافه لمحاربته هذا الدين ، لعن الله هذا القـاتل الأثيم ورحم اللـه الفقيد وأثابه على ما قدمه لبلاده وللعالم العربى والإسلامى من جهـد وعون (١) .

(١) موسـوعة التـاريخ الاسـلامى للدكتـور احمد شـلبى ج ٧ ص ١٩١ — ١٩٢ .

أحداث سنة ١٩٧٦

أحداث لهذا العام ذكرناها من قبل :

فى سنة ١٩٧٦ حدثت أحداث مهمة ذكرنا بعضها فيما سبق ، كقصة المنابر والأحزاب مما ترتب على ورقة أكتوبر التى تحدثنا عنها ضمن أحداث سنة ١٩٧٤ ونواصل الآن تسجيل أحداث أخرى خلال هذا العام .

إلغاء المعاهدة مع السوفييت وأسبابه :

على أن أهم أحداث هذا العام كان إلغاء المعاهدة مع السوفييت التى كانت قد عقدت فى ١٩٧١/٥/٢٧ ، ولم يكن إلغاء المعاهدة شيئا مفاجئا ، فقد كانت المقدمات البعيدة والقريبة توحى به ، فالقضاء على أعوان السوفييت فى حركة مايو سنة ١٩٧١ وطرد الخبراء الروس فى يوليو سنة ١٩٧٢ ، وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ودول الغرب عقب حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وإلغاء زيارة بريجنيف لمصر سنة ١٩٧٤ وسياسة الانفتاح التى بدأت سنة ١٩٧٤ واستمرت عقب ذلك وما صاحبها من مظاهر الديمقراطية والأحزاب .... كل هذا كان يمهد لإلغاء المعاهدة مع السوفييت ، وكان واضحا لذلك أن إلغاء هذه المعاهدة ليس إلا مسألة اختيار الوقت المناسب لإعلان الإلغاء .

ويقرر محمد ابراهيم كامل أن السادات كان يشعر أن الاتحاد السوفيتى يعاديه شخصيا منذ بداية عهده ، فقد كان السوفييت يأملون أن يجىء على صبرى خلفا لعبد الناصر ، إذ كان لعلى صبرى علاقات تفاهم بالاتحاد السوفيتى ، فلما آل الأمر للسادات بدأ العداء بين السادات والاتحاد السوفيتى ، ويذكر محمد ابراهيم كامل وزير خارجية السادات أن السادات أخبره بهذا الإحساس عدة مرات [1] .

ونعود بعد ذلك لنعدد الأسباب ونشرح الظروف التى دفعت

---

(١) السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٦٧ .

السادات لإصدار قرارٍ بإلغاء المعاهدة مع السوفيت ، تلك المعاهدة التى كانت تحقق لهم فى مصر مكانا ممتازا .

ومن تتبعنا للدراسات السياسية والعسكرية للفترة السابقة على إلغاء المعاهدة يتضح لنا الآتى :

كانت المملكة العربية السعودية حريصة على أن تخفف من تعميق صلتنا بالسوفيت ، ولذلك فعندما تأخر الاتحاد السوفيتى فى إرسال الأسلحة التى كانت لازمة لمصر فى مطلع ١٩٧٢ تلقى الرئيس السادات من الملك فيصل هدية هى « ٢٠ قاذفة — مقاتلة » أملا أن يستحث ذلك الآخرين على تدبير احتياجات مصر ، ويقول محمد حافظ اسماعيل : إن ذلك جعل الاتجاه التسليح الغربى يتخذ مسارا عمليا ، وكان من الطبيعى أن يشجع على استرخاء الارتباط بالسوفييت [١] .

وصارح الرئيس السادات زعماء السوفييت بأن علاقات ضباطنا بمستشاريهم ليست طيبة نتيجة طول فترة الاستعداد ، وطالب باستكمال احتياجاتنا من الذخائر ، وعرض استعدادنا لدفع الثمن بالعملة الصعبة .

ولعل عرض مصر استعدادها لدفع الثمن بالعملة الصعبة كان نوعا من المداعبة أو قل التظاهر بالقدرة ، ولكن السوفييت أخذوا المسألة مأخذ الجد فطالبوا بالثمن فورا على أن يكون بالعملة الصعبة ، وإزاء ذلك طلب الرئيس المصرى أن تسحب القوات السوفيتية من مصر حتى تستغل نفقاتها التى تدفع بالعملة الصعبة لتقدم سدادا لثمن المعدات المطلوبة .

واتفقت روسيا مع أمريكا على ما يسمى « تأمين الاسترخاء » بالشرق الأوسط ، وكان فى ذلك إساءة لمصر من حليفتها روسيا .

---

(١) أمن مصر القومى ٢٠١ .

ولوحت أمريكا بأن مصر طالما استمرت اعتمادها على المعاهدة مع السوفييت فسيقل الدافع الأمريكى لتحقيق تسوية •

وقامت حرب أكتوبر التى تدخلت فيها أمريكا تدخلا مباشرا ، وتعرفت على الثغرة ودفعت إسرائيل لها ، وحمت إسرائيل فلم ترغمها على الانسحاب إلى مواقع يوم ٢٢ أكتوبر وهو موعد إيقاف اطلاق النيران ••••• ويقول محمد حافظ اسماعيل ، إنه ابتداء من ذلك اليوم تأكد هيمنة الولايات المتحدة السياسية والعسكرية على قضية الشرق الأوسط ، وإنه من هنا ولأعوام قادمة ستظل الولايات المتحدة هى المهيمنة على مسار الأحداث بالمنطقة (١) •

وفى فك الاشتباك الأول والثانى لم يكن للاتحاد السوفيتى أى دور مما جعل روسيا تعلن ضيقها ، وأنها ضد أن تقوم اتصالات بين مصر وإسرائيل عن طريق أمريكا دون اشتراك الاتحاد السوفييتى •

ووصلت المسألة قمة سوء العلاقة فى أكتوبر سنة ١٩٧٦ ، فقد أرسلت الحكومة السوفيتية رسالة للحكومة المصرية حول ما أسمته تصريحات رسمية وصحفية تتسم بروح معادية للاتحاد السوفيتى دون أن يتصدى لها الرسميون ، وتتعارض مع روح معاهدة الصداقة والتعاون ، وتؤثر على العلاقات ونوهت هذه الرسالة بالعون العسكرى الضخم الذى قدمه الاتحاد السوفيتى بين عامى ١٩٥٦ و ١٩٧٣ والذى يشمل ٢٠٠٠ دبابة و ٨٠٠٠ مدفع و ١٢٠٠ طائرة وكان ذلك بنصف ثمنها •

ويلاحظ أن هذا العتاد ضاع قسم كبير منه فى الحربين الخاسرتين سنتى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فما كان للاتحاد السوفيتى أن يمن بذلك على مصر ، فهذا القدر الذى ضاع كان فى عهد عبد الناصر الذى فتح أبواب الشرق

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٢ •

الأوسط للاتحاد السوفيتى ، ومهما دفع السوفييت لذلك فلن يقدموا الجزاء المناسب •

وفى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفيتى الخامس والعشرين سـنة سنة ١٩٧٦ تناول بريجنيف العلاقات مع دول الشرق الأوسط فلم يهاجم إسرائيل كالعادة ، بل أعلن استعداد بلاده لتطوير علاقات الاتحاد السوفيتيى مع جميع بلدان المنطقة •

وجاء دور مصر سريعا فى خطاب للرئيس بمجلس الشعب حـول العلاقات المصرية السوفيتية ، وبناء على اقتراحه أتخذ المجلس قرارا بإنهاء معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين البلدين سنة ١٩٧١ وعلقت « تاس » فى بيانها بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٩٧٦ بأن هذا الإجراء دليل جديد على السياسة غير الصديقة التى يتبعها الرئيس السادات تجـاه الاتحاد السوفيتى منذ فترة طويلة ، وأنه بهذا وضـع نهـاية قانونية للمعاهدة التى كانت فى حالة شلل فعلى •

هذا وينبغى أن نذكر أن دعامة مهمة من دعامات الاتحاد السوفيتى بمصر كانت قد انهارت من وقت مبكر ، فمع انسحاب الخبراء الروس من مصر رأى الرئيس إعفاء الدكتور مراد غالب من منصب وزير الخارجية وأسند هذا المنصب الى الدكتور محمد حسن الزيات ، وكان هذا التغيير يحمل معنى واضـحا ، فقـد اختفى عنصر مهم من عناصر الود مـع الاتحاد السوفيتى •

بين نارين :

ما موقف المصريين من إلغاء المعاهدة مع السوفييت ؟

الحق أن الشعب المصرى لم يحس أبدا بعلاقة وثيقة مع الاتحاد السوفييتى ، والقضية الدينية عقبة بين المسلمين والسـوفييت ، وإذا

كان الإسلام حرّم على المسلم أن يتزوج مشركة أو لا دينية لبعد الشقة بين الاثنين ، فإن المسلمين كذلك يحسون ببعد الشقة بينهم وبين الاتجاه الإلحادى عند السوفييت ، وقد لا يعرف كثيرون أن السوفييت ظلوا وثنيين حتى نهاية القرن العاشر الميلادى أى بعد ظهور السيد المسيح بحوالى ألف سنة ، وبعد ظهور الإسلام بحوالى أربعة قرون ، وظل الأباطرة متمسكين بعبادة الأصنام حتى عهد فلاديمير الذى خجل من الوثنية فقرر اختيار دين سماوى سنة ٩٨٨ م وكان اختياره للارثوذكسية مبنيا على مظاهرها وزخارفها وليس على معتقداتها (١) .

ومن هنا فإن الديانات لم تكن قط عميقة فى نفوس السوفييت ، وكان إلغاؤها مع انتصار الشيوعية عملا مقبولا تقريبا بالنسبة للجماهير ، وفى نفس الوقت كان هذا الإلحاد عائقا دون تعمق الصلات بين المسلمين والسوفييت .

فإذا جئنا إلى الولايات المتحدة نجدنا أمام عدو يعلن العداوة ، غرس إسرائيل ويتجه لحمايتها بقوة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ولا يشفع له أنه يتبع دينا سماويا ، لأن العدالة ابرز دعائم الديانات ، والولايات المتحدة أبعد ما تكون عن العدالة فيما يتعلق بالحقوق بين العرب وإسرائيل .

ولذلك فنحن بين نارين ، ولا خلاص لنا إلا بحكومات يقظة مخلصة امينة ، تدير أمورنا بالداخل بعدالة ونزاهة وجد ، وتنظم شئوننا بالخارج بما يحمى ديارنا وأهلينا ومعتقداتنا .

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف جـ ٨ ص ٥٧٩ — ٥٨٠ .

أُحداث سنة ١٩٧٧

انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير :

مع مطلع عام ١٩٧٧ ظهرت هذه الانتفاضة العارمة ، فإن الحكومة كانت قد نفذت مشورة صندوق النقد الدولى ، وأمرت فى ١٦ من يناير سنة ١٩٧٧ ، بخفض الإعانات الحكومية لسلع أساسية مثل الخبز واللحم والسكر والزيت والأرز والصابون وأنابيب البوتاجاز ، وكان ذلك التخفيض يوفر على الحكومة مليارا من الجنيهات سنويا ، ولكن خفض الدعم أو حذفه بالنسبة لملايين المصريين كان يمثل ضربة شديدة •

ومع الإحساس العام ضد حذف الدعم كانت هناك محلات منتشرة بالقاهرة والإسكندرية وغيرهما من المدن تبيع وسائل الترف وسلع المتعة والتسلية ، وقد ظهرت هذه المحلات مع الانفتاح الذى تحدثنا عنه من قبل ، وهكذا عانى الإنسان العادى فى مصر جوعا وحرمانا ، ورأى بعينه وسائل ترف الآخرين فثار واضطرب •

وفى نفس الوقت كان السادات غارقا فى أحلامه ، إذ كان يعتقد أنه فعل للشعب ما لم يفعله أى رئيس ، ولكن الشعب كان يدرك أنه فى القاع ، وأن السادات وذويه والطبقات العليا أخذوا كل خيرات مصر ، ولم يتركوا للشعب إلا الجوع والحرمان •

ومن أحلام السادات أنه كان فى استراحة أسوان ، وكان معه ضيفه الرئيس تيتو الذى شهد مأساة هذه الانتفاضة وقطع الزيارة وعاد لبلاده ، وكان السادات كذلك بأسوان فى انتظار زيارة الملك حسين ، وكان هذا يمثل ترفا فى جانب وفقرا فى جانب آخر ، ولكن السادات لم يكن يحس بذلك بل كان يظن أنه أصبح الزعيم المحبوب ، ويتخذ دليلا على ذلك ما يشاهده من تصفيق الغوغاء له عندما يمر موكبه متجها لزيارة من الزيارات التى كان يقوم بها ، ونسى أن هؤلاء حشدوا له حشدا من الاتحاد الاشتراكى أو من تلاميذ المدارس ، أو من المتفرجين •

ولنعد لتصوير الانتفاضة فإنه بعد رفع الأسعار هدَّد سائقو التاكسيات بالإضراب ان لم يرتفع سعر (البنديرة) تبعا لرفع سعر البنزين ، واستجابت الدولة لذلك ورفعت أسعار المواصلات بالتاكسيات وسيارات الأقاليم .

ثم قامت يوم ١٨ يناير مسيرة عمال حلوان قاصدة مجلس الشعب للشكوى من رفع الأسعار وتحرك طلبة جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ، ثم عمال الترسانة البحرية بالإسكندرية وسرعان ما عمت التحركات مختلف العواصم فى كل المحافظات .

واتجهت بعض التجمعات لمهاجمة مواقع السلطة مثل أقسام الشرطة والمطافىء وظلت المظاهرات حتى الثالثة صباحا ، ثم استؤنفت صباح اليوم التالى (١٩ يناير) وكثرت أعمال التخريب ، وشملت المظاهرات جميع المدن الكبرى من الاسكندرية إلى أسوان وأحرق المتظاهرون الملاهى الليلية وبعض المحال التى تبيع أدوات الترف والبذخ .

ويذكر الأستاذ موسى صبرى أن هذه الحركات كانت قد أُعِدَّت سلفاً بدليل وحدة الهتافات وتشابه الأعمال التى قام بها المتظاهرون من محاصرة أقسام الشرطة والمطافىء ثم الهجوم على المرافق العامة بالطوب والحجارة ، ثم إباحة السلب والنهب والحرائق (١) .

واضطر الجيش للتدخل بعد أن عجزت الشرطة عن السيطرة على الأمور وكان تدخل الجيش رزينا ، فهدأت الانتفاضة بعد خسائر واسعة فى الأرواح والأموال ، وقد رأى السادات من شرفة استراحته مدينة أسوان وهى تحترق .

ويصور أنور السادات نفسه خطورة الحال فى كلامه للأستاذ

---

(١) السادات : الحقيقة والأسطورة ص ٣٨٤ .

أحمد بهاء الدين فيقول : لقد حاولوا مهاجمة بيتى فى الجيزة ، وكادوا يصلون إليه ، وكانت زوجات الوزراء والكبراء يصرخن فى بيوتهن فزعا ويحاولن الاستغاثة بأى مخلوق خوفا من اقتحام الغوغاء البيوت على العائلات ، أما ما كانت تهتف به الغوغاء فى الشوارع فكان غاية فى البذاءة (١) .

وهذه الهتافات التى أشار لها السادات كان منها :

جيهان يا جيهان	الشعب جعان
يلبس آخر موضة	واحنا نسكن عشرة فى أوضة
يسكن فى القصور	واحنا نسكن فى القبور
مش كفاية لبسنا الخيش	عايزين ياخدو منا رغيف العيش

وتراجعت الحكومة فى قراراتها الاقتصادية فأعلن السادات إعادة الدعم كما كان .

وقد شهدت جزءا من هذه الانتفاضة خلال عودتى من كلية دار العلوم الى ضاحية المعادى التى أسكنها ، وكان مقر الكلية فى شارع المنيرة وما إن خرجت من هذا الشارع ظهر يوم ١٨ يناير وبدأت أسير فى شارع قصر العينى حتى واجهتنى مظاهرة من المظاهرات الكثيرة التى عرفت فيما بعد أنها كانت تملأ شوارع القاهرة ، وقد راعنى أننى رأيت فى شارع قصر العينى عددا من السيارات المحطمة ، وعددا من واجهات المحلات التى تناثر زجاجها ، ولم أكن أستطيع أن أجد وسيلة للفرار ، ومع هذا فقد كانت معى عين الله فقد أمرنى الثائرون بالانحراف الى شارع جانبى وهددونى إن عصيت أوامرهم ، وما كان للعصيان سبيل ،

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٢٧ .

فاندفعت الى هذا الشارع الجانبى الذى قادنى إلى طريق الكورنيش ، واتخذت سبيلى إلى المعادى ، واذكر حين ذاك أن شخصا هتف لى ليركب معى سيارتى ولكن ما كنت أستطيع الوقوف ، ولست أدرى كيف نجوت ، ولابد أن أذكر أنها عناية الله •

أما الحكومة فبعد أن أعادت الدعم بدأت تبحث عن محرضى هذا الهياج ، واتخذت من الأحزاب التى كانت قد بدأت حياتها والتى أشرنا إليها فيما سبق عدوا ، معتقدة أن تجمعات حزبى الوفد والتجمع دفعت الشعب إلى هذه الإثارة ومن هنا ضيقت الحكومة على هذين الحزبين مما أدى إلى ما ذكرناه آنفا من أن حزب الوفد جمّد نشاطه ، ومثل هذا تقريبا فعله حزب التجمع ، وقد عاش السادات ما بقى من عمره بعد ذلك وهو يصف هذه الانتفاضة بأنها « انتفاضة الحرامية » •

ويرى الأستاذ محمد حسنين هيكل (١) أن ما حدث فى هذين اليومين كان انفجارا شعبيا له دواع اجتماعية ، ولم يكن قط « انتفاضة حرامية » بدليل أن الحكومة تراجعت وأعادت الأسعار كما كانت •

وتقول الأنباء إن شاه إيران اتصل بالسادات إبان هذه المحنة ، وأعلن له قلقه عليه واستعداده لاستقباله فى طهران اذا رأى ذلك ضروريا ، وهذا يفسر لنا حرص السادات على استقبال شاه إيران وأسرته بمصر عندما نزلت بهم المحنة بسبب الثورة التى قادها الإمام الخمينى •

القوانين الاستثنائية :

أراد السادات أن يؤدب الشعب أو أن يؤدب القوى التى رأى أنها قادت أو حرضت على تلك الانتفاضة ، وهداه تفكيره إلى قوانين استثنائية أجرى عليها استفتاء عقب هذه المظاهرات ، وبالطبع أعلن ان الاستفتاء

---

(١) وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى الاشتراكى ص ٢٤٨ •

حصل على موافقة الشعب بنظام التسعات المكررة ، فهذه النتيجة كانت فى أدراج وزير الداخلية قبل أن يبدأ الاستفتاء .

ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين [1] : إن المهندس سيد مرعى كان يظن أننى الذى أوحيت للسادات بهذه القوانين لأن السادات استدعانى من الكويت وأمضيت معه ساعات طويلة عقب هذه المظاهرات ، وقال سيد مرعى لأحمد بهاء الدين : ما هذه القوانين التى ما أنزل الله بها من سلطان ؟فأجبته بأننى سمعت عنها كما سمعت أنت ، وأن هذه القوانين لا يمكن أن يكون كتبها أحد دارسى القانون ، وأخذت أشرح له ما فى هذه القوانين من مخالفات دستورية لا يقبلها عقل تلميذ فى الفرقة الأولى بكلية الحقوق .

ولكن السادات سار فى طريقه وأجرت وزارة داخليته الاستفتاء وأعلنت هذه الوزارة أن الشعب كله استجاب لهذه القوانين !!

ضرب ليبيا :

شهدت سنة ١٩٧٧ حادثة لا يرتضيها الفكر الإسلامى ولا الفكر المصرى تلك هى غارات الطائرات المصرية على مواقع ليبية على الحدود وربما وراء الحدود ، وفى هذه الغارات دمرت أسلحة وقتل وجرح عدد من الليبيين .

لماذا أمر السادات بهذه الحملة الكئيبة ؟

لقد كان من الثابت فى ذهن المصريين دائما أن القوة المصرية إنما هى لخدمة مصر والعالم العربى ، وأن السلاح المصرى لن يوجه ضد الإنسان العربى وإنما سيكون دائما لحمايته .

---

(١) محاوراتى مع السادات ص ١٣١ — ١٣٢ .

وإذا جاز لى أن أقف وقفة اســتطرادية فاننى أقــرر أن مصر انتصرت سنة ١٩٧٣ بأسلحتها وأسلحة العرب ، وأن العراق انتصر فى صراعه ضد إيران بأسلحته وأسلحة العرب كذلك .

أما أن يتوجه السلاح العربى للعرب فهذا ما لا يرتضيه المصريون ، ولذلك نسأل : لماذا قام السادات بهذا التصرف غير اللائق ؟

يورد الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه « خريف الغضب (١) » بعض الأسباب ، ويورد باحثون آخرون أسبابا أخرى ، ونحن لا نحب أن نسجل هذه الأسباب ، فسياستنا تهدف للتجميع لا للتفريق ، وكــل ما نذكره هنا هو موقف ليس سرًّا ، إنه موقف العقيد القذافى من حرب أكتوبر ، فبينما تجمع العرب بأسلحتهم وأموالهم لمساندة مصر ، كان العقيد القذافى يهتف ضد هذه الحرب ، ويؤكد أن مصر ستهزم فيها ، وأن مصر لم تذكر لــه موعدها ، بل ترك العقيد القذافى ليبيا وذهب إلى فرنسا ليكون صوته أكثر وضوحا ، وكان ذلك جرحــا غائرا فى جســم المصريين جميعا وليس فى جسم السادات وحده .

وأيا ما كانت الأسباب فإن الشعب المصرى لم يستسغ أن تقوم الطائرات المصرية بغارات على الشعب الليبى .

رحلة القدس :

القدس الشريف ، حيث بيت المقدس ثالث الحرمين ، تهفو النفوس لزيارته ، وقد أصبح القدس بعد أن احتلته إسرائيل الغاشمة فى موضع يتعذر على المسلمين ارتياده ، فتوقفت تقريبا رحلات المسلمين إليه .

---

(١) خريف الغضب ص ٢٣١ .



رحلة القدس

وكان المرحوم الملك فيصل طيب الله ثراه يدعو الله أن يمدّ في أجله حتى يتحرر القدس ويزوره الملك ، وهذا الدعاء يهتف به أكثر المسلمين أو كلهم في مختلف البقاع ، ومن أجل هذا كانت زيارة أنور السادات القدس وهو تحت الاحتلال الإسرائيلي تثير التساؤلات والغضب .

ورحلة القدس التي قام بها السادات هي موضوع دراستنا الآن ، وهي لم تكن رحلة دينية ، بل كانت رحلة سياسية ، والحق أن اتصال قادة المسلمين باليهود ليس حدثا جديدا فقد ذكرت صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ١٩/١١/٨٥ أن الاتصالات بين مصر وإسرائيل بدأت من أغسطس سنة ١٩٥٢ فقد كان عبد الناصر يتبع سياسة ترمي إلى التخلص من مصادر المتاعب الأجنبية ليوسع نفوذه في العالم العربي والإسلامي كما ذكرنا من قبل ، ففاوض في السودان ونال السودان استقلاله التام عن مصر وكان كثير من المصريين والسودانيين يعدون مصر والسودان قطرا واحدا ، وأشهد لقد سمعت بأذني عتبا شديدا عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا فكان هناك من السودانيين مَنْ يقول : أما كان من الأوفق أن تكون الوحدة بين مصر والسودان ؟

والحق أن الاتصال الوثيق ماديا وروحيا يجعل ارتباط السودان ومصر ارتباطا طبيعيا ويصوّر الانفصال بينهما محاربة لقوى طبيعية .

المهم أن عبد الناصر تخلص من الصراع حول قضية السودان وأراد أن يتخلص من الصراع مع إسرائيل بطريقة أو بأخرى فبدأ الاتصال بإسرائيل من الشهر التالي لقيام الثورة المشئومة .

ولكن الشيء الذي غاب عن عبد الناصر والسادات هو التعرّف الدقيق على شخصية الرجل اليهودي ، لقد ظن عبد الناصر كما ظن السادات من بعده أنه أمام مفاوض عادي أو حتى عدوّ عادي ، ونسيا أن الرجل اليهودي لا يحمل قلبا كالقلوب التي يحملها الناس ، وليست

به العاطفة التى تجذب الإنسان إلى اللين أحيانا والتفاهم أحيانا أخرى ، إن الإنسان اليهودى معقد ، كثير الأطماع ، بل إن أطماعه لا تقف عند حد ، يتلاعب بالألفاظ ، ويدبر المكائد والمؤامرات ، تسأله فيجيب إجابات تحتمل عدة معان ، وتحاول التوافق معه فيرى ذلك ضعفا منك ويتجه للابتزاز ، وإذا كنت تفاوض فردا واحدا ادعى أنه يعيش فى جو ديمقراطى ويطلب منك مهلة لأخذ موافقة الآخرين على ما اتفقتما عليه ، وهو فى الحق يريد مهلة لمزيد من التشدد حسب الظروف ، وإذا كنت تفاوض جماعة فإن منهم من يقبل ومنهم من يرفض وإذا اتفقت على رأى مع جماعة هبت جماعة أخرى لترفض هذا الاتفاق ، وصدق الله العظيم الذى يقول : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » .

ذلك كان الوضع الذى جعل الاتصالات المصرية مع إسرائيل التى جرت فى أغسطس سنة ١٩٥٢ لم يحقق لها النجاح .

وفى عهد عبد الناصر وبعد الهزيمة الفادحة سنة ١٩٦٧ بدأت إسرائيل تنتهز الفرصة ليتم من جديد لقاء بين مصر وإسرائيل ، وقصة ذلك أن قدرى حافظ طوقان وهو سياسى فلسطينى شهير كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، وكان يحضر لمصر كل عام تقريبا لحضور جلسات هذا المجمع ، وقد طلب منه موشى ديان وزير الدفاع آنذاك أن يقابل جمال عبد الناصر ويبلغه رسالة ملخصها :

إن الروس لن ينفعوه ، والأمريكان كذلك لن ينفعوه ، ولن يستطيع الأمريكان أن يضغطوا على إسرائيل ، وإن أمريكا والاتحاد السوفيتى لا يهمهما نهاية مشكلة الشرق الأوسط بل ربما كان من صالحهما أن يستمر الصراع فى هذه المنطقة .

ولذلك فإسرائيل تدعو عبد الناصر — على الرغم

من كثافة الكراهية والشكوك — أن يجرب التفاهم مباشرة مع إسرائيل ودون وسيط ٠

ويورد الأستاذ أحمد بهاء الدين هذه الرواية ويعلق عليها بقوله : إن إسرائيل لابد أن تكون قد وصلت الرسالة نفسها إلى أنور السادات مرة ومرات [(١)] .

ولم يكن هدف إسرائيل من ذلك تسوية الموقف ، لم يكن ذلك هدفها ابدا ، وإنما كان محاولة لجعل الصراع يتجه اتجاها داخليا ، فالعرب ، وكثيرون من المصريين سيهاجمون من يجلس مع القتلة والسفاحين على مائدة واحدة .

ولنقفز إلى ظروف رحلة القدس لنتساءل : ما دوافعها وما أسرارها الحقيقية ؟

يقول الدكتور صلاح العقاد [(٢)] : إذا كانت رحلة القدس مفاجأة فإن استعداد السادات للاتصال المباشر بإسرائيل كان واردا منذ مدة ، منذ رحلة كيسنجر المكوكية سنة ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ثم شجع كارتر الرئيس السادات على المضى فى هذا الطريق ، وجاءت أحداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ فأوحت للسادات أن الشيوعيين يقفون ضده بتأييد السوفييت ، فأراد أن يلجأ إلى المعسكر الآخر .

وكان السادات يظن أن الحرب ستفتح الأبواب لحل القضية ، ثم ظن أن تعمير مدن القناة وإعادة فتح قناة السويس الحياة ستمهد الطريق للحل وتوحى بأن الحرب استبعدت ، وأن السلام سيأخذ طريقه ، وظن السادات طبيعى مع غير اليهود ، فاليهود لا يحققون أى أمل ،

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٦٥ .
(٢) السادات وكامب ديفيد ص ١٥٩ .

ينتصرون أو ينهزمون ولكن اتجاهاتهم الشريرة لا تهدأ فى حال الانتصار ولا فى حالة الهزيمة ، وحسبك أنهم وقد امتلكوا السلاح الذرى والقمر الصناعى والأسلحة الفتاكة لا يسمحون بقيام دولة فلسطين بجوارهم خشية أن يلقيهم الفلسطنيون فى البحر ! ! !

ويورد الأستاذ أحمد بهاء الدين (١) عدة آراء أوحت إلى السادات بضرورة الرحلة للقدس فيذكر أن كيسنجر قال للسادات بعد الحرب : أمريكا عاجزة يا سيادة الرئيس ، وليس لديك إلا أن تحددوسيلة لاستخدام قوة ضغط الرأى العام العالمى والأمريكى بالذات والإسرائيلى المستعد للسلام ، وتركيز الضغط على بيجين فى القدس •

ويتساءل الأستاذ بهاء الدين : هل توحى هذه العبارة بأن كيسنجر كان فعلا أول من اقترح فكرة الذهاب إلى القدس ؟

وفى مكان آخر يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين إن الرئيس كارتر قال للسادات إن الإسرائيليين غاضبون لأنك ترفض لقاء علنيا مباشرا ورسميا بين الجانب المصرى والجانب الإسرائيلى ، وهم يرون أن مثل هذا اللقاء ، سيكون ذا نتائج مهمة (٢) •

وتعليقى على هذا الكلام أن إسرائيل أوعزت لأمريكا بذلك حتى يعرض السادات اللقاء على أمل فتح الأبواب ، ولكن الأبواب لن تفتح ، ثم إن هذه الرحلة ستحقق لإسرائيل فائدة كبرى لأنها ستفتح الأبواب للخلاف بين الدول العربية وهذا ما كان •

والعجيب أن السادات ظل يتغنى بأن هذه الرحلة كسرت الحاجز النفسى بين العرب وإسرائيل ، ولم يدر ان الحاجز النفسى مصنوع من

---

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٥٠ وما بعدها •
(٢) المرجع السابق ص ١٦١ •

الفولاذ ، وأنه يتعذر كسره ، فالقول بأن الرحلة كسرت هذا الحاجز لا ينطبق ولا حتى على السادات نفسه •

واقتنع أنور السادات بالرحلة ، وكأنه لم يجد وسيلة سـواها ، وراح يخبر بها خاصته وفى مقدمتهم وزير الخارجية إسماعيل فهمى ، ولكن هذا لم يكن يستطيع أن يتحمل هذا التصرف ، فلعله كان يحس بأن الأمل فيها قليل ، ولكن الذى أحسبه أنا أن الرجل خاف على نفسه من التهديدات التى وجهت لمن يشاركون فى هذه الرحلة ، والتى كان الأستاذ يوسف السباعى فيما بعد ضحية من ضحاياها على الرغم من أنه بذل حياته كلها لخدمة العرب والأفارقة •

والمهم أن إسماعيل فهمى تمارض ثم استقال وصـدر قرار بأن يتولى محمود رياض عمل وزير الخارجية ولكن هذا كان أضعف من أن يتحمل هذه المسئولية وأبدى رغبته فى الاستقالة ، وأسـند عمل وزارة الخارجية إلى الدكتور بطرس غالى •

ونستمر مع هؤلاء الوزراء قليلا فنذكر أن محمود رياض حـاول بعد فترة أن يقبله السادات ليعود لعمله بحجة أنه لم يقدم استقالته وأن موقفه فـُهِمَ خطأ ، ولكن أحداً لم يستمع اليه •

أما إسماعيل فهمى فكان يتصور — كما يقول موسى صبرى [١] أن المظاهرات ستقوم فى مصر ضد السادات وضد هذه الزيارة ولكن ذلك لم يحدث ، وقد حاول إسماعيل فهمى بعد ذلك أن يسـتعيد مكانته مـع السادات ، وتوسط له السفير أحمد عبد القادر لكى يعينـه السـادات مستشارا له ، ولكن السادات رفض ذلك ، ووصل الأمر إلى أن إسماعيل فهمى اتصل بمكتب الرئيس وطلب أن يتحـدث مع السـادات ، ولكن السادات لم يستجيب إلى هذا المطلب ، ولم يقبل الاتصال به •

---

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٥٣٦ •

واتجه أنور السادات إلى مجلس الشعب فى ١٩٧٧/١١/٩ ، وألقى خطابا قال فيه : إننى مستعد للذهاب إلى آخر العالم إذا كان ذلك سيحول دون قتل أو جرح جندى واحد أو ضابط واحد من أولادى ..... أقولها الآن : إنى مستعد للذهاب إلى آخر العالم ، سوف تندهش إسرائيل عندما تسمعنى الآن أمامكم ، أنا مستعد للذهاب إليهم فى عقر دارهم ، إلى "الكنيست نفسه للتحدث إليهم

ودهش أعضاء مجلس الشعب لذلك الافتراض ، ولكن هذا المجلس كان مستعدا دائما ليصفق لكل شىء ، فكلمات الرئيس تطلق الأيدى بالتصفيق أيا كانت هذه الكلمات .

أما جماعة المثقفين فقالوا : ليذهب إلى آخر الدنيا كما يشاء ، ولكن لن ينال شيئا من إسرائيل ، إن صيحاته العاطفية لا تصل إلى قلوبهم ، فهذه القلوب قد ماتت تماما أو على الأقل قد تحجرت .

ورفض العرب جميعا هذه المبادأة لحقدهم على اسرائيل وعدم أملهم فى الوفاق معها ، وربما لأن مثل هذه المبادأة كانت أعلى من المستوى الفكرى للكثيرين .

وبدأ التهديد الأحمق يتجه لكل من يشترك فى هذه المرحلة ، وأقول إنه تهديد أحمق أو أسود لأن السياسة عندما تدار بالسيف يكون الفشل هو نتيجتها ، ومن العيب أن يقول إنسان لإنسان : إما أن تتبع رأيى أو أقتلك ، فهذه شريعة الغاب .

ماذا كان رد الفعل لدى قيادات إسرائيل تجاه عرض السادات ؟

إن قيادات إسرائيل أحست بالنجاح ، فطالما أوعزت بأن يتم لقاء بين مصر وإسرائيل كما ذكرنا ، وقد تحقق لإسرائيل باتجاه السادات أكثر مما كانت تتمناه ، فاللقاء كان بناء على اقتراح السادات ، وهو يتم على

أرض إسرائيل ، ومع زعيم أكبر دولة عربية ، وبعرض منه ...... فليأت السادات وليقل ما يقول بعقلية الرجل الشرقى ، وليصفق لـه الناس ليسعد بذلك كما يحدث فى بلاده ، ولكن لا شىء أكثر من هذا .

ومرت بضعة أيام دون رد رسمى من إسرائيل ، وكان ذلك فى حد ذاته يشير إلى جانب من الاستهانة ، وربما لو كان الأمر بالعكس لأسرعت مصر بعد دقائق بدعوة رئيس إسرائيل لزيارة مصر .

وعلى كل حال ففى ١٥/١١/ وجه مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل دعوة رسمية إلى السادات لزيارة إسرائيل ، وأعد ممثلو مصر وإسرائيل تفاصيل الزيارة وكانت رحلة أنور السادات يوم ١٩/١١/سنة ١٩٧٩ وهو يوم وقفة عيد الأضحى وكان من بين الوفد الذى صـاحب السادات د . مصطفى خليل رئيس الوزراء ود . بطرس غالى الـذى أسندت له وزارة الخارجية ، ووصلت الطـائرة المصريـة إلى مطـار بن جوريون الساعة الثامنة مساء ونزل أنور السادات من الطائرة حيث كان فى استقباله زعمـاء إسرائيل وفى مقدمتهم ابراهام كانزير رئيس إسرائيل ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل وموشى ديان وأريل شارون وجولدا مائير ومارداخاى جور وغيرهم من زعماء إسرائيل .

والحق أن أنور السادات كان متماسكا قويا ، وكان يصـافحهم فى ثقة وإيمان ، وربما أطلق نكته مع هذا أو ذاك .

وعلى طول الطريق من المطار إلى القدس كانت هنـاك الجمـاهير المتحمسة تهتف للضيف الكبير وأكثر هؤلاء كانوا من البسطاء والذين أملوا الخير من هذه الزيارة سواء كانوا من العرب أو من الإسرائيليين .

وفى صباح اليوم التالى ذهب أنور السادات لصلاة العيد فى المسجد الأقصى ، ولما انتهت الصلاة اتجه عبر الساحة الواسعة إلى قبة الصخرة ،



الصــلاة فى بيت المقدس

وكما كان هناك جماعات تهتف بحياة أنور السادات فقد وجدت جماعات من المتظاهرين الفلسطينيين يهتفون ضده ويتوعدونه ، وفى الساعة الرابعة من مساء الأحد دخل أنور السادات الكنيست وقد استقبله الأعضـاء بحفاوة بالغة وألقى خطابا طويلا دبجته أقلام بارعة فى الجانب الأدبى وحسن الأداء ، وشمل أفكارا رائعة فى مجال المسالمة كما حوى لقطات صادقة من التاريخ وهو على العموم يعتبر قصيدة رائعة بالغة الجودة ، وقد ألقى السادات خطابه باللغة العربية ، وهناك ترجمة بالانجليزية قامت بها وزارة الخارجية المصرية وراجعها الأستاذ شريف رزق الله ، كما كانت الترجمة العبرية تلقى فى نفس الوقت ، ولعل من المستحسن أن نقتبس سطورا قليلة من هذا الخطاب الحافل لنعلق عليه بعـد ذلك ، ولنتعرف على مداه لدى الإسرائيليين :

— جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكى نبنى حياة جـديدة ، ونقيم السلام على هذه الأرض ، أرض الله ، فكلنا مسلمون ومسيحيون ويهود نعبد الله ولا نشرك به أحدا ، وتعاليم الله ووصاياه هى الحب والصدق والطهارة والسلام •

— يجب أن نرتفع جميعا فوق صـور التعصب وخـداع النفس ونظريات التفوق البالية •

— إن الروح التى تزهق فى الحرب هى روح إنسان ، والزوجة التى تترمل هى إنسانة من حقها أن تعيش فى أسرة سعيدة سواء كانت عربية أو إسرائيلية ، والأطفال الأبرياء الـذين يفقدون رعاية الآبـاء وعطفهم هم أطفالنا جميعا ، لهم علينا المسئولية الكبرى فى أن نوفر لهم الحاضر الهنىء والغد الجميل •

— وقد شاءت المقادير أن تجىء رحلتى إليكم فى يوم عيد الأضحى المبارك وهو عيد التضحية والفداء حين أسلم إبراهيم عليه السلام

جدّ العرب واليهود أمره إلى الله واتجه لتنفيذ أمر الله فى التضحية بولده .

— إننى أعلن للعالم كله أننا نقبل العيش معكم فى سلام دائم وعادل ، ولا نريد أن نحيطكم أو تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الأحقاد والكراهية .

— لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان ، ولكنه تحطم فى عام ١٩٧٣ كان جدارا من الحرب النفسية ، ومن التخويف من القوة القادرة على اكتساح الأمة العربية ، ومن الترويج بأننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك ، وعلينا أن نعترف معا أن هذا الجدار قد وقع وتحطم سنة ١٩٧٣ .

— الحق أقول لكم إن السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال أرض الغير .

— ونعلن أننا نقبل كل الضمانات التى تريدونها من أعظم قوتين فى العالم أو إحداهما أو من القوى الخمس الكبرى ، وهكذا فإنا قابلون أية ضمانات ترضونها لأننا فى المقابل سنأخذ نفس الضمانات .

— هناك أرض عربية احتلتها إسرائيل بالقوة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ، والانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة من يونيو سنة ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل عنه الجدل ولا رجاء عنه لأحد أو من أحد .

— إن قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد وإذا كنتم قد وجدتم المبرر القانون لإقامة وطن قومى على أرض لم تكن كلها لكم بعد أن تركتموها مئات السنين فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على

إقامة دولته من جديد فى وطنه الذى لم يتركه قط ولم يعرف لـــه وطنا ســـــواه •

— وكم سيكون العالم سعيدا عندما نزفّ إليه اتفاق سلام يقـوم على إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأرض العربية التى احتلت ســنة ٦٧ وتحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وبخاصة حقـــه فى تقرير مصيره ، وأن تعيش دول المنطقة فى سلام داخل حدود آمنة وتدار بين هذه الدول العلاقات طبقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة •

وجاء فى ختام هذا الحديث هتاف من أنور السادات قال فيه :

يا أيتها الأم الثكلى

ويأيتها الزوجة المترملة

ويا أيها الابن الذى فقد الأخ والأب

ياكلّ ضحايا الحروب ، املئوا الأرض والفضاء بتراتيل الســلام واملئوا الصدور والقلوب بآمال السلام •

صدى خطاب السادات على زعماء إسرائيل :

يقول الأستاذ موسى صبرى الذى كـــان ضمن الصحفيين المصريين الذين رافقوا السادات : إن خطاب بيجين الذى جاء بعد خطاب السادات كان فى منتهى السوء [(١)] فقد أعلن أن لا عودة لحدود مـــا قبل ١٩٦٧ ولا عودة فى توحيد القدس وكونها عاصمة للإسرائيليين ، ولا عودة فى أن الفلسطينيين لا يمكن أن تقوم لهم دولة على حدود إسرائيل أو أن تقبل إسرائيل إجراء أية محادثات مع منظمة التحرير •

وبيجين بذلك يخرّب كل الآمـــال ويقول موسى صــبرى كذلك إن

---

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٥٣٤ •

القيادة الإسرائيلية كانت تعتقد أن هذه الزيارة للتمويه ، ولذلك فقد أعلنت إسرائيل التعبئة العامة قبل الزيارة .

وتقول السيدة جيهان السادات وكانت بحكم موقعها تتتبع الزيارة من لحظة إلى أخرى :

كانت الكاميرا تمر على وجوه جامدة للزعماء الإسرائيليين ولا يظهر أى انفعال بالتجاوب من أبا ايبان أو بارليف أو عزرا وايزمان (١) وتذكر كذلك أن عزر وايزمان — والمفروض أنه من المعتدلين — دوّن ملاحظة خلال استماعه لخطاب السادات ومرّر الورقة التى كتب عليها الملاحظة إلى مناحم بيجين وموشى ديان ، وقد قرأها كل منهما وأشار بالموافقة وتقول إنها علمت بعد ذلك أن الملحوظة التى كانت على الورقة هى : (لابد أن نستعد للحرب) .

ويقول موسى صبرى لقد سألت بيجين : ماذا تقدّم للسلام بعد كل ما قدمته مصر ؟ سوف نعترف بإسرائيل ، ونعترف بحقها فى الحياة فى سلام مع جيرانها العرب ، فماذا فعلت أنت ؟ ويذكر موسى صبرى أن إجابة بيجين كانت إجابة فظة ، وأنه قال وهو يضع يده على كتف موسى صبرى : يا صديقى نحن لم نطلب منكم الاعتراف بإسرائيل ، فلسنا فى حاجة إلى هذا الاعتراف ، إسرائيل حقيقة دولية .

ويختتم موسى صبرى حديثه عن هذه الرحلة بقوله : لقد عدت من هذه الرحلة وأنا فى قمة التشاؤم (٢) .

وهكذا قدّم السادات كل شىء ولم يأخذ شيئا ، وأقام رحلة وسط ضباب كثيف وسوء ظن متراكم ، فجاءت النتيجة إقبالا من مصر وإعراضا من إسرائيل ولم تثمر هذه الزيارة أية ثمرة .

---

(١) سيدة من مصر ص ٤٧٠ .

(٢) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٥٥١ .

ومرة أخرى كانت القيادات الإسرائيلية تعتقد أن السادات يموه بهذه الزيارة وبإعلان الرغبة فى السلام ، وانه يتخذ من ذلك وسيلة لإعلان الحرب ولذلك أعلنت هذه القيادات التعبئة العامة ، وهذا يدل على أن سوء الظن كان قد بلغ مداه (١) .

نظرة أخيرة لهذه الرحلة :

لو أن السادات درس الشخصية اليهودية لما أقدم إطلاقا على هذه الرحلة ، لقد ذهب بعقل مفتوح ، وقلب عاطفى ليتحدث إلى الجمود ، والصلابة ، وسوء الظن ، ومحاولة الكسب من كل شىء ، وعدم القدرة على العطاء أو الوفاق ، وكان أجدر بالسادات أن يعلن قبوله للدعوات المتكررة للقاء فى أرض محايدة ، أما أن يعرض نفسه من جانب ، ويذهب لدارهم من جانب آخر ، فإن هذا لم يقابل إطلاقا بأى تقدير من هذه الجماعة .

والعجيب أن المجتمع الدولى الذى هزته مفاجأة الرحلة لم يعلق على عدم استجابة إسرائيل لاتجاه السلام ، كأن أخلاق اليهود وموقفهم كان متوقعا لدى المجتمع الدولى .

مقـــــارنة :

إذا كنا قد أوضحنا فيما سبق اتجاهات بيجين الخشنة تجاه مبادرة السادات ، وذكرنا أنه هو وجماعته وقفوا موقفا صلبا دون أية استجابة لإقبال السادات ودعوته للسلام .... أقول إذا كنا قد عرفنا ذلك فإننا نذكر ما توقعه السادات من إسرائيل لمواجهته فى منتصف الطريق حتى تؤتى المبادرة أكلها ، يصف أنور السادات أمانيه بقوله :

أخبرت وايزمان أن تصرفات بيجين ستؤدى إلى ضياع فرصة

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٣٩ .

السلام ، وقد ثبت لى أن بيجين لا يفقه شيئا فى السياسة ، ولو كان لديه حسٌ سياسى لقدَّم لى مقابلا لمبادرتى ، ولكنه عجــز عن فهم مدلول المبادرة ، وقابلها بالتشدد والمراوغة ، مما أثار عليه حنق العالم كله !!! وكان يستطيع أن يقوم بمبادرة بسحب القوات الإسرائيلية فى ســيناء إلى خط العريش رأس محمد ولكن جموده وجشعه أعمياه عن القيــام بأى تحرك [1] .

ونقول لأنور السادات إنه هو الذى لا يعرف أخلاق اليهود ، وعدمُ المعرفة هو الذى دفع السادات لبناء قصر من الأحلام فى الهواء .

ونقل وايزمان رأى السادات إلى بيجين ، وعرض بيجين هذا الرأى على مجلس الوزراء ، ثم أعلن فى مؤتمر صحفى يــوم ٢٣ يوليو ٧٨ أن مجلس الوزراء قرر بأغلبية ساحقة رفض الطلب الذى تقدَّم به السادات لإعادة العريش وجبل سيناء إلى مصر ، لأنه ليس من حق أى شخص أو أية دولة أن تحصل على شىء مقابل لا شىء [2] .

وكان المقابل الذى يطلبه بيجين هو الســماح ببقاء المســتوطنات الإسرائيلية وبعض التسهيلات العسكرية ، كاستعمال مطارات سيناء ، وهى أمور يتطلبها الجشع الإسرائيلى عند النصر والهزيمة .

شىء واحد حققه السادات من هذه الرحلــة ، هو أنه صــار ألمع النجوم ، وكان قد اتخذ الأهبة المــادية لذلك ، فارتدى أغلى الثياب ، ومشى مشية الأبطال ، ووقف شامخا وهو يلقى الخطاب . . . . . . وكل هذا كان مادةً لصفحاتٍ كُتبت عنه فى الصحف والمجلات العالمية ، كما استمعت أغلب الدول إلى خطابه الذى أذيع بلغات مختلفة على أكثر دول العالم بواسطة القمر الصناعى .

---

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٣٣٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧١ .

أحداث سنة ١٩٧٨

اغتيال الأستاذ يوسف السباعى :

كان الأستاذ يوسف السباعى ضمن الوفد الذى رافق السادات إلى القدس ، وكانت بعض الهيئات الفلسطينية قد أنذرت كل من يصحب السادات فى هذه الرحلة بالموت •

ونقف هنا لنقرر أن هذا الإنذار بعيد كل البعد عن الإسلام وعن الحكمة وعن الخلق القويم ، فكأن هذه الهيئة تريدنا جميعا أن نلغى عقولنا وتفكيرنا وأن نتقدم لها لنسألها عن الوسيلة التى نسلكها لتحرير الأرض ، وكأن المعارف تنبع من هذه الهيئة ولا تنبع من سواها ، ويح السياسة عندما ترتبط بالتهديد وإصدار أحكام الإعدام على المخالفين فى الرأى •

وعلى كل حال فقد نفّذ هؤلاء الطائشون وعيدهم ، وقتلوا الرجل العظيم الذى كان واسع الثقافة ، سمح الأخلاق ، رضىّ النفس ، والذى بذل حياته وجهده فى خدمة القضايا العربية والافريقية ، وقد وقع حادث الاغتيال فى قبرص فى فبراير ١٩٧٨ وكان يوسف السباعى يرأس الوفد المصرى فى اجتماعات لجنة التضامن الأسيوى الإفريقى المنعقدة فى نيقوسيا عاصمة قبرص ، وقد ضُرِب يوسف السباعى من الخلف وسقط مدرجا بدمائه ، وذعر الرأى العام فى مصر لهذا الحادث ، فحركة الاغتيالات لا يقرها عقل ولا منطق ولا تفيد من قريب أو من بعيد أهداف الفلسطينيين ، وبخاصة إذا وجهت هذه الحركة العدوانية ضد مصر التى ضحت بفيض من الدم والمال من أجل هذه القضية طيلة عشرات السنين •

فى أعقاب الاغتيال : ١٨ شهيدا من رجال الصاعقة :

وللأسف لم تقف المأساة عند هذا الحد ، فقد أمر أنور السادات بإرسال طائرة إلى مطار لارناكا فى قبرص ، وعلى ظهرها قوة من رجال الصاعقة المصريين ، مهمتهم اختطاف قاتلى يوسف السباعى ، والعودة بهم

إلى القاهرة لتقديمهم إلى المحاكمة ، وانتهت المهمة بفاجعة مريعة هى قتل ثمانية عشر شابا من رجال الصاعقة الذين تعتز بهم الدول ، والـذين يكونون قوة هائلة عند الشدائد ، وقد سقط هؤلاء برصاص من الخلف ، رصاص اطلقته القوات القبرصية .

ولا شك أن هذا التصرف يحسب فى ذنوب السادات ، وسنعود لـه فيما بعد ونحن نتحدث عن زلاته وأخطائه ، ولكنا لا نعفى ساسة قبرص من هذا الإسراف فى العدوان ، وكان يمكن أن نتصرف بطريقة أيسر ، وأن تعتبر خطأ مصر ناشئا عن الأستياء العظيم الذى نزل بالشعب المصرى نتيجة لاغتيال رجل من أبرز رجالها .

إن القرارات السريعة من هنا ومن هناك كانت سببا فى هذه الكارثة الأليمة التى لم يفرح لها إلا أعداء العرب والإسلام .

استفتاء ٧٨/٥/١٤ واختفاء حزب الوفد :

بعد رحلة القدس أصبح السادات هدفا لهجوم متصل من الصحافة العربية ، ومن المعارضة المصرية كما أن اتجاهه للمسالمة مع إسرائيل ، والارتماء فى أحضان أمريكا حامية إسرائيل ، جلب عليه كثيرا من السخط ، وكانت زعامات حزب الوفد هى أهم محرك لهذا السخط ، بل كانت فى نظر السادات المحرك الأعظم للسخط والإثارة ، وفى ساعة حمق اتجه أنـور السادات للاستفتاءات التى تعود أن يلجأ لها كلما أراد أن يضرب ضربة ، ونتيجة الاستفتاءات مؤكدة ، فهى تحقق له مأربه ، وتعطية الفرصة ليضرب باسم الشعب ، والشعب برىء من هذه الضربات الآثمة .

وكان الاستفتاء هذه المرة على صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى ، وحرمان قادة الأحزاب التى أفسدت الحياة السياسية فى مصر من الحقوق السياسية . . . . . . ، وأعلنت نتيجة الموافقة على هذا الاستفتاء بنسبة التسعات المكررة أو نحوها ، وبدأ السادات يضع هذه

النتيجة موضع التنفيذ على هواه ، فجعل الأستاذ فؤاد سراج الدين والأستاذ عبد الفتاح حسن عضو مجلس الشعب آنذاك من هؤلاء الذين أفسدوا الحياة السياسية ، ولم يجعل من هذه الطائفة مَنْ انحسر نفوذه فى الحياة المصرية الجديدة مهما كانت مواقفه من قبل كالأستاذ ابراهيم عبد الهادى .

وأحسّ حزب الوفد أنه المقصود بهذا الاستفتاء ، وأن حرمانه من قادته أمر غير محتمل ولا مقبول ، فجمّد نشاطه فى يونيو سنة ١٩٧٨ ، واختفت بذلك إلى حين تلك القوة الهائلة التى حاربهـا الانجليز والملك فاروق وعبد الناصر وثورته وهؤلاء جميعا متساوون ، يقفون فى صف واحد ضد شعب مصر ، وضد القيادة الوفدية التى آمن بها الشعب والتف حولهـا .

فى الطريق إلى كامب ديفيد :

قلنا من قبل إن السادات بعد الجولة العسكرية الناجحة سنة ١٩٧٣ اتجه للمسالمة والمفاوضة لعله يستطيع أن يحقق عن هذا الطريق مـا عجز عن تحقيقه بالحرب بعد أن ألقت الولايات المتحدة بثقلها فى جانب إسرائيل ، وكان طريق المفاوضـة وعرا وقاسـيا ، فالروح الإسرائيلية لا تعرف التفاهم ، ولا توافق على الالتقاء فى منتصف الطريق ، ولا تميل للتنازل عن أى شىء ، بل تسعى جادة لتأخذ كل شىء ، وأغلب الظن أن السادات لم يدرك طبيعة خصمه ، فهو مرة يتحدث عن السلام مقـابل الأرض واليهود يريدون الأرض أكثر من حبهم للسلام ، ومرة يتجه بحديثه للرأى العام فى إسرائيل كما حدث فى خطابه فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٨١ وكان يعتقد أن الرأى العام فى إسرائيل يميل للسلام ويمكن أن يرغم بيجين ليسير فى طريق السلام ، ونسى السادات أن بيجين نموذج لكل صهيونى ، وأن الرأى العام اليهودى قد يصفق للسادات بيديه ، ولكنه فى نفس الوقت يؤيد بيجين بقلبه وصوته ويميل للنهب والعدوان .

وكان مما دفع السادات الى تحمل صلف بيجين وقسوته أن السادات رأى الرأى العام العربى يناوئه بعد زيارته لقدس ، ورأى التهديدات من كل جانب ، وأدرك أن عملية الإنقاذ الوحيدة أن يسترد سيناء ، وإذا كان العرب قد تخلوا عنه فإن استرداد سيناء من جانب وتحقيق تقدم ما فى مجال الحقوق الفلسطينية من جانب آخر ، ستكون وسليته ليفرض نفسه على المجتمع العربى الذى قال عنه السادات إنـــه يخطب ويتكلم أكثر جدا مما يفكر أو يعمل ، وعلى هذا بذل السادات أقصى جهده فى مجال المفاوضة وتحمل من أجل ذلك أقسى ما يمكن أن يخطر بالبال من عنت اليهود وجبروتهم .

وعلى كل حال نستطيع أن نرصد محاولات المفاوضات فى الخطوات التـــــالية :

أولا : فى الاسماعيلية :

عقد فى الاسماعيلية اجتماع قمة بين السادات وبيجين فى ديسمبر سنة ١٩٧٧ وكان الوفد المصرى مكونًا من مصطفى خليل وسيد مرعى ومحمد كامل ابراهيم ، وقد قدم الجانب المصرى رأيه فى القضية ، وهو رأى واضح يستند إلى القرار رقم ٢٤٢ وخلاصته جلاء إسرائيل عن الأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧ .

وقدم بيجين تصوره ورأيه ، ولم يكن الرأى اليهودى جديدا ، فقد أعلنت كل القوى الصهيونية "ألا" عودة لحدود ١٩٦٧ ، أما الاقتراح الخاص بسيناء فيمكن انسحاب إسرائيل منها على ألا تتقدم القـــوات المصرية بعد مضايق متلا والجـــدى ، وأن تحتفظ إسرائيل بالمطـــارات ومحطات الإنذار المبكر الواقعة شرق المضايق ، وأن تبقى المستوطنات الإسرائيلية بسيناء لسكانها ، وتبقى معها قوات شرطة لحمايتها .

وانضح من ذلك أن الفجوة بعيدة جدا بين المشروعين فيما يتعلق

بسيناء ، أما فيما يتعلق بالضفة وغزة فقد كانت الفجوة أوسع ، وكانت إسرائيل لا تتكلم عن الضفة إلا باسم جوديا والسامرة ، فكأنها أرض صهيونية يسكن فيها بعض العرب .

وفشل الاجتماع تماما ولكن الرغبة كانت متبادلة فى عدم إعلان الفشل ، ولذلك تمّ الاتفاق على تكوين لجنة سياسية ولجنة عسكرية للإعداد لمؤتمر قمة قادم .

ثانيا : فى القدس :

اجتمعت اللجنة السياسية فى القدس فى يناير ١٩٧٨ ، ولم يظهر فى هذا الاجتماع أى تقدم ، وإنما كان الموقف تكرارا لما حدث فى الإسماعيلية ، وكل ما يمكن أن يلمسه الباحث أن إسرائيل عرضت الجلاء عن سيناء بشروطها السابقة ، فكان مبدأ الاعتراف بالجلاء مشجعا للجانب المصرى ، على أن تتجه المفاوضات لتذليل الشروط التى عرضتها إسرائيل ، وعلى كل حال لم يطل عمر اللجنتين اللتين اقترح قمة الاسماعيلية قيامهما ، فجمّدت هاتان اللجنتان .

فبراير ومارس ١٩٧٨ وأثرهما فى المفاوضات :

فى فبراير ومارس ١٩٧٨ اغتيل يوسف السباعى بأيدٍ فلسطينية ، كما ذكرنا آنفا ، ويلاحظ أن منظمة التحرير الفلسطينية أعلنت أنه ليس لها يد فى هذا العدوان ولا تقرّه ، ولكن القاتل كان فلسطينيا على أية حال ، وقد انتهزت إسرائيل فرصة إحساس مصر بالغضب على الإرهاب الفلسطينى ، فاتجهت لغزو جنوب لبنان فى مارس ١٩٧٨ بحجة تأديب من أسمتهم « الإرهابيين » وهم الذين نسميهم « فدائيين » .

ومن أجل هذه الأحداث المتصلة بهذين الشهرين اتجه الضغط لمواصلة الحديث عن سيناء ، أما الحديث عن الضفة وغزة فأصبح فى المكان الثانى

لغيبة أصحاب الشأن من جانب ، ولحدة العلاقة بين الفلسطينيين ومصر من جانب آخر •

وأصبح الجـو ملبدا بالغيوم ، وكثرت الانتقـادات الموجهـة للسادات من المعارضة ، ومن هنا قام السادات فى مايو بالاستفتاء الذى تحدثنا عنه من قبل ، وكان موضوع الاستفتاء يشمل عدة نقاط أهمها الموافقة على صحة معالجة الحكومة لقضية السلا م الاجتماعى ، والحرمان من الحقوق السياسية لقادة الأحزاب الذين أفسدوا الحياة السياسية فى مصر ، ولم يكن موضوع المفاوضات ضمن موضوعات الاستفتاء ، ولكنه فى الحقيقة كان مختفيا فى الظل حتى تسكت الأصوات التى كانت تنتقد مسيرة المفاوضات •

ثالثا : فى قلعة ليدز بإنجلترا :

وبعد أن فشل اجتماع القمة فى الإسماعيلية ، واجتماع اللجنـة السياسية فى القدس اقترحت الولايات المتحدة أرضا محايدة وكـانت انجلترا هى تلك الأرض ، وكان مكان الاجتماع هو قلعة ليدز فى مقاطعـة « كنت » وكان الاجتماع فى مطلع النصف الثانى مـن يوليو ١٩٧٨ ، واشترك فيه وفد من الولايات المتحدة رجاء أن يحقق مـا لم يتحقق فى الاجتماعين السابقين •

وقد ذكرنا من قبل أن أنور السادات طلب مقابلة وايزمان وذكر لـه أنه يلوم بيجين لأن هذا لم يحاول أن يواجه مبادرة السـادات ببعض التنازلات ، وقد نقل وايزمان هذا الرأى الى بيجين وتدارسه مجلس الوزراء كما ذكرنا من قبل • ••••••

وبسبب لقاءات وايزمان مع السادات فى هذه المرة وغيرها تعرض وايزمان لهجوم شديد فى مجلس الوزراء قاده أريك شارون وكان بيجين « يتفرج » على هذا الهجوم ، وحسم وايزمان الأمر حين أعلن أنه ليس من

الحكمة أن يحاول أنور السادات إيجـاد الفرقة داخل صـفوف حكومة إسرائيل [1] .

وفى هذا الاجتماع كان نصيب الضفة وغزة كبيرا ، وعرض فى هذا المجال المشروع المصرى والمشروع الإسرائيلى ، وكان الفرق واسعا بين المشروعين ، فمصر تريد تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الـذى يحتم عدم ضم أية أرض بالقوة ، والذى يلزم إسرائيل بالانسحاب ، ويقدم المشروع ضمانات للأمن كاملة تشمل ست نقاط هى :

١ — إقامة مناطق منزوعة السلاح .
٢ — إقامة محطات إنذار مبكر تدار بواسطة طرف ثالث على جانبى الحدود .
٣ — وضع قوات الأمم المتحدة على طول الحدود وشرم الشيخ .
٤ — اعتبار مضيق تيران ممرا دوليا مائيا .
٥ — إقامة مناطق تحدد فيها نوعيات الأسلحة .
٦ — إنشاء لجنة عسكرية مصرية إسرائيلية .

وهذه النقاط تغطى الأمن الإسرائيلى عند الانسحاب من الضفـة وغزة وسيناء .. [2] .

أما المشروع الإسرائيلى فكان بعيدا جدا عن ذلك ، فهو لا يثق فى قوات الأمم المتحدة ، وهو يزج بالإرهاب ويكرر الخوف منه ، وهـو يعتقد أن الأرض بالضفة وغزة أرض إسرائيلية ، ويريد تنظيم حيـاة الفلسطينيين بها فقط ، فهم بها يحكمون أنفسهم تحت سلطات إسرائيل .

فـالحكم الذاتى فى نظر إسرائيل هـو عدم التـدخل فى حيـاة « الفلسطينيين العرب » والسـماح لهم أن يعيشوا جنبا إلى جنب مـع

---

(١) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .
(٢) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

الصهاينة وأن يلْغَى الحكم العسكرى ، ويتولى هؤلاء أمورهم بأنفسهم مع بقاء الاحتلال الإسرائيلى •

وهكذا لم تنجح اجتماعات ليدز ولم تتقدم أى تطور فى المشكلة وكان الموضوع بالنسبة للقدس أكثر صعوبة •

ويقول محمد ابراهيم كامل إن فانس وزير الخـارجية الأمريكى أدرك التعنت الإسرائيلى ، وهدّد بأن الرئيس كارتر سيتدخل بحسم ويعلن سبب إخفاق المفاوضات ، ويعود باللائمة على إسرائيل •

ويقرر محمد ابراهيم كامل كذلك أننا رفضنا عدم الالتزام باجتماع تالٍ لعجزنا عن إحراز أى تقدم فى هذه الاجتماعات [1] •

أدل التقارب العربى ونتيجته :

كان من نتيجة الدفاع المصرى القوى عن الضفة وغزة وإبراز حقوق الفلسطينيين والتمسك بها ، أن وجد فى الساحة العربية تقدير لهـذه الجهود المصرية ، ومحاولة دعم التقارب العربى الذى كانت مبادرة السادات قد هزّته ، فنشط محمود رياض أمين الجامعة العربية لتنمية هذه الجهود ولتقوية الصف العربى ، وتهيأت مصر للاستجابة لذلك ، فى مقابل الصلّف الإسرائيلى والتعنّت بيجين ، وأوشك الســادات أن يفلت من القبضـــة الأمريكية اليهودية •

ولكن انفلات السادات من القبضة الأمريكية الإسرائيلية كان أمراً لا ترتضيه أمريكا ولا إسرائيل ، فقد كانت إسرائيل حريصة على تفتيت الصف العربى ، وعلى المحافظة على إبعاد مصر عن الدول العربية ، ثــم إن تدهور الحالة فى إيران وإحساس أمريكا بعجز الشاه عن السيطرة على الأحوال كانت من الأسباب التى دعت أمريكا أن تحاول الوصول إلى اتفاق بين مصر وإسرائيل ليساعد ذلك على الاستقرار فى المنطقة ضمانا لمصالح

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٢ •

أمريكا فى هذه المنطقة الحيوية ، وعلى هذا أعلن كارتر أنه سيدعو الزعيمين السادات وبيجين الى اجتماع ثلاثى فى كامب ديفيد .

اجتماعات كامب ديفيد ونتائجها

تمت اجتماعات كامب ديفيد فى سبتمبر سنة ١٩٧٨ ، وقد كررت مصر موقفها من الالتزام بتنفيذ قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ وناورت إسرائيل كعادتها واستمرت المباحثات اثنى عشر يوما ، وقد حاول السادات أن يشترك الملك حسين فى هذه الاجتماعات أو يشرك الفلسطينيين ولكن هذه المحاولات لم تنجح ، وكان شبح الفشل يبدو من حين إلى آخر ، ويقول الأستاذ الدكتور صلاح العقاد [1] إن السادات كان أمامه خياران : إما أن تتقطع المباحثات أو يتساهل فى موضوع الضفة وقطاع غزة ، وكان الرئيس السادات يحسب ألف حساب لإخفاق المباحثات ، ويرى أن العرب والسوفييت سيشمتون فيه ، وسيثبت أن الذين عارضوا المبادرة كانوا على حق ، ومن أجل ذلك ظهرت سلسلة من التنازلات فى موضوع الضفة والقطاع بل فى موضوع سيناء .

وقد أسفرت اجتماعات كامب ديفيد عن اتفاقيتين أعلنتا فى ١٧ سبتمبر هما :

١ — كانت الاتفاقية الأولى حول « إطار السلام فى الشرق الأوسط » وهى تدعو الدول العربية التفاوض لتحقيق السلام مع إسرائيل على أساس قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٣ — ٣٣٨ وعلى أساس المبادىء التالية :

عن الضفة وغزة : وضع ترتيبات لفترة انتقالية يتحقق فيها الحكم الذاتى لهاتين المنطقتين وعند انتخاب سلطة الحكم الذاتى تتوقف

---

(١) السادات وكامب ديفيد ص ١٨٠ .

الحكومة العسكرية والإدارة المدنية الإسرائيلية عن ممارسة مهامها ، ثم تنسحب القوات الإسرائيلية فيما عدا ما يتقرر بقاؤه منها فى نقاط محددة لأغراض الأمن •

ويكون ذلك فى حدود الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحاجاته العادلة •

٢ — أما الاتفاقية الثانية فكانت حول « إطار العقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل » وذلك خلال ثلاثة شهور أى حتى ١٧ ديسمبر ١٩٧٨ ويشمل هذا الاطار الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من سيناء إلى منطقة الحدود الدولية ، ويكون ذلك خلال ثلاث سنوات واستخدام مصر المطارات التى أنشأتها إسرائيل بسيناء لأغراض مدنية فقط ، وحق السفن الإسرائيلية فى الملاحة فى خليج وقناة السويس على أساس اتفاقية القسطنطينية ، واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة مياها دولية مفتوحة للجميع •

وتنسحب إسرائيل خلال تسعة أشهر إلى خط العريش — رأس محمد وعقب ذلك تنشأ علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل بما فيها الاعتراف الكامل ، وإنشاء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية وعوائق حرية الحركة للأفراد والسلع ، ثم يتم الانسحاب عقب ذلك من كل سيناء على مراحل خلال المدة الباقية من السنوات الثلاث ، وسنشرح هذه المراحل عند حديثنا عن المعاهدة التى نظمت ذلك ضمن أحداث سنة ١٩٧٩ •

ثم توضع ترتيبات الأمن التى تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق مقيدة التسليح ومحطات للإنذار المبكر ، وانتشار قوة دولية لحراسة الحدود (١) •

---

(١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٤٥٢ — ٤٥٣ •

نقد الاتفاقية الأولى :

أولا : كان الحكم الذاتى فى نظر إسرائيل كما وضحه بيجين ينطبق على السكان لا على الأرض ، فالأرض فى تقديره إسرائيلية ، يعيش فيها اليهود والعرب ، وللعرب أن يحكموا أنفسهم فى نطاق السلطة الإسرائيلية العامة كما ذكرنا من قبل .

أما المفهوم العربى فكان بعيدا كل البعد عن ذلك ، فهو يرى أن الأرض عربية تماما ، وعلى المحتل الإسرائيلى أن يخرج منها ليكوّن فيها الفلسطينيون دولتهم المستقلة ، وشتان بين المفهومين ، ومع خروج إسرائيل من الضفة وغزة تنتهى المستعمرات الإسرائيلية بالمناطق العربية كما حدث فى سيناء ، أو تبقى تحت حكم الفلسطينيين .

ثانيا : قضية الأمن التى وردت فى هذا الاتفاق فسرها الجانب الإسرائيلى على أنها أمن إسرائيل وحدها ، واتخذت إسرائيل كل الاحتياطات طبقا لهذا الفهم .

ثالثا — أدخلت الاتفاقية الأردن فى الالتزامات مع أن المملكة الأردنية لم تكن ممثلة فى المفاوضات ، فقد نصت على أنه عقب نهاية الفترة الانتقالية (مدتها ثلاث سنوات) يجرى الاتفاق مع الأردن على تحديد الوضع النهائى ، ويجوز أن يشترك الفلسطينيون فى هذه المباحثات ، والفلسطينيون لم يكونوا أيضا طرفا فى المباحثات .

رابعا : تلتزم الاتفاقية سلطات الحكم الذاتى والحكومة الأردنية أن تقيم علاقات مع إسرائيل على نمط العلاقات التى وردت فى الاتفاق بين مصر وإسرائيل .

خامسا : أصر بيجين على إضافة عبارة (مجلس إدارى) بين قوسين

أمام عبارة (سلطة الحكم الذاتى) وبهذا أصبح هـذا الحكم خاصـا بالأمور الادارية وليس له اختصاص تشريعى أو سياسى •

سادسا : لم تشمل الاتفاقية موضوع تجميد المستوطنات الإسرائيلية وهذا يفتح الباب لمزيد من الزحف الإسرائيلى فى الأرض العربية •

سابعا : سقطت الإشـارة إلى القدس نهائيا واكتفى بخطابات متبادلة بين الأطراف ، وليس لهذه الخطابات أية قوة قانونية وليست ملزمة لإسرائيل ، وبخاصة أن إسرائيل كانت قد قررت فى يوليو ١٩٦٧ أن مدينة القدس موحدة وأنها عاصمة إسرائيل •

هذا مـا نراه من أهم بنود النقد فيما يتعلق بالاتفاقية الأولى ، أمـا نقد الاتفاقية الثانية فيجدر بنا أن نؤجله لنورده عقب إيراد أهم نصوص المعاهدة التى وضعت الاتفاقية الثانية دعائمها ضمن حديثنا عن : أحداث سنة ١٩٧٩ فيما بعد •

وقبل أن نترك هذا الموضوع لا تزال أمامنا لقطات ينبغى أن نسجلها هنا ، فهى ترينا بعض الأحداث التى أثرت على مجريات الأمور ، كمـا ترينا اتجاهات الأطراف المتعددة تجاه هذا النزاع :

لقطات ترتبط بمصر :

١ ـــ تحملت مصر عبئا واسعا وثقيلا تجاه القضية الفلسطينية منذ ظهورها ، وضحت من أجل ذلك بفيض من المال والدماء ، مما كـان من أسباب الإرهاق الاقتصادى الذى تشهده مصر ، وفى نفس الوقت كانت هناك دول عربية تقدم للقضية كلاما وخطبا فقط ، وقد أراد زعماء الكلام أن يتحكموا فى قضية مصر ، وأن يستعملوا الخطب فى هذا المجال كما استعملوها فى القضية الفلسطينية ، ولم يكن من الممكن أن تترك مصر دول الخطب تتحكم فى مصيرها •

وقد عبر أنور السادات عن مشكلات مصر بقوله : إنه لا يستطيع أن يربط مصير مصر بما تثيره بعض الدول العربية وما تتحمله هذه الإثارة من شكوك وتردد وعجز عن اتخاذ القرارات ، وإن مصر قد تحملت العبء الأكبر من التضحيات ولا تسمح حالتها بالاستمرار فى هذه الأوضاع إلى أجل غير مسمى (١) •

٢ — الرفض العربى الدائم أضعف موقف السادات ، ولم يكن هناك من سبيل إلى إجماع الجانب العربى على موقف واحد تجاه المفاوضات مما جعل السادات يتخذ الخطوات بنفسه لحل المشكلة المصرية فالشعب المصرى هو القابض على النار •

٣ — كان السادات يعانى خلال المفاوضات معاناة شديدة بين النقد العربى المرير من جانب ، والتصلب الإسرائيلى الخشن من جانب آخر •

٤ — حرصت إسرائيل بوسائل متعددة على إبعاد مصر عن العرب ، فلما تمَّ لها ذلك ، وأحست بالجفوة العربية للسادات أسرفت فى التحكم فيه •

٥ — كانت حالة مصر وقت المفاوضة تدفع لقبول السلام بشكل أو بآخر ، وقد عبر السادات عن ذلك بقوله لوزير خارجيته آنذاك محمد ابراهيم كامل : إنك لا تعرف شيئا عن أحوال **مصر الداخلية ، ولقد ترك لى عبد الناصر تركة مثقلة بالهموم ، والمشاكل ، وإن أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية فى غاية السوء ، وكل مرافق البلد منهارة ، ولن تسطيع مصر أن تخرج من أحوالها إلا إذا حصلت على السلام وكرَّست كل مواردها للتنمية** (٢) •

---

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٧٨ — ٧٩ •

(٢) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٥٩٦ •

ويلاحظ أن الدول العربية عرضت فى هذا الوقت على مصر مبلغا سخيا لمعالجة مشكلاتها الاقتصادية بشرط عدم السير فى طريق عقد معاهدة مع إسرائيل ، ونحن نتساءل : أين كان هذا السخاء من قبل ؟

٦ — مما يؤخذ على السادات أنه كان فى المفاوضات يعمل وحده ، ويرى من حوله أشبه بالرموز الروتينية ، بل كان يصرّح أحيانا لهم بأنهم لا يفهمون فى السياسة ، كما حدث فى موقفه من الدكتور نبيل العربى عندما اعترض هذا على الخطابات المتبادلة بشأن القدس ، وقال : إنها ليست لها أية أهمية قانونية ، ومما يؤخذ عليه كذلك أنه فى مثل هذا العمل الكبير كان يخشى شماتة الاتحاد السوفيتى وحافظ الأسد والقذافى ، وهو من أجل ذلك يريد نتيجة لمبادرته حتى لو كانت نتيجة تنقصها بعض عناصر النجاح ، ولا شك أن التحرك بدافع هذا الإحساس خطأ سياسى كبير •

لقطات ترتبط بإسرائيل :

١ — كان لإسرائيل مطالب فى المفاوضات هى صورة من صور الابتزاز التى سجلها التاريخ لليهود من مطلع ظهورهم على الساحة البشرية ، كان اليهود أسوأ من موقف « كوهين » فى المسرحية العالمية الشهيرة (تاجر البندقية) وكانوا « فَمًا » واسعا يتطلع لابتلاع كل شىء ، ليس فقط لازدراد كل الطعام الذى على المائدة ، بل لازدراد أدوات المائدة أيضا ، ففى المشروع الذى قدمه بيجين للسلام بدت « وقاحته » كما يصفه وزير الخارجية المصرى فهو (بيجين) يقول : « عندما نوقع اتفاقية السلام يستطيع الجيش المصرى البقاء فى خط لا يتجاوز ممرى متلا والجدى ، أما باقى سيناء (وهو أكثر من ثلاثة أرباعها) فتكون منزوعة السلاح ، وتحتفظ إسرائيل بمطاراتها العسكرية فيها ، وبمحطات الإنذار المبكر ، وأما المستوطنات بين رفح والعريش ، وبين إيلات وشرم الشيخ فتبقى كما هى ، وستكون مستوطنات مدنية ، ولكن هناك مبدءا

يهوديا مقدسا بألا يشترك المدنيون بدون حماية عسكرية ، لذلك سنحتفظ بقوات قليلة لحماية هؤلاء المستوطنين المدنيين [١] .

٣ — هذا فيما يتعلق بسيناء ، أما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة فقد أعلن اليهود أن القدس موحدة ، وتابعة لإسرائيل وهى عاصمتها ، كما كانوا يتحدثون عن الضفة بأسماء يهودية ، فيقولون « يهودا والسامرة » ويرون أن الأرض أرضهم وأنهم لم يدخلوا أرضا جديدة ، وإنما هى أرضهم استعادوها ، وكان حديثهم فقط عن الشعب العربى الذى يعيش فى هذه الأرض ، وكيف يعملون ليسمحوا له بالحكم الذاتى ، وقد ذكرنا ذلك من قبل .

٣ — كان بيجين يتحدث بصلف ووقاحة كما يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين [٢] ، وقد وصل من وقاحته أن أعلن استعداد إسرائيل لإعادة سيناء إلى مصر بشرط واحد هو أن تخرج مصر من العروبة ، وعندما أحس أن هذا الشرط مرفوض من أساسه ، وأنه لا توجد قوة تستطيع أن تحققه ظهر بأنه لا يريد السلام أصلا ، ولا يريد أعادة شبر من سيناء ولا يهمه اذا وقع أى صدام مع السادات ينهى المفاوضات .

وقد بلغ اليأس بالسادات قمته فى كثير من الحالات نتيجة توقف بيجين عن الاستمرار فى مسيرة السلام ، وتصف السيدة جيهان السادات ذلك بقولها : اتصلت بـه (الرئيس السادات) أسأله كيف تسير المحادثات ؟ فأجاب : بيجين صعب جدا ، ومعقد جدا ، ولكن السيدة جيهان شجعت زوجها ، وأوصته بالصبر ، فأجاب : أنني أحاول وأحاول وأحاول ، ولكن الأمر غير مشجع .

وهناك مطالب أخرى لإسرائيل سنراها عندما نعرض اتفاقية السلام ونحلل بنودها .

---

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٤٥ .
(٢) محاوراتى مع السادات : ص ١٧٣ .

لقطات ترتبط بأمريكا :

١ ــ كان السادات يتوق إلى أن يصبح حليف أمريكا ، وكان يعلن دائما أن الحل فى يــد أمريكا ، وأن أمريكا هى القوة الأولى فى العالم ، وكان أحيانا يبدى استعداده بأن يكون رجل أمريكا ومساندا للنظم التى فى فلكها كنظام موبوتو فى زائير •

وظن السادات أن هذا يساعد على حل القضية ولكنه نسى مكانة إسرائيل بالنسبة لأمريكا ، فإسرائيل ليست حليفة أمريكا فحسب ، ولكنها قلب أمريكا الخفاق •

وكانت أمريكا تتعاطف مع مصر مجرد تعــاطف ، وعندمــا تحس أمريكا بتعسف إسرائيل لا تملك أمريكا إلا أن تتوسل لإسرائيل لتيسير الأمــر •

٢ ــ وقد وصل الأمر بأمريكا أن تعهدت لإسرائيل ألا تقدم أى مشروع لتسوية القضية إلا بعد عرضه على إسرائيل وأخذ موافقتها عليه ، وعلى هذا كانت الاقتراحات الأمريكية شديدة التأثر باتجاهات إسرائيل ، بل كانت صورة من هذه الاتجاهات فى كثير من الأحوال [١] •

٣ ــ وسنرى فيما بعد أن معاهدة السلام وقعت فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ وبعد يومين اثنين أى فى يوم ٢٨ مارس وقّعت أمريكا مع إسرائيل اتفاقا يرتبط بهذه المعاهدة خلاصته التزامات أمريكا تجاه إسرائيل ، فإذا كانت أمريكا ضغطت على إسرائيل لتترك المطارات التى أعدتها فى سيناء ، فإن أمريكا تعهدت ببناء مطارات بديلة لإسرائيل ، وإذا كانت إسرائيل حُرمت بترول سيناء ، فإن أمريكا تتعهد بتوفير احتياجات إسرائيل من البترول لمدة ١٥ سنة ، وهناك التزامات أخرى كثيرة فى هذا الاتفاق ، والذى

---

(١) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٥٦١ •

أريد أن أقوله هنا أن المفاوضات حول هذا الاتفاق كانت تجرى خـلال المفاوضات المرتبطة بالمعاهدة المصرية الإسرائيلية ، وما إن وقعت المعاهدة حتى تم هذا الاتفاق الذى كانت مفاجأة غير سارة لمصر ، وسنورد خلاصة وافية لهذا الاتفاق عقب حديثنا عن المعاهدة ضمن أحداث سنة ١٩٧٩ إن شاء الله •

لقطات ترتبط بالعرب :

هناك كثيرون من العرب يستطيعون النقد والكلام ولا يستطيعون العمل ، وذلك شىء يؤخذ عليهم ، فهم يحاربون بالخطب الرنانة ويرفضون كل شىء ، ويقترحون المستحيلات فإذا لم يتحقق اتخذوا الهجوم وسيلة لهم ، على من يحقق الممكنات •

وما إن تم اتفاق كـامب ديفيد حتى عـلا صراخ العـرب وارتفع تهديدهم ، وفى تقديرى ليس هذا أسلوبا حضاريا ، وأنا هنا لا أدافع عن أنور السادات ، وقد انتقدت كثيرا من أعماله كما يرى القارىء ، بل انتقدت قرارات كامب ديفيد ، ولكن السؤال هو : هـل كان يمكن أن ننال أكثر من هذا ؟ ومـا الوسائل ؟

الإجابة واضحة فإن هذه المفاوضات أعادت سيناء إلى مصر ولـو بتسليح محدود ، أمـا الجولان التى كان يمكن أن تعود إلى سـوريا الوطن الأم فى نفس الوقت ، فقد أعلنت إسرائيل ضمها لها سنة ١٩٨١ ، ولا يعلم إلا الله مستقبلها ، أمـا الضفة وقطاع غزة فلا تزالان تعانيان من الاحتلال اليهودى المرير ، وتتجه التحركات بالنسبة لهما إلى المطالبة بعقد مؤتمر دولى وهو طريق طويل وشاق ، وإسرائيل للأسف لا تحترم قرارات مجلس الأمن ولا هيئة الأمم المتحدة ، ومن خلفها أمريكا تدعمها وتدافع عنها •

ويصف اللواء محمد حافظ إسماعيل حالة العرب المحزنة فى هـذه

الفترة من التاريخ بأنها كانت حالة تدعو للقلق والخجل ، فحرب أهلية فى لبنان طال مداها ، وبوادر أزمة بين العراق وإيران انقلبت إلى حرب ضروس ثمانى سنوات ، وحركات إرهــاب تضر ولا تنفع ، وقيــادات فلسطينية متنوعة ومختلفة ، وصراعات بين مجموعة وأخرى من البلاد العربية ، واضطراب اقتصادى نشأ عن انهيار أسعار البترول ...... كل هذا سبَّب ما أسماه « الغياب العربى » الذى ترك الساحة لإسرائيل تعربد ليس فقط فى الضفة وغزة ، بل امتدت عربدتها إلى لبنان ، وضربت المفاعل الذرى فى العراق ، ومركز منظمة التحرير فى تونس [١] .

والعجيب أن بعض القوى المتهافتة التى لاتزال تسير فى فلك مــا يسمى (الناصرية) تعارض اتفاقيتى كامب ديفيد ، وكان على هؤلاء أن يخجلوا وأن يتواروا عن الأنظار ، فما جلب الاحتلال لهذه الأرض التى نصارع بالدم والمال والعرق لتحريرها إلا زعيم الناصرية حسابه على الله .

وبعد أيام من إعلان اتفاقيات كامب ديفيد أى فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٨ ظهرت جبهة سمت نفسها « **جبهة الصمود والتحدى** » واجتمعت بدمشــق ولــم يكن لهــا برنامج بنّاء عــلى الإطلاق ، ولا خطــة لتحقيق هدف عربى نبيل ، إنما برعت فى الشتائم والتهديدات ، فزادت الفرقة بين العرب حدة واتساعا ، وكانت هذه الجبهة تتكون من ليبيــا وسوريا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقررت هذه الجبهة رفض اتفاقيتى كــامب ديفيد وقطع العلاقات السياســية والاقتصادية مع « النظام المصرى » والدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربى .

مؤتمر بغداد :

استجابة لمــا طلبته جبهة الصمود والتحدى عقد مؤتمر قمة عربى

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٤٧٠ بتصرف .

فى بغداد فى أول نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، لينظر فى هاتين الاتفاقيتين ، وقرر المجتمعون أن اتفاقيتى كامب ديفيد تتعارضان وقرارات القمة العربية ولا تؤديان للسلام العادل ، وأرسلوا وفدا إلى القاهرة لمناشدة الرئيس السادات العدول عن هاتين الاتفاقيتين ، ولكن السادات رفض استقبال الوفد ، وعلى هذا قرر المؤتمر أن القاهرة إذا وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل فإن عضويتها فى جامعة الدول العربية تعلق ، وبالتالى فإن مقر الجامعة العربية سينقل من القاهرة إلى تونس .

وقرر المؤتمر كذلك تقديم مساعدة مالية قاربت ثمانية مليارات من الدولارات سنويا لدول المواجهة ومنها مصر إذا لم تسر إلى نهاية الشوط ، ولم توقع المعاهدة مع إسرائيل ، ويتساءل المطلعون أين كان هذا السخاء عند الأزمات التى مرت بمصر فى عهد احتلال إسرائيل اسيناء ونهبها للبترول المصرى ؟ لقد جاء السخاء بعد فوات الاوان .

وربما جاز لنا أن نقفز لنذكر أن مصر وقعت فعلا معاهدة سلام مع إسرائيل فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ كما سنذكر فى أحداث سنة ١٩٧٩ وفى اليوم التالى (٢٧ مارس) اجتمع وزراء الخارجية والاقتصاد العرب فى بغداد لتنفيذ قرارات مؤتمر القمة ، فقرر الوزراء ما يلى :

١ — قطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع مصر وبالتالى سحب السفراء العرب من القاهرة .

٢ — تعليق عضوية مصر فى جامعة الدول العربية ، ونقل مقرها بصفة مؤقتة إلى تونس .

٣ — وقف القروض والمساعدات الاقتصادية إلى مصر .

ويحدث هذا لمصر مع أن الدول العربية لم تقطع علاقاتها بحكومة الكتائب فى لبنان مع ان هذه الحكومة لم تقنع بعلاقات مع إسرائيل بل دعتها لغزو لبنان وضرب المقاومة الفلسطينية بـه ، وتدخلت مصر بكل

ثقلها لحماية ياسر عرفات من عدوان كان محققا ، ومع هذا ظلت العلاقات العربية مع لبنان تسير فى طريقها ، وظل العون الاقتصادى العربى يتدفق على لبنان ، يالله ! !

وانتهى عام ١٩٧٨ بهذه الآلام وبمبادىء القطيعة التى تمت سنة ١٩٧٩ ، وهى قطيعة لا تسمح بها ظروف العرب ، فلا مصر تستغنى عن العرب ، ولا العرب يستغنون عن مصر ، وإذا كان أغنياء العرب قد فرحوا لتوقف مساعداتهم لمصر ، فقد كان واجبا عليهم أن يتذكروا مساعدات مصر للعرب طيلة عهود طويلة ، وأقرر أن الشعب العربى واصل صلاته مع مصر ، فوفود السياح لم تنقطع ، ووفود الطلاب الذين يسعون لطلب العلم ، والمرضى الذين يسعون للاستشفاء •••••• ظلوا يتدفقون ، وفِرَقُ العمل المصرية من أساتذة وأطباء ومهندسين وعمال •••••• لم تتوقف ولم تقِلَّ ، بل ربما زادت والمؤتمرات العلمية والإسلامية لم تَخْلُ من أعداد كبيرة من المصريين أيا كانت العاصمة التى تُعْقَد بها هذه المؤتمرات ، وفى كلمة قصيرة وصريحة لم تؤثر قرارات المقاطعة على العلاقات بين الشعب المصرى والشعوب العربية ، وكان الحب هنا وهناك أقوى من الغضب ومن القرارات •

وهناك دولتان رفضتا القطيعة من أول الأمر ، هما السودان وعمان أما المملكة الاردنية الهاشمية فقد نفذت القطيعة فترة ، ولكنها سرعان ما تخلت عنها ، وعادت للإخاء والتعاون مع مصر ، والمصريون يتذكرون موقف هذه الدول الثلاث بالكثير من التقدير والاعتزاز •

ومرَّ الزمن ، ووَجَدت أكثر الدول أن القطيعة عمل لا يليق ولا يمكن تنفيذه ، فتراجعت هذه الدول وأعادت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية بمصر ، وكيف يمكن خلق قطيعة بين مصر ودول الخليج مثلا مع أن روابط ودٌّ عميقة تربط بين شعوب هذه الدول من جانب وبين

الشعب المصرى من جانب آخر ، وعلى الحكام أن يكونوا صدى لاتجاهات الشعوب •

وفى يناير سنة ١٩٨٩ أُعلن قيام تجمّع اقتصادى بين مصر والأردن والعراق واليمن الشمالية ، ويعتبر هذا ردا صريحا على محاولات التفريق السياسى والاقتصادى بين الدول العربية بعضها والبعض ، وبمناسبة هذا التجمع الاقتصادى سئل الدكتور أسامة الباز الوكيل الأول لوزارة الخارجية المصرية عما إذا كانت معاهدة السلام مع إسرائيل تتعارض مع مثل هذا التجمع ، فأجاب : إنه لا يوجد هناك مانع يمنع التجمع الاقتصادى والسياسى مع العرب ، وأضاف أن مصر أكّدت مرارا التزامها بميثاق الدفاع المشترك (١) ، فإذا أُضيف إلى ذلك التعاونُ العسكرى العظيم لرد غائلة ايران عن العراق وعن دول الخليج أدركنا أن التفريق بين الإخوة شىء صعب المنال ، وأن الحكمة تقتضى التريث عند حدوث خلاف فى الرأى •

ولم يبق على القطيعة حتى كتابة هذه السطور فى أوائل سنة ١٩٨٩ إلا ليبيا وسوريا ، وهو شىء يدعو للأسف ، فعلاقة مصر بهاتين الدولتين كانت وطيدة جدا ، بل كانت علاقة وحدة خلال مئات من السنين • وقد شهدت الشهور الأخيرة من سنة ١٩٨٩ عودة الود والوئام بين مصر وهاتين الدولتين •

وكلمة ختامية عن إحساس منصف محايد تجاه اتفاقيتى كامب ديفيد ، وهى كلمة نقتبسها من سفير مصر فى باريس الذى يصوّر لنا رأى الفرنسيين فى كامب ديفيد بقوله : لم يكن الفرنسيون يرون أن ما تحقق فى كامب ديفيد شىء أو خطوة للخلف ، بل كانوا يرون ذلك خطوة متقدمة (٢) •

لقد كان العرب يريدون الإنصاف فى عالم حافل بالمظالم ، يريدون

---

(١) حديث نشر فى الوفد بتاريخ ١٩٨٩/٢/١٤ •
(٢) محمد حافظ اسماعيل : المرجع السابق ص ٤٥٥ •

العدل فى عالم تحكمه القوة ، وقد توقف السادات كثيرا خلال المفاوضات ، بل حزم امتعته وأراد العودة بدون وصول إلى الغاية ، فهو كان يريد المزيد ، كما أريد أنا وأنت ، ولكن المجتمع العالمى والمجتمع العربى لا يستطيعان أن يحققا كل الأمانى ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه كما قال الشاعر العربى ، وليت الذين رفضوا اتفاقيتى كامب ديفيد استطاعوا تحقيق غاية أسمى منهما ، فإذا عجزنا عن تحقيق كل آمالنا فلنقنع مؤقتا بالممكن ، ولنتطلع إلى المستقبل لعله يكون أحسن من الماضى ومن الحاضر ، وذلك أمل قريب النوال إن شاء الله .

وفى العام التالى لتوقيع المعاهدة أى فى سنة ١٩٨٠ اندلعت الحرب بين العراق وإيران وتناست مصر كل شىء ، وقدمت كل ما تستطيع من معدات وذخائر حربية وخبرات العراق ، وكان ذلك مطلبا جماهيريا ، فحماية العراق حماية الجزيرة العربية ولدول الخليج وللأماكن المقدسة ، وذلك شىء يحرص عليه كل فرد فى مصر مهما كان ما مسّ المصريين من قرارات مؤتمر قمة بغداد .

وفاة كامب ديفيد :

فى حديث شامل أدلى به الأستاذ فؤاد سراج الدين زعيم حزب الوفد إلى صحيفة الأنباء الكويتية ونشرته صحيفة الوفد القاهرية فى ١٩٨٩/٣/٢ سئل فؤاد سراج الدين عن اتفاقيتى كامب ديفيد فأجاب :

كامب ديفيد ماتت ، وكلام الإسرائيليين عنها لا يساوى ثمن المداد الذى كتبت به ، فإسرائيل خرقتها مرات ومرات .

وكلمة ماتت كلمة حقيقية ، فاتفاقية « إطار السلام فى الشرق الأوسط » بنيت على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ وإسرائيل صرحت عدة مرات بأنها لا تحترم هذين القرارين ، وليس فى نيتها

إعادة الأرض لأصحابها ، بل تتحدث عن الأرض حديث مالك لا حـديث محتل غاصب .

وإسرائيل ترفض الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

وإسرائيل تعامل العرب فى الضفة وغزة معاملة بعيدة كل البعـد عن الجانب الإنسانى ، فالضرب والتعذيب والقتل والطرد هى الأسلوب الذى تتبعه إسرائيل مع عرب هاتين المنطقتين .

والمستعمرات التى تقام والاستيلاء على أرض العرب بالقوة ، وهدم بيوتهم ، وتعطيل مدارسهم كلها تتنافى مـع إطار السـلام فى الشرق الأوسـط .

وجيش صاخب بمعداته وأسلحته يواجه أطفال الحجارة ، يا لـه من ظلم فادح سيحاسب عليه اليهود يوما من الأيام .

ويصف الأسـتاذ اسـماعيل فهمى [١] تفويض إسرائيل لاتفاقات كامب ديفيد بقوله :

إن الضفة الغربية وغزة هى بلا شك أرض احتلتها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ ، وقد تعهد بيجين فى اتفاقات كامب ديفيد باحترام قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ وميثاق الأمم المتحدة ، ومعنى هذا إعادة هذه الأرض إلى أصحابها الذين كانوا يعيشون فيها قبل احتلالها سنة ١٩٦٧ .

ولكن بيجين نقض هذا الاتفاق وأعلن فيما بعد أن يهودا والسامرة جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل ، وكان مـا قاله فى هذا المجال : هو إن أمتنا قد ولدت فى يهوديا وسماريا وليست فى حيفا ولا تل أبيب ، وفى

---

(١) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الاوسط ص ٤٥٤ وما بعدها .

يهوديا وساماريا ظهر أنبياؤنا بنبواتهم ، وظهرت الثقافة اليهودية القديمة ، والتى منها تربينا حتى يومنا هذا .

ومن الواضح أن هذه الاتجاهات مناقضة تماما لاتفاقيات كامب ديفيد .

ومن أجل هذا الاتجاه لم تتوصل مباحثات الحكم الذاتى بين مصر وإسرائيل إلى أى نتائج لأنها واجهت طريقا مسدودا منذ البداية عند التعرض لموضوع السيادة على هذه الأرض ، وقد كان موضوع السيادة على الأرض واضحا تمام الوضوح فى اتفاقيات كامب ديفيد .

ومن وسائل تدمير هذه الاتفاقيات كذلك أن إسرائيل قررت أن القدس الشرقية هى جزء من أراضيها إلى الأبد وقد صدر بذلك قرار الكنيست الإسرائيلى فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٨٠ .

وقررت إسرائيل كذلك أن المستوطنات فى الضفة وغزة لا يمكن إزالتها .

وصرح بيجين أكثر من مرة بأن محاولة إنشاء دولة فلسطينية مستقلة شىء لا يمكن تصوره .

وكل هذا وسواه قضى بوفاة اتفاقات كامب ديفيد ، وعلى هذا فإن اتفاقات كامب ديفيد ماتت إلى غير رجعة ، وقد قال الدكتور أسامة الباز الوكيل الأول لوزارة الخارجية المصرية فى تصريح نشرته له صحيفة الوفد الصادرة فى ١٩٨٩/٢/١٠ إن اتفاقيات كامب ديفيد الموقعة مع إسرائيل عام ١٩٧٨ تعتبر مرحلة تمّ تجاوزها ، وقال إن عهد كامب ديفيد كان فترة انتهت ويجب ألا نعيد ذكر هذه الاتفاقيات بعد ذلك .

وليس موقف إسرائيل مع مصر بأحسن من موقفها مع الضفة أو غزة ، فما سمى تطبيع العلاقات لا يمكن أن يتم مع العداء الكامن فى النفوس ، ومع آلاف الأرواح البريئة التى فاضت بسبب إسرائيل ،

والقيود التى فرضتها إسرائيل وأمريكا على مصر تؤلم المصريين وتقلقهم ، و « طابا » استنفدت كل الجهود من مفاوضات وتحكيم ، وبعد سبع سنوات من الجلاء عن سيناء ترفض إسرائيل إخلاء هذه المنطقة المصرية حتى كتابة هذه السطور (فبراير ١٩٨٩) • وقد عادت طابا لمصر بعد ذلك كما سنرى فيما بعد •

ياسر عرفات وكامب ديفيد :

وقد اعترف ياسر عرفات بإسرائيل يوم أعلن قيام دولة فلسطين فى ١٥/١١/١٩٨٨ فى ظل القرارين السابقين ، كما أعلن أن وثيقة استقلال فلسطين تؤكد على أن دولة فلسطين تؤمن بتسوية المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، والالتزام بقرارات الأمم المتحدة وعدم اللجوء للقوة إلا فيما يتعلق بالدفاع عن التراب الوطنى •

إن تصريحات ياسر عرفات يوم اعلان قيام الدولة الفلسطينية أعطت إسرائيل أكثر مما أعطته لها كامب ديفيد ، وبارك العرب ذلك ولم يغضبوا ، ولعل ذلك يخفف من الحملة على كامب ديفيد وإن كانت هذه قد انتهت إلى الأبد ، ونطمع فى نتائج جديدة تحققها المسيرة الجديدة التى تسعى لها منظمة التحرير الفلسطينية •

جائزة نوبل :

فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ مُنِحت جائزة نوبل للسلام مناصفة بين السادات وبيجين ، ونظر الشعب المصرى لهذه المشاركة نظرة اشمئزاز فلم يكن الربط بين الرئيس السادات ومناحم بيجين مُرْضيا لأحد ، وإذا كانت الظروف قد أرغمت السادات على توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد ، وإذا كان هناك من يوافق على هاتين الاتفاقيتين للضرورة ، فإن الإجماع منعقد على أن الود لا يمكن أن ينبثق بين زعيم مصرى وزعيم صهيونى ، وتاريخ مناحم بيجين بالذات كتاريخ بن جوريون وإسحاق شامير هو تاريخ سفّاك ومحبٌ لإراقة الدماء •

وقد تناسى اليهود توقيعاتهم على الاتفاقيتين ، وراحوا بعد ثلاثة شهور من التوقيع يزحفون من جديد لبناء مستعمرات جديدة فى الأرض العربية •

ومن أجل هذا رفض السادات التوجه إلى أوسلو مع مناحم بيجين لتسلم الجائزة فى ديسمبر من نفس العام وأناب المهندس سيد مرعى فى السفر لذلك بديلا عنه (١) •

---

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ٤٨٣ و ٤٨٦ ٠

أحداث سنة ١٩٧٩

فى الطريق لمعاهدة السلام :

عند حديثنا عن الاتفاقية الثانية من اتفاقيتى كامب ديفيد ذكرنا أنه بناء على هذه الاتفاقية تقوم مصر وإسرائيل خلال ثلاثة شهور أى حتى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٨ بتوقيع معاهدة للسلام على أساس الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ٠٠٠٠٠

ومرت الشهور الثلاثة دون التوصل إلى إعداد هذه المعاهدة ، فقد ظلت نقاط عديدة موضع خلاف بين الطرفين ، وكان من أهم هذه النقاط الربط بين معاهدة السلام واتفاقية الحكم الذاتى ، وحل شهر يناير ١٩٧٩ دون التوصل إلى اتفاق ، وفى نفس الوقت كانت مشكلات إيران قد تصاعدت وأرغم الشاه على مغادرة البلاد ، ومن هنا التزمت أمريكا بمزيد من الجهود للوصول إلى اتفاق بين الطرفين ، وبناء على هذا تدخل الرئيس كارتر بأقصى ما يستطيع من القوة فى شهر مارس لتسوية الموقف بين الطرفين ، واستطاع أن يصل الى نتيجة مقبولة حوالى منتصف شهر مارس ، واتفق على عقد مؤتمر قمة ثلاثى فى واشنطن فى أواخر مارس لتوقيع المعاهدة ٠

وفى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ وقع كارتر والسادات وبيجين معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى واشنطن ٠

المعاهدة بين مصر وإسرائيل :

ولا شك أن توقيع هذه المعاهدة يعتبر أهم حادث وقع سنة ١٩٧٩ ، وقد أصدرت الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة كتابا حافلا بكل ما يرتبط بهذا الحدث العظيم ، ويبدأ بالكلمة التى ألقاها الرئيس لدى وصوله إلى واشنطن ثم تجىء نصوص المعاهدة ، فالبروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلى ، فنظام الطيران العسكرى ، والنظام البحرى العسكرى ، ونظام الإنذار المبكر ، ثم يجىء ملحقان أولهما عن تنظيم الانسحاب من

سيناء ، والثانى بروتوكول بشأن علاقات الطرفين ، وبعـد ذلك تجىء كلمات للرئيس السادات وللرئيس كارتر ولمناحم بيجين ويختتم الكتاب بالمؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس السادات مـع الكتّاب والمعلقين الأمريكيين •

وخلاصة معاهدة السلام نسجلها فيما يلى :

أولا : إنهاء حالة الحرب ، وإقامة السلام بين الطرفين ، وانسحاب القوات الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين إلى ما وراء الحدود الدولية •

ثانيا : يحترم الطرفان سيادة كل منهما عـلى أرضه ، وحقـه فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، كما يمتنعان عن التهديد أو استخدام القوة ويسويان خلافاتهما بالوسائل السلمية •

ثالثا : يلتزم كل من الطرفين بألا تصبح أرضه منطلقا لأعمال عدائية ضد الطرف الآخر •

رابعا : يكون انسحاب الإسرائيليين مدنيين وعسكريين من سيناء خلال ثلاث سنوات من تبادل وسائل التصديق على المعاهدة ، ويتم هذا الانسحاب على مرحلتين :

الأولى : خلال تسعة شهور إلى خط شرق العريش رأس محمد •

الثانية : خلال ما تبقى من السنوات الثلاث إلى الحدود الدولية •

خامسا : عند إتمام الانسحاب الأول ينشىء الطرفان علاقات عادية وودية بينهما ، وتشمل الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصـادية ، ورفع أى حواجز تعـوق حرية حركـة الأفراد ، أو السلع •

سادسا : توضع ترتيبات تحقق أقصى درجـات الأمن وتتضـمن انتشار القوات فى سيناء على النظام التالى :

المنطقة (أ) القسم الأول من سيناء وهو الذى يقع شرق القناة بعمق منتصف المسافة بين خليج السويس والقناة من جانب وخط شرق العريش — رأس محمد سالف الذكر من جانب آخر . وفى هذا الجزء توجد قوة مكوّنة من فرقة ميكانيكية من ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، ولواء مدرع واحد ، وسبع كتائب مدفعية ميدانية ، وسبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات وحتى ٢٣٠ دبابة و ٤٨٠ مركبة أفراد مدّرعة من كافة الأنواع وإجمالى الجنود ٢٢ ألف فرد .

المنطقة (ب) القسم الثانى وهو يشمل الجزء الأكبر من سيناء ويقع وسط شبه الجزيرة على جانبى الخط من شرق العريش إلى رأس محمد ، وتتمركز فى هذا الجزء وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية فى المحافظة على النظام فى المنطقة ، وعدد أفراد الجنود فى هذه المنطقة لا يتجاوز ٤٠٠٠ جندى وتنشأ فى هذه المنطقة تحصينات ميدانية ، ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع .

المنطقة (ج) غرب الحدود الدولية ، وتنتشر بها الشرطة المدنية وقوات الأمم المتحدة .

المنطقة (د) وهى تقع فى أرض إسرائيل شرق الحدود الدولية وتنتشر بها أربع كتائب مشاة إسرائيلية ومراقبو الأمم المتحدة .

وتنص المعاهدة على إبرام اتفاقات للتجارة وللعلاقات الثقافية وللطيران المدنى ، كما تنص على استخدام مطارات العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط مع إمكان استخدامها من قبل كل الدول لأغراض تجارية .

البحر الأبيض المتوسط

لبنان

حيفا

الجولان

الضفة الغربية

القدس

تل أبيب

الأراضى العربية التى احتلها العدو الإسرائيلى

غزة

بورسعيد

البحر الميت

المنطقة "أ"

العريش

المنطقة "ب"

الأردن

مصر

السويس

العقبة

المملكة العربية السعودية

خليج السويس

رأس محمد

البحر الأحمر

المعاهدة : خطوات الانسحاب (أمن مصر القومى)

سابعا : تضمنت المعاهدة خطابات متبادلة حول :

١ — بدء مباحثات الحكم الذاتى للضفة الغربية وغزة خلال شهر من تبادل وسائل التصديق على معاهدة السلام على أن تنتهى بتحقيق الاتفاق خلال عام •

٢ — تبادل السفراء بين مصر وإسرائيل خلال أشهر من إتمام الانسحاب فى المرحلة الأولى •

٣ — يبقى لأمريكا دور فى حالة خرق معاهدة السلام أو حالة الخلاف حول نقطة من نقاطها •

اتفاق أمريكى إسرائيلى :

لقد أشرنا إلى هذا الاتفاق من قبل ، وذكرنا أن سوء النوايا التى تملأ عقل الإنسان اليهودى كانت مسيطرة عليه وهو يوقع ما سمِّى معاهدة السلام ، وبينما كانت الإجراءات لتوقيع هذه المعاهدة تسير فى طريقها ، كانت المفاوضات لعقد اتفاق أمريكى إسرائيلى تسير فى الوقت نفسه ، وخلاصة هذا الاتفاق أن عدم الثقة فى المعاهدة ينعكس على تصرف إسرائيل ، فهى لا تنوى أن توفِّىَ بما وعدت ، وتحس أن الآخرين لن يوفوا أيضا ، ومن هنا تتخذ الاحتياطات بأن تلزم أمريكا بالتزامات أهمها ضمان تطبيق معاهدة السلام بما يحقق الأمن لإسرائيل ، وأن تلتزم الولايات المتحدة بمراقبة تنفيذ المعاهدة ، وتنص كذلك على الإجراءات التى تتخذها إذا خُرِقت المعاهدة أو حصل تهديد بخرقها •

وتلتزم الولايات المتحدة كذلك بالاستجابة لاحتياجات إسرائيل العسكرية والاقتصادية ، كما تلتزم بفرض قيود على إمداد الدول الأخرى بالأسلحة إذا كان هناك احتمال لاستخدامها ضد إسرائيل •

وقد ذكرنا من قبل أن هذا الاتفاق كان مفاجأة غير سارة لمصر ، وأنها أبدت امتعاضها من سلوك الدولتين وبخاصة فى نفس الوقت الذى كانت الابتسامة يجدر أن ترتسم على الشفاه •

معاهدة السلام فى الميزان :

إنها تسمى معاهدة سلام ، ولكن الإنسان المصرى لا يحس بسلام مع إسرائيل على الإطلاق ، وإن روح السلام لم تكن موجودة فى أثناء المفاوضات ، بل كانت الشكوك مسيطرة على الجو ، وكانت ألوان الضغوط تترك آثارا قاسية فى نفس المفاوض المصرى ، ولا تزال تترك هذه الآثار المريرة فى نفوس المصريين جميعا .

لقد حاولت إسرائيل أن تجعل موضوع الضفة وغزة موضوعا بعيدا عن الأهداف المصرية ، ورفضت الاستجابة لقضية القدس ، وفرضت وقتا طويلا لانسحابها من سيناء بحجة انتظار المطارات التى تبنيها الولايات المتحدة لإسرائيل لتحل محل المطارات التى بنتها إسرائيل فى سيناء ، وأصرت على إخلاء بعض المناطق من سيناء من الجيش المصرى ، وحددت تسليح ما تبقى من مناطق سيناء ، وأرادت تطبيع العلاقات بينها وبين مصر ، وجيشها لا يزال جاثما على الأرض المصرية والعربية ، ونسيت إسرائيل أن تطبيع العلاقات مع كل هذا الضغط لا يمكن أن يتم .

وكانت إسرائيل فى هذه الأمور بعيدة كل البعد عن الذكاء ، كانت تظن أن هذه الأمور تمنحها الأمن ، ولكن الحق أن هذا الحرص كان منها غباء اجتماعيا جلب لها الكراهية ، ولم يترك لها فى ديارنا أى إحساس بالتعاطف والود .

إن كل مصرى يدرك أن إسرائيل هاجمتنا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ولم نهاجمها إلا سنة ١٩٧٣ لاستعادة الأرض ، فهى دولة عدوانية وليتها تعرف الوسيلة لتخفيف هذا العدوان والحقد .

لقد كانت هناك حروب مريرة وطويلة بين ألمانيا واليابان وإيطاليا من جانب وبين الحلفاء من جانب آخر ، ولما توقفت هذه الحروب عاد شطر واسع من الود والتعاون بين هذه الدول بعضها والبعض ، ولكن

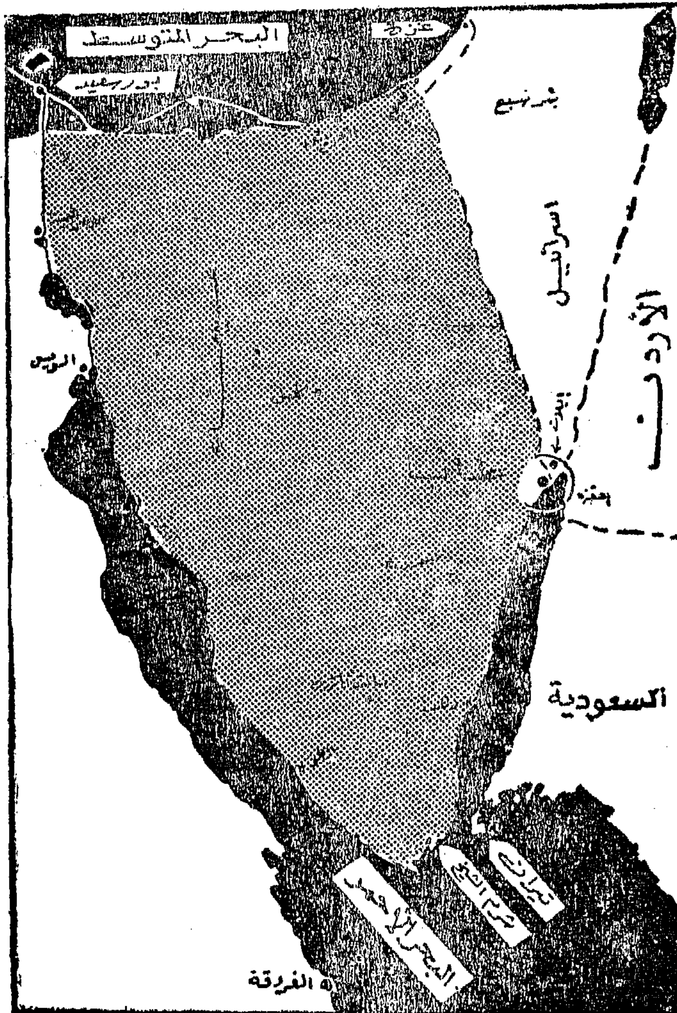
ذلك النمط لا يمكن أن يتم بين الدول العربية وإسرائيل ، لأن إسرائيل عالَم وحدها فى الحرص على التنكيل من الآخرين ، والسلب ، والقهر ، والضغط ، والقسوة ، وفى نفس الوقت لا تعرف الود ولا الوفاء ، وفى كلمة موجزة إنها معاهدة سلام بدون سلام .

قضية طابا :

وقد تم الانسحاب الإسرائيلى من سيناء فى الموعد المحددة ، ولم تستطع إسرائيل أن تتغلب على جشعها فتقدم الانسحاب يوما أو أسبوعا عن الموعد المحدد ، وتطهرت شبه الجزيرة على كل حال من أقدام آخر جندى إسرائيلى فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٨٢ ، ولكن إسرائيل عجزت عن أن توفى بما وعدت وأن تخرج فى يُسْرٍ من كل سيناء ، بل عبثت بالحدود فى عدة مناطق أهمها منطقة طابا ، وتمسكت بهذه المنطقة وغيرت مواقع العلامات التى توضح الحدود ، وبدأت مفاوضات" طويلة جعلت هذه القضية من أصعب القضايا التاريخية التى ظهرت فى العصر الحديث ، وكانت مصر فى هذه المفاوضات قوية الجانب ، تؤيدها أسانيد قانونية وجغرافية وتاريخية ، تؤكد سيادتها على طابا ، تلك المنطقة التى تقع على طرف خليج العقبة ، وكانت العلامة رقم ٩١ هى أخطر علامات الحدود ، وقد أبرزت هذه العلامة تلاعب إسرائيل فى موضعها ، وكذلك فى موضع علامات أخرى عددها ١٤ علامة فى الحدود بين البلدين .

ولم تسفر المفاوضات عن نتائج مرضية لأن المفاوض المصرى قدم أعمق الأدلة وأقواها ، ولم يكن عند إسرائيل أى دليل مقنع ، ولكنها راوغت وتعسفت مما جعل المفاوضات لا تصل إلى نتيجة ، وكان لابد بعد فشل المفاوضات أن يتم اللجوء إلى التحكيم ، وقد تمت الموافقة على التحكيم فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٨٦ أى بعد أكثر من أربع سنوات فى المفاوضات .

وحاولت أمريكا أن تتفادى التحكيم لأنها كانت تدرك حق مصر الثابت وأدلتها القوية ، ولكن الاقتراحات الأمريكية جاءت متخذة" صف


البحر المتوسط
غزة
بورسعيد
بئر سبع
اسرائيل
الأردن
السويس
ايلات
طابا
السعودية
تيران
شرم الشيخ
البحر الأحمر
الغردقة

موقع طابا

إسرائيل ، فقد اقترحت أن تعترف إسرائيل بالسيادة المصرية على طابا على أن تشارك إسرائيل مصرَ في إدارة المنشآت التي أقامتها إسرائيل بهذه المنطقة مثل فندق سونستا ومجموعة الشاليهات السياحية بها ، وعلى السماح للإسرائيليين بدخول المنطقة بدون جواز سفر ، وبدون تأشيرة ، والاكتفاء ببطاقات مؤقتة خاصة .

ودُهشت مصر لهذا التصرف ، فالسيادة هي السيادة ، وإذا اعترفت إسرائيل بالسيادة المصرية على طابا ، وبأنها جزء من الأرض المصرية ، فإن ذلك يستلزم أن يُتَّبع مع هـذا الجـزء كل الإجراءات التي تُتَّبع بالنسبة للوطن كله .

وعلى هذا لم يكن هناك مفرٌ من التحكيم ، وتُرِك الأمر للمحكمة التي ارتضاها الطرفان ، وأعلنت مصر أنها لا تقبل أي حل وسط ، وبخاصة أنه كان لدى الوفد المصري مجلة إسرائيلية باللغة العبرية ، صدرت سنة ١٩٦٤ ، وبها خريطة لمنطقة طابا توضح أنها ضمن الحدود المصريـة .

وينبغي أن نذكر أن هيئة التحكيم كانت تتكون من قاض سويسري متخصص في القانون الدولي ، وفي قضايا النزاع على الحدود ، ومن قاض فرنسي هو رئيس محكمة النقض الفرنسية ، ومن أستاذ القانون الدولي بجامعة زيورخ ، ثم من قاض مصري هو الدكتور حامد سلطان أستاذ القانون الدولي ، وقاضية إسرائيلية تعمل أستاذة بالجامعة العبرية .

حكم المحكمة :

وفي ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ أصدرت المحكمة حكمها ، وحددت مواقع نقاط الحدود وبخاصة العلامة ٩١ التي توضح أن منطقة طابا أرض مصرية ، وكان على إسرائيل أن تنفذ هذا الحكم دون مراوغة ودون تعطيل ، ولكن إسرائيل هي هي لابد أن تخلق المشكلات وتثير الاعتراضات ، وصبرت مصر وصابرت حتى جاء يوم ٢٩ نوفمبر وهو آخر موعد لتنفيذ حكم المحكمة فقد كانت المحكمة قد قررت أن يتم تنفيذ الحكم خلال ثلاثة أشهر وحينئذ فقط تمّ الاتفاق على عودة طابا إلى مصر ، والبدء في وضـع



نموذج للصرع الذى أصاب
العدو عند الانسحاب من طابا



بكاء مرير للخروج من طابا

علامات الحدود خلال أسبوعين من تاريخ هذا الاتفاق ، ووضعت علامات الحدود فعلا .

وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الإسرائيلية إلى مواقع جديدة بعد وضع العلامات ولكنها لم تنسحب من منطقة طابا انتظارا لانتهاء المباحثات حول المرافق السياحية ، ومما يذكر ان الخلاف حول علامات الحدود قد شمل العلامات رقم ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ .

وقد تحركت عشر علامات منها تجاه الشرق لمسافة بين خمسة أمتار وكيلو مترين ، وتحركت أربع علامات تجاه الغرب لمسافة تتراوح بين مترين وخمسين مترا طبقا لقرار التحكيم ، وعقب وضع العلامات انتقل المنفذ المصرى إلى مكانه الجديد .

أما المنطقة التى وقع فيها فندق سونستا والشاليهات السياحية فقد ظلت موضع خلاف بين مصر وإسرائيل فإسرائيل تساوم كعادتها ، تريد تعويضا عن المبانى والمؤسسات أكثر جدا مما تستحق ، وتريد كما ذكرنا من قبل تسهيلات لدخول رعاياها إلى هذه المنطقة .

وقد تمّ الاتفاق فى ٤ فبراير سنة ١٩٨٩ على أن يواصل الجانبان مباحثاتهما للوصول الى اتفاق حول المسائل المتبقية خلال شهر فبراير وعندما تنتهى الأطراف إلى حل مُرْضٍ يتم تحديد الجدول الزمنى للانسحاب من طابا .

ومما يذكر أن العلامات العشر التى انتقلت إلى الشرق أعطت لمصر حوالى ١٠ كيلو مترات مربعة أما العلامات التى انتقلت الى الغرب فقد أعطت لإسرائيل ١/١٠ كيلو متر مربع .

سبع سنوات مرت حول الخلاف على هذه المنطقة الصغيرة ، وهى دليل جديد على مراوغة إسرائيل وصعوبة التعامل معها ، وأخيرا تمّ الاتفاق فى ٢٦/٢/١٩٨٩ على حل هذه المشكلة ، ووقعت مصر وإسرائيل على اتفاقيات ثلاثة هى :

١ — شراء مصر لفندق سنوست وقرية نلسن السياحية ، وهذا الاتفاق وقعه وزير السياحة المصرى •

٢ — تحديد موعد الانسحاب الإسرائيلى النهائى وهذا الاتفاق وقعه الدكتور نبيل العربى رئيس وفد مصر فى مباحثات طابا •

٣ — الاتفاق الخاص بالمرور إلى طابا من إسرائيل وهذا الاتفاق وقعه ممثل وزارة الداخلية واتفق على أن تعود المنطقة لمصر فى موعد أقصاه منتصف مارس ١٩٨٩ وقد عادت فعلا فى هذا التاريخ ، كما اتفق على امتداد الحدود بخط مستقيم من العلامة ٩١ إلى مياه الخليج •

وبنهاية مشكلة طابا فى مارس ١٩٨٩ تنتهى آخر مخلفات عبد الناصر المريرة ، بعد جهاد ونضال عسكرى وسياسى استغرق ٢٢ سنة •

ان الشعب المصرى لا يستطيع أن ينسى مراوغة اليهود ، ولا شك أن تلك المراوغة تخلق مزيدا من الكراهية والنفور فى نفوس المصريين ، والعجيب أن إسرائيل تظن ان مواقفها تلك نابعة عن ذكاء ، والحق أن ذلك قمة الغباء ، فالمساومة والشد والضغط يزيدها بعدا عن تعاطف المصريين ، ويجعل مـا يسمى التطبيع عملا متعذرا ، وكيف نجعل العلاقات طبيعية مع شـعب يفتح فمه ليزدرد كـل شىء ، ويقفل عقله وقلبه عـن الود والتسامح والعدالة ، والحق إنها غريزة يهودية أن تنهب إسرائيل مـا تستطيعه من المجتمع البشرى ، وهيهـات أن يتغلب اليهود على هـذه الغريزة •

تواريخ بناء الفندق :

ومما يذكر أن فندق سونستا المتنازع على تكاليفه فى طابا بنـاه ضابط إسرائيلى وهو للأسف من أصل مصرى ، ويقع على مساحة ٦٢٠ مترا وقد بدأ بناؤه بعد رحلة الرئيس السـادات للقدس سـنة ١٩٧٧ وشجعته الحكومة الإسرائيلية على ذلك ، وقد بنى منه عدة أدوار قبل المعاهدة المصرية الإسرائيلية ، ولمـا ظهر النزاع حول ملكية هذه المنطقة

اتفق على منع اقامة أية منشآت بها حتى يتم الفصل فى موضوعها ، ولكن مالك الفندق خالف ذلك وارتفع بأدوار الفندق بعد المعاهدة الى اثنى عشر طابقا بحجة أن الحظر كان عن اقامة منشآت جديدة ، أما استكمال المنشآت فلم يدخل فى دائرة الحظر •

إنها حيل إسرائيلية لإثارة المشاكل •

قانون الأحوال الشخصية :

فى تقديرى أنه لا بأس من أن تمارس زوجة رئيس الجمهورية بعض الأنشطة وبخاصة فى المجال الاجتماعى ، وقد مارست السيدة جيهان السادات صورا من هذا النشاط وبخاصة خلال حرب أكتوبر ، إذ اشتركت فى الإشراف على الجرحى والمعوقين ، وكان ذلك موضع تقدير عظيم من المصريين •

ولكن السيدة جيهان للأسف لم تهتم ابدا بالناحية الاجتماعية بالبلاد ، وركزت هى وزوجها جهودهما فى « ميت أبو الكوم » حيث أقيمت مبان جديدة وسخانات بالشمس ورصفت الطرق اليها ، وتحسنت مداخلها ، كأنَّ ميت أبو الكوم كانت هى القطر كله •

وكان الفقر يحيط على مرأى ومسمع بجيهان السادات ، وكانت الأسعار ترتفع ويصرخ الناس ، ولكن صرخات المحتاجين لا تصل الى قلوب المترفين وآذانهم •

شىء واحد اهتمت السيدة جيهان به ، ذلك هو المرأة ، والمرأة موضع اهتمام الجميع ، وهى عند الرجل أمه وزوجته وأخته وبنته ، وهى موضع برِّه ونور حياته ، وقد أعطاها الإسلام مكانة سامية ، ورعاها أعظم رعاية ، وإذا كان هناك إجحاف بها من بعض الرجال فهناك اجحاف يقع على الرجل من بعض النساء ، وهناك ظلم يقع بين المرء وأخيه ، والابن وأبيه ، فتلك سنة الكون ، لا يعيش الناس جميعا فى أمان شامل •

ويبدو أن السيدة جيهان سمعت أو رأت بعض حالات عن القهر والظلم يوقعه بعض الرجال بالنساء ، فاتخذت موقفا من الرجال كأنهم جميعا آثمون ، وخلقت جوا من الاضطراب فى مجتمعنا المصرى .

ونسيت السيدة جيهان أن المجتمع المصرى بتاريخه وثقافته ومكانته العلمية يعتبر إلى حد كبير قدوة فى المنطقة العربية والإسلامية ، ولابد أن تسير القوانين الإسلامية به غير بعيدة عن القوانين الإسلامية المتّبَعَة فى البلدان العربية والإسلامية حولنا .

وبسبب هذا النسيان وبسبب التعصب للمرأة ، ذلك التعصب الذى لم يكن لــه سبب مقبول اتجهت السيدة جيهان للتأثير على زوجها ليصدر قانونا جديدا للأحوال الشخصية ، وسُمّى هذا القانون « قانون جيهان » وكان أنور السادات يدرك أن مجلس الشعب — مع أنه مجلس مصنوع بيد الرئيس ، وليس ممثّلا للأمة تمثيلا حقيقيا — مع هــذا فقد كــان مــن المتوقع أن يــرفض المجلس هــذا القــانون الجــديد ، لذلك اتجه أنور السادات لإصدار القانون فى غيبة مجلس الشعب ، وأصدره فعلا فى عطلة هذا المجلس سنة ١٩٧٩ قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام ، بدعوى أن من حق رئيس الدولة أن يصدر القوانين فى غيبة مجلس الشعب للضرورة ، عــلى أن تعرض هذه القوانين عــلى المجلس فى أول جلسة لانعقاد المجلس .

وخلاصة هذا القانون هى :

* إذا تزوج الرجل على زوجته أو زوجاته فلابدّ من إخطارهن بذلك حتى يكنّ على علم بهذه الواقعة الجديدة .

* ومن حق الزوجــة التى يتزوج عليها زوجها أن تطلب الطــلاق ، وتصبحُ واقعةُ الزواج الجديد قرينةً قانونيةً على أن ضررا لحق

بها يبيح لها أن تطلب التفريق ، والقاضى ليس حرا فى تقدير الضرر ببحثه ، بل يتعين عليه إذا طلبت الطلاق أن يستجيب لطلبها دون مناقشة لها فى إثبات الضرر .. فزواج المتزوج فى حد ذاته يساوى أن الضرر قد وقع على الزوجة السابقة يقينا .

* قرر القانون للزوجة التى تطلق لذلك نفقة أسماها نفقة « المتعة » وعدّها مكافأة لها على ما قدمته لزوجها فى أثناء زواجه بها ، تماما مثل مكافأة نهاية الخدمة للموظفين .

* استبقى القانون السكن للزوجة مـا دام لديها أطفـال قُصَّر من هذا الزواج ، وأن تظل فى مسكنها ، وعلى الزوج أن يغـادر هـو المنزل ويتركه لها ولصغارها ويبحث له عن مسكن آخر (١) .

وعندما عُقِد مجلس الشعب عُرِض عليه القانون ، ووقف وزير مجلس الشعب يعلن أسبابا غير مقنعة لإصدار القانون فى غيبة المجلس ، فلم تكن هناك ضرورة لإصداره قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام ، لذلك **قال الوزير بصراحة إن سبب إصداره فى غيبة المجلس هو الخوف عن أن يرفضه المجلس كما حدث فى محاولات سابقة .**

ووافق المجلس فلم يكن فى طـاقته رفض قانون أصـدره رئيس الجمهورية ، وكانت موافقة المجلس فى ٣ يوليو سنة ١٩٧٩ .

ويلاحظ أن هذا القانون أحدث ارتباكا فى الحياة المصرية ، فقد لجأ كثير من المتزوجين الراغبين فى زواج جديد إلى الزواج العرفى حتى لا يُطرد من بيته ويلتزم بتكاليف واسعة بالنسبة لزوجته الأولى ، والزواج العرفى لا يضمن حقوقا للزوجة ولا لأولادها ، كما أن إخراج الرجل من

---

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ٤٢١ .

بيته أحدث مشكلات غير قابلة للحل ، فإلى أين يذهب الرجل مع ارتباطه بعمل فى المدينة التى بها مسكنه ؟

وقد أجاز بعض العلماء قانون السيدة جيهان ربما بتأثير السلطة ، ولكن الحق أنه لم يكن هناك داع له ، والزواج الجديد ليس بالضرورة مسببا للضرر .

نهاية القانون :

وفى سنة ١٩٨٤ أحال أحد القضاة هذا القانون للمحكمة الدستورية على أساس أنه مخالف للدستور ، فلم تكن هناك ضرورة لإصداره قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيـام ، ورئيس الجمهورية يستطيع أن يصـدر القوانين فى غيبـة المجلس عنـد الضرورة فقط ، ولا ضرورة فى هـذا الموضوع ، فحكمت المحكمة بعدم دستورية القانون ، فسقط .

وفى سنة ١٩٨٥ صدر قانون جديد للأحوال الشخصية كالآتى :

* خالف القانون الجديد القانون المقضى بعدم دستوريته فى أنه إذا رغبت الزوجة التى تزوج زوجها عليها فى الطلاق فعليها أن تقـوم بإثبات موضوع الضرر الذى لحق بها ، وما تذكره الزوجة القديمة يخضع لتقدير القاضى فيقتنع أو لا يقتنع بعد أن كان الأمر بعيدا عن تقديره ......

* أصبح من حق الزوج إذا كان مالكا لمسكنه أن يحتفظ به ولا يتركه لمطلقته وصغاره على أن يوفر لهم مسكنا ، أما إذا كان مستأجرا وليس مالكا فيستمر الوضع الأول أى يترك المسكن لهم [1] .

---

(١) المستشار عبد الحميد يونس : قضية قانون الاحوال الشخصية : مجلة المصور : أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

٣٠ مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب :

ننقل فيما يلى سطورا من كتاب « امرأة من مصر » تتحدث فيها السيدة جيهان عن سلطانها على زوجها فى أخطر الأمور ، تقول السيدة جيهان :

فى شهر مارس سنة ١٩٧٩ — وعيد الأم يقترب — قلت لزوجى : هناك هدية خاصة واحدة أتوق إليها هذا العام ، وهى هدية أود أن أحصل عليها .

سألنى : ما هى ؟

فقلت : هل ستمنحها لى ؟

قال : نعم لو استطعت أن أدفع ثمنها .

قلت : أنت فى هذه المرة تستطيع .

فقال : موافق يا جيهان ، ما هى ؟

قلت : حقوق المرأة .

قال : نعم يا جيهان هذا العام سوف أمنحها لك .

وفى ٢٠ يونية سنة ١٩٧٩ أصدر أنور قرارا رياسيا من مادتين عن المرأة نصه : إضافة ثلاثين مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب ، وتخصيص من ١٠٪ الى ٢٠٪ من جميع المقاعد فى المجالس الشعبية للمرأة [١] .

لقد كانت جيهان السادات فى حلم جميل ، فكأن كل شىء قد ناله الإصلاح فى مصر ، ولم يبق إلا أن تترك المرأة بيتها وأولادها لتكون عضوا فى هذه المجالس ، ولم يطل عمر هذه المنحة فسرعان ما عُدل عنها .

---

(١) جيهان السادات : المرجع السابق ص ٤٢٧ .

إن للعمال والفلاحين نصف عدد الأعضاء على الأقل فى المجالس النيابية والشعبية ، وذلك عبء ثقيل ، وقرار لا مصلحة للبلاد فيه على الإطلاق ، فأرادت جيهان أن تضيف عبئا جديدا ، وأضافته فعلا ، ولكن عمره كان قصيرا ٠

ليته يموت أيضا ذلك القانون الجائر الذى يخصص نصف المقاعد للعمال والفلاحون فهو تعبير كاذب ولا ينال العمال والفلاحون منه أى فائدة ، وكل فائدته خاصة بالحاكم ، فهؤلاء العمال والفلاحون يجيدون التصفيق والموافقة على أى قانون يريده الحاكم الذى وضعهم فوق تلك الكراسى ، ومنهم الذين رقصوا بالمجلس عند هزيمة ١٩٦٧ الساحقة والدماء لا تزال تتدفق من شباب مصر على رمال سيناء ، فلا بأس من الرقص ما دام ذلك لإسعاد الحاكم المهزوم الذى وضعهم أعضاء فى مجلس الشعب ٠

ومن ناحية أخرى نحن نرفض نظام الطبقات بين المصريين ، وهو نظام يتنافى مع حياتنا المصرية ، فهناك مئات أو آلاف من أبناء العمال والفلاحين تخرجوا من كليات الطب والهندسة والآداب ودار العلوم ، ومن العجب أن يكون الأب فى جانب لأنه فلاح وابنه فى جانب آخر يوضع فى « الفئات » فليفصح ولى الأمر عن رغبته بأنه يريد أن يختار المصفقين ، وأولئك الذين يوضعون اليوم فى مجلس الشعب ، ليردوا الجميل لمن وضعهم عندما يختارونه للرياسة أو يوافقون دون نقاش على اقتراحاته واتجاهاته ٠

إن مجلس الشعب مجلس تشريعى ، ويجب أن يوضع فيه من يستطيع التشريع ٠

أحداث سنة ١٩٨٠

إلغاء الأحكام العرفية وإعلان قرارات الرخاء :

هذا العنوان كان السادات يتغنَّى به عندما يعدِّد مفاخره وإنجازاته من عام إلى عام ، ولكن الحق أن هذا العنوان لا مدلول له ، فلا الأحكام العرفية أُلغيت من الناحية العملية ، ولا مصر عرفت الرخاء منذ قامت بها الثورة المشئومة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وسنرى فى أحداث ١٩٨١ كيف قبض أنور السادات بجرة قلم كما يقولون على المئات من طوائف الشعب ، وذلك ما لا يتم إلا فى ظل أحكام عرفية جائرة ، أما ما يقال عن الرخاء فكلام مردود لا معنى له ، فالفقر والغلاء يأكلان الناس إلا من حظى بالمال الحرام •

طائرة أحمد بدوى :

فى ٢ مارس سنة ١٩٨٠ سقطت طائرة هليوكوبتر كان يركبها الفريق أحمد بدوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ، ومعه ١٤ من كبار القادة العسكريين ، وقد حدث رعب وانزعاج لهذا الحادث المؤلم ، فالفريق أحمد بدوى كان يحظى بحب الناس وتقديرهم ، ثم إن فراغًا واسعا حدث فى قيادة الجيش بسبب هذه الخسارة ، ومع أن التحقيق دلَّ على أن سبب سقوط الطائرة كان إهمالا فى الصيانة ، فإن إشاعاتٍ انتشرت ووَجَدَت من يقبلها حول إسناد هذا العمل إلى مؤامرة قام بها الموساد الإسرائيلى أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية •

ولا يزال السر مكتوما حول هذا الحادث الذى يُعَدُّ خسارة عظيمة فى المجالين العسكرى والشخصى (١) •

مع شاه إيران :

فى أحداث سنة ١٩٧٧ ذكرنا أنه عندما اشتد الأمر فى انتفاضة ١٨ — ١٩ يناير اتصل شاه إيران بالسادات وأعلن قلقه عليه وعلى أسرته ، وذكر له استعداده لاستقباله فى طهران إذا رأى ذلك ضروريا •

---

(١) اقرأ عن هذا الموضوع كتاب « المنصة » للأستاذ علوى حافظ •

وفى يناير سنة ١٩٧٩ جاء دور السادات ليرد الجميل ، فقد كانت الثورات بإيران تلتهب ، وكانت الجماهير تميل للإمام الخومينى الذى كان على وشك أن يعود لإيران بعد حياة طويلة بالمنفى ، فأرسل السادات يدعو الشاه لزيارة مصر فاستجاب الشاه وحضر لمصر فى ١٩٧٩/١/١٧ .

وهكذا يعيش الملوك والرؤساء فى قلق ، وبخاصة أولئك الذين ينسون الله ويتجاهلون شعبهم ، فهم يعيشون غرباء ومنبوذين فى بلادهم ، ولا تحميهم إلا القوة الغاشمة التى تنهار من حين إلى آخر كما انهارت القوة التى كانت تحمى الشاه ، وكما ضعفت القوة العسكرية حول السادات عن حمايته كما سنرى فيما بعد ، ليت الملوك والرؤساء يتعلمون درسا من التاريخ .

وبعد أن أمضى الشاه بضعة أيام فى مصر سافر إلى المغرب ، ثم أخذ الشاه ينتقل بأسرته من مكان إلى مكان ، يقذفه قطر ويتلقاه آخر ، فمن المغرب سافر إلى جزر بهاما فالمكسيك فالولايات المتحدة ، وأخيرا إلى بنما ، ولكن سرعان ما ضاقت به بنما على نحو ما فصلناه فى الجزء الثامن من هذه الموسوعة [1] ، بل وصل الأمر إلى محاولة تسليمه لإيران لمحاكمته بيد أعدائه الذين كانوا قد استولوا على الحكم بالبلاد ، ولم ينقذه إلا السادات الذى أعلن أنه مستعد أن يستضيفه ، وأرسل له طائرته الخاصة لإحضاره إلى مصر وحضر الشاه إلى مصر فى ٢٤ مارس سنة ١٩٨٠ على طائرة أخرى كما سنرى بعد قليل وقدّم له العلاج اللازم ، ولكن صحّته كانت فى تدهور متصل فأسلم الروح فى ١٩٨٠/٧/٢٦ .

وننقل فيما بعد ما دونته جيهان السادات فى هذا الموضوع ، فهى تقول :

فى مارس ١٩٨٠ اتصلت بى تليفونيا « فرح ديبا » من بنما ، وقالت : جيهان ، إن وضعنا يبعث على الأسى ، لقد انتشر المرض فى طحال

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٨ ص ١٧٥ — ١٧٨ .

زوجى ، وإذا لم نجر له عملية جراحية فورا ، فسوف يموت ، ولا أستطيع أن أثق فى أى شخص هنا لإجراء هذه العملية •

وسألتها : لماذا يا فرح ؟

فقالت : وهى تكاد تبكى إنه من الصعب أن أشرح لك فى التليفون ، وعرفت من ذلك أن تليفونها مراقب وخاضع للتصنت ، وأضافت « فرح » قائلة : يجب أن نغادر بنما فى الحال ، فهناك تقارير تنذر بالشؤم •

وكنا قد سمعنا أن بنما على وشك أن تسلم الشاه إلى إيران ، فقد كانت هناك محاولات جادة لتوقيع اتفاقية تسليم المجرمين بين إيران وبنما ، وكانت المفاوضات على وشك أن تنجح •

وتقول جيهان : عرفت أيضا من لهجتها أنها لا تثق فى أطباء بنما ، وتخشى منهم الخيانة فى إجراء هذه العملية ، فسألتها : ألا تستطيعين إحضار أطباء أمريكيين ؟ فأجابت : لقد رفضت حكومة بنما منحهم تصريحا بالدخول ، وسألتها عن موقف الحكومة الأمريكية ؟ فقالت : لقد نلنا ما فيه الكفاية من أمريكا وحكومتها •

وأحسست بانهيار الشاهبانو ، وأن كبرياءها قد تحطم خلال الشهور القليلة منذ خروج زوجها حتى إجراء هذا الحديث •

واندفعت أقول لها : ولماذا لا تحضرون إلى مصر ؟ عندنا أطباء ممتازون ، ويمكنكم أن تحضروا من تشاءون من الأطباء ، فأجابت بلهفة : هل يمكن ذلك ؟ وأحسست بتمسكها بهذا الأمل ، فقلت لها سأتصل بك مرة أخرى لأخبرك بالترتيبات ، وانتهت هذه المكالمة ، واتصلت فورا بأنور فى مكتبه وأخبرته بما دار بينى وبين فرح وسألته : هل كنت على خطأ فى دعوتى لها ؟ أو أن ذلك سيسبب لك حرجا ؟ فأجابنى : لا خيار يا جيهان ، أخبرى فرح بأننى سأرسل إليهم طائرة الرياسة

لتنقلهم فورا ، فالوقوف مع أصدقائنا فى محنتهم عمـل يُرضى اللــه ويرضى شعبنا الذى عرف بإكرام المحتاج •

وأسرع أصدقاء الشاه ينقلونه على طائرة استأجروها لحسابه دون أن ينتظروا وصول الطائرة المصرية ، مخافة أن يكون فى الانتظار خطر على الشاه [1] وقدّمت مصر كل مـا يمكن من علاج للشاه ، واستقبلت عددا من الأطباء العالميين لإجراء بعض العمليات الجراحية له ، كمـا احتفت مصر بأسرة الشاه وكرّمتها أعظم تكريم وخصّص لهـا قصر القبة لتعيش فيه ، ولكن حياة الشاه كانت فى تدهور مستمر ، فأسلم الروح فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٨٠ كما ذكرنا آنفا وأقيمت له جنازة رسمية حافلة ، ودفن الشاه فى مسجد الرفاعى بالمكان الذى دُفن فيه أبوه من قبل ، وكان الشاه قد نَقَل رفات أبيه إلى إيران وكأنه كان يخلى المكان ليكون موئلا لـــه •

فى اعتقادى أن السادات كان يمثل الشعور النبيل الذى اتجه لـــه كثير من المصريين ، هذا الشعور الذى كان يحرص على إكرام عزيز قوم ذل ، وكان السادات فى هذا الخلق على النقيض من عبد الناصر الذى كان شديد الحرص على إذلال الشرفاء ، ومع هذا فقد وُجد من بين المصريين مَنْ كان يرى أن الشاه لا يستحق الرعاية لتحالفه مع إسرائيل ، ولمـا سفك من دماء الإيرانيين ، ولعدوانه بطريق أو بآخر على عرب الخليج

إسرائيل تعلن القدس مدينة موحّدة وعاصمة لدولتها :

بعد رحيل الشاه بأربعة أيام جاءت مأساة أخرى فقد أعلن الكنيست الإسرائيلى أن القدس القديمة والجديدة مدينة واحدة لا يجوز تقسيمها ، وأنها عاصمة لإسرائيل ، وكانت الحكومة الإسرائيلية بذلك تُحدث انتهاكا جديدا لاتفاقيات كامب ديفيد بعد الانتهاك الذى حدث من قبل ببنـــاء

---

(١) امرأة من مصر ص ٥٢١ ـ ٥٢٤ باختصار •

مستوطنات جديدة بالضفة الغربية وتوسيع المستوطنات التى شيدوها من قبل ، وكانت مباحثات الحكم الذاتى للفلسطينيين قد توقفت دون إحراز أى تقدم ، ولا شك أنه من العار على اليهود أن يجعلوا من مدينة القدس المقدسة عاصمة لهم ، فالقدس يسكنها مائة ألف مسلم ، وهى مقدسة لدى ألف مليون من المسلمين ، وقد فجع المسلمون بهذا الإجراء ، فقد كان هذا التصرف يخلق مأزقا لأنور السادات ، ولذلك قال أنور السادات عنهم : إنهم يتظهرون كما لو كانوا قد انضموا إلى العرب لمحاربة مصر ومحاربة السلام (١) .

شىء واحد نريد أن نذكره لإسرائيل ، هو أن دورة الحياة لن تتوقف ، وإذا كانت إسرائيل قوية بأمريكا الآن ، فهذا الوضع لا يمكن أن يدوم ، وستحاسب إسرائيل يوما من الأيام على ما ترتكبه من تعنت وقسوة ، وسينزل بها ما تنزله الآن بالعرب والمسلمين ، ونرجو ألا تصرخ إسرائيل آنذاك ، وأن تعرف أن الشر لا يموت كما أن الخير كذلك لا يموت . لعنهم الله .

---

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ٥٣٤ .

أحداث سنة ١٩٨١

عام هموم :

يمكن القول إن هذا العام كان حافلا بالهموم من مطلعه ، كانت فيه كوارث كأنها تقود للنهاية التى تنتظر السادات نفسه — وسنقص أهم أحداث هذا العام فيما يلى :

ميت « أبو الكوم » فى سيناء :

فى يناير من هذا العام زار السادات سيناء ووضع حجر الأساس لقرية جديدة سماها « ميت أبو الكوم » وكان هذا نوعا من التحدى ، فهو لم يقنع بـ « ميت أبو الكوم » واحدة كان يراها فوق القرى وفوق المدن ، بل أراد « ميت أبو الكوم » أخرى فى سيناء .

صحيفة ولدت ميتة :

وفى مارس من هذا العام وضع حجر الأساس فى مشروع بناء دار صحفية تصدر مجلة خصها باهتمامه وأطلق عليها اسم « مايو » باسم الشهر الذى تخلص فيه من منافسيه سنة ١٩٧١ . أو قل تخلص من أعدائه ولم يتخلص من أعداء الشعب .

اليهود يثيرون شبهة بقصف المفاعل النووى العراقى :

ذكرت فيما سبق أن اليهود كانوا حريصين على عزل مصر عن العرب ، وقد حققت لهم المعاهدة المصرية الإسرائيلية هذا الهدف ، ولما تمّ لهم ذلك أرادوا أن يقضوا على السادات ، وذلك هو الخلق اليهودى الذى لم يتخلف ، والذى لا يعرف الطهر فى الصداقة ، فقد اجتمع بيجين بالسادات فى ٤ يونيو بشرم الشيخ ، وفى وقت الاجتماع كان أعوان بيجين يدبرون بإرشاده هجوما بالطائرات لقصف المفاعل النووى فى العراق ، وتمّ ذلك فعلا بعد يومين من اجتماع شرم الشيخ ، وشاع أن قصف المفاعل كان مؤامرة اشترك فيها السادات ، ردًّا على مؤتمر بغداد ، أو شاع على الأقل أن بيجين أخبر أنور السادات باتجاه إسرائيل

لتحقيق هذا الهدف ، وأن السادات لم يعترض ، وكلّ ذلك لم يحدث ، وإنما كان الأمر — كما قلنا — محاولة لتدمير السادات بعد أن استغله اليهود وعقدوا معه هذه المعاهدة ، أو كان محاولة لتدميره لأنه عقد معهم هذه المعاهدة التى أخذت منهم سيناء .

وقد وصل من قوة هـذه الإشاعة ما يرويه الأستاذ محمد حسنين هيكل [1] من أن السفير الأمريكى اتصل برئاسة الجمهورية صباح يوم ضرب المفاعل ليسأل : ما إذا كان مناحم بيجين قـد أخطر السـادات بنية إسرائيل على قصف المفاعل ؟

وإذا كان السفير الامريكى يصـل ظنه إلى هـذا المـدى فكيف بالآخرين ؟ ولهذا أصدر السادات بيانا ينفى فيه علمه بالتخطيط لضرب المفـاعل .

وتعلّق السيدة جيهان السادات على هذه العملية العدوانية بأنهـا أوشكت أن تبدد الاتجاه للسلام ، وأن توقيتها كان يقصد به النيل من زوجها الذى هزّته هذه العملية هزا قاسـيا ، وفتحت الباب لأعـداء المعاهدة أن يستأنفوا مهاجمتها بشدة ، وتقول السيدة جيهان « فى كل خطوة سلام كان زوجى يتخذهـا ، كان الإسرائيليون يعودون للخلف خطوات [2] » .

أحـداث الزاوية الحمراء

الدارس المحايد للعلاقات بين المسلمين والأقباط يجد تعاونا شاملا فى كثير من الظروف بين هؤلاء وأولئك ، ففى الحروب الصـليبية نكل الصليبيون بالمسلمين والمسيحيين على السواء ، فقد كانت المسـيحية الصليبية غارقة فى الدم ، فأنزلت سخطها على المسلمين لأنهم مسلمون ،

---

(١) خريف الغضب ص ٤٦٦ .

(٢) امرأة من مصر ص ٥٣٥ .

وعلى المسيحيين الشرقيين لأنهم يتبعون مذهب الأرثوذكس وهو مذهب يجعلهم فى نظر كاثوليك الغرب الأوربى ضمن الكفار •

وفى حملة نابليون وقف المسلمون والمسيحيون متعاونين ضد الزحف الفرنسى •

ولما جاء عهد الاستعمار الأوربى اكتوى بناره المسلمون والمسيحيون على السواء •

صحيح أنه كان هناك دائما شواذ من المسيحيين عاونت الصليبيين أو انضمت لزحف نابليون ، أو سعدت فى ظل الاستعمار [1] ، ولكن هؤلاء كانوا قلة لا وزن لها بالنسبة للغالبية المطلقة التى كان الوطن عندهم عظيم القدر لا يبيعونه بأى ثمن ، وفى التاريخ المعاصر وجد هؤلاء المسيحيون المتعصبون أيضا ، فهناك جماعة فى مطلع عام ١٩٨٦ قدموا طلبا لتكوين حزب باسم السلام الاجتماعى ، وكانوا جميعا من المسيحيين ، فكأنما أرادوا أن يفتحوا بذلك بابا من الشر والتعصب ، فاحتج لذلك كاتب مسلم معروف هو الأستاذ محمود عبد المنعم مراد ، وما إن نشر هذا كلمته حتى كتب عدد من المسيحيين المثقفين يؤيدونه ويحتجون على قيام تجمع مسيحى خالص ، وكان من هؤلاء الأستاذ رفلة عالم الجغرافيا الشهير والوزير السابق الأستاذ عدلى عبد الشهيد ••••

ومن الحق أن نذكر أن بعض المسلمين يتجهون أحيانا للتعصب ، واعتقادى أن ذلك لقلة دراية بالفكر الاسلامى وبالتاريخ الاسلامى فالقرآن الكريم يقول « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » ويقول « لكم دينكم ولى دين » وفى التاريخ الاسلامى نماذج رائعة على تعاون المسلمين والمسيحيين ، وكان بعض الفقهاء إذا جاء مسيحى يريد أن يدخل الإسلام يطلب منه أن يؤكد له أن ذلك من باعث داخلى وأنه لا يوجد ما يكرهه على ذلك •

---

(١) انظر نماذج من هؤلاء فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة « تاريخ مصر من عمرو بن العاص الى حسنى مبارك » •

وبصفة شخصية أقــرر أن كثيرين من المســيحيين يقرءون كتبى وبخاصة كتاب « المسيحية » من سلسلة مقارنة الأديان ، وأننى أقرأ كثيرا من الكتب المسيحية وبخاصــة تلك التى يتفضــل الأنبــا غريغوريوس بإهدائها لى من مؤلفاته .

تلك مقدمة لم يكن منها بدٌّ ، ومع هذا فقد حدثت صراعــات بين بعض المسلمين وبعض المسيحيين وبخاصــة فى هذا العام الــذى نروى أحداثه ، وأشهر هذه الصراعات ما ارتبط بالزاوية الحمراء حيث أراد الأقباط بناء كنيسة على قطعة أرض ، وقال المسلمون أن هــذه الأرض ملك لهم وأنهم أخذوا إذنا من الدولة لبناء مجمّع إسلامى عليها ، وقامت المعارك ، وفى مرة أخرى تساقطت مياه غير نظيفة من شرفة بعض الأقباط على شرفة بشقة يسكنها المسلمون فتشاتم هؤلاء وأولئك ، ثم امتدت الأيدى واندفعت الأسلحة وسقط قتلى وجرحى .

وانتقلت العدوى بجرأة من مكان إلى مكان ، وشدت الأحداث بعض رجال الدين من الجانبين ، وانتقلت الأحداث كذلك من مصر إلى الاقباط بالخارج ، فعندما كان السادات فى أمريكا نشر الأقباط المصريون إعلانا كبيرا فى « واشنطن بوست » و « النيويورك تايمز » يعبّرون فى هذا الإعلان عن المضايقات التى يلقاها الأقبــاط فى مصر ، ثم قامت هــذه الجمعيات بمظاهرتين ضد السادات إحداهما أمام البيت الأبيض فى أثناء اجتماعه مع ريجان ، والثانية أمام متحف « المتروبوليتان » الذى كان السادات سيحضر فيه احتفالا بإقامة قسم جديد للآثار المصرية [1] .

ولا شك أن كل مصرى مخلص لدينــه ولبلاده يستنكر أحــداث التعصب والقتل ، ويستنكر التظاهر فى الخارج ضد رئيس الدولة .

---

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٤٦٩ .

مساعدات للعراق فى حربه ضد إيران

سبق أن تحدثنا عن مؤتمر بغداد الذى عقد فى نوفمبر سنة ١٩٧٨ ونقرر فيه تعليق عضوية مصر بالجامعة العربية ، وقطع العلاقات السياسية والدبلوماسية معها ، وعدم مدها بالمعونات الاقتصادية .... إذا أكملت الشوط وعقدت معاهدة سلام مع إسرائيل .

وعندما وقعت مصر معاهدة السلام مع إسرائيل فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ اجتمع وزراء الخارجية العرب وقرروا تنفيذ ما أقره مؤتمر بغداد .

وبعد حوالى العام من ذلك التاريخ اشتعلت الحرب بين إيران والعراق — وبالضبط فى ٢٢/٩/١٩٨٠ ، واتجهت إيران والعراق إلى دول العالم تطلبان الأسلحة وقطع الغيار والخبرات ، وقامت مصر بدور هائل تجاه نجدة العراق على الرغم من أن مقاطعة العرب لمصر أخذ القرار بها فى بغداد ، ولكن مصر تناست هذه الخطيئة ، وقدمت العون للعراق فى أحرج الأوقات ، وكان عون مصر أنواعا من الأسلحة والذخائر وقطع الغيار ، وقد قامت مصر بذلك وهى تعلن أنها لا تريد حربا بين مسلم ومسلم ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تقبل انهيار دولة عربية إسلامية ، ومعنى هذا أنه لم يكن لمصر خيار فيما اختارته ، فإيران دولة مسلمة ولكن العراق دولة مسلمة وعربية ، وإيران تتطلع للزحف على الجزيرة العربية إن تحقق لها الانتصار على العراق ، وذلك شىء ترفضه مصر ، وتحارب لمنعه ، مهما كانت الظروف .

وقد نشرت الأنباء أن عون مصر للعراق جاء فى أخطر الأوقات وأحرجها ، حتى أن بعض زعماء العراق تأثروا كثيرا تقديرا لهذا الدور المصرى الكبير [1] .

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف : جـ٨ ص ٢٠٣ .

وبينما وقفت مصر هذا الموقف من العـراق ، فإن إسرائيل التى يفترض أن بينها وبين مصر معاهدة سـلام وقفت موقفا مضادا تماما لموقف مصر ، فقد أمدت إسرائيل إيران بالكثير من الأسلحة والذخائر والخبرات ، بل دخلت المعركة بشكل مباشر حينما انقضت طائراتها على المفاعل النووى الذى كان يمكن أن يكون من العوامل التى تشد أزر الجيش العراقى ، ولم تترك الطائرات الإسرائيلية هذا المفاعل إلا وهو كومة من الرماد وكان ذلك فى يونيو ١٩٨١ كما ذكرنا من قبل •

إن حرب العراق أعطت درسـا للعـرب ألا يتعجلوا فى تصـعيد الخلافات بينهم ، فهم فى حاجة إلى بعضهم البعض ، وقـد تظهر هـذه الحاجة بعد فترة قصيرة من القطيعة لتقول لدعاة الخلافات إن أسباب الحب والتآلف أكثر وأعمق من أسباب الجفاء •

قرارات سبتمبر المشئومة

إن اتجاه السادات لأمريكا وللغرب بوجه عام ألزمه أن يتظـاهر بالديمقراطية ، وكان هذا التظاهر شكليا بعيـدا كل البعد عـن طبيعة السادات العسكرية والديكتاتورية ، فهو فى ذاته ديكتاتور عسكرى ، وهو فى تربيته تلميذ عبد الناصر الذى لـم يكن فقط ديكتاتورا ، بل كـان طاغية وسفاحا •

ومن الواضح أن إعلان الديكتاتورية أيسر من إخفائها ، وقد كان السـادات يخفى الديكتاتورية ويتظـاهر بالديمقراطية ، ولكن طبيعة الديكتاتورية فى نفسه طالما اندفعت إلى السطح وبرزت للعيان ، وفى خلال رياسته نجده فى عدة مرات يكبح الديكتاتورية ليتظاهر بالديمقراطية ، ثم ينهار أمام دوافع الاستبداد الكامن فى نفسه فيبدو ديكتاتورا متسـلطا لا يستمع لأحد ولا يستمتع بضمير •

وموقف السادات من أحداث سبتمبر هو موقف رجحت فيه طبيعة

السادات ، فبرز استبداده على أوسع النطاق ، وقد أعلن سببين لهـذا الموقف ، هما :

١ ــ الفتنة الطائفية التى رآها قد استعرت بين المسلمين والأقباط وبخاصة جماعة الأقباط الذين تظاهروا ضده فى الولايات المتحدة فى أثناء وجوده هناك ، والباحث فى نفسـية السادات يجد أنه لم يغفر هـذه المظاهرات ، لأنها قامت فى أرض الديمقراطية وبحضرة زعيم شرقى يدّعى الديمقراطية ولا يعمل بها ، فجرحت هذه المظاهرات كبرياءه واستسلم للعنف .

ومن ناحية المسلمين كانت ثوراتهم فى مصر صاخبة بسـبب قوانين جيهان التى ذكرناها من قبل ، وبسبب حرمان المسلمين من أصوات بعض العلماء الذين لهم فى نفوس المسلمين مكانة عظمى كالشيخ الغزالى والشيخ كشك ، ثم التقاعس الواضح تجاه تنفيذ قانون التشريع الاسلامى ذلك التشريع الذى كانت الهيئات العلمية قد أعدته من قبل ، ثم وُضِعَ فى أدراج مغلقة بحيث لا يرى النور .

وعلى هذا كان السادات كارها للمسلمين والأقباط على السواء .

٢ ــ اعتقد السادات أن أحزاب المعارضة تعمل على مـا يعوق تنفيذ الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ، وإذا لم ينسـحب الإسرائيليون من سيناء فإن المعاهدة تصبح حبرا على ورق ، لا قيمة لها . وكان السادات شديد الحماسة لهذه المعاهدة ، ويقول موسى صبرى فى ذلك : كان السادات متنبها لهذا التخطيط من المعارضة ، ولذلك قرر أن تكون قرارات التحفظ شاملة لكل الاتجاهات الدينية والسياسية المتطرفة ، وبذلك تهدأ الأجواء حتى يتم الانسـحاب فى ١٩٨٢/٤/٢٥ وكان واضحا لجميع المتصـلين بالسادات أن هذه الإجراءات مؤقتة حتى يتم الانسحاب [١] .

---

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٢٠٥ .

وتعليقنا على هذا الكلام من ناحيتين :

الأولى : بشاعة هذا التحفظ الذى شمل مجموعة كبيرة من كبار السن والمرضى والزعماء وكان مقصودا به أن يستمر ثمانية شهور من سبتمبر ١٩٨١ الى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ •

الثانية : اتهام هذه الزعامات وهؤلاء المصريين بأنهم يقومون بأى عمل يؤجل أو يلغى انسحاب الإسرائيليين من سيناء ، وليس هناك مصرى واحد كان يعمل على تعطيل الانسحاب ، وإذا كانت الثورة هى التى جلبت هذا الاستعمار الكريه فإن المصريين جميعا كانوا فى أشد الحماسة للتخلص من أقدام هذه الطغمة الفاسدة من الصهاينة ، وقد دفع المصريون جميعا ضريبة الدم فى معارك أكتوبر لتحرير سيناء ، فلا يمكن اتهام أى مصرى بعرقلة طرد الصهاينة منها فسحقا لكلمات موسى صبرى •

وقرارات سبتمبر المشئومة تعتمد على المادة ٧٤ من الدستور ، وهى المادة اللعينة التى شرحناها ونحن نتحدث عن الدستور ، وهى تعطى الرئيس سلطات واسعة وفضفاضة ، وتشمل قرارات سبتمبر ما يلى :

١ — القبض على حوالى ثلاثة آلاف شخص فى ليلة الثالث من شهر سبتمبر والليالى التالية وفيهم أساتذة من الجامعات ، وزعماء سياسيون ، وصحفيون ، وأطباء ، ورجال دين مسيحيون ومسلمون ، وعدد كبير من الشباب ، وفيهم كذلك بعض القيادات النسائية [١] •

٢ — اعتقال بعض أقطاب اليسار بتهمة التآمر مع السفارة السوفيتية لقلب نظام الحكم ، واستلزم هذا طرد البعثة الدبلوماسية السوفيتية كلها من مصر •

---

(١) اختلفت المصادر فى تحديد العدد ، فالبعض يرى أنه كان ١٥٠٠ أو ١٥٣٦ ويرى الاستاذ هيكل ان العدد كان ٣٠٠٠ واضعا فى حسابه أعداد الشباب الذين قبض عليهم فى المحافظات المختلفة ، ولم يرحلوا للقاهرة ، وانظر : التغيير أو الضياع للدكتور محمد حلمى مراد ص ٣٧ •

٣ — إبعاد حوالى ستين أستاذا ومدرسا من الجامعات وإلحاقهم بوظائف ادارية .

وقد أثبتت محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة ان المادة ٧٤ لا تبيح ما قام رئيس الجمهورية بفعله ، فالخطر ليس جسيما ، وقد تمكنت السلطات من التغلب على مشكلة الزاوية الحمراء ، فلم يكن هناك ما يدعو لاستعمال هذه المادة (١) .

ومن مشاهير الذين اعتقلوا من السياسيين الاستاذ فؤاد سراج الدين والاستاذ عبد الفتاح حسن ، والاستاذ محمد حسنين هيكل والاستاذ فتحى رضوان ،والمهندس عبد العظيم أبو العطا ، والاستاذ ابراهيم طلعت ،والدكتور محمد عبد السلام الزيات ، والاستاذ محمد فائق ، والدكتور حلمى مراد — والاستاذ حامد زيدان ، والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، والدكتور محمد أحمد خلف الله ، والاستاذ فريد عبد الكريم ، والدكتور محمود القاضى ، والاستاذ عادل عيد ، والاستاذ عبد العزيز الشوربجى والاستاذ محمد فهيم .

ومن أساتذة الجامعات الذين اعتقلوا : الدكتور ميلاد حنا والدكتور كمال الإبراشى ، والدكتور عبد المحسن حموده .

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة اعتقل الأستاذ عمر التلمسانى والشيخ المحلاوى والشيخ كشك والشيخ عيد .

ومن القيادات النسائية : د . نوال السعداوى و د . لطفية الزيات وفريدة النقاش وغيرهن .

كما اعتقل عدد كبير من القسس ورجال الدين المسيحى .

وصدر قرار جمهورى بإبعاد البابا شنوده عن المباشرة الإدارية على الكنائس ، وعينت لجنة بابوية خماسية لتتولى الشئون الإدارية بالكنائس .

---

(١) دكتور محمد حلمى مراد : التغيير أو الضياع ص ٤٣ .

ومن الصحفيين الذين اعتقلوا الاستاذ صلاح عيسى والاستاذ حسين عبد الرازق .

ومن المؤسف أن روح التشفى كانت مسيطرة على السادات وهو يقوم بهذا العمل الأخرق ، وقد وقف يعلن أسباب القبض على هؤلاء ويعدد أسماء بعضهم ، وعندما جاء ذكر الشيخ المحلاوى الذى كان أحد خطباء مساجد الاسكندرية قال السادات عنه :

« أهو دلوقت قاعد زى الكلب فى السجن » .

وهذا التعبير وذلك التشفى بعيدان تماما عن اللياقة .

وعندما جاء دور التحقيق أمام المدعى الاشتراكى فيما ارتكبه هؤلاء من أخطاء تبين أن الكثيرين منهم لم يسند لهم خطأ محدد لدرجة إن المدعى الاشتراكى شكا خلال إجراء التحقيقات من أن عددا كبيرا من المتحفظ عليهم أرسل اليه للتحقيق دون بيانات وافية تشكل اتهاما (١) .

والباحث تعتريه الدهشة عندما يطالع أن موسى صبرى كان فى يده نفوذ يستطيع به أن يحمى من الاعتقال بعض الذين كانوا ضمن قوائم المعتقلين (٢) .

وكان من أبسط أنواع اللياقة أن يعامل هؤلاء المعتقلون معاملة المعتقلين السياسيين ، ولكن الذى حدث أنهم عوملوا بقسوة لا تلائم بشريتهم أولا ، ولا تتفق ووضعهم الاجتماعى ثانيا ، ثم إن الكثيرين منهم كانوا متقدمين فى العمر ، ويتناولون أدوية بشكل منتظم ، ولكن السلطة الجائرة حرمتهم الدواء ، ولم تقدم لهم الالتزامات البشرية والإنسانية ، لدرجة أن الاستاذ المهندس عبد العظيم أبو العطا الوزير

---

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠١ .

السابق مات فى الاعتقال ولم يستطع زملاؤه أن يقدموا له الإسعافات الضرورية عندما احتاج لها ، فأسلم الروح .

ويصف محمد حسنين هيكل (١) ما لاقاه هؤلاء المعتقلون من تعسف فيقول : فى صالة استقبال السجن صودر كل ما كان معى ومع غيرى من الكتب والأوراق والأقلام ، بل ومن الأدوية والمحافظ والنقود والملابس ، ولم يسمح لكل منا إلا بغيار داخلى واحد وفوطة وفرشة أسنان بدون معجون ..... ووُضعنا فى زنزانات بها مراتب من المطاط وبطاطين تفوح منها رائحة ال « د . د . ت . » وكانت هناك حفرة فى ركن من الزنزانة تمثل « الحمَّام » وفى ركن آخر كانت هناك مجموعة من الأوانى الصاج ليوضع بها طعامنا ، وكان طعامنا عبارة عن العسل الأسود وبعض الأرغفة التى تغطّيها طبقة من الذباب .

ويقرر الأستاذ حسنين هيكل أنه فى الأيام الخمسة الأولى لم يتناول طعاما إلا خمس بيضات مسلوقة وخمسة أرغفة ، وكان خفير بيته بالريف قد قدم له هذا الزاد عندما أخذته قوة من الشرطة لتفتيش سكنه بالريف ، ويضيف هيكل أن هذا القدر الضئيل من الزاد اتسع لاستضافة بعض رفاقه بالزنزانة .

إنه على ذلك لم يكن سجنا إنما كان تنكيلا وتعذيبا ، ولا تسمح القيم والأخلاق بذلك ، ولكن عصابة الثورة ما كانت تعرف القيم ولا الأخلاق .

مقارنة بين اعتقالات عبد الناصر والسادات :

يمتدح موسى صبرى — للأسف — اعتقالات السادات ، فيراها جنة إذا قيست باعتقالات عبد الناصر ، وكأنه يطلب من معتقلى

---

(١) خريف الغضب ص ٤٧٩ وما بعدها .

السادات أن يشكروه ويثنوا عليه لأن اعتقالهم الذى وصفناه — كان كما يقول موسى صبرى — يختلف عن اعتقالات عبد الناصر كثيرا ، فان الاعتقالات فى عهد عند الناصر كان معناها اختفاء المعتقل فى مكان مجهول لأعوام طويلة دون أن يسمح لأسرته بمعرفة مكان اعتقاله ، وكان المعتقلون — فى بعض المراحل — يقيدون بالسلاسل فى أيديهم وأقدامهم ، وكانوا يعذبون تعذيبا جماعيا بالضرب بالعصى الغليظة والجلد ، وبعضهم مات من فظاعة الضرب ولم يكن هناك تحقيق أو محاكمة على الاطلاق (١) .

ألا لعنة الله على هذه الاعتقالات وتلك ، وعلى من ابتكرها ، ومن نفذها ، ومن رضى عنها — وكثيرا ما كان طغيان الطاغية أثراً لكلمات يكتبها أو يقولها بعض المنافقين .

الاعتقالات والرأى العام المصرى والعالمى :

يقول موسى صبرى إن سياسة السادات فى الحكم كانت تقضى أنه عندما يلجأ لاتخاذ الإجراءات الاستثنائية يبتعد عن المساس بالصحفيين والسياسيين وأساتذة الجماعات ، ولهذا كان مفهوما قبيل إعلان الاعتقالات أنها متجهة للجماعات الإسلامية ولعدد من القساوسة .

ولكن شيئا حدث لا يعرفه موسى صبرى جعل قرارات الاعتقال تتسع لكل الاتجاهات (٢) .

هل هى التقارير التى يتقرب بها الأوغاد إلى السادة ، أو هى الطبيعة العسكرية تندفع فى ثوبها الديكتاتورى الصريح ؟

لقد اتسعت الاعتقالات حتى كان الواحد منا لا يتوقع أن يرى زميله أو صديقه بمنجاة من الاعتقال .

---

(١) موسى صبرى : السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢١٢ .

ولم يكن السادات يظن انه سيكون هدفـا الهجوم من الإعـلام الشرقى والغربى على السواء ، كان يظن ان الاتحاد السوفيتى هـو وحده الذى سيهاجمه ، ثم فوجىء بأن الإعلام الغربى كان أكثر حـدة من الإعلام الشيوعى ، وبخاصة لوجود الأستاذ محمد حسنين هيكل بين المعتقلين وله مكان بارز فى وسائل الإعـلام الغربية ، وكانت صـحيفة « الصنداى تايمز » فى قمة الغضب والسخرية بالسادات لدرجة أنهـا نشرت مقالات الهجوم على السادات فى نطاق واسع ، ووضعت مـرة رسما لوجه السادات وكأنه وجه حمار [1] .

غرور السادات بالاستقبالات الشعبية :

يذكر موسى صبرى [2] موقفا عجيبا للسادات ، فإنه بعد إصدار هذه الاعتقالات قام برحلة إلى المنصورة ، فاجتمع لاستقباله على طول الطريق أعداد كثيرة من البشر ، وعاد السادات الى استراحة القناطر بعد هذه الرحلة وهو فى قمة السعادة ، وصرح بأن هـذا الاسـتقبال العظيم يعتبر استفتاء جديدا لزعامته وتأييدا للقرارات التى اتخذها .

ولعمرى إنه لشىء يشين السادات أن يظن هذا الظن الأبلة ، فإن مستقبليه كانوا تلاميذ المدارس ، أو عمالا ، منحوا إجازة لهذا الغرض ، وكانوا رعاعا ربما لم يسمعوا عن الاعتقالات ، وكانوا رجال حزبه كأولئك الذين رقصوا لعبد الناصر يوم التاسع من يونيو فى مجلس الشعب وأجساد المصريين فى سيناء تنتفض ، والدماء تندفع ، والوطن يحتله العدو ، والكرامة تداس .

ليت الرؤساء يعرفون أن الجماهير تجتمع « لافرجة » على أى شىء غير عادى ، إنهم يفعلون ذلك مع ممثل أو مغنية ، وربما مع مجرم شهير ألقت الشرطة القبض عليه بعد هروب طويل .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٠٦ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢١١ .

من كلمات الأستاذ عمر التلمساني عن هذه الاعتقالات :

وقبل أن نترك أحداث سبتمبر الكريهة ينبغى أن نقتبس بضعة سطور من الكتاب الذى كتبه المرحوم الأستاذ عمر التلمسانى يصف ماعاناه خلال هذه المحنة ، يقول سيادته :

يوم ٤ سبتمبر ١٩٨١ خرجت صحيفة الأهرام على الناس معلنة أنه تم القبض على ٥٥٣ شخصا من العناصر المحرضة على الفتنة الطائفية وأن غالبية المتهمين عناصر أعماها التعصب والتطرف الدينى ، ومعهم قلة حزبية ركبت موجة الفتنة ، ومعهم كذلك ١١٩ من ذوى السوابق ، وإن المدعى الاشتراكى يتولى التحقيق مع المتهمين وسيكشف السادات فى خطابه غدا التفاصيل المذهلة لمؤامرة الفتنة الطائفية (١) .

وأعلنت صحيفة الأخبار فى نفس اليوم أنه قد أُعِدت صحيفة اتهام خاصة لكل واحد من المتحفظ عليهم (٢) .

ويصف الأستاذ عمر التلمسانى حالته فى الاعتقال فيقول : وُضعت فى حبس انفرادى فى مستشفى طره من يوم ٣ سبتمبر ، وفى المعتقل حُرِمْتُ من الصحف والمجلات والكتب ، ومن الراديو والتليفزيون وكانت التغذية سيئة للغاية . فكانت تُقَدّم لى وجبة واحدة فى اليوم ، وهى من العدس الممزوج بالحصا والرمال ، أو من الفول الذى استنفذ السوس ما فيه من البروتين (٣) .

وفى يوم ٦ سبتمبر أعلنت صحيفة الأخبار بعناوين رهيبة مخيفة قولها :

— أخطر استغلال للدين .
— حل بعض الجمعيات المشهرة التى عملت ضد الوحدة .
— التحفظ على أموال الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية .
— دور العبادة تستغل لتحقيق أغراض سياسية ، ولضرب الوحدة الوطنية .

---

(١) أيام مع السادات ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١١ — ١٢ .

ــ نقل ٦٤ من هيئات التدريس بالجامعات والمعاهد العليا .
ــ فصل ٦٧ من العاملين فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون .
ــ إلغاء القرار الجمهورى بتعيين الأنبا شنودة [١] .

وحتى يثبت للقارىء كذب هذه الاتهامات يذكر الأستاذ عمر التلمسانى أن كل التحقيقات والاتهامات قد حفظت ، وأن أعضاء النيابة كانوا يقولون إننا لا نجد صحيفة اتهام لأكثر المعتقلين .

دكتور حلمى مراد يصف بعض حالات القبض :

إذا كنا آنفا قد اقتبسنا من المرحوم الأستاذ عمر التلمسانى بعض ما عاناه يوم قبض عليه وما عاناه فى المعتقل ، فإننا نقتبس سطور من مشاهدات شاهد عيان آخر هو الأستاذ الدكتور محمد حلمى مراد وفيما يلى كلمات سيادته :

..... صاحَبَ قرارَ الاعتقال فظاظة" فى التنفيذ بالنسبة لحالات رأيتها ، فقد رأيت ليلة وصولى إلى سجن الاستقبال بطره شابا أودع معنا فى نفس الزنزانة جاءوا به حافيا بجلباب النوم بعد أن انتزعوه من فراشه دون أن يمكنوه من ارتداء ملابسه أو إحضارها معه .

وصاحَبَ الاعتقالات تعمية" بالنسبة لأهل جميع المعتقلين فيما يختص بالجهة التى سيرسلون اليها ، ولم يسمحوا لأية سيارة خاصة بمتابعتهم لمعرفة تلك الجهة بحيث أخذ الأهل والمحامون يبذلون الجهد ويحاولون الاتصال بالمسئولين عدة أيام لمعرفة مكان اعتقالهم ، وهو أمر يعود بنا إلى القرون الوسطى قبل أن يصدر التشريع الانجليزى الذى يلزم الدولة بضرورة الإفصاح عن مكان وجود المتهم ، وهو القانون المعروف باسم Habeas Corpus والذى أصبح أمرا متعارفا عليه ومسلّما به فى كل دول العالم المتحضر [٢] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤ .
(٢) التغيير أو الضياع ص ٣٩ .

حادث المنصة

كان بعض من توثقت علاقاتهم بالسادات يقولون إنه كان يتوقع أن يموت قتيلا تبعا للحكمة التى تقول : من قَتَلَ يُقتَل ولو بعد حين ، وكان السادات قد شارك وخطط فى قتل أمين عثمان ، وفى محاولة قتل الزعيم مصطفى النحاس ، ولذلك كان ينتظر أن يُثأر منه [1] •

ولدينا وصف دقيق لحادث المنصة كتبه أكثر من شاهد عِيان ، ولكنا قبل أن نورد هذا الوصف ينبغى أن نذكر الأسباب التى دفعت هذه المجموعة من الشبان للقضاء على السادات ، ويمكن القول إنه كانت هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة ، والأسباب المباشرة هى تلك التى تُنسَب للسادات نفسه قبيل الحادث ، أما الأسباب غير المباشرة فترتبط أساسا بتغاضى السادات عن المساوىء التى ارتكبت فى عهد سلفه عبد الناصر ، ومن أجل هذا ينبغى أن نبدأ بذكر الأسباب غير المباشرة ، فهى أسباب بعيدة ، ثم نتحدث على الأسباب المباشرة التى كانت حديثة الوقوع •

الأسباب غير المباشرة لحادث المنصة :

تسلم السادات الحكم من عبد الناصر ، وأغضى الطرف تماما عن كل الجراح والآلام التى سببها عبد الناصر لمصر وللمصريين ، فلم يهتم السادات بالتحقيق فى الهزائم البشعة التى دمرت الإنسان المصرى ، وحطت من سمعة البلاد ، وأكلت أعظم الثروات ، فلم يفتح السادات ملفات حرب ١٩٥٦ ولا حرب اليمن ولا حرب ١٩٦٧ بما فى هذه الحروب من أهوال وإهمال جسيم •

ولم يهتم السادات بالسرقات والاختلاسات التى غمرت عصر عبد الناصر ، وكأن شيئا من ذلك كله لم يكن •

---

(١) حسن عزت : العمالقة والأقزام ص ٢٦٠ •

وجواهر أسرة محمد على أسدل السادات عليها ستارا كثيفا مــع أنها كانت فوق ما يخطر بالبال من جلال وعظمــة ، وكأن هذا القدر الهائل من الجواهر كان ميراثا خاصا بعبد الناصر ورفاقه ، ومع اختفاء الجواهر اختفى كذلك الاثاث الفاخر من القصور الملكية •

والاتهامات الصريحة التى ارتبطت برصــيد الذهب الذى نقلــه عبد الناصر إلى منزله سنة ١٩٥٦ ولــم يعد للبنك المركزى مرة أخــرى أغفلها السادات فلم يسمح بكلمة عنها ، حتى اختفت هذه الاتهامات مع اختفاء هذا الرصيد العظيم الــذى تدهورت بســبب اختفائه عملتنــا المصرية ، وكان هذا الرصيد خمســمائة مليون مــن الجنيهات الذهبيــة الاسترلينية [1] •

وتكلم السادات عن خزانة عبد الناصر وما كان بها من أموال ثــم سكت عن مصير هذه الأموال مــع اعترافه بأنها كانت أمــوال الدولــة للمصروفات السرية •

وظهر أولاد عبد الناصر وأصهاره بعده ومعهم مئات الملايين مــن الدولارات وأحيانا ينسب لهم البليارات ، ولكن السادات لم يفتح فمه بكلمة « من أين لك هذا » لأى منهم ، مع أن رائحة السلب كانت تفوح كثيرا •

والمعذبون الذين أوقع بهم عبد الناصر ومعاونوه من أمثال صلاح نصر وحمزة البسيونى ••• لم ينالوا أى انصاف من السادات •

وتناسى السادات الانتفاضات الشعبية التى قامت فى عهد عبد الناصر

---

(١) سبق ان تحدثنا عن هذا الرصيد ـ اقرأ الخطايا العشر للدكتور ابراهيم دسوقى اباظة ص ٤٥ •

وبخاصة انتفاضة فبراير ١٩٦٨ ونوفمبر ١٩٦٨ ثم انتفاضة عصر السادات نفسه فى يناير ١٩٧٧ ، بل كان يسميها انتفاضة الحرامية •

وأغمض السادات الطرف عن اختلاسات مديرية التحرير ، وعما أصاب البلاد من انهيار المرافق ، ومن القوانين الجائرة الخاصة بالإسكان والأرض الزراعية ، وكأن شيئا من ذلك لم يحدث •

وفى إيجاز ، لقد حفل عصر عبد الناصر بأحداث جسام أضرت بالبلاد والعباد ، وبدل أن ينصف السادات الناس من هذا الديكتاتور راح ينحنى أمام تمثاله ، ويخفى كل مساوئه ، فأشعل القلوب حقدا عليه منذ أيامه الأولى •

الأسباب المباشرة :

إن الذين قتلوا السادات فى يوم عيده ذكروا أسبابا رئيسية ثلاثة كانت مباشرة ، وكانت كالقشة التى قصمت ظهر البعير ، فأثارت كوامن الحزن فى قلوبهم وهيجت نفوسهم فجعلتهم يُقْدِمون على هذا الاغتيال ، وهذه الأسباب المباشرة هى :

١ — المعاهدة مع أعداء البشرية من بنى إسرائيل ، ومحاولة تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل •

٢ — اعتقال المسلمين بدون ذنب يذكر ، وتعذيبهم فى السجون •

٣ — القبض الغادر الهادر الذى قام به السادات على آلاف من البشر فى أوائل سبتمبر وما ضمَّه هذا الحشد من رجال سياسة ، ورجال دين ، وأساتذة جامعات ، وكبار السن ، مع الإسراف فى الإساءة لهؤلاء المعتقلين •

وأضاف خالد الإسلامبولى زعيم القتلة أسبابا أخرى هى :

١ — سب العلماء المسلمين المشاهير ، ووضعهم فى السجون .

٢ — تقريب الأشخاص الذين عرفوا بعدائهم للإسلام .

٣ — تشجيع نوادى الروتارى والليونز فى مصر هو وزوجته [1] .

وهناك أسباب خاصة يذكرها الأستاذ عادل حمودة ، وهى اعتقال شقيق خالد ، وبكاء أمه عليه وخوف أبيه ، ثم تحفظ السادات على نبيل المغربى المترجم بمجلة « الدعوة الإسلامية » ومحمد البيلى من أعضاء الجماعات الإسلامية ، والأثنان هما زوجا شقيقتى حسين عباس الـذى أفرغ الرصاص فى رقبة السادات وهو ينظر الى الطائرات التى تقـوم بأعمال أكروباتية [2] .

وكانت الأسباب غير المباشرة تتأجج فى نفس كل مصرى ، ثم جاءت الأسباب الثلاثة السابقة فدفعت هذه المجموعة من الشبان الى ارتكاب هذا الشطط على الرغم من كل شىء .

وصف الحادث :

والآن بعد أن قدمنا الأسباب المباشرة وغير المباشرة لهذا الحادث نستطيع أن نخطو لنقدم وصفا لهذا الحادث :

تقول السيدة جيهان السادات إن زوجها كان يهوى الزى العسكرى لدرجة أنه كان يرتديه عقب طرده من الجيش ، مع علمه أن ذلك كان محرما عليه ، ولما أصبح رئيسا للجمهورية زادت عنايته بالزى العسكرى وبجعله يتناسب مع مكـانته الجديدة ، كمـا كان من مظـاهر اعتزازه بعسكريته حرصه على تأبط عصا الماريشالية فى المناسبات الرسمية .

---

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .

وتضيف هذه السيدة بأن السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ كان من الأيام القليلة التى لم يساورها أى خوف على حياة زوجها فيه ، فهذا اليوم الذى يتصدر الأعياد القومية المصرية كان يقين زوجة السادات قوياً بأن لا خطر يمكن أن يهدد حياة زوجها ، فهـو القائد والبطل وصـانع النصر ، وهو يقف بين أبنائه كما كان يقول •

رقم « ٦ » فى حياة السادات :

وبمناسبة ذكرنا ليوم ٦ أكتوبر نقرر أن رقم ٦ كان رقما مهما فى حياة السادات ومشواره السياسى ، ويتضح ذلك مما يلى :

٦ فبراير عام ١٩٣٨ تخرج السادات من الكلية الحربية •

٦ يناير عام ١٩٤٦ اشترك فى اغتيال أمين عثمان •

٦ يناير عام ١٩٥٠ بدأت الخطوات لإعادته للجيش بعد أن كان مطرودا ، وقد تمت هذه الخطوات فى الأيام التالية لذلك التاريخ من شهر يناير •

٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ حقق أعظم نجاح فى العبور بجيش مصر الى سيناء •

٦ أكتوبر عام ١٩٨١ لقى مصرعه وهو فى أوج مجده بين جيش كامل •

٦ مارس عام ١٩٨٢ صدرت الأحكام فى قضية اغتياله [1] •

ونعود للسيدة جيهان السادات التى تقول انها لن تنسى الابتسامة التى ارتسمت على وجه زوجها حين دخل إلى منصة الاستعراض وسط موجة عالية من التصفيق ، ثم نظر إلى أعلى المنصة ليرى أحفاده الأربعة يقفون معى •

وتقرر السيدة جيهان أن العرض ابتدأ متأخرا عن وقته ، ولم يكن بالدقة التى تميَّز بها فى السنوات الماضية عندما كان تحت إشراف وزير الدفاع السابق الفريق الجمسى •

وتصل السيدة جيهان إلى وصف ساعة النهاية فتقول إن طائرات

---

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٧ •



قبل الكارثة

سلاح الطيران أقبلت فى تشكيلاتها الرائعة وأخذت طائرات الفانتوم تقوم بحركات أكروباتية تاركة خلفها خيطا من الدخان ذات الألوان البراقة ، فكانت السماء مليئة بالاشرطة المتقاطعة الحمراء والزرقاء والخضراء ... ومن خلال النوافذ الزجاجية فى الشرفات العلوية نظرت إلى أنور ، وكان كالآخرين ينظر إلى أعلى ليراقب الاستعراض فى السماء ، وكانت قبضته على « الدرابزين » المُقام أمامه .

ولكن مـا هـذا ؟

ماذا تفعل هذه المركبة العسكرية التى خرجت فجأة من بين صفوف مركبات المدفعية وتوقفت أمام منصة العرض ، وجرى ثلاثة من العسكريين تجاه المنصة وهم يحملون المدافع الرشاشـة ، وفى نفس الوقت سمعت فرقعة قنبلة يدوية ، وقد كاد صوتها يَضيع وسط زئير الطائرات النفاثة ، و َمَلأ الدخان الجو ، وفى الحال نظرتُ إلى أنور ، وكان واقفا يشير إلى حراسه بالتدخل ثم سقط ، وكان هذا آخر ما رأيت من زوجى .

صراخ وعويل والرصاص يحطم النوافذ الزجاجية التى كنت من خلالها أشاهد العرض ، وقد حاولت أن أسرع نحو زوجى ، ولكن حارسى منعنى بعنف ، وأخذ أحفادى يصرخون ويصرخون حتى انفجرت قنبلة أخرى وملأ صوت الرصاص آذان المشاهدين .

وفى هذه اللحظة شاهدت الأهوال ، فالمقاعد مقلوبة فى كل مكان ، والدماء تتدفق ، وعربات الإسعاف تحمل القتلى والمصابين ، وسألت أحد رجال الحرس الجمهورى عن زوجى فأجاب : إنه بخير ، وإن طـائرة هيليوكوبتر حملته إلى مستشفى المعادى ، ويبدو أنه أصيب فى يده فقط ، ورأيت أحد حراس نائب الرئيس يهمس فى أذن السيدة سوزان بأن زوجها فى أمان ، وأسرعتُ الى السيارة التى حملتنا إلى الهليوكوبتر التى كانت فى الانتظار فى قصر القبة لتذهب بنا الى المستشفى ، وهنـاكَ فى المستشفى كان الأطباء والمرضات ينظرون إلىّ بالكثير من الوجوم ، ولم



هجوم

يوجهوا إليّ أى حديث مما زاد فى قلقى على زوجى ، وانضممت إلى بناتى وأزواجهن فى حجرة فى المستشفى ، وكنا ننتظر أى طبيب ليجىء لنــا ليطمئنا على أنور ، ولكن أحدا لم يأت وعشنا فى مستشفى المعادى فى قلق عظيم ، ووجدتنى أحس أن السادات قد ذهب ، وبعد لحظة عرفت وتأكد لى أن السادات قد انتهى .

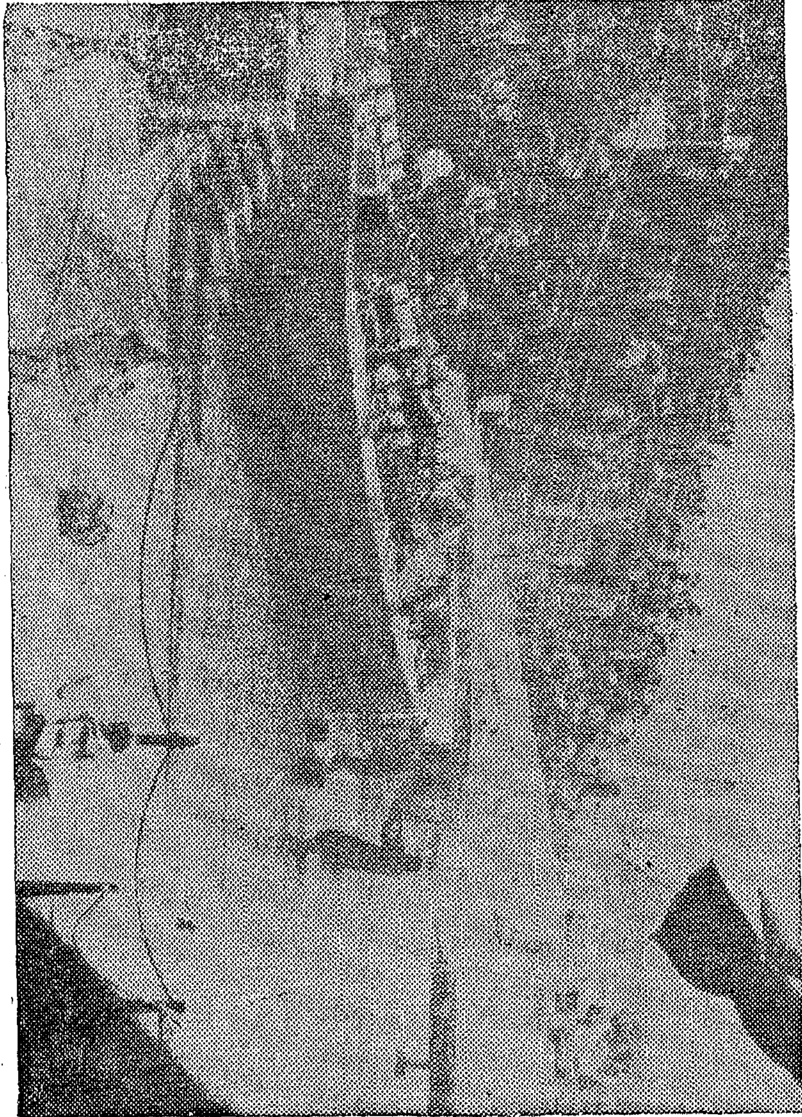
وتقول السيدة جيهان مصوّرةً ما عدّته إهمالا فى العَرْض فى ذلك العام : إن أسئلة كثيرة ظلت بلا إجابة ، ففى كل عام كانت فرقة من فرق الصاعقة تتقدم العرض ، ثم تأخذ مكانها بين الرئيس وقوات العرض ، ولكن هذا لم يحدث فى ذلك العام ، وفى كل عام كان القناصة يرابطون فوق أسطح الأبنية المحيطة لمراقبة أية محاولات عدوانية ، ولكن لــم يظهر لهؤلاء القناصة أثر فى ذلك العام ، وكان المفروض أن تخضــع كل مركبة عسكرية وكل مدفع لتفتيش دقيق للتأكد من خلوها من الذخيرة الحية ، لكن ثلاثة هم ضابط وجنديان استطاعوا بطريقة أو بأخــرى أن أن يصلوا إلى المكان الذى كان زوجى يجلس فيه ومعهم ذخيرة حية .

وتختم السيدة جيهان مــا عدته اهمالا بقولها : هل كان حجم التآمر أكبر مما حدث ؟ أو أنه كانت هناك مؤامرة واسعة ؟ وقد اتضح أن جميع مَنْ فى مصر كانوا يوجّهون اللوم للجميع الحرس الجمهورى يوجــه اللوم إلى الحرس الخاص وبالعكس ، وهذا دفعنى إلى الشك ، الشك فى الجميع لقد قَتَلَ التهاونُ زوجى ، لقد قتل الإهمال زوجى (١) .

وعن هذا الإهمال يتكلم حسن عزت الذى كان زميلا للســادات عندما طُرِدا من الجيش فيقول : هناك قوات مختلفة مسئولة عن حماية الرئيس هى الصــاعقة ، والحــرس الجمهورى ، والحرس الخاص ، والمخابرات ، وأجهزة الأمن المختلفة ، وهى قوات مدربــة تدريبا عاليا

---

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٧ : ٣٣ مقتطفات .



لحظات النهاية

أنفقت عليه الدولة ملايين الدولارات ، فكيف عجزت كل هذه القوى عن حماية الرئيس ، إنه إهمال جسيم يستحق من قاموا به أن يحاسبوا حسابا عسيرا [١] .

وصف للحادث من زاوية أخرى :

إذا كنا قد أوردنا آنفا وصفا لنهاية السادات دونته زوجته ، فمن الواجب علينا أن نقدم وصفا آخر لهذا الحادث يركز على زوايا أخرى لم تسجلها زوجة السادات ، وهذا الوصف الجديد يعتبر إلى حد كبير تصويرا للحادث بيد فاعليه وأعوانهم ومَنْ يتحدثون باسمهم ، وهو سجل دونه محامى المتهم الثانى فى القضية بعد أن استمع لتفاصيل الحادث من أفواه من قاموا به .

ويبدأ هذا المحامى « الأستاذ شوقى خالد » حديثه عن حادث المنصة بقوله : إن هذه المنصة فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٨١ شهدت فى دقائق معدودة إحساس السادات بالزهو ثم بالقهر ، بالمجد ثم بالموت ، بالغطرسة ثم بالضعف ، وينقل المؤلف وصف مراسلة إحدى شبكات التليفزيون الأمريكية للسادات حيث تقول : كان السادات يرتدى بزته الرمادية المائلة للزرقة المزينة بعشرات الأوسمة والنياشين ، والتى صممت له بمعرفة أفخم بيوت الأزياء الأوربية ، وإلى جانبه نائبه حسنى مبارك ووزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة بنفس الزى .

ونقطع اقتباساتنا من الأستاذ شوقى خالد لنورد اقتباسا من الأستاذ عادل حمودة يقول فيه :

ويقال إن هذه البزة (البدلة) الجديدة أسهمت فى نهاية السادات ، فقد كانت ضيقة عليه ، فلم يستطع أن يلبس تحتها القميص الواقى من الرصاص ، وكان القتلة يظنون أنه يرتدى هذا القميص ، ولذلك اتجه

---

(١) العمالقة والاقزام ص ٣٩٩ .



هـداد

حسين عباس — وهو قذاف ماهر — إلى رقبة السادات فضربه فيها وهو يتطلع إلى أعلى ليتابع حركات الطائرات [١] .

ونعود للأستاذ شوقى خالد الذى يقول :

وقد لوحظ اختفاء شبكة الحراسة أمام المنصة ، ولوحظ كذلك أن الحرس الأمريكى الخاص بالسادات والمكون من ١٢ خبيرا قد تراجعوا إلى الخلف ، وكان ذلك بأمر السادات الذى كان يخشى الخطر من الخلف ، كما أنه لم يشأ أن يظهر بمظهر الخائف أمام العالم الذى كان يشهد العرض عن طريق شاشات التليفزيون .

وبدأ العرض ، وجلس الجميع فى استرخاء يتابعون تدفق القوات ومراقبة حركات الطائرات البهلوانية المزودة بالألوان ، والتى كانت تشد الأنظار إلى السماء . . . . . .

وفجأة حوالى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وقفت إحدى العربات أمام المقصورة ، وقبل أن ينتبه أحد فتح باب من أبواب جهنم وانهالت القنابل والرصاصات فى اتجاه السادات ، وبعد حوالى ٤٠ ثانية كان السادات قد فارق الحياة .

ويصف المؤلف القتلة وهم يقومون ببعض التجارب على المنصة قبل العرض بيومين ليضمنوا نجاح مخططهم ، ويسرد الظروف التى ساعدتهم على تحقيق هدفهم ، وكيف أن خالد الاسلامبولى تسلم إبر ضرب النار الخاصة بتسليح كتيبته ، وأخذ منها ثلاث إبر هيأها للاستعمال ووضع بديلا عنها إبرا أخرى حتى يكمل العدد مخافة تفتيش طارىء .

ومما ساعد هؤلاء على نجاح عملهم أن دراجة بخارية كانت تسير فى مقدمة طابور العرض وتعطلت ودفعها رجال الأمن بعيدا عن مسيرة الطابور ، وتعطلت كذلك عربة فدفعت بعيدا عن المسيرة أيضا ، فلما

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٦٤ .

وقف خالد بسيارته أمام المنصة ظنّ أن الحادث حادث تعطل كذلك الذى حدث للدراجة وللسيارة ، ولكنّ الأمر كان مختلفا ، فهذه العربة كان يركبها خالد الاسلامبولى ومعاونوه ، ومنها اندفع الموت إلى السادات وإلى بعض من كانوا معه على المنصة .

وقد أُلقيت على المنصة عدة قنابل ، والقنبلة الأولى ألقاها خالد الاسلامبولى ، ثم اندفع الرصاص من المدافع الرشاشة والبنادق الآلية ، وعندما أدرك السادات ومن معه أن فى الأمر شيئا وقف السادات وهو يهتف « مش معقول » وقد كررها عدة مرات ، وكان وقوفه فرصة لدى القناص البارع حسين عباس فصوب رصاصه إلى رقبته ، ورصاصات أخرى إلى صدره ، ثم تكوّن ما يسميه عادل حمودة [1] « تشكيل هجومى » اذ تقدم الأربعة الذى يشتركون فى هذه المؤامرة وأمطروا المنصة بوابل من الرصاص ، وقد استغرقت هذه الأحداث ٤٠ ثانية .

وعندما انتبه الحرس للمأساة كان كل شىء قد انتهى .

ضحايا الحادث :

قتل مع السادات فى المنصة سبعة أفراد منهم اللواء حسن عبد العظيم كبير الياوران والمصوّر محمد يوسف ، وخلفان ناصر من سلطنة عمان والأنبا صموئيل وشانج لوى أحد رجال السفارة الصينية .

ومرتكبو هذا الحادث هم :

— خالد الاسلامبولى ملازم أول تخرج فى الكلية الحربية سنة ٧٨ مع مرتبة الشرف ، وهو لم يتزوج ، وكان يجيد الرماية وحصل على عدة بطولات فيها من القوات المسلحة .

— عبد الحميد عبد السلام عبد العال ملازم أول سابق من أبطال

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦ .

رفع الأثقال وهو متزوج وله ابن واحد كان عمره عند الحادث تسعة أشهر .

— عطا طايل حميدة ملازم أول مهندس احتياط تخرج فى هندسة الاسكندرية قسم ميكانيكا لم يتزوج .

— حسين عباس محمد رقيب متطوع بالقوات المسلحة متزوج وله ولد واحد كان يوم الحادث فى يومه السادس من عمره ، وتوفى هذا الطفل عقب ذلك .

— محمد عبد السلام ، وهو لم يكن فى العرض ولكنه الذى قدم الذخيرة والرجال لخالد ، وهو كذلك كان الرائد الدينى الذى يحث على مقاومة الظلم والقضاء على الظالمين .

وقد تعرض القتلة بعد ذلك لرصاصات من أسلحة رجال المخابرات العسكرية ، ثم توقف رجال المخابرات عن الضرب لعلهم يصلون عن طريق القتلة إلى معلومات عن أسرار هذا الحادث الذى ظن آنذاك أنه تدبير واسع المدى للاستيلاء على الحكم .

وبقيت بعد ذلك نقطتان ينبغى أن نقتبسهما من الأستاذ شوقى خالد وهما :

١ — شوهد النبوى اسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو يهرب ويترك المنصة تاركا زوجته فى المنصة ، ولم يسترد الرجل شجاعته ، ولم يعد الظهور على وجه الأرض إلا بعد أن هدأت الأحوال ، وبعد أن ظهر أن الهدف لم يكن الاستيلاء على السلطة ، وراح الرجل كعادته يسطر التقارير الأمنية التى أظهر فيها بأنه كان على علم بالمؤامرة قبل وقوعها ، وأراد أن يثعد للأمر عدته ، ولكن أحداً لم يسمع رأيه ولا نصيحته ، وأنهى الرجل تقريره بأنه الوحيد بين رجال الأمه المؤهل لحماية الرئيس الجديد .

٢ — نقل جثمان السادات إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى

على متن طائرة هليوكوبتر ، ونقل القتلة الى نفس المستشفى فى إحدى السيارات العسكرية ، وفى هذا المستشفى أعلنت حالة الطوارىء ، وانقسام الأطباء والجراحين الذين يعملون بالمستشفى فريقين ، فريق يعالج السادات وفريق يعالج الذين قتلوه ، ولكن السادات كان قد انتهى قبل أن يرفعوه من تحت مقاعد المنصة [١] .

جنازة السادات :

كانت جنازة السادات يوم السبت ١٠ أكتوبر ، وقد صلّى عليه فى مستشفى المعادى ، وحمل جثمانه فى طائرة هليوكوبتر الى ساحة العرض حيث اغتيل ، وقد بدأت طقوس الجنازة فى حوالى الساعة الثانية عشرة بعزف (المارش) الجنائزى لفردريك شومان ، وقد سار فى الجنازة ممثلون لثمانين دولة من أبرزهم ثلاثة من رؤساء الولايات المتحدة السابقين وهم نيكسون وفورد وكارتر ، وكان من المشيعين الأمريكيين الكسندر هيج وزير خارجية الولايات المتحدة وهنرى كيسنجر .

وكان من زعماء المشيعين الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران والرئيس الفرنسى السابق جيسكار ديستان ، والأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا ، والمستشار الألمانى هيلموت شميث والزعيم الصينى دنج سياو ينج ، ورئيسة البرلمان الأوربى سيمون فيل ، والرئيس الايطالى وملك بلجيكا والرئيس اليونانى .

ولم يكن بالجنازة من الزعماء العرب إلا جعفر نميرى رئيس جمهورية السودان آنذاك ، ويبدو أن العرب قاطعوا الجنازة ليس فقط لقطع العلاقات بينهم وبين مصر ، بل لتوقعهم أن زعماء اليهود سيكونون فى الجنازة ، وبالفعل كان زعماء اسرائيل فى الجنازة على الرغم من أن الجنازة حدثت

---

(١) الأستاذ شوقى خالد : محاكمة فرعون ص ٢١ — ٢٩ مقتطفات .

يوم السبت ، ووُورِىَ جسد السادات التراب ومعه كل ما قدم من خير وشر ، غفر اللـــه لـــه •

أما نهاية الذين قتلوه فقد تأجلت حتى تمت محاكمتهم كما سنرى فيما بعد •

اغتيال السادات يحتّم إعادة النظر :

ويعلق الأستاذ الدكتور محمد حلمى مراد (١) على اغتيال السادات بقوله :

كان من الواجب أن يعاد النظر فى كافة الأوضاع القائمة والسياسات التى انتهجها السادات وحكومته للوقوف على مواضع الخلل ، والتصدّى لمعالجتها سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية حتى لا يفلت الزمام مرة أخرى •

بعد النهايـــة :

عرف المصريين خبر وفاة السادات من الإذاعات الخارجية ، أمـــا وسائل الإعلام المصرية فلم تذع ذلك إلا بعد عدة ساعات •

وكان مجلس الوزراء قد انعقد بعد وفاة السادات وطبقا للدستور أصبح الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب قائما بعمل رئيس الجمهورية ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وانعقد مجلس الشـــعب فقرر معاشا استثنائيا لأرملة السادات ولأولاده منها وصدر بذلك القـــانون رقم ١٦٣ لسنة ١٩٨١ ونصه :

مادة (١) : تتخذ الدولة جميع الإجراءات القانونية اللازمة لتمليك الـــدار التى كـــان يقيم بها المغفور لـــه الرئيس الراحل محمد أنـــور

---

(١) التغيير أو الضياع ص ٧ •

السادات بالجيزة وملحقاتها ، مع النزول عنها لقرينته السيدة جيهان طوال حياتها ، ثم من بعدها لأولادها منه طوال حياتهم ، وتعفى من جميع أنواع الضرائب والرسوم على أن تخصص بعد ذلك كمتحف ومزار تخلد به ذكرى الزعيم الراحل .

مادة (٢) : تتنازل الدولة عن ملكية الدار التى كان يقيم بها المغفور له أنور السادات بالمعمورة بالإسكندرية وملحقاتها (والملحقات عشرون فدانا) إلى السيدة قرينته حال حياتها ثم لأولادها من بعدها ...... على النحو السابق .

ويلاحظ ان المخصصات شىء هائل ، والدور واسعة الحدود ، ويضاف لها حدائق ومساحات واسعة ، وذلك ما اتبع مع أسرة عبد الناصر من قبل ، ورسوم التسجيل على حساب الدولة ، وكل ذلك بدون ضرائب مدى حياة الزوجتين وحياة أولادهن ، ويحدث هذا فى وقت يعيش فيه الملايين من المصريين فى القبور ، ياالله .

والفكر الإسلامى يرفض أن يشترى رئيس الدولة من الدولة أو يبيع للدولة ، والأمر هنا أشد فحشا فهو يأخذ من الدولة بدون ثمن .

ومن الملاحظ أن بنات السادات من زوجته الأولى قد استبعدن من كل ما خصص لأسرة السادات فالتنازل كان لأرملة السادات ولأولادها منه ، ونذكر القارىء بأن هؤلاء جميعا كانوا قد بلغوا سن الرشد عند مقتل أبيهم وهم أثرياء ، ويباشرون أعمالا تدر عليهم أرباحا وفيرة وقد رتبت لبنات السادات زيجات رأسمالية فى أغنى ثلاث أسر فى مصر ، فما يأخذه أولاد الزعيمين من مصر ليس إلا قطرات من دم المحتاجين ، وبلغة أخرى أخذ من الفقراء لتحقيق المزيد من الترف للأغنياء ، ولذلك أعتقد أن الله لن يبارك فى هذا المال الذى يعطى دون وجه حق .

ويلاحظ ان المعاش فى العادة يتوقف إذا تزوجت زوجة المتوفى أو بناته أو وصل أولاده إلى سن الرشد ، ولكن القانون الذى أصدره مجلس الشعب تناسى كل هذه المبادىء ، حسابهم على الله • وإذا سارت مصر على هذا النمط من دفع مخصصات ومرتبات وبيوت للرؤساء فإنه بعد قرن واحد أو نصف قرن تصبح ميزانية مصر وقصور مصر ملكا لحفنة من أولاد الرؤساء وزوجاتهم ، إنه تخطيط لم تعرفه أية حضارة من الحضارات فى عصرنا الحديث •

وتعلق الدكتورة نعمات أحمد فؤاد [1] على هذا القانون من عدة وجوه :

١ — لوحظ فى هذا القانون ليس فقط ضمان الحاجة بل أيضا ضمان الترف ، ولذلك شمل هذا القانون قصر الاسكندرية وملحقاته •

٢ — كانت السرعة هائلة فى استصدار هذا القانون ، فقد قدم الاقتراح بذلك مساء الأربعاء ٧ أكتوبر ، وعقدت جلسة أخرى فى مساء اليوم نفسه ، فوافق المجلس على هذا الاقتراح ، ثم وقعه الدكتور صوفى أبو طالب القائم بعمل رئيس الجمهورية ونشر بالجريدة الرئيسية بتاريخ ٨ أكتوبر ، وكل ذلك قبل أن يدفن الجثمان •

٣ — سقط أحمد بدوى شهيدا ومعه أربعة عشر ضابطا من القادة ، ولم تفعل الدولة لهم أى شىء •

وقد نشرت الدكتورة نعمات فى الصفحة نفسها من كتابها « صناعة الجهل » صورة للسيدة جيهان وهى تداعب « النسناس » وتسقيه لبنا ، وكثيرون من المصريين لا يستطيعون الحصول على رغيف الخبز •

---

(١) صناعة الجهل ص ١٢٧ — ١٢٨ •

أولاد السادات فى نظره نوعان :

يقرر الفكر الإسلامى أن الآباء يجب أن يعدلوا بين أولادهم فى كل شىء حتى فى الابتسامة ، وقد حاولت زوجة بشير بن سعد أن تخص ابنها النعمان بشىء ، واستجاب لذلك زوجها ، وأرادت الأم توثيق ذلك فطلبت من بشير أن يشهد الرسول على وثيقة التنازل ، ولما قدم بشير الوثيقة للرسول سأله الرسول : هل للنعمان إخوة ؟

فأجاب : نعم ، فسأله الرسول : هل أعطيتهم جميعا مثل ما أعطيت النعمان ؟ قال : لا . فصرخ الرسول فيه قائلا : ليس يصلح هذا ، وإنى لا أشهد إلا على حق ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم (١) .

ولكن السادات لم يكن سائرا على النهج الإسلامى ، لقد حرم بناته من زوجته الأولى كل حنان ، وعطف ، ومال ، وحرمهن كذلك زبانيته وزوجته الثانية بعد وفاته ، ويقول حسن عزت :

سألت زوجة السادات الأولى عن ميراث السادات فقالت إنه لم يترك مليما واحدا ، قلت : والمنزل الكبير فى ميت أبو الكوم والثمانية عشر فدانا التى اشتراها السادات من أخيك ؟ فأجاب سعد ماضى أخوها قائلا : لقد بعتها للسادات بثمن بخس عندما قال لى إنه يريد الأرض لبناء بيت كبير للأسرة ، ولكنه سجل الأرض لابنه جمال قبل وفاته (٢) . وهكذا لم ينل بنات السادات من السيدة إقبال ماضى أى نصيب من الميراث .

ونعود لجلسة مجلس الشعب التى عقدت عقب وفاة السادات فنذكر أن المجلس قرر ترشيح حسنى مبارك لرياسة الجمهورية ، ويجرى الاستفتاء على ذلك بعد أسبوع .

---

(١) الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى للمؤلف ص ٧١ — ٧٢ .
(٢) العمالقة والاقزام ص ٢٤٧ .

قانون بمنح القصور والمعاشات الاستثنائية دائما :

وحتى لا يحتاج مجلس الشعب لتكرار هذه المنح فى كل مرة يموت الرئيس أو يعتزل ، فقد تمّ إصدار القانون رقم ٩٩ لسنة ١٩٨٧ الذى قرر لأول مرة فى تاريخ الدول التزام مصر بتقديم مسكن لسكنى رئيس الدولة بعد اعتزاله ولأسرته من بعده ، فالمادة الثانية فقرة أولى من هذا القانون تنص على أن : (تكفل الدولة دون مقابل مسكنا ملائما يعد لسكنى رئيس الجمهورية بعد تركه منصبه ولأسرته حال حياته ، ومن بعده لزوجته وأولاده) •

والفقرة الثانية من المادة الثانية تحمّل الدولة كافة تكاليف الإعاشة بل والرعاية لرئيس الجمهورية السابق (سواء عزل أو اعتزل) فتقول : (وتتحمل الدولة التكاليف اللازمة لتوفير الحراسة والأمن والرعاية اللازمة لرئيس الجمهورية السابق ، كما تتحمل جميع الضرائب والرسوم المقررة على شاغلى المسكن) •

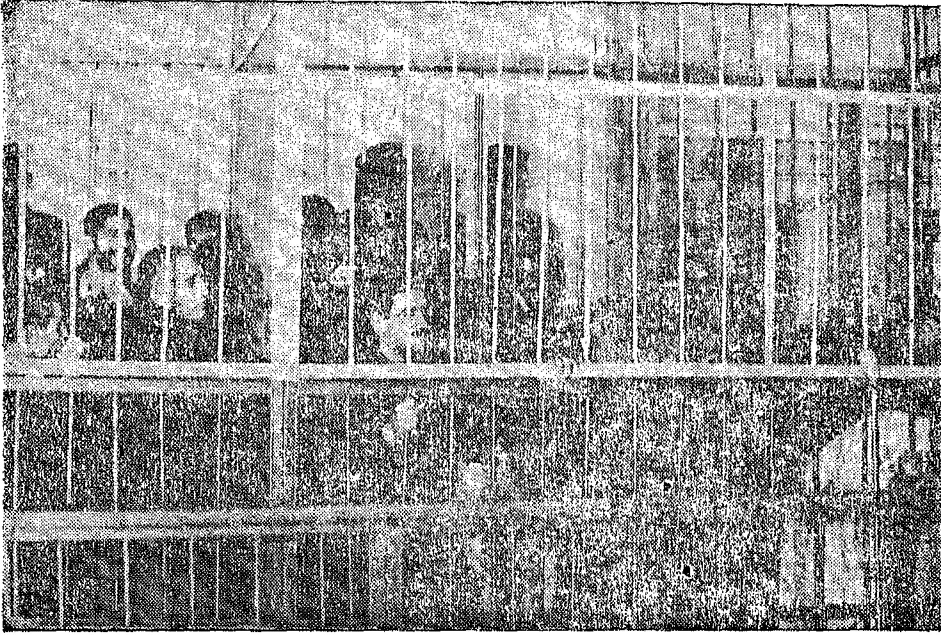
محاكمة القتلة :

صدر قرار جمهورى بتكوين محكمة عسكرية لمحاكمة القتلة وأعوانهم برياسة اللواء دكتور سمير محمد فاضل ، وفى هذه المحاكمة بذل المحامون أقصى الجهد لتتحول المحاكمة من محاكمة القتلة إلى محاكمة المجنى عليه ، فشرحوا ما ارتكبه السادات من أعمال كانت فى رأيهم ضد الدين والوطن ، واستلزمت القصاص منه ، وذكر خالد الاسلامبولى أن هناك أسبابا ثلاثة دفعته لقتل السادات هى :

١ — القوانين التى يجرى بها الحكم فى البلاد لا تتفق مع تعاليم الإسلام ، وبالتالى فإن المسلمين كانوا يعانون أخطر المشقات •

٢ — السادات أجرى صلحا مع اليهود أعداء الله وأعداء البشرية وأراد تطبيع العلاقات معهم ، وهذا يضر بالوطن والمواطنين •

٣ — اعتقال علماء المسلمين واضطهادهم وإهانتهم •



القتلة خلف القبضان

وهذه الأسباب هى تقريبا نفس الأسباب التى ذكرناها من قبل .

ولعل الشىء الذى لم يفصح عنه خالد الاسلامبولى هو أن زنازين السادات ضمت عددا من أسرة خالد ، فأخوه وابن خالته وزوج شقيقته كانوا داخل هذه الزنازين . ويرى الأستاذ علوى حافظ [1] أن خالدا وأعوانه كانوا بعيدين عن هوى السلطة والحكم ولو أرادوا ذلك لقتلوا كل مساعدى السادات ووزراءه ، وأنهم أبطال لم يمثلوا تيارا متعنتا أو متطرفا كما يحلو للبعض أن يصفهم ، بل إنهم شباب معتدل عبروا عما تمناه كل مصرى بعد أن تأله السادات وتجبر ، وبعد عن الشعب ولم يعد يحس بآلامه ، وصار يعيش فى برج عاجى مثل غيره من الرؤساء العسكريين الجهلة .

وقد طلب الدفاع شهود نفى لإيضاح ما اعتبروه انحرافات فى السادات ، فطلبوا شهادة كمال الدين حسين والبغدادى ، وحسنين هيكل ، وإسماعيل فهمى ، وحسن التهامى الذى وصف زيارة السادات للقدس بأنها « إسراء » وحلمى مراد وغيرهم وكادت المحاكمة تصبح كما وصفها الاستاذ شوقى خالد ، « محاكمة فرعون » أى محاكمة السادات ، ولكن المحكمة لم تقبل هذه الطلبات ولم تسمح باحضار شهود النفى .

واشتد الصراع بين المحكمة والدفاع ، وقررت المحكمة أن الدفاع يجب أن ينتهى من المرافعة فى مدة حددتها المحكمة ، ورفض الدفاع ذلك ، واشتدت الخلافات ، وأمرت المحكمة بتنحية بعض المحامين ، واتجه المحامون بشكوى إلى رئيس الجمهورية ، ولكن الرئاسة لم تستمع لهم ولم تتدخل فى الأمر ، وفى وسط هذه الخلافات أعلنت المحكمة فى ١٩٨٢/٣/٣ حجز القضية للحكم ، وحددت يوم ١٩٨٢/٣/٦ للنطق بالحكم ، وصدر النطق بالحكم فى ذلك اليوم فى الصباح الباكر ، وكان يقضى بإعدام خمسة

---

(١) المنصة ص ٢٠٣ .

هم الأربعة الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم وعرّفنا بهم أما الخامس فهو محمد عبد السلام فرج وكان يمثل فقيه الثائرين ورائدهم الدينى •

وحاول زعماء أحزاب العمل والتجمع وبعض رجال السياسة أن يطلبوا من رئيس الجمهورية ألا يوقع الحكم بالموافقة ، وأن يخفف حكم الإعدام أو أن يعيد محاكمة القتلة أمام محكمة أخرى ، ولكن الرئيس حسنى مبارك وافق على الحكم •

ومن الأمور التى أثارها الدفاع أن قتل السادات لم يكن برصاص هؤلاء المتهمين ، وقدّموا بعض الأدلة على ذلك ، ولكن خالد الاسلامبولى رفض ذلك وقال : كأنكم تريدون حرمانى من شرف قتله ، وهو عملٌ بذلت أقصى الجهد لتحقيقه •

وتم إعدام هؤلاء الخمسة فى يوم ١٩٨٢/٤/١٥ ولم تسلّم جثثهم لذويهم ، ودُفِنوا فى مكان واحد لا يعلم به أحد (١) •

نقابة المحامين ترفض رئيس المحكمة :

أحيل الدكتور سمير فاضل للمعاش عقب هذه المحاكمة ، وقد حاول أن يقيد اسمه فى جدول نقابة المحامين ، لكن طلبه رفض بعد أن اتهمته النقابة بأنه فى أثناء نظر هذه القضية أخلّ بحقوق الدفاع (٢) •

موقف بعض المحامين فى هذه القضية :

وعلى الرغم من جهود المحامين فى هذه القضية فقد ذكر أحدهم وهو الأستاذ ممدوح عبده مراد أن موقف المحامين فى هذه القضية كان حرجا جدا ، لأن المحامى كان يحس بأنه يقف ضد أحاسيس الرأى العام الذى لم يكن متعاطفا مع المتهمين •

---

(١) شوقى خالد : محاكمة فرعون ص ٢٢٤ وما بعدها •
(٢) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ٢٦٧ (بالهامش) •

ومثل هذا ما قاله الأستاذ محمد يسرى محرم الذى ذكر أن هيئة الدفاع ما حضرت الى هذه القاعة إلا الأداء واجب الدفاع ، وهى أمانة لابد من أدائها ، ولكن هيئة الدفاع فى الوقت نفسه تشجب سفك الدماء ، وترفض اعتباره وسيلة للتفاهم وحل المشكلات (١) .

سقوط النظام كله :

ونختم هذه الدراسة بكلمات للأستاذ علوى حافظ (٢) حول نهاية ثورة ١٩٥٢ مع قتل السادات يقول سيادته : سقط النظام كله الذى بدأ صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، انتهى على المنصة ظهر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ ...... نعم سقط وانتهى مع السادات ، وكان السادات يقول لخاصته إنه آخر الفراعنة (٣) .

سقط بعد أن أضاع ثلاثين عاما من عمر الشعب .

لقد أمضت مصر مع هذا النظام عمرا تراجعت فيه للوراء ، وضاعت ، وتخلفت ، وأفلست ، وليتنا نعى هذا الدرس ونفهمه لنوقف فترة الضياع ، وبخاصة أن هذه الفترة كانت من أخصب الفترات على أكثر شعوب العالم ، لقد حققت دول من العالم الثالث صوراً من التقدم ، أما حكم العسكريين فى مصر فقد تركها جائعة تجثو على ركبتيها لتطلب من الأصدقاء ومن الأعداء رغيف الخبز .

قوانين يجب أن تسقط :

ومع سقوط النظام ينبغى أن تسقط القوانين التى ابتكرها النظام ، وفى قمتها ما يلى :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٠ .
(٢) المنصة : ص ١٩٩ — ٢٠٠ .
(٣) المنصة : ص ٢٠٤ .

١ — تقسيم الدولة الى عمال وفلاحين وفئات ، فنحن شعب واحد والتداخل واضح جدا بين هذه الأقسام •

٢ — الديمقراطية الخدّاعة لتصل الى الديمقراطية الحقيقية ، وبخاصة فى الانتخابات •

٣ — القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٢ بشأن حماية الوحدة الوطنية •

٤ — القانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٧ الخاص بأمن الوطن والمواطن والصادر عقب احداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ •

٥ — القانون رقم ٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى •

٦ — القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٨٠ الخاص بحماية القيم من العيب •

٧ — قانون الأحزاب السياسية (١) •

٨ — القانون الذى يبيح لرئيس الجمهورية أن يرشح نفسه للرياسة أكثر من مرتين (وينبغى أن تكون كل مرة من المرتين أربع سنوات فقط) •

٩ — البدعة التى ابتدعوها لاعطاء القصور والاستراحات لرئيس الجمهورية عقب اعتزاله أو لأسرته عقب وفاته •

---

(١) انظر التغيير أو الضياع للدكتور محمد حلمى مراد ص ٥٧ وما بعدها •

أحداث ليست من الحوليات

تدارسنا فيما سبق أحداث عصر السادات التى ارتبط كلٌ منها بعام من أعوام حكمه ، وجاء الآن دور الأحداث التى انسابت من عـام إلى عام ولم ترتبط بعام محدَّد ، وذلك مثل الديكتاتورية والترف والحسنات والمساوىء •••••• وسنتدارسها الآن تحت عناوين موضوعية وليست تحت عام من الأعوام •

الحاكم وأسرته

سنتحدث تحت هذا العنوان عن « أنور السادات » من ناحية تكوين شخصيته ، وأبرز اتجاهات هذه الشخصية ، ثـم نتحدث عن زوجتـه « جيهان » التى كانت إلى حد كبير لها دور فى عهده ، ثم نتحدث عـن أولاده بوجه عام ، ونبدأ بأن نرسم أبرز صفات أنور السادات •

أنور السادات :

ولعل أول ما ينبغى أن نعرضه هو التعرف على الأخلاق الشخصية للرئيس وأسرته ، وهذا سيدعونا لنتعرف على عبد الناصر الذى اختـار السادات ليكون خليفة له ، والأساس الذى رجَّح هذا الاختيار •

وأبرز صفات عبد الناصر الشخصية هو أنه كانت به عقدة مـن الفقر جعلته شديد العداوة للأغنياء ، وعقدة من الذلة جعلته شديد الحقد على الأشراف ، وبالتالى شديد الحرص على إفقارهم وإذلالهم ، ولكن حقده على الأغنياء لم يدفعه ليكون صديقا للفقراء ، بل إنه وجَّه كـل **اهتماماته لذاته ولأسرته ، أما الفقراء فقد ازدادوا فى عهده فقرا ، والأمية ازدادت انتشارا ، والقرية المصرية والأحياء الشعبية بالمدن تركت تسبح فى ظلمات القرون الوسطى ، وساءت حالتها عما كانت عليه قبل هـذه الثورة المشئومة ، وقنع عبد الناصر بالإعلام الزائف (الصحافة والإذاعة والتليفزيون) التى كانت تحت سلطانه ، فجعلت تهتف له وتبنى له مجدا من الخيال لا يلبث أن يزول •**

وكان عبد الناصر بسبب عقدة الفقر والذلة اللتين عاناهما فى مطلع حياته ، مولعا بمن يمدحه ويعلى قدره ، به إنه بارك كاتبا أجرى مقارنة بين الدعوة المحمدية (نسبة للرسول صلوات الله وسلامه عليه) والدعوة الصلاحية (نسبة لصلاح الدين الأيوبى) والدعوة الناصرية (نسبة لعبد الناصر) واتجه فى مقاله لترجيح الدعوة الناصرية [1] .

نفاق السادات :

ومن أجل هذا وجد عبد الناصر بغيته وأمنيته فى أنور السادات ، فقد كان النفاق أبرز أخلاق السادات ، فاندفع هذا يمدح عبد الناصر على نمط الشاعر ابن هانىء الذى قال فى الخليفة الفاطمى قولا أغرق فيه وانحرف ، قال :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ولمبالغة السادات فى مدح عبد الناصر ، نال رضاه ، فنال السلامة والرياسة ، .

ما مظاهر خلق النفاق فى السادات ؟ وكيف كان النفاق أبرز صفاته ؟ ذلك ما سنوضحه فيما يلى :

مع الملك فاروق ومع الضباط الأحرار :

يقول حسن عزت صديق السادات وصهره [1] : السادات كان عميلا مزدوجا ؛ للعرش مقابل المال ، ولتشكيل الضباط الأحرار مقابل ما قد يصل إليه منهم فيما لو نجحت الحركة واستولت على الحكم ، أى باختصار شديد كان يلعب على الحبلين ممسكا العصا من منتصفها ، فلو فشلت الحركة فهو مع العرش ومركزه مضمون لتحقيق طموحه ،

---

(١) انظر الجزء التاسع من هذه الموسوعة عن عصر عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم ص ١٤١ وما بعدها .
(٢) العمالقة والاقزام ص ٣٦٥ .

ولو نجحت الحركة فهو فى مركز أكثر ضمانا ، وهذا هو الوجه القبيح للسادات .

مع عبد الناصر وضده :

وتجلى نفاق السادات فى أبرز صوره مع علاقته بعبد الناصر ، ففى حياة عبد الناصر كان السادات يرفعه إلى درجة أسمى من درجات البشر ، وكانت كلمات « الملهَم والمعلِّم » هى من الأوصاف التى يضفيها على عبد الناصر من حين إلى حين ، وكان السادات يخلق من هزائم عبد الناصر انتصارا ، ومن قسوته شجاعة ، ومن استبداده ديمقراطية ، ومن سرقاته أمانة ونزاهة ، ولعل أبرز صور النفاق التى انبعثت عن شخصية السادات تجاه عبد الناصر هى كتابه الذى ألَّفه يمتدح فيه سيده ، ويثنى عليه ويضفى عليه صفات القديسين ، وعنوانُ هذا الكتاب هو :

يا ولدى هذا عمك جمال

وقد حرص أنور السادات على إخفاء هذا الكتاب وجمعه من الأسواق والمكتبات عندما آل له الأمر ليخفى عورةً كانت فاضحةً ولكن كيف والكتاب كان فى يد الكثيرين ، وأول صور النفاق التى تتصل بهذا الكتاب أن ابن السادات الذى أهدى السادات إليه هذا الكتاب أسماه أبوه « جمال » تيمنا باسم الزعيم وإيماء بولاء لم يعرف العمق ، ولاء انقلب إعصارا ضد عبد الناصر عندما رحل الزعيم كما سنرى .

ومن هذا الكتاب نقتبس بضع فقرات :

السادات يمتدح عبد الناصر

سميتك باسمه :

وجمال عبد الناصر عمك يا بُنَىَّ الذى سميتك على اسمه هو صديقى ، ورئيسى ، الذى أحبه وأحترمه منذ أن كنا ضابطين صغيرين فى منقباد سنة ١٩٣٨ (١) .

---

(١) أنور السادات : ياولدى هذا عمك جمال ص ٣١ .



كان من وظائف السادات أن يُضحك الزعيم

اللواء محمد نجيب يتعاون مع الرجعيين ؟؟

وأخطر شيء واجَهَتْه ثورتنا يا بُنَىَّ كان من داخل الثورة نفسها حينما خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب ، وهو الرجل الذى اخترناه أول الأمر لقيادتها ، ففضَّل أن يتعامل مع الرجعيين أعداء الثورة ، وكادت المسألة تنتهى بكارثة لولا يقظة عمك جمال (١) .

جمال هو الثورة :

إن الحديث عن الثورة لابد أن يعود بنا فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال (٢) .

الثورة والمثل العليا :

إن ثورة ٢٣ يوليو اتخذت من المُثُل العليا شعاراً لها ، وتمسكت وحافظت عليه بسبب عمك جمال (٣) .

اتاتورك والتنكيل بالأصدقاء :

وقد حافظ عمك جمال على المثل العليا ، فلم يكن مثل كمال أتاتورك الذى قضى على كل زملائه وأصدقائه الذين عاونوه فى ثورته (٤) .

(تعليق : نسى أنور السادات أو تناسى أن عبد الناصر قضى على كل أصدقائه ومعاونيه ، وكان المشير آخرهم ، ولم ينج منهم إلا من سبح بحمده كالسادات ، أو من كان على هامش الثورة مثل حسين الشافعى ، وقد نسى أنور السادات أن عبد الناصر كان قد نكَّل بالإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ وقتل الأستاذ عبد القادر عودة وخمسة من زملائه وسجن وعذب الآلاف منهم ، وكان عبد الناصر فى يوم ما يتظاهر

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧ — ٣٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٤١ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٩ .

بأنه من الإخوان وطالما اســتعان بهم قبل الثورة وفى مطلعهــا ، حتى استأسد فقطع اليد التى امتدت له بالعون وأسرف فى التنكيل بهؤلاء الذين ساعدوه) •

فطنة عبد الناصر :

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ ، وكان عمك جمال ومازال وسيظل يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبعدا ، وكان يسيطر على الأحداث فيوجهها ولا توجهه (١) •

(تعليق : لو كان كذلك ما تكررت هزائمه العسكرية ولا اضطربت خططه الاقتصادية والاجتماعية) •

مظالم ٦٠٠ سنة :

وعمك جمال يا ولدى هو الذى حطم مظالم ٦٠٠ سنة (٢) •

تعليق (الحق أنه خلق مظالم لا تتسع لها القرون) •

جمال والصداقة :

كانت الصداقة هى العامل الأساسى الذى اتخذه عمك جمال شعار لــه ، فهو معنى ينسجم مع طباعه !!! (٣) •

عبد الناصر والديكتاتورية :

فى الاجتماع الأول لمجلس قيادة الثورة اتجهنا جميعــا إلى تبنى الديكتاتورية لكى يمكن أن نبنى البلاد بعد هــذه الفترة الطويلة مــن الفوضى والفساد ، ولكن عمك جمال يا ولدى أعلن أنه لا يســتطيع أن يكيف نفسه مع أى نظام ديكتاتورى لأن ذلك يتنافى مع طبيعته ، وكانت نتيجة التصويت هى سبعة أصوات فى صالح الديكتاتورية وصوت واحد

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ — ٥٢ •
(٢) أنور السادات : يا ولدى هذا عمك جمال ص ٦٥ •
(٣) المرجع السابق ص ٧٠ •

فى صالح الديمقراطية ذلك هو صوت عمك جمال ، واعتزلتنا عمك جمال ، ولكننا اضطررنا للتراجع وموافقته على رأيه لأن عمك جمال هو عقل الثورة ومدبرها ورائدها (١) .

(لا داعى للتعليق ، فكم قتل عبد الناصر ونكل بكل صوت اتجــه للديمقراطية) .

اللهم :

وجمال يارب هو صنْعك الرائع ، وإبداعك القاهر ، إنه عبــدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، الذى يسير بإلهامك ، وهو الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام ، ولقد نصْرتَنَا يا رب به فى مواطن كثيرة (٢) .

(لا تعليق فهذا الكلام قمة الكذب والنفاق فلم تعرف البلاد العزة والسلام والنصر طيلة عهد عبد الناصر) .

تلك نماذج من كتاب مطبوع ، والكتاب كله يسير على هذا النمط ، فهو أبشع صورة من صور الكذب والنفاق .

الانحناء أمام تمثاله :

وحتى بعد موت جمال عبد الناصر استقبل الســادات عهــده فى الرياسة بأن انحنى أمام تمثاله فى مجلس الشعب كما ذكرنا من قبل ، وإذا كان السادات يخاف جبروت عبد الناصر فى حياته ، فقد انحنى له بعد وفاته لإحساسه أن عبد الناصر خلق جبابرة فى مراكز القوة فأراد أن ينافقها ريثما يُعِدُّ نفسه لمواجهتها .

السادات يهاجم عبد الناصر :

رأينا فيما سبق صورا من التسبيح والإجلال الــذى كان مظهر السادات فى عهد عبد الناصر ، فماذا كان حال السادات بعد موت الزعيم ؟

---

(١) المرجع السابق مقتطفات من ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ .

إن السادات لم يضنّ علينا بفيض من حقـده على عبـد الناصر وكراهيته له ، ووصفه بما يستحق من صفات النزق ، والخيبة ، وقـد انضح ذلك فى كتاب « البحث عن الذات » الذى ضمَّت صفحاته أشنع وصف لمن كان بالأمس ملهَما ومعلِّما ، ومن هذا الكتاب نقتبس بضع فقرات :

حقد وقلق :

لم يكن من السهل أن تزول الغشاوة من عينى عبد الناصر ، وداخلـه ملىء بتناقضات لا يعلمها إلا الله ، يحتم على واجبى ألا أكشـفها أو أفصح عنها (١) ، ولقد مات عبد الناصر دون أن يستمتع بحياته ، فقد قضى حياته كلها بين انفعال وانفعال ، وكان القلق يأكله أكلا ، وكـان يفترض الشكّ فى كل إنسان ، وكـانت النتيجة الطبيعيـة أن خلَّف عبد الناصر وراءه تركة رهيبة من الحقد سواء بين زملائه وأقرب الناس إليه ، أو داخل البلد نفسها بجميع طبقاتها (٢) .

جَبَل الحقد :

أقبح ما واجهته عندما توليت رياسة الجمهورية لم يكن الوضـع الاقتصادى المنهار ، ولا الوضع العسـكرى المهين ، بل جَبَل الحقد وانعدام القيم الإنسانية ، ومحاولة الكسب بحق أو بدون حق بأى ثمن ولو كان عن طريق القضاء على الآخرين (٣) .

شكوك عبد الناصر جعلته ينشغل بنفسه :

كان عبد الناصر فى طبيعته كثيرَ الشك ، ولذلك انشغل بأمنه عن أهم وأثمن ما فى الوجود وهو الإنسان ، وهكذا حدثت فى مصر أخطاء

---

(١) ماذا كان يمكن أن يذكر غير هذا الفيض من الصفات القبيحة التى نسبها اليه ، ويبدو أنه كان هناك أكثر مما ذكر .
(٢) أنور السادات : « البحث عن الذات » ص ١٠٦ — ١٠٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١١٣ .

جسيمة ضد أخطر وأهم مـا كان يجب أن نحرص عليـه وهو آدميـة الإنسان وإنسانيته (١) .

عصبى المزاج :

لم يكن من السهل على عبد الناصر أن ينشئ علاقة صداقة مع أى إنسان ، فهو المتشكك دائما ، الحذر ، المليء بالمرارة ، العصبى المزاج (٢) .

الشك فى كل إنسان :

كان عبد الناصر يشكّ فى كل إنسان وفى كل شىء إلى ان يثبت العكس ، وفى ظروف حياتنا المعقّدة ، قليلا ما يثبت ذلك ، وفى ضوء هذا الخلق طالما أنزل النوازل بالآخرين لمجرّد الشك (٣) .

اهتمام عبد الناصر بأسرته :

كان لدى عبد الناصر حساسية شديدة من ناحية أهله ، فكان يكفى أن يبلغه أنّ أحداً من الناس قال شيئا ما عن أحد أقاربه حتى يضعه على الفور فى المعتقل ، ويتخذ ضده أقسى الإجراءات ، وهذه إحدى نقاط الضعف التى كان يستغلها أصحاب مراكز القوى لينالوا حظوةً عنده ، وفى نفس الوقت ينالون من أعدائهم (٤) .

تختلط عليه الأمور :

كان عبد الناصر تختلط عليه الأمور ، ويفقد البصيرة ، متأثرا بآراء المحيطين به ، ولم يكن هؤلاء شرفاء فى تقديم النصح له ، فقد كان كلٌّ

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٣ .
(٤) المرجع السابق ص ١٨٠ .

همّهم أن يعظّموا عبد الناصر حتى تبقى لهم مناصبهم ونفوذهم [١] .

الغفلة والخرافة بدل الحقيقة عند عبد الناصر :

كان عبد الناصر مشغولا بالخرافة التى أصبح اسمه مقترنا بها ، خرافة كبيرة جدا ، وهو أنه حقّق النصر على امبراطوريتين كبيرتين « بريطانيا وفرنسا » ونسى عبد الناصر دور ايزنهاور الذى حوّل الهزيمة العسكرية الطاحنة إلى نصر سياسى ، وشاعت هذه الخرافة وأصبح عبد الناصر أول من صدّق أنه انتصر ، ونسى الهزيمة العسكرية التى لم يستطع أحد من المصريين نسيانها [٢] .

كمية رهيبة من الأحقاد :

كان عبد الناصر يترك خلفه كمية رهيبة من الأحقاد ، وكان كلّ من رجاله يحمل فى نفسه كمية هائلة من الحقد على عبد الناصر ، وبقيت هذه الأحقاد مكتومة فى نفوس هذه الجماعة [٣] .

الديكتاتورية :

كانت الديكتاتورية طبيعة فى عبد الناصر لم تتخلف عنه [٤] ! ! !

عنيف فى خصوماته :

كان عبد الناصر عنيفا فى خصوماته لا يعرف لها حدًّا ، وطالما اندفع فى هذه الخصومة إلى نقطة اللاعودة [٥] .

ذلك قليل من كثير مما ذكره السادات مسبّحاً بحمد عبد الناصر مرة ولاعنا له مرة أخرى ، وأترك للقارىء الحكم على الرجلين ، والدعاء أن ينقذنا الله مما خلّفه هذان الرجلان من بلاء نطمع ألا يطول مداه .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٥) المرجع السابق ص ٢١٧ .

وكما نافق السادات عبد الناصر ، فإن الكثيرين نافقوا السادات ، وقد كتب المرحوم الدكتور ابراهيم عبده كتابا [1] يحذر فيه السادات من خطر هؤلاء ، فالمنافق كائن هزيل يطوى نفسه على ما بها ، ويظهر كما يريده الأقوياء ، وسنقتبس من هذا الكتاب بعض لمحات فى مجالاتها .

الخداع بتكوين لجنة لتدوين تاريخ الثورة :

وإذا كان النفاق صفة بارزة فى السادات فإن الخداع كان صفة مهمة عنده ، وكان يتظاهر بإرضاء الجماهير وهو لا يقصد أن يحقق أية نتيجة ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون خداعا ، فقد أعلن تكوين لجنة لتدوين تاريخ الثورة وتدوين خطوات حياتها ، وأعلن كذلك تشكيل لجنة لتحقيق أسباب هزيمة يونيو المريرة ، وجعل نائبه آنذاك محمد حسنى مبارك رئيسا للجنتين ، وكان عجيبا أن تكون السلطة التنفيذية رياسة مثل هاتين اللجنتين ، مع أن السلطة التنفيذية هى المتهمة .

وعلى كل حال فإن الإعلان عن تكوين هاتين اللجنتين جعل الأصوات التى كانت ثائرة تهدأ وتظن أن ما كان خافيا سيتضح ، وتتوقع ظهور ما أشيع حول وجود خيانة سببت هزيمة يونيو ، وأن المسألة لا تعدو أن عبد الناصر أراد أن يتخلص من عبد الحكيم عامر بأى ثمن ، ولو بهزيمة ساحقة للجيش الذى كان عامر يتزعمه ويقوى به على عبد الناصر .

وعلى كل حال فإن تكوين هاتين اللجنتين أخفت الأصوات فى انتظار النتائج ، ولم يظن أحد أن تكوينهما ليس إلا ذرا للرماد فى العيون ، وليس إلا خديعة تغطى ثورة الجماهير إلى حين .

ولعل السادات أدرك أن إبراز الحقائق عن هذين الموضوعين سيدمر الثورة التى ينتسب لها السادات ، فآثر أن يختفى هذا التحقيق وتلك المحاولة ليظل الظلام ساترا للأخطاء ، حتى يظل البوم ينعم بالظلام والظلمات .

---

(١) عنوان هذا الكتاب هو : ومن النفاق ما قتل .

وقد أدرك السادات كذلك أن التحقيق فى هذين الموضوعين سيفتح الأبواب لموضوعات كثيرة ينبغى ألا يُكْشَف عنها الحجاب مثل هزيمة ١٩٥٦ ، والمعتقلات ، والحراسات ، والوحدة مع سوريا ، ثم ما تم خلال هذه الوحدة مما سبب الانفصال ، ونتائج الانفصال ، وحرب اليمن ، وغير هذه من المآسى التى ارتكبها الثوار فى حق مصر والمصريين ، ولذلك آثر السادات أن تظل هذه الأمور كلها فى طىّ الكتمان ، واكتفى بهذه الخديعة التى شغلت الناس حينا من الدهر •

اللعب على الحَبْلَيْن فى مجال آخر :

وعندما أقبل السادات على أمريكا واستبعد السوفيت بدأ نشاط الشيوعيين يظهر ويحاول أن يُحْدِث القلاقل ، ولهذا سمح السادات للإخوان المسلمين بالظهور ، لا حبًّا فيهم ، بل ليستغلَّهم ضد الشيوعيين ، فظهرت مجلة « الدعوة » ونشط شباب الإخوان ، ولكن سرعان ما أَبدى السادات الخوف من هذا النشاط الذى لم يكن تحت سلطانه أو فى طيات عباءته كما يقولون ، وبسبب هذا الخوف اتَّجه السادات لضربهم ، والقبض على عدد من شيوخهم وشبابهم ضمن الذين ضمهم الاعتقال الأثيم فى سبتمبر الحزين •

جيهان السادات

كانت جيهان — كما سنرى — واسعة الآمال ، وبعض وسائلها لتحقيق هذه الآمال لم تكن وسائل مَرْضيةً ، فمسَّت زوجها فى حياته أو ذكراه بعد وفاته ، وسنعيش مع نشاطها ندوِّن بكل الحيدة جوانب الخير والشرّ فى هذا النشاط :

نمط جديد من زوجات الرؤساء :

لم تكن السيدة جيهان السادات مثل نازلى زوجة الملك فؤاد ولا مثل فريدة وناريمان زوجتى الملك فاروق ، ولا مثل تحية زوجة عبد الناصر ، كانت هؤلاء الزوجات تَعِشْنَ فى الظل ، وإذا كان لأىٍّ منهن رغبة فى شيء حاولت أن تحقق رغبتها عن طريق زوجها أو عن طريق رجال القصر •

ولكن جيهان السادات خرجت للحياة العامة وللشارع السياسى ، وكانت بذلك تحاول أن تحقق أحلاما راودتها من عهد صباها ، والذى يقرأ كتابها « سيدة من مصر » يرى عجبا ، فهى تقول إنها مرة مدّت يدها لقارىء كفّ فقال لها إنك ستصبحين ملكة مصر [١] وقد كانت هـذه الحادثة كما تقول قبل أن يعود أنور السادات للجيش ، وقبل قيام الثورة بعدة سنوات ، ومرة أخرى حلمت أن شيئا أصاب عبد الناصر ، واستيقظت منزعجة كما تقول ، وبعد بضعة ساعات مات عبد الناصر [٢] .

على كل حال نحن أمام أحلام تحقّقت ، سواء كانت هذه الأحلام أحلام نائم أو أحلام يقظان .

وعندما أصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية بدأت خطواتها لتحقيق الأحلام ، ولكن الشهور بين أكتوبر ١٩٧٠ ومايو ١٩٧١ كانت شهور قلق ، ولم تكن سلطات أنور السادات كاملة ، فلمـا قضى على ذيول عبد الناصر فى ١٥ مايو ١٩٧١ اكتمل لـه السلطان ويقول محمد حسنين هيكل إن السادات فى ذلك الوقت خلع على زوجته لقب « سيدة مصر الأولى » وكان هذا اللقب الجديد مستعارا من البيت الأبيض الأمريكى ، لكن وقع تعبير « First Lady » فى أمريكا لم يكن كوقع تعبير « سيدة مصر الأولى » باللغة العربية [٣] . إنه لقب يحمل معنى السيادة والترف .

سيدة مصر الأولى :

وينبغى أن نقف وقفة مع هذا اللقب الكريه الذى جلب السادات به سخط المصريين عليه وعلى هذه السيدة ، وقد ذكرنا من قبل أن جذور هذه السيدة ليست مصرية ، فأمها اسمها « جلاديس » وهى من مالطة وتعتنق المسيحية ، ولم تدخل الإسلام على الرغم من حياتها فى بيت

---

(١) سيدة من مصر ص ١٣٧ .
(٢) سيدة من مصر ص ٢٩٠ .
(٣) خريف الغضب ص ١٠٦ .



تـرف

مَنْ كان يسمِّى نفسه « الرئيس المؤمن » ووالدها ليس عريق الجذور فى المصرية ، فهو ينحدر من أصل تركى ، فإذا أصبحت ابنة هذين سيدة مصر الأولى فإن ذلك كان شيئا يثير الكراهية والسخط ، وقد أحَسَّ المصريون أن هذا اللقب قُصِدَ به إيذاء شعورهم ، وأن هذه السيدة مع ان جذورها تختلف دينا ودما مع المصريين أصبحت تلقب سيدة مصر ، وهذا أثار حنقهم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإننا نحس أن من الشرف أن نكون خدم بلادنا المخلصين ، وهذا اللقب يناقض هذا الإحساس لأن منطوقه يفيد أن جيهان سيدة مصر .

إن المصريين لم يغفروا أبداً للسادات أنه أطلق هذا اللقب على زوجته ، ولا شك أنه أحسَّ بذلك وأحست به زوجته ، ولكن خلق العناد الردىء لم يسمح لهما بالتراجع ، وقد جلب هذا اللقب عليهما سخط الناس ، ولكن يبدو أن الرؤساء لا يبالون بسخط الرعية ، والأمر لله .

جمال السادات يخطب بنتا أمها مسيحية لبنانية :

وكما فعل السادات عندما أحب « جيهان » وأمها مسيحية مالطية ، فعل ابنه جمال فقد أحب « دينا » وأمها مسيحية لبنانية ، ويقولون « الولد سر أبيه » وأم جيهان اسمها « جلاديس » وأم دينا اسمها « نيكول » وكانت نيكول فى باريس عندما سمعت عن خطبة ابنتها لجمال السادات ، وتروى جيهان السادات عنها أنها ذهبت لكنيسة نوتوردام وانحنت وقبَّلت أرض الكنيسة آنذاك ، شكرا على ان ابن السادات خطب ابنتها [١] .

إننى شديد التمسك بالفكر الإسلامى الذى يوصى باتباع الديانات

---

(١) امرأة من مصر ص ٤٧٧ .

الأخرى ، وأعرف تماما أن الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب ، فما بالك بمسلمة أمها من أهل الكتاب ؟ أعرف هذا جيداً ، ولكنى أحس أن بيوت الرؤساء والعظماء عليها التزامات خاصة ، ويقرِّر التاريخ أن بعض الخلفاء الفاطميين وبعض الخلفاء العثمانيين عندما تزوجوا من بيوت غير إسلامية بدأ الوهن يدِبّ في الأسرة .

إن بيوت الرؤساء والعظماء ينبغى أن تحافظ على روح الإسلام ، وهيهات أن تسود روح الإسلام إذا كانت الأم غير مسلمة ،

نشاط جيهان :

قلنا آنفا إن جيهان السادات لم تكن فى الظل كما كانت زوجات الملوك والرؤساء قبلها ، وقد خرجت جيهان للحياة العامة ، وسرعان ما جمعت حولها بلاطا خاصًا بها يتكوّن من زوجات بعض رجال الأعمال والسياسيين والضباط ، كذلك ضم هذا البلاط عددا من سيدات الطبقة التى كانت بارزة قبل الثورة ، وفى وقت من الأوقات كانت تعتبر نفسها مسئولة مباشرة عن ضباط الحراسة فى الرياسة وعن زوجاتهم [1] .

من أصحاب الأعمال :

وأصبحت جيهان السادات من أصحاب الأعمال والمال وقد سئل أنور السادات يوما عن الترف الذى يعيش فيه هو وأسرته ، فقال : إن زوجته من أصحاب الأعمال والمال ، وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد : إن أنور السادات لم يحدد عمر هذه الأعمال والأموال وهل هى تليدة عريقة موروثة أو مستحدثة ، ولما أحسّ بدهشة مستمعيه قال : إن خديجة زوجة الرسول كانت تاجرة ، ونسى إن السيدة خديجة نالت الثراء

---

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ١٠٥ .

قبل زواجها من الرســـول بل كان الرسول قبل الرسالة يعمل فى تجارتها (١) .

موقف الإسلام من تجارة الحاكم وذويه :

وبمناسبة ما باشرته جيهان من أعمال درّت عليها الربح نقرر أنه من المبادىء الإسلامية أن الحاكم وأهله وأعوانــه ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشترين ، وعليهم أن يبتعدوا تماما عن أية صفقة يمكن أن يكون فيها استغلال لمكانة الحاكم (٢) .

وقد نص البيان الشامل الذى أخرجه عمر بن عبـــد العزيز عقب توليه الخلافة على أن تجارة الوالى وأسرته ممنوعة إذ لابد أن يتجه لها الاستغلال ، ومما أُثِرَ عنه قوله : تجارة الولاة مفسدة والرعيـــة مهلكة (٣) .

وقد عقد ابن خلدون فصـــلا عن أن « تجـــارة الســـلطان مضرة بالرعايا » (٤) .

والذى لا شك فيه أن جيهان السادات ما كانت بحال من الأحوال تستطيع أن تحصل على مـــا حصلت عليه ولا على جزء منه لو لم تكن زوجة رئيس مصر ، فالاستغلال واضح وأكيد ، ودفعت مصر ثمن مـــا جنته جيهان .

الوفاء والأمل :

ومن نشاط السيدة جيهان السادات ما بذلته من جهد إبّان حرب

---

(١) د . نعمات فؤاد : صناعة الجهل ص ٥٩
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد جا ص ٥٤ .
(٣) البيان كلــه فى ابن عبــد الحكيم : ســيرة عمر بن عبــد العزيز ص ٩٣ — ١٠٠ .
(٤) المقدمة ص ١٩٧ — ١٩٩ .
واقرأ « السياسة فى الفكر الاسلامى » للمؤلف ص ١١٩ .

١٩٧٣ فقد كانت تمضى الكثير من وقتها مع الجرحى والمعوّقين ، وقد شجّع موقفها هذا كثيرات من المصريات فانضممن لها ، وكان ذلك عملا جديرا بالشكر والتقدير .

ويرتبط بذلك تلك الجمعية التى سميت الوفاء والأمل وقد اتجهت هذه الجمعية لمساعدة أسر الشهداء ومساعدة المعوّقين ، ومحاولة إيجاد أعمال لمن يستطيع العمل منهم ، وكان يتبع هذه الجمعية مؤسسة لخدمة المعوقين ورعاية شئونهم .

ولكن للأسف ، ارتبطت بجمعية الوفاء والامل بعض الشبهات ومن أبرزها المعونة التى قدمتها أمريكا لهذه الجمعية وقدرهـا عشرة ملايين دولار ، وقد خصم هذا المبلغ من المعونة المخصصة لمصر ، ولم يحاسب الجهاز المركزى للمحاسبات جمعية الوفاء والأمل على طريقة إنفاق هـذه الملايين ونسواها من التبرعات [1] .

قرى للايتام :

ومع الوفاء والأمل قامت مصر بإنشاء قرى للأيتام ، وكان ذلك من الأنشطة التى قامت بها جيهان السادات .

رياسة المجلس الشعبى بالمنوفية :

ومن أنشطتها أنها أصبحت رئيسة المجلس الشعبى لمحافظة المنوفية واتخذت من ذلك وسيلة لتقديم كثير من الخدمات الاجتماعية للمنطقة .

إلغاء عقوبات قضائية :

ومن أنشطتها التى تؤخذ عليها مـا نشرته جريـدة الوفـد فى ٨٤/٦/١٤ إذ تدخلت لإلغاء عقوبة الأشغال الشاقة على تاجر مخـدرات

---

(١) د . نعمات أحمد فؤاد : المرجع السابق : ص ١٧٤ .

يمتلك صيدلية ريفولى بجوار منزل رئيس الجمهورية السابق ، وتقول زوجة هذا التاجر إنها كانت تربطها علاقة صداقة قوية بالسيدة جيهان السادات فرجتها باسم الصداقة أن تتوسط لدى الرئيس السادات لإعفاء زوجها من عقوبة الأشغال الشاقة ، واستجابت جيهان لرجاء صديقتها ، واستصدرت من الرئيس الراحل قرارا جمهوريا بالعفو عن زوج صديقتها •

وبعد وفاة السادات طلب المدعى الاشتراكى فرض الحراسة على هذا التاجر ، ونظرت محكمة القيم برياسة المستشار حسن عثمان هـذا الطلب ، وأصدرت حكمها بفرض الحراسة على ممتلكات هذا التاجر ، ورفضت التحفظ على التاجر نفسه •

قانون للحد من الإنجاب :

وقد تحدثت جيهان السادات حديثا طويلا فى كتابها عن محاولاتها لاستصدار قانون يحدّ من الإنجاب ، وقد عُرِضَت صـور متعددة لهذا القانون ، ولكنه لم يصدر ، واكتُفِىَ بالإعلانات وبالمحاولات التى تنشرها وسائل الاعلام •

٣٠ مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب :

وبمحاولات ضخمة مثابرة استطاعت جيهـان أن تُقْنِع زوجهـا بإصدار قرار رياسى بإضافة ثلاثين مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب ، وتخصيص من ١٠ الى ٢٠ فى المائة من جميع المقاعد فى المجالس الشعبية للمرأة ، ولكن هذا القرار كان قصير العمر ، فقد أُلغى بعد وفاة السادات كما ذكرنا من قبل •

قانون الأحوال الشخصية :

وقد تكلمنا من قبل عن قانون الأحوال الشخصية الذى كان مـن جهود جيهان السادات ، ولذلك كان يسمى قانون جيهان ، فقد حللّنا

هذا القانون وانتقدناه ، وذكرنا التعديلات التى تمت عليه بعد وفاة السادات وبعد توقف نفوذ زوجتـــه ، وتلك دائما هى نهاية القوانين والقرارات التى ليس لها جذور شعبية أو التى تصدر عن هوى الرؤساء فقط .

ولا يدرك الإنسان لماذا يتحمس أعضـــاء مجلس الشعب لإلغـــاء القرار الخاص بتحديد ٣٠ مقعداً للمرأة ، ولا يتحمسون لإلغاء تخصيص ٥٠٪ على الأقل للعمال والفلاحين بهذا المجلس .

إن الإجابة هى أنّ أى رئيس ســيظل محتاجا لهؤلاء يصــفقون ويوافقون دون تفكير ، وكل ما نملك أن نذكره هو أن المال الذى يحصل عليه هؤلاء من عرق الفقراء والمحتاجين سينقلب نارا وشؤما على آخذيه بدون وجه حق .

دعوة زوجات رؤساء الدول لزيارة مصر :

وتذكر السيدة جيهان [1] قضــــية تفتخر بها ، وهى أنها دعت زوجات الرؤساء الأفارقة والعرب لزيارة مصر سنة ١٩٧٤ وتقول : لقد استجاب لدعوتها عدد يزيد عن مائتين من ثلاثين دولة منها كينيا وأثيوبيا وأوغندا وساحل العاج وبورنــدى وتوجو وتشــاد ونيجيريـــا وزائير وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس واليمن وقطر والكويت والبحرين وعمان ولبنان والعـــراق والصومال وكان ذلك أول اجتماع من نوعه فى القاهرة وأعدت لهن حفلات وزيارات لمناطق الآثار بالقاهرة ، ثـــم إلى مشاهدة الآثار فى الصعيد برحلة نيلية رائعة .

والسيدة جيهـــان ســـعيدة بذلك ، وهى بالتأكيد لم تسأل نفســـها الأسئلة التالية :

---

(١) سيدة من مصر ص ٣٨٣ — ٣٨٤ .

ـ هل استطاعت السيدة جيهان السادات أن تحجب عن أنظار هؤلاء السيدات أفواج الفقراء الذين يملئون الشوارع والذين يمثلون قاع البؤس ؟

ـ ماذا فعلت السيدة جيهان تجاه الذين يقفون فى كل مكان مادّين أيديهم طلبا الصدقة وسائلين القادرين لقمة العيش ؟

ـ وهل تحاشت السيدة جيهان فى تنقلاتها مع هؤلاء السيدات أكثر شوارع القاهرة المليئة بالحفر وطفح المجارى .

ـ وهل رجعت هؤلاء السيدات لبلادهن يتحدثن عن الآثار والماضى ؟ أو أنهن وصفن الفقر والحاضر .

ـ وأخيرا ماذا قدّمت هؤلاء السيدات لمصر نظير هذه الرحلة باهظة التكاليف ؟

وأسئلة أخرى كثيرة ولكن يبدو أن السيدة جيهان نسيت قاع الفقر الذى عانته يوما ، ونسيت كذلك أولئك الذين يعيشون فى القاع والقبور ، وحسبت أن كل الناس يعيشون فى الرخاء الذى أصبحت تنعم فيه .

ثورتها على الشباب المسلم :

أخرجت السيدة جيهان السادات كتابها « سيدة من مصر » باللغة الإنجليزية بعنوان : Woman from Egypt

ثم ترجمته أو تُرْجِم لها إلى اللغة العربية ، وهى فى هذا الكتاب تهاجم الشباب المسلم للأسف ، وتصف هؤلاء الشباب بما يؤذيهم ويؤذى مصر ، وموضع العتب الشديد أن هذه الصفات تنتشر عن شبابنا الإسلامى فى أمريكا وغيرها من البلاد الناطقة بالإنجليزية ، واعتقادى أن

ذلك يتناقض مع الولاء لمصر ، وبخاصة أن هذه الصفات ليست حقيقية أو دخلها جانب كبير من المبالغات ، ومن هذه الصفات نورد قولها :

ـــ وصلت مرة إلى جامعة القاهرة فى الساعة العاشرة صباحا فى طريقى لقسم اللغة العربية ، ولكن حائطا من البشر اعترض طريقى ، كان هؤلاء هم الجماعات الإسلامية يصلّون فى فناء الحرم الجامعى ، وماذا يصلون فى العاشرة صباحا ، ثم إن فناء الجامعة طريق المدرجات وليس مسجدا (١) . (يبدو ان هذا الكلام غير صحيح لم نشهده قط فى الجامعة) .

ـــ كان الأصوليون من الجماعات الإسلامية يردّدون فى خطبهم أن السلام مع إسرائيل محظور بنص القرآن ، وأن الأقباط هم أعداء المسلمين (٢) .

ـــ كانت بعض الطالبات يرتدين النقاب ، ويغطّين أيديهن بالقفازات ..... وعندما كنت أراهنّ يمشين فى ردهات الجامعة كنت أشعر « بوجع فى قلبى » (٣) .

ـــ كانت الجماعات الإسلامية تكره الموسيقى الغربية التى كان بعض الطلاب يستمعون إليها ويرون أن أى موسيقى باستثناء تلاوة القرآن عمل مدنّس (٤) .

ـــ كانت الجماعات الإسلامية تردد : أن الاقباط فى مصر يجب أن لا يكون لهم صوت فى سياسة مصر ، وأن المسيحيين متواطئون فى مؤامرة مع الإمبريالية بالخارج ، ولا تصادقوا قبطيا (٥) .

(١) سيدة من مصر : ص ٥٠٥ .
(٢) المرجع السابق : ص ٥٠٨ .
(٣) المرجع السابق : ص ٥٠٩ .
(٤) المرجع السابق : ص ٥١٠ .
(٥) المرجع السابق : ص ٥١٣ .

واعتقادى أن هذه إثارة للرأى العام العالمى بوجه عــام والرأى العام الأمريكى بوجه خاص ضد مصر ، وكان الولاء لمصر يمنع إذاعة هذه الأقوال التى لم تكن حقيقية ، أو على الأقل حفلت بالمبالغات الشديدة .

وهكذا أصبحت جيهان السادات سيدة غربيَّة فى فكرها وحياتها ، ويعتقد بعض علماء الاجتماع أن الصورة الغربية التى ظهرت بها جيهان السادات كانت من أسباب عودة الحجــاب والنقاب ، رفضا لاتجاهها ولأسلوب حياتها من شابات مصر وسيداتها [1] .

إعجاب بشعب إسرائيل :

ولعل أخطر مــا تَخْتَتِم به هذه الدراسة عن الشباب هو إحساس شابَّة من بيت السادات هى « جيهان » ابنة السادات ، فقد قالت أمها عنها ما يلى :

« كانت ابنتى جيهان مفتونة بشعب إسرائيل » [2] واعتقادى أن إحساس جيهان ابنة أنور السادات كان انعكاسا لتصرفات والدتها التى تقول فى نفس الصفحة (٥٠١) إنى كنت سعيدة جــدا عندما قــابلت « لسيه رابين » زوجة إسحق رابين فى حفل غداء بعد أن بدأت إسرائيل تجلو عن سيناء وقد احتضنت كلٌّ منا الأخرى ، وتقول السيدة جيهــان لأنور السادات عندما ذهبت لزيــــارة إسرائيل واستقبلها الإسرائيليون بالترحيب : لقد تأثرتُ بهذا الترحيب وقلت لأنور : لمــاذا قضينا كل هذه السنين نحارب هؤلاء الناس ؟

إن بعض المفكرين المصريين يوافقون عــلى معاهدة الصــلح مــع إسرائيل ، ولكن ليس فيهم من ينسى ما فعلته ومــا تفعله إسرائيل مــع

---

(١) دكتور سعد الدين ابراهيم نقلا عن « الهجــرة الى العنف ص ٢٦٩ » .

(٢) امرأة من مصر ص ٥٠١ .

المصريين والعرب ، ولا ينسى العدوان الذى كان ولا العدوان الذى لا يزال واقعا ، وحاشا أن يحتضن مصرىٌ مخلص لبلاده أىّ زعيم سفّاك من زعماء إسرائيل ، على الأقل خلال هذا الجيل الذى نعيشه .

مقارنـــة :

ويصوّر اللواء محمد حافظ إسماعيل موقفا مصريا مؤثرا لطالبة مصرية فى باريس رأت السادات فى التليفزيون عندما كان يزور القدس وهو يضع إكليل زهور على قبر الجنـــدى الإسرائيلى المجهول ، ويقول سيادة اللواء : شدّ انتباهى صوتٌ يختنق بالعبرات لفتاة مصرية لم تستطع أن تسيطر على مـــا يعتمل فى صدرها ، وهى كما تقول لا تستطيع أن تصدق أن يصافح رئيسُها الأعداء ...... وأن يضع أكاليل الزهور على قبر جنديّهم المجهول بينما رمال سيناء ندّية بدماء شهدائنا (١) .

نعم هذه فتاة مصرية صميمة عبّرت عما يفعله أى مصرىٍّ أصيل ، أما الأحضان والإعجاب بالشعب الإسرائيلى فمن حظ السيدة جيهان ، وحظ ابنتها التى انتقل لها سرّ أمها .

لقد تحاملتْ جيهان السادات على الشباب المصرى لترضى الأمريكان ، ولهذا السبب أيضا تعاطفتْ مع اليهود !!! فيا للعجب تنعم بأموال مصر وتتعاطف مع أعداء مصر .

ثقافة جيهان السادات :

عندما أصبحت جيهان زوجة لرئيس مصر ، وتطلعتْ لتلعب دورا فى الحياة العامة ، رأت أنه من الضرورى أن تكسب قدرا من الثقـــافة ليساعدها على تحقيق هدفها ، واتجهت أول الأمر الى الحصول عـــلى الثقافة اللازمة لهذه المكانة ، فبدأت تأخذ دراسات عن البروتوكول والنظم

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٤٤٣ .

الدبلوماسية ، ثم بدأت تدرس تاريخ مصر القديم وآثار مصر وفنونها ، لتتحول منه إلى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ، ثم إلى تاريخ مصر الحديث •

ولكن فجأة خطر لها أن تستغل مكانتها فى أن تسير فى دراستها سيراً نظاميا ، أى أن تأخذ الثانوية العامة أو ما يعادلها ، وتلتحق بإحدى كليات الجامعة وتحصل على درجة جامعية ، ثم تسير فى الطريق حتى تحصل على درجة الدكتوراه ، وقد كان ذلك قمة الطموح ، وقد هُيِّئ الطريق تماما لزوجة رئيس الجمهورية لتحقيق هذا الطموح •

وفى مصر تقف أمام التلاميذ والطلاب عقبتان قاسيتان إحداهما النجاح فى الثانوية العامة أو ما يعادلها ، والحصول على درجات تؤهل للالتحاق بالجامعة •

والعقبة الثانية هى النجاح فى السنة التمهيدية لمن يريد أن يحصل على الماجستير فالدكتوراه •

وكانت إزاحة هاتين العقبتين من طريق زوجة رئيس الجمهورية عملا يسيرا للغاية ، فإنها تؤدى امتحان الثانوية العامة أو ما يعادلها فى القصر الجمهورى أو ما هو فى مستوى ذلك ، ••• وستنهار كل الحواجز التى تحول دون مساعدة زوجة الرئيس لتصل إلى الجامعة ، أو أن تحصل على شهادة G. C. E. التى تعادل الثانوية العامة والتى يلجأ اليها (أولاد الذوات) ليهربوا من متاعب الثانوية العامة المصرية • والعجيب أن هذه السيدة حصلت على **شهادة انجليزية** معادلة ، ثم دخلت **قسم اللغة العربية** بكلية الآداب [1] بجامعة القاهرة ، وكان ذلك سنة ١٩٧٤ •

وكانت السيدة جيهان ذكية باختيارها كلية الآداب ، بل باختيارها قسم اللغة العربية بها ، فذلك وحده هو الوسيلة لتصبح يوما مدرِّسة أو

---

(١) عبد الله امام : محاكمة عصر ص ٢٠ •

أستاذة بجامعات الولايات المتحدة الأمريكية وانهارت الحواجز التى كان يمكن أن تحول دون مساعدتها ، فنجحت بتفوق فى الفرق الأربع وحصلت على الليسانس بامتياز ، وأصبحت معيدة بالكلية ابتداء من سنة ١٩٧٨ ، ولأنها حصلت على الليسانس الممتازة فإنها أُعفِيَت من السنة التمهيدية أى أعفيت من العقبة الثانية التى تقوم أمام الطلاب المصريين ، ثم حصلت على الماجستير فى العام التالى (سنة ١٩٧٩) أى فى عام واحد ولعلها أسرع ماجستير فى جامعة القاهرة .

وكتابة الماجستير والدكتوراه عمل سهل ، فالمساعدات تنصبّ انصبابا من كل جانب ، وقد حُشِدت لذلك مساعدات كثيرة بالإضافة إلى ذكاء الباحثة العام ، وأصبحت جيهان السادات مدرسة مساعدة بكلية الآداب ، وكان ذلك من أهم أمانيها ، ولعل ذلك لم يتحقق لغيرها ، ففتاة تزوجت مبكرة وأنجبت أربعة أطفال ، وعاشت التزاماتها التى فرضتها عليها الحياة كزوجة لرئيس الجمهورية ، ومع ذلك تستطيع أن تحقق هذا الأمل وتحصل على هذه الشهادة وتلك فى هذا الوقت القصير ... شىء يدعو للشك أو الغبطة ، وإن كانت الغبطة لن تحقق للمغتبط أىّ قدر من الأمل .

وتراخت المساعدات بعض الشىء عن السيدة جيهان بعد وفاة زوجها ، فلم تحصل على الدكتوراه إلا سنة ١٩٨٦ أى بعد سبع سنوات .

وهكذا لم يقنع السادة بالحصول على الجاه والمال بل اتجهوا الحصول على الدرجات العلمية التى هى فى الأصل وقف على الكادحين ، ووسيلة الأذكياء للطفرة من القاع الى سطح الأرض .

وقد حصل جميع الذين ساعدوا السيدة جيهان فى تيسير العمل لها ، وإخضاع القوانين لرعايتها ومساعدتها علميا وإداريا ...... حصل هؤلاء على مكافآت سخية لهذه المساعدات ونكتفى بهذا الإجمال ، وإن كانت هناك تفاصيل دقيقة عن هذا الموضوع ، ولكنا لا نحب إذاعتها وقد

كَتَبَ عنها قريبها حسن عزت فى كتابه العمالقة والأقزام [١] •

جيهان ومحنة الدكتور عبد العزيز سليمان

معى الآن كتاب بعنوان « محنتى » كتبه الدكتور عبد العزيز سليمان الذى تولى مناصب مختلفة لعل أعظمها أنه كان رئيسا لجامعة عين شمس ، وهو فى هذا الكتاب يتحدث عن محنته ومحنة زوجته السيدة سعاد أبو السعود وابنته وابنه ، ويذكر أن سبب هذه المحنة هى •••••• وهو لا يذكر اسمها ولكن القارىء يفهم من عرض الأحداث أنها السيدة جيهان •

والمهم أن الكتاب ليس جديرا أن نقف عنده ، فلغته ركيكة ، وهو يسير فى غموض بلا ذكر أسماء ، وانما بإبهام لا يدركه إلا مؤلفه وقليلون حوله ، هذا بالإضافة إلى سوء الطباعة والإخراج •

قد تقول لى إن الدكتور أستاذ « علوم » وأقول لك إن دقة التعبير والأداء ضرورية لكل من أراد أن يكون مؤلفا وكاتبا [٢] وإذا صرفنا النظر عن الكتاب ولغته ، بقيت المظالم التى يعرضها المؤلف والتى نزلت بـه وبأسرته ، وتلك إن صحّت تكون عملا بشعا •

هل تزوجت السيدة جيهان بعد أنور السادات ؟

الذى يطالع كتابها « سيدة من مصر » يجد كلماتها التالية :

« لن أتزوج مرة أخرى ، ولن أفكر حتى فى تغيير اسمى ، كل مـا أردته دائما هو أن أكون زوجة أنور ••••••

« وسأقابل زوجى ثانية بعد الموت فى عالم الخلود الأبدى » [٣] •

ويحسّ القارىء بهذا القول على إصرارها أن تعيش ما تبقى من

---

(١) حسن عزت : العمالقة والاقزام ص ٢٧٠ •
(٢) كتاب « محنتى » للدكتور عبد العزيز سليمان •
(٣) سيدة من مصر : ص ٥٦٩ •

حياتها مرتبطة باسم السادات ، وفيّة لذكراه ، وبخاصة أنها عاشت معه ثلاثا وثلاثين سنة من (١٩٤٩ — ١٩٨١) ونقلها من لا شيء إلى شيء كبير جدا ، وأنها عند وفاته كانت على مشارف الخمسين ، وأنجبت منه ابنه جمال الذي تحدثنا عنه وثلاث بنات تزوجهن في حياة أبيهن وأصبح لها عدد من الأحفاد ، وكل هذا جعلنا نصدق أنها لن تتزوج بعده .

ولكن الزمان ينسّى كما قال المرحوم الشاعر أحمد شوقى ، وقد جاءت الأنباء أن هذه السيدة قد تزوجت ، وقد نقلت الصحافة المصرية هذا الخبر بكثير من الأسى والسخرية ، وذكر رئيس تحرير الوفد كلمات صارخة باكية على هذا الزواج ، وكان ذلك بالعدد الصادر فى ١٩٨٨/١١/٢٧ .

ولست أحب أن أعلق على هذه الحادثة ، فلعل الآراء تختلف فيها ، وقد تزوجت قبلها جاكلين كنيدى من أوناسيس جريا وراء المال ، وقد حصلت فعلا على المال ولكنها فقدت تماما تقدير الأمريكيين لها ، ولعل حياة السيدة جيهان بالولايات المتحدة جعلها تتأثر بهذا النموذج وتنسى الفكر الشرقي الذى لا يستسيغ هذا التصرف الردىء .

ولعل من الأنسب من الآن أن نتحدث عن جيهان بدون إضافة اسم السادات إلى اسمها ، فقد أصبحت بذلك الزواج « مدام الضابط الشاب » .

وإذا كانت المقارنة من طبيعة الدراسات التاريخية الحديثة فإننا ننقل هنا ما نشرته الصحافة المصرية فى ١٤ مايو سنة ١٩٨٦ عن كورازون أكينو رئيسة الفلبين ، فقد تقدّم لها سيل جارف من طلاب الزواج ولكن كورازون أكّدت بصورة رسمية أنها ترفض الزواج وستظل وفيّة لذكرى زوجها الراحل .

ثروة جيهان :

إن زواج جيهان فجّر موضوعا مهما عن ثروتها ، وليست لدىّ وثائق عما قيل عن ذلك الثراء الفظيع ، وكل ما أملك هو أن أنقل ما

اذاعته صحيفة الوفد عن ثروة جيهان وهى الصحيفة الوحيدة التى نتوقع منها الحديث عن الثراء الذى جمعه ثوار الاشتراكية ، أما الصحف الحكومية فلم تصدر لها تعليمات بإذاعة هذه الوثائق والأحداث ، ونصوص هذه الاقتباسات هى كالآتى :

برقيتان :

** الى زوجة الريان السابقة التى تزوجت من أحد الضباط :

أعيدى الملايين الثلاثين إلى المودعين الغلابة لأنها لن تنفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة .

** الى الهانم التى تعيش فى أمريكا :

أعيدى الستمائة مليون دولار إلى أصحابها فى مصر لأنه حرام أن يعيشوا فى المقابر بينما أنت تسبحين فى نهر من الذهب ...... والحقيقة أنك تسبحين فى دماء الفقراء الذين سرقهم اللصوص الكبار .

(فى ١٩٨٨/١١/٣)

تصحيح واجب :

** واحد صاحبنا .. أكد للعصفورة ... أن الهانم السابقة ، تمتلك عزبة على مساحة ٣٠ ألف فدان فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان يمتلكها الرئيس الأمريكى الأسبق جونسون ، وتمتلك أيضا قصر الملكة نازلى والدة الملك فاروق ملك مصر السابق ، ويقع فى بيفرلى هيلز بمدينة هوليود بالإضافة إلى بعض الشركات الخاصة بتصنيع وتعبئة اللحوم ، ونقل البترول ، بالمناسبة تصل الثروة إلى بضع مئات من ملايين الدولارات .

(فى ١٩٨٨/١١/٣)

* لعنة الله على الزوجة التى تتسلط عليها نزواتها ، فتسارع إلى الزواج من ضابط شاب يصغرها سنا ، لتتنعم معه بأموال زوجها السابق ، سواء كان من أصحاب شركات توظيف الأموال ، أو رئيس جمهورية رحل .

* ولعنة الله على تلك الزوجة التى ترقص فى حفل زواجها الثانى سواء كانت أما لخمسة أطفال ، أو جدة لدستة من الأبناء .

* ولعنة الله على الزوجة الجدة ، الأرملة التى تعيش فى أمريكا مع عريسها الشاب الجديد وهى تنعم بخيرات ستمائة مليون دولار نُهبت من خزائن مصر ، ومع الملايين مزارع ويخوت وقصور هى من دم هذا الشعب البائس الفقير .

(١٩٨٨/١١/٢٧)

وقد زاد من خطر هذا الثراء ما يشاع عن أنه تيسيرات يهودية لزوجة الرئيس فى حياته لعل ذلك ييسّر للسياسة اليهودية بعض المكاسب السياسية أو الاقتصادية ، ثم هو بعد وفاة الرئيس يمثّل جذْباً لسيدة تكتب أو يكتب باسمها ما يرضى اليهود ، وفى الوقت نفسه ما يهاجم شباب مصر ، وذلك هدف يهودى أعتقد أن اليهود مستعدون لدفع أغلى ثمن له .

أين أسرة عبد الناصر وأسرة السادات الآن ؟

من الأشياء التى تدعو للحسرة أن أسرتى زعيمى الثورة والاشتراكية ، حصلتا على مال وفير من دم الإنسان المصرى الفقير كما ذكرنا من قبل ، وانتقلت الأسرتان بهذا المال من طبقة إلى طبقة ، ثم انتقلت الأسرتان من مصر إلى خارج مصر ، فلم تعد مصر بما بها من فاقة ، وما تحتاجه من جَهْدٍ أهلا ليعيش بها هؤلاء الأكابر .

وبالتأكيد ستجد من العسير أن تقابل أحدا من أفراد هاتين الأسرتين بمصر ، اللهم إلا أولئك الذين أتخموا بالثـراء أو الـذين يبحثـون عن الفرص لاستغلال مـا حصلوا عليه من ملايين لعلها تتضاعف على حساب المصريين فى المقاولات أو إنشاء القرى السياحية أو غيرها من المشروعات التى تحتاج إلى المـال الوفير ، وتعطى عـائداً عظيما لأصحاب هـذه المشروعات •

لقد أعلن عبد الناصر الحرب على الأغنياء ، وكان يَسْعَد عندما ينقل الناس من الثراء للفاقة ومن العزّ للذل والقهر ، ولو جاء عبد الناصر الآن ، أو جاء السادات لرأيا الغنى فى أيدى أولادهما ، ولا شك أنهما سيباركان هذا الثراء ، ويعملان على تنميته ما دام فى أيدى الأسرتين الجديدتين •

ولكن الله سبحانه وتعالى لن يبارك فى مال جاء عن طريق الخيانة لمـال الرعيّة ، ولن يبارك فى غنى برز على حساب الفقراء •

وبعـــــد

هذه هى السيدة جيهان التى كانت تسمى « جيهان السـادات » وذلك هو تاريخها بكل الحيْدة ، ولا شـك أن القارىء يرى فى هـذه الدراسة ألوان نشاطها ما استقام منه وما انحرف ، ودراستنا التاريخية دائما تقدّم للتوعية حتى لا تتكرر فى الحاضر والمستقبل أخطاء الماضى •

إن جيهان — فى تقديرى — جلبت لزوجها فى حياته وبعد وفـاته كثيرا من السخط ، لقد عاشت لنفسها ، وسيطرت عليها فكرة أن تصبح « ملكة » ولكن على أن تكون من الملكات اللاتى لا يهمهن أمر الجماهير •

أولاد الحكام وتطلّعاتهم :

بالتأكيد يعمل كل إنسان لإسعاد أولاده ، وهذا شىء يحثّ عليه الشرع والعرف فقد أوصى عليه الصلاة والسـلام بأن تكون الوصـية

لغير وارث فى حدود الثلث ، قال « الثلث والثلث كثير » وأضاف لأن تدع أولادك أغنياء خير" من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس .

ولكن ما يحصل عليه الأب لأولاده يجب أن يكون نقيًّا ، وإذا كان الأب حاكما فإن الأمر يكون أشد ، فقد قرر الفكر الاسلامى أن الرئيس وأعوانه ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشترين ، وأن الرئيس وأعوانه ليس لهم أن يقبلوا الهدايا ، وبيَّن الفكر الإسلامى أن الهدية للحاكم ظاهرها الهدية وباطنها الرشوة والاستغلال ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك : هدايا العمال غلول . أى فساد ومهلكة .

إذا أردنا أن نطبق هذه التعاليم على أولاد رؤساء مصر فى عهد الاشتراكية الزائفة نجد أن الاستغلال وصل مداه ، فقد صدرت أوامر بإعفاء بعض أولاد عبد الناصر من الخدمة العسكرية ، وفى الوقت نفسه كان ابن ملكة بريطانيا العظمى يعمل وسط البريطانيين فى حرب فوكلاند دون أى تمييز .

ودخل أولاد عبد الناصر وابن السادات كلية الهندسة وهناك كلام كثير عن تحدّى الأستاذ الدكتور ابراهيم صالح الذى أراد أن ينفّذ العدالة مع ابن السادات ، فأُبعد عن الجامعة ، ولم يَعُدْ لها إلا بحكم قضائى بعد عصر السادات [1] .

وربما تسألنى ، لماذا لم يدخل أولاد الرؤساء كلية الطب مع أنها من الكليات المرموقة ؟

---

(١) اقرأ القصة كاملة فى (صناعة الجهل) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ص ١٢٧ .
واقرأ « محاكمة عصر » للاستاذ عبد الله امام ص ٣٢ .

والإجابة أن الطبيب سيواجه الناس ويتقبلون عليه أو يتدبرون عنه ، وأولاد الرؤساء انعزلوا عن الشعب ، فليس الواحد منهم مستعدا لمواجهة المرضى وأهليهم ، ومن الخير له أن يكون مهندسا يجلس فى مكتب عاجى وترد له المقاولات الكثيرة السخية ، فيربح كثيرا دون صلة بالجماهير .

وقد سبق أن ذكرنا أن أولاد الرؤساء يحرصون على الحياة فى الخارج ، فلم تعد مصر الفقيرة أهلا ليعيشوا بها ، أو أنهم بعد أمجاد الرياسة وسلطانها يعز عليهم أن يفقدوا ما اعتادوه من جلال وسلطان ، فتركوا البلاد لذلك .

ومن تطلعات أولاد الرؤساء أنهم وصلوا فى طموحهم إلى أقصى الدرجات فى مجال الغنى والجاه ، فابن عبد الناصر متزوج بابنة البدراوى ، وكانت أسرة البدراوى وسراج الدين ... من الأسر التى لاقت أشد العدوان من عبد الناصر ، وكان هذا يعد هذه الأسر العريقة أسرا إقطاعية امتصت دماء الشعب ، ولكن ابن عبد الناصر اغتنى وارتفع حتى أصبح فى مصاف هذه الأسرة فتزوج منها .

وبنات السادات — كما قلنا من قبل — رتبت لهن زيجات لم يلاحظ فيها إلا الغنى والترف ، فقد تزوجت إحداهن من ابن المهندس عثمان أحمد عثمان الذى يطلق عليه زعيم « الامبراطورية العثمانية » وتزوجت الأخرى من ابن سليل الغنى والترف المهندس سيد مرعى ، وتزوجت الثالثة فى أسرة عريقة غنية هى أسرة عبد الغفار .

أما ابنة عبد الناصر فهى زوجة لشاب ينحدر من أسرة متوسطة أو فى الحق أقل من متوسطة اسمه أشرف مروان ، ولكنه سرعان ما أصبح ليس مليونيرا بل « بليارديرا » ولا يعرف أحد مصادر هذا الثراء الذى خلق له الأرض الزراعية الشاسعة والمصانع والقصور هنا وهناك

والبيخوت التى تجرى من بحر إلى بحر ومـــا لا يُعْرَف من ثـــروات أخـــرى •

وفى إيجاز لقد انتقل أولاد عبد الناصر والسادات من عالم القاع إلى عالم السيادة المالية ، ولم يعودوا يستطيعون أن يتعاملوا مع عباد الله من الطبقات العادية •

إخوة السادات :

تكلمنا عن إخوة عبد الناصر فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة ، وتكلمنا آنفا عن وصف السادات لعبد الناصر فيما يتعلق بحساسيته نحو أسرته ، وذكرنا كلمات السادات التى تفيد أن عبد الناصر كان يسرف فى التنكيل بأى شخص يتحدث عن أسرته وإخوته ، ووسائلهم للحصـــول على المال ، ونريد الآن أن نتكلم بإيجاز عن بعض أسرة السادات •

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل (١) أن السادات فى مطلع حكمه جمع أفراد عائلته وذكر لهم أنه لا يعترض على اشتغالهم بالأعمال الحرة ، ولكنه يحذرهم من أن تفوح لهم رائحة •

ولعلهم حرصوا على التخفّى فترة من الزمن ، ولكن سعة المـــال والنفوذ حتّم أن تفوح الرائحة وبخاصة بعد نهاية السادات •

ويروى الأستاذ هيكل أن أحد أشقاء السادات أعلن فى اليونان أنه سيستثمر ٧ ملايين من الدولارات فى إقامة مصنع نســيج بســالونيكا باليونان ، وكان ذلك فى حياة السادات ، ولذلك لم ينشر هذا التصريح بمصر •

ويعطى الأستاذ هيكل تفاصيل عن عصمت السادات فيذكر أن ثقافته

---

(١) خريف الغضب ص ٣٩٣ •

كانت فى حدود الشهادة الابتدائية وكان يعمل سائق سيارة نقل ، وفى عهد الرئيس السادات انتقل عصمت انتقالة واسعة وتزوج عدة مرات وكانت زوجته الرابعة يونانية من سالونيكا ، وقاما معا بإنشاء شركات كثيرة منها شركات شحن بحرية وشركة لصناعة أنابيب الأكسجين وشركات لتوزيع الجرارات وقطع الغيار والمقاولات ، وكان هو وأولاده يملكون عدة عمارات كبيرة وعشرات من الشقق والمكاتب ، وعدة استراحات صيفية بالمعمورة وغيرها [١] وقد طلق عصمت زوجته اليونانية سنة ١٩٨١ كما ذكر عبد الله امام [٢] .

ويقول الأستاذ هيكل إن نشاط عصمت السادات امتد لأخذ إتاوات للحماية ، أو لتصريف وتيسير بعض الأمور ، أو لنيل مكانة أو وظيفة وهكذا ، وبلغ به الحال إلى التسلط على بعض الممتلكات المملوكة للأفراد أو الدولة ، وأخذ كميات هائلة من الحديد والأسمنت من وزارة الإسكان وكان يتجر فيها ، وألوان أخرى من هذا النوع .

وقد أورد الأستاذ عبد الله امام قوائم شغلت سبع صفحات من كتابه « محاكمة عصر » وتشمل هذه الصفحات مواد البناء التى استطاع أفراد أسرة السادات وبخاصة عصمت وأولاده وزوجاته أن يحصلوا عليها من وزارة الاسكان ، وهى تشمل مقادير هائلة من الاسمنت والقيشانى وحديد التسليح والخشب والمواسير .

وقد اعترف أحد وكلاء الوزارة الذين صرفوا هذه الكميات بأن الطلبات لم تشمل المستندات اللازمة للصرف ولا الأدلة على قيام عصمت السادات وذويه بالمشروعات المذكورة ، وأن الثقة فى أخى الرئيس كانت وحدها الدليل [٣] .

---

(١) خريف الغضب ص ٤١٨ .
(٢) محاكمة عصر ص ٥١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ — ١٣٤ باختصار .

والذى ساعد على التحقيق الدقيق مع عصمت وأولاده أن الرئيس حسنى مبارك أعلن فى نوفمبر سنة ١٩٨٢ أنه أعطى توجيهاته للمستشار عبد القادر أحمد على المدعى العام الاشتراكى بالتحقيق مع أى مسئول سابق أو حالى تشير التحريات إلى تورطه فى مساعدة عصمت السادات وأسرته وتسهيل عمليات انحرافه ، تلك التى شملت الاستيلاء على أراضٍ مملوكة للدولة ومنها أراضٍ للأوقاف ، أو الحصول على إعفاءات جمركية مفروضة على السلع التى تمّ استيرادها من الخارج ، أو التهرّب من دفع الضرائب على أنشطته العديدة والمتنوعة ، أو الحصول على حصص من الحديد والأسمنت والخشب من وزارة الاسكان ، أو الحصول على نحو ٥٠٠ خط تليفون من بينها ١١١ خطاً له وللأولاده ، والباقى باعها لرجال الأعمال ، بالإضافة إلى السكوت على فرض الإتاوات على رجال الأعمال ، وتزوير العقود والأوراق الرسمية ، والاتجار فى السوق السوداء (١) .

وتضيف الصحيفة التى نشرت هذا التصريح فى نفس العدد ما يلى :

فوجئت لجان الجرد بجهاز المدعى العام الاشتراكى والتى قامت بالتحفظ على ممتلكات عصمت السادات بميت أبو الكوم بوجود كميات كبيرة من المسدسات والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية داخل الفيلا التى يمتلكها هناك . كما قام الأهالى بمعاونة رجال الأمن فى الإرشاد عن ممتلكات عصمت السادات بميت أبو الكوم .

وانتهت المحاكمة أمام محكمة القيم إلى إدانة عصمت السادات وأولاده ، فصدرت القرارات بمصادرة هذه الثروة لصالح الشعب ؛ ولكن قسماً كبيرا من ثروة عصمت كان موجودا بالخارج فلم تصل له يد العدالة ، وقد قدرت ثروة عصمت وأولاده بأكثر من مائة مليون دولار ،

---

(١) صحيفة الشعب فى ١٩٨٢/١١/٩ .

وقد تقدمت عائلة عصمت السادات بطعن أمام محكمة القيم العليا لرفع قرار المصادرة ، فصدر قرار هذه المحكمة بتأييد حكم محكمة القيم فيما عدا مسكنين و ٩ آلاف جنيه •

طلعت السادات وعلى شفيق والمخدرات :

يقول عبد الله امام [١] إن اللواء عبد الحميد الصغير مدير مكافحة المخدرات سابقا شهد أمام محكمة القيم فى قضية عصمت السادات أنه كانت فى مصر عصابتان كبيرتان لتهريب المخدرات ، إحداهما يرأسها على شفيق الذى كان سكرتيرا للمشير عامر ثم قبض عليه وحوكم وسجن ، ثم أفرج عنه المشير وساعده فى السفر الى لندن ، وهناك عَمِلَ فى تجارة السلاح حتى قتل • أما العصابة الثانية فقد كان يرأسها طلعت السادات ، وأن الرئيس السادات قبض عليه وسجنه ولكن لم يعلن سبب ذلك •

ويضيف عبد الله امام أن طلعت السادات استولى على الحصة الكاملة لكل المواد الخاصة بمحافظة الفيوم مدة ثلاث سنوات ، وكان يتاجر فى السوق السوداء فى هذه المواد المتنوعة التى استولى عليها وحرم المحافظة منها [٢] •

نفيسة السادات :

نفيسة السادات هى زوجة عبد العزيز عبد اللطيف الوروري وقد اتهمت السيدة نفيسة هى وزوجها بالاستيلاء على أرض مملوكة لشركة مدينة نصر للإسكان والتعمير وبيعها لبعض النـاس ، وبعد السـادات أعلنت الشركة أن على المشترين أن يُعيدوا شراء هذه الأرض مرة أخرى منها باعتبارها المالك الحقيقى ، فتوجه المشترون بالشكوى للجهات المختصة • وانتهى الأمر بصدور حكم قضائى على زوج السيدة نفيسة السادات ،

---

(١) محاكمة عصر ص ٢٨ •
(٢) المرجع السابق ص ١٢٣ •

وهو عبد العزيز عبد اللطيف الوروري بالحبس ستة أشهر فى قضية جنحة النصب رقم ٨٢٩ لسنة ١٩٨٢ جنح مدينة نصر ، واستأنفها أمام محكمة شمال القاهرة باستئناف رقم ٨٥٩ لسنة ١٩٨٢ ، وصدر حكمها بتعديل الحكم المستأنف الى ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ (١) .

سكينة السادات :

يذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين (٢) أنه بعد انتخاب أنور السادات رئيسا للجمهورية جاءته سكينة السادات وطلبت أن تنتقل من محررة بدار الهلال الى مديرة لتحرير مجلة المصور ، وقد ذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين لها أن ذلك ليس من الممكن أن يتم ؛ لأنها به تتخطى عددا من الزملاء الذين هم أقدم منها وهم كذلك من حملة الدرجات الجامعية وهى بدون شهادة جامعية .

وبعد فترة جاءت السيدة أمينة السعيد للأستاذ أحمد بهاء الدين وهى ترتجف ، وقررت أن سكينة السادات لم تعد تُحتَمل ، وأنها فى اجتماعات هيئة التحرير تقاطع وتذكر أن « أبيه أنور يرى كذا وكيت » .

وقد هددها الأستاذ أحمد بهاء الدين بأنه سيشكوها إلى أخيها ، ولكن نفوذ سكينة امتد كالأخطبوط ....

على رءوف وعصمت السادات :

وفى ختام حديثنا عن أسرة السادات بقى أن نورد حديثا يرتبط بأسرة السادات وأسرة زوجته ، فقد ثبت فى مديرية أمن الجيزة أن « عبد العال عطا » مأمور قسم الهرم تلقى عدة شكاوى من الجماهير ضد

---

(١) صحيفة الشعب الصادرة فى ١٩٨٣/١/١٨ وانظر محاكمة عصر للأستاذ عبد الله امام ص ٣١ .

(٢) محاوراتى مع السادات ص ٢٠ — ٢١ .

على رءوف وعصمت السادات ، ولما كثرت الشـكاوى والتعديـات كتب عبد العال عطا للرئيس السادات يقول :

أدركت من واجبى أن أبلغك عن الانحرافات فى سـلوك السيدين على رءوف وعصمت السادات ذلك السلوك الذى شاع فى منطقة الهرم مما أثار حولهما رائحة كريهة ...... وشملت مذكرة عبد العال عطـا وقائع محددة ومحاضر كثيرة حـرِّرت فى القسم ضدهما ...... ويقول عبد الله امام إن النتيجة كانت أولا تحذيرا لعبد العال عطا حتى لا يكتب ثانية فى هذا الموضوع ، ثم انتهى الأمر إلى قرارٍ بفصله من الشرطة (١) .

(١) محاكمة عصر : ص ٣٨ — ٣٩ .

الديمقراطية والديكتاتورية

عندما نعرض للحديث عن الديمقراطية والديكتاتورية بالنسبة لأنور السادات ، ينبغى أن نقدم لهذا الحديث بثلاث مقدمات :

١ — المقدمة الأولى : تذكير بما سبق أن أوردناه حول ثورة ٢٣ يوليو كلها ، فهذه الثورة قامت على الديكتاتورية كما وضح أنور السادات ذلك عندما ذكر أن الثوار جميعا اختاروا الديكتاتورية أسلوبا لمسيرتهم إلا الديكتاتور الأعظم جمال عبد الناصر فإنه اختار الديمقراطية !! ، ثم أن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة قاد مجموعة من الغوغاء تهتف : تسقط الديمقراطية — تسقط الحرية ••••••

وكان هذا الصوت معبرا عن الثوار جميعا كما ذكرنا من قبل •

٢ — ان الفرق كبير جدا بين عصر عبد الناصر وعصر السادات فى هذا المجال ؛ كان عصر عبد الناصر عصرا وحشيا بعيدا عن الإنسانية ، عصر حكم الفرد بقسوة ، فاذا ظهر شخص آخر مع عبد الناصر كان عبد الحكيم عامر بكل الفظاظة والعنف والعربدة ، أو صلاح نصر بكل الآثام والفجور ، وبالإضافة إلى عامر وصلاح نصر هناك المئات من هذا النوع المستبد الآثم ، فلم نكن نحكم بديكتاتور واحد ، وانما بعصابة من الديكتاتوريين •

أما فى عصر السادات فكان الحكم فى يد شخص واحد ، لم يسمح بمركز قوة تشاركه السلطة مستبدة أو غير مستبدة ، وهذه فى حد ذاتها حسنة ، ثم كان السادات خاضعا لظروف ألزمته أن يفتح بابا ولو صغيرا للديمقراطية ، راضيا أو غير راض ، فإن صلته بالغرب لم تترك له حرية الاختيار ، فكان عليه أن يتظاهر بالديمقراطية بشكل أو بآخر كما سنرى ، مؤمنا بها أو غير مؤمن •

إن المقارنة بين عصر عبد الناصر وعصر السادات تجعل من الضرورى

أن نقرر أن عصر السادات — فى مجال الديمقراطية — أسمى وأنضر ، عرفنا فيه بشكل مـا حرية الكلمة ، وحرية القلم ، وحرية الاجتماع ، وعرفنا النوم دون ان يهددنا زوار الفجر (فيما عدا شهر سبتمبر الأثيم) .

٣ — فى المقدمة الثالثــة نقرر أن مـن العبث أن نتوقع ديمقراطية حقيقية كاملة من رجل عسكرى النشأة والثقافة ، فالإنسان العســكرى أَلِفَ الديكتاتورية يعامِلُ بها مَنْ دونه ويتقبَّلُها ممن فوقه .

قد يقال إن أيزنهاور وديجول وأمثالهما كانوا عسكريين ، وهــذا الاعتراض لا يورده إلا شخص ضحل الثقافة ، فأكثر هؤلاء العسكريين لم يصلوا إلى الحكم إلا بعد أن نفضوا عن أنفسهم تراب العسكرية ، واندمجوا فى الحياة المدنية خطوة إثر خطوة ، ثم — وهو الأهم — إن جو الغرب يُرْغِم كل شخص على احترام الديمقراطية ، فإذا حاول شخص — عسكريا كان أو مدنيا — أن يتَّجه للديكتاتورية اصطدم بقوى شعبية رهيبة تُرْغمه على الفرار ، بل يقف ضده الأنصار مع المعارضين ، فالجو الديمقراطى هو الحياة عندهم . هذا بخلاف الشرق الذى ترعبه القوة الظالمة التى تَحْرُس نفسَها بالسلاح حتى تعيش الديكتاتورية على الرغم مما يكنه الشعب لها من حقد واحتقار .

ديمقراطية السادات :

وعن الوجه الديمقراطى أو الديكتاتورى للسادات يقول عبد السلام الزيات (١) : الساداتُ لا يفهم معنى المعارضة ، فالمعارضة التى يفهمها أو حتى يخلقها هى المعارضة بين جماعة وجماعة على أن تؤيده الجماعتان ، فهو يسمح بتعدد الأحزاب وتنافرها مع بعضها البعض ، على أن تكون جميعها مؤيِّدةً له ، يريد للمســلمين أن يختلفوا مع الأقبــاط ، ويريد اليسار أن يختلف مع اليمين ، والفقراء مع الأغنياء شريطة أن يتَّجه الكل

---

(١) نقلا عن العمالقة والاقزام لحسن عزت ص ٢٥٧ .

له ، وأن يبدى هو تعاطفه مع الجميع ، أما إذا اتجهت المعارضة له شخصيا ولقراراته فهنا تظهر أنياب الديكتاتورية •

ومع أنى لا أدافع عن ديكتاتورية السادات فإنى أرى أن هذا الكلام مبالغ فيه ، فقد صارعته الأحزاب أحيانا ، ولم تنقلب ليصارع أحدها الآخر •

مرة أخرى ، كان عصر عبد الناصر عصر الديكتاتورية الحمقاء ، تلك الديكتاتورية التى قادت البلاد للهاوية ، فلما تمت الهزيمة واحتل الصهاينة بلادنا حسب بعض المخدوعين أن عبد الناصر سيتنازل عن بعض استبداده ، ولكن الرجل أخذ من الهزيمة والاحتلال الصهيونى وسيلة لمزيد من الديكتاتورية فأطلق جملته المزيفة :

لا صوت يعلو على صوت المعركة

وهذا الوضع يوحى لنا بأن عصر السادات كان أفضل وكان واضعا لبذور من الديمقراطية ، تضعف وتشتد ، ونرجو فى يوم من الأيام أن يكمل نضجها •

وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين وثيق الصلة بالسادات ، وهو يعطينا صورة دقيقة للسادات بين الديمقراطية والديكتاتورية ، يقول سيادته : لقد أصبحت مدركا تماما أن السادات فى تكوينه الحقيقى ، وخلفيته منذ مطلع الشباب « فاشيستى كامل » لا يعرف إلا الديكتاتورية وأن ما يدفعه إلى الأخذ ببعض صور ليبرالية ديمقراطية هو الحاجة إلى التقرب للغرب ، وهو الرئيس كارتر بالذات الذى نصحه بذلك لكى يقطع الطريق على خصوم السادات فى الصحافة الأمريكية ، ويسهل بذلك مهمة كارتر فى الضغط على إسرائيل [1] •

وهذا الوضع هو ما أشرنا له وهو ما ندين به ، فالديكتاتورية كامنة فى نفسه ، قوية فى أعماقه ، والتظاهر بالديمقراطية يجىء تحت

---

(١) محاوراتى مع السادات ص ١٣٧ •

ضغوط معينة وظروف خاصة ، ومن هنا امتلأت حياة السادات بالاتجاهين جميعا ، ويمكن أن نضع هنا قائمتين بذلك :

مظاهر الديمقراطية :

فمن الديمقراطية وَضْعُ حد للوباء الذى كان يسمى الاتحاد الاشتراكى ، فلم يكن ذلك الجثمان اتحادا ولا كان اشتراكيا ، بل كان كائنا انتهازيا ، ووسيلة لديكتاتورية ناصر وتحقيق أطماع بعض الطامعين الانتهازيين .

ومن الديمقراطية خَلْقُ « المنابر » التى سرعان ما حولها إلى أحزاب ، وكوّن هو حزبا ، وأشار على مصطفى كامل مراد أن يكوّن حزبا آخر ، وسمح بانفلات بعض أعضاء مجلس الشعب حتى كوّنوا النصاب الذى أتاح ظهور حزب الوفد .

ومن الديمقراطية سماحه لصحيفة « الإخوان المسلمين » بالظهور

ومن الديمقراطية ما أتاحه لنا من حرية الكلمة مقولة أو مكتوبة .

قد تقول لى إن هذه ديمقراطية مظهرية وضعيفة ......

وأقول لك نعم . كانت ديمقراطية مستأنسة ، ما فى ذلك شك ، وعندما كان يحس بأن الديمقراطية ترعرعت وتريد أن تكون حقيقيّة كانت أنياب الديكتاتورية تبرز وتتشحذ .

ويذكر المرحوم الأستاذ جلال الدين الحمامصى ان السادات عندما حوّل « المنابر » إلى « أحزاب » استدعى الأستاذ مصطفى كامل مراد وقال له : إنك الآن زعيم المعارضة ، وتلك هى حجرتك ومكانتك المادية والأدبية كزعيم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى ، ولك أن تصدر صحيفة للمعارضة ، ولعل مصطفى كامل مراد صدّق هذا الكلام ، فاتصل بالأستاذ الحمامصى ليكون رئيس تحرير الصحيفة ، ولكن المسئولين قالوا له « سيبك من المراجل ده » فاختار صلاح قبضايا ، وبدأت الصحيفة تظهر ، وأقبل الناس عليها إذْ كانت فيها لهجة المعارضة ، ولكن السادات

لم يحتمل هذا الاتجاه من الصحيفة ، فأشار بوضع العراقيل المالية والطباعية التى تؤدى فى النهاية لإيقافها ، واستجابة لذلك أنذرت مؤسسة الأخبار التى كانت تطبع صحيفة الأحرار المعارضة بأن المؤسسة غير مستعدة لاستمرار طبعها ، وتوقفت الصحيفة ابتداء من أغسطس سنة ١٩٧٨ بعد حياة قصيرة (١) .

ومظاهر الديكتاتورية :

وإذا ذهبنا الى مظاهر الديكتاتورية نجدها فيضا واسعا ، وكان من أخطر مظاهر الديكتاتورية **تزييف الانتخابات ، وبالتالى تكون مجالس لا تمثل الشعب بحال من الأحوال .**

ومن مظاهر الديكتاتورية تعديل الدستور الذى وضعه هو سنة ١٩٧١ وكان هذا التعديل يقضى بأن مدة الرياسة غير محددة السنوات ، وهو وباء لا يزال مسلطا علينا .

ومن الديكتاتورية تلك التشريعات التى أعلنها لحمايته وحماية نظامه وهى التشريعات الاستثنائية التى لا تزال كالسيف مسلطة على أعناق البلاد .

ومن الديكتاتورية فصله كمال الدين حسين من مجلس الشعب تعبيرا عن حقد دفين بينهما منذ عهد مجلس قيادة الثورة ، يوم كان كمال الدين حسين فى مكانة أسمى بكثير من مكانة السادات ، وقد اتخذ هذا نموذجا ففصل الشيخ عاشور محمد نصر ، ثم فصل الأستاذ عبد الفتاح حسن وأبو العز الحريرى ، وسنتحدث عن فصل هؤلاء بعد قليل ، ثم فصل فى عصر حسنى مبارك طلعت رسلان ، فالمهم أن السادات فتح الباب لاغتيال النواب وتهديدهم بالفصل من المجلس على الرغم مما يثبته الدستور لهم من حصانات .

ومن الديكتاتورية تلك العبارات التى اندفعت منه من حين إلى حين .

— عند الضرورة فإنى مستعد أن أفرم .

---

(١) القرية المقطوعة ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

— الأفندية : عندما كان يريد السخرية بالمثقفين والجامعيين .

— ديمقراطية لها أنياب .

— الذين يستعملون الماء الساخن (مع ملاحظة أنه أدخل أجهـزة تسخين الماء فى ميت أبو الكوم) .

— أصحاب الشهادات والدكتوراهات و « القلاطة » (يقصد الكلمة العامية : ألاطة) .

— آخر الفراعنة العظام .

ومن الديكتاتورية انه كان لا يترك لرئيس وزرائه أن يختار الوزراء ، بل كان هو يختارهم لـه .

— ومن الديكتاتورية موقفه فى المفاوضات مع بيجين ، فقد كان بيجين لا يبت فى أمر إلا بعد العودة لمعاونيه فى المفاوضـات ، بل إلى مجلس الوزراء الإسرائيلى والكنيست عند اللزوم ، أما السادات فكان يستبد فى كل هذه الخطوات ، وربما كان له العذر فى ذلك ، فلم يكن هناك من يستطيع أن يواجه الاتفاق مع إسرائيل كما كان يفعل السادات .

وفى جو هذه الديكتاتورية لم يجد حزب الوفد وسيلة للبقاء فى ساحة يحكمها الاستبداد ، فقرر تجميد نشاطه ، ولم يعد الحزب لمزاولة نشاطه إلا بعد نهاية السادات .

ومن الديكتاتورية ما يروى أنه فى الفترة التى تلت أحداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ كتب صحفى بريطانى اسمه دافيد هيرست مقالا شديدا ضد الرئيس السادات وقرينته ونشره فى جريدة « الجارديان البريطانية » فأصدرت السلطات المصرية قرارا بطرد الصحفى فورا ، واتجهت قوات الأمن إلى غرفته بفندق « هيلتون » عند منتصف الليل ، وقادته إلى مطار القـاهرة ، وأركبته أول طائرة تقلع مـن المطار ، وكانت متجهـة إلى قبرص (١) .

---

(٢) جلال الدين الحمامصى : القرية المقطوعة ص ٢٠٩ .

فصل أعضاء من مجلس الشعب :

يذكر الدكتور ابراهيم عبده [1] أن الأستاذ عباس العقاد وهــو عضو فى مجلس النواب فى الثلاثينات هاجم الملك فؤاد ، وقال : يجب تحطيم أكبر رأس إن هو فكر أو حــاول العبث بالدستور ، وقــد أراد الملك فؤاد آنذاك ، انزال العقوبة به ، ولكن الحصانة البرلمانية حمته ، فلم يمسه سوء حتى حل مجلس النواب بعد ذلك فقدم العقاد للمحاكمة .

ومن هنا تظهر صعوبة المساس بعضو البرلمان ، ولكن أنور السادات حطم هذا الحصن ففتك بأعضاء البرلمان دون الاهتمام بحصانتهم ، وكان الفتك قويا إذ فصلهم من مجلس الشعب ، ولم تقع هذه المأساة على عضو أو عضوين وإنما شملت فى دورة برلمانية واحدة أربعة أعضاء هم :

الأستاذ كمال الدين حسين .

الشيخ عاشور محمد نصر .

الأستاذ عبد الفتاح حسن .

الأستاذ أبو العز الحريرى .

وسنروى هنا بإيجاز ظروف فصل كل منهم ، ذلك التصرف الذى يعد من أقسى صنوف الديكتاتورية :

السيد كمال الدين حسين :

عقب حركة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ اتجه أنور السادات لعمل استفتاء يخوله سلطات ضد من اعتبرهم مناوئين له ، ومهيجين للجماهير الذين قاموا بهذه الحركة ، وحينئذ أرسل لــه كمال الدين حسين برقية طويلة جاء فيها : إن استغلالكم للمادة رقم ٧٤ من الدستور اتجاه خاطىء وباطل دستوريا أحملكم وزره ، كما حملت سابقك وزر القانون رقــم ١١٩ ،

---

(١) ومن النفاق ما قتل : ص ٢١

فالخطر التى تنص عليه المادة ٧٤ غير موجود الآن ، وكان قصر نظر حكومتك هو السبب فيما حدث يوم ١٨ و ١٩ يناير ، وقد قلتُ فى مجلس الشعب إن تقنين الظلم أشد أنواع الظلم ، والاستفتاء الذى تداولون إجراءه ستزوِّره حكومتكم كما زوَّرت كل الاستفتاءات الماضية .

وبسرعة حوّل أنور السادات هذه البرقية إلى المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ، وفهم سيد مرعى ما يُقْصد بتحويل البرقية له ، فتحرك ، وأوعز لجماعة من المجلس أن يكتبوا اقتراحا يطلبون فيه إسقاط عضوية كمال الدين حسين .

والحق أن هذه البرقية لم تكن وحدها السبب فى إثارة السادات ، فقد كانت هناك أسباب قديمة حركتها هذه البرقية ، فاندفع السادات للانتقام ، ويقول الباحثون إن كمال الدين حسين لم يكن فى سنوات الثورة الأولى يعامل السادات بأسلوب الصديق أو الرفيق أو حتى الزميل ، وانما كان يعامله بأسلوب الرئيس للمرءوس ، فقد كان كمال الدين حسين أحد نواب رئيس الجمهورية وشغل مناصب كثيرة فى فترةٍ كان السادات فيها يعيش فى الظل ، وانتهز السادات هذه الفرصة لينتقم لنفسه من كمال الدين حسين ، ومن ناحية أخرى أراد السادات أن يخيف الآخرين ، فإذا كان هذا موقفه من كمال الدين حسين فإنه لن يتردد للتصدى لأى حركة يقوم بها أى عضو من أعضاء مجلس الثورة السابقين أو أعضاء مجلس الشعب .

وصدر قرارا بفصل كمال الدين حسين من مجلس الشعب تعبيرا عن حقد دفين كان بين الاثنين .

وأراد كمال الدين حسين أن يعيد ترشيح نفسه فى الدائرة التى

خلت بإسقاط عضويته ولكن سرعان مـا أصدر أنور السادات تشريعـا بحرمانه من إعادة ترشيح نفسه [١] .

وفى الحديث عن كمال الدين حسين لابد أن أتدخل بتجاربى معه ، فقد كنت فى فترة من الفترات قريب الصلة به ، عندما كنت مديرا المركز الثقافى بإندونيسيا ، وأشهد الله لقد كان الرجل ممتازا ، صافى النفس ، شديد الرغبة فى الخدمة العامة ، مؤمنا عميق الإيمان ، يدرس اقتراحاتنا بعمق ثم يصدر فيها قرارات سريعة ..... ولولا أنه احتمل مع عبد الناصر أعباء العدوان القاسى على محمد نجيب ، وهتاف صلاح سالم : تسقط الحرية ..... والعدوان ضد الإخوان المسلمين سـنة ١٩٥٤ وهزائم سنة ١٩٥٦ والوحدة مع سوريا وما حدث بها من انحلال وخسائر .... لولا هذا لكان الرجل من خيرة الرجال .

إننى دائما أذكر أفضاله فأثنى عليه ، وليته تخلّى عن هذه الثورة فى وقت مبكر عن الوقت الذى اختاره .

الشيخ عاشور :

كان للشيخ عاشور تاريخ معروف من عهد عبد الناصر ، ففى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الـذى عُقِد بجـامعة القـاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٦٨ وحضره الشـيخ عاشور باعتباره عضوا فى هـذا المؤتمر الذى كان يرأسه جمال عبد الناصر نفسه ، فى هذا المؤتمر تكلم الشيخ عاشور وذكر أنه يتلقى محاضرات عن الاشـتراكية ، فى معهد الدراسات الاشتراكية ، حيث يجىء المحاضر راكبا سيارة طولها ستة أمتار ، ويلبس خواتم من السوليتير ، وينادى فى محاضرته بالتمسك بالاشتراكية وبالدعوة إلى ربط الحجارة على البطـون من أجل المسـتقبل ، وعقب

---

(١) انظر كتاب ديكتاتورية السادات للاستاذ جمال سليم : صـ ٢٨ و ٤٠

المحاضرة يخرج المحاضر ومعه أعوانه إلى أفخم المطاعم حيث يتناولون عشاء فيه ما لذّ وطاب ، فكأن الجوع للشعب والترف لزعماء الاشتراكية ٠

وفى نفس الليلة التى قال فيها الشيخ عاشور هذا الكلام نال جزاءه ، فما إن خرج من قاعة الاحتفالات الكبرى حتى وجد من يناديه ، ولما ذهب لـه دفعه داخل سيارة قذفته فى مبنى الشرطة العسكرية فى عابدين ، وهناك تلقى درسا كان شديد التأثير فى جسمه وعقله ٠

وفى عهد أنور السادات لاقى الشيخ عاشور من الشعب جزاء ما أنزل به عبد الناصر ، فنجح فى احدى دوائر الاسكندرية الانتخابية ، وأصبح عضوا فى مجلس الشعب ٠

وفى مارس سنة ١٩٧٨ قدم الأستاذ عادل عيد استجوابا لوزير الأوقاف فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول تصرفات غير سليمة ترتبط بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وفى الرد على هذا الاستجواب قال الشيخ الشعراوى كلاما عجيبا هو :

والذى نفسى بيده لو كان لى من الأمر شىء لرفعتُ الرجل (يقصد أنور السادات) الذى انتشلنا مما كنا فيه إلى مكانة من لا يسأل عما يفعل (١) ٠

وقد غضب الشيخ عاشور من هذا التعبير وقال بانفعال : كل البشر مسئولون ، والله وحده هو الذى لا يسأل عما يفعل ، اتقوا الله (٢) ، وتطور النقاش ٠ ٠ ٠ ٠ فهتف الشيخ عاشور : يسقط السادات ٠

---

(١) الاستاذان جلال حسين وسامى مهران : البرلمان المصرى ص ٣٠٦ وكتاب « السادات : الحقيقة والاسطورة » للاستاذ موسى صبرى ص ٤٠١ — ٤٠٢ ٠

(٢) الآية الكريمة هى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » من سورة الأنبياء ٢٣ ٠

وقد وقف فضيلة الشيخ الشعراوى بعد ذلك يقدم تأويلا لكلماته فقال : إذا كان الرئيس أعطى قرارا بسفر إنسان دون أن يرجع لى باعتبارى وزيرا للأوقاف فإننى أقدر ظروف سيادته فيما يعلمه ويتصرف فيه بناء على علمه ، مما لا يجب أن يعلمه مثلى ، وقلت إن مثل هذا الرجل يجب ألا أسأله عما يفعل (١) .

وتعليقى على هذا التأويل من جانبين :

أولا — قبول التأويل أيا كان ، واعتباره بمثابة استغفار ، وكل إنسان يمكن أن يزل ، والعودة فى الزلل مقبولة ومغفورة إن شاء الله .

ثانيا — هذا التأويل فى الحقيقة لا تحتمله الكلمات التى قالها فضيلة الشيخ عن أنور السادات ، فقوله : لو كان الأمر بيدى لرفعت الرجل الذى انتشلنا ..... هذه الكلمات تتنافى مع التأويل الذى قدمه فضيلة الشيخ الشعراوى .

ويضاف الى ذلك ما قاله الشيخ شعراوى وهو يصدر الاعتذار فقد قال فيما رواه الأستاذ جمال سليم نقلا عن مضبطة مجلس الشعب ما يلى للشيخ عاشور :

— أنا أَعْرَفُ بالله منك !!

وقال

— لا يمكن لمثلى وأنتم تعرفون من هو أن يزل هذه الزلة أمام الله سبحانه وتعالى !! ، وإنى أعلم أن الرئيس السادات مأمون" فى دينه ، ولو أنى قلت ذلك فإن الرئيس كان سيغضب منى ، وأنا لا أحب أن يغضب الرئيس منى (٢) !!!

وجرت محاولات ليصفح السادات عن خطأ الشيخ عاشور . ولكن

---

(١) جمال سليم : دكتاتورية السادات ص ٩٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٥ — ٩٦ .

السادات رفض هذه المحاولات ، فصدر قرار المجلس بإسقاط عضوية عاشور يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٧٨ .

الأستاذ عبد الفتاح حسن :

عملاق من عمالقة السياسة فى بلادنا ، كان رحمه الله تلميذ الزعيم مصطفى النحاس ، وكان مثالا نادرا فى الصفاء والإيمان والإخلاص والقوة ، وقد تجمعت فيه صفات القادة وأخيار الناس ، وكان موقفه عقب إلغاء النحاس باشا لمعاهدة ١٩٣٦ موقفا صلدا ، فقد أعدّ بسرعة فائقة وظائف لآلاف المصريين الذين كانوا يعملون مع الجيش البريطانى ثم توقفوا عن العمل استجابة لنداء الوطن ، وكان الرجل حبيبا وصديقا لكل رجال السياسة على اختلاف أحزابهم واتجاهاتهم ، وكان واسع الاطلاع ، وكان فى عالم المحاماة شعلة نور ولسان صدق .

ولم يكن هناك شيء ضد عبد الفتاح حسن ، ولكن أنور السادات لم يكن يحتمل أى عضو له صلة بحزب الوفد ، ووجد حيلة لذلك بأن اقترح استفتاء على نقاط حددها ، وكان منها أن السياسيين الذين شاركوا فى الحياة السياسية قبل ٢٣ يوليو يُعْتَبَرون قد أفسدوا الحياة السياسية ولا بد أن يحرموا من مباشرة الحياة السياسية طيلة حياتهم ، ودُعِىَ الناخبون إلى هذا الاستفتاء الذى سُمِّى استفتاء على (مبادىء حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى) وأُجرى الاستفتاء على يد النبوى اسماعيل وزير الداخلية الذى ادعى أن الشعب قال « نعم » بنسبة التسعات المكررة ، وتطبيقا لذلك أَفْتت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب أن الأستاذ عبد الفتاح حسن ينطبق عليه القرار وليس من حقه أن يكون عضوا فى مجلس الشعب ، وصدر قرار بإسقاط عضويته بعد حوار طويل ، وفقد مجلس الشعب بذلك نائبا من خيرة النواب الذين يمثلون الأمة أروع تمثيل ، وقال عبد الفتاح حسن للنواب وهو يدافع عن نفسه :

إننى لا أستجدى عضـــوية مجلس الشـــعب ، فقد بلغتهـــا بإرادة الناخبين ، فأنا هنا باسم الشعب ، ومن يصوّت لإسقاطى يحارب الآلاف الذين أَتَوْا بى إلى هذا المكان .

أبو العز الحريرى :

وفى نفس هذه الجلسة المشئومة أُسقطت عضوية الأستاذ أبو العز الحريرى بحجة أنه قاد مظاهرة بالأسكندرية ، وقال فيها كلاما لا ترضى السلطة عنه ، كما نشر مجموعة من المنشورات اعتبرت تطاولا منه على ولى الأمر .

وفى كلمة ختامية كان عهد السادات عهد ديكتاتورية ، ولكنها كانت أخفّ من ديكتاتورية ناصر ، تلك التى بلغت الغاية فى الإثم ، وقد ظهرت فى عهد السادات لمحات من الديمقراطية كان أكثرهـــا استجابة لظروف الاتجاه للغرب ، ولم تكن تعبيرا عن عمق داخلى فى السادات .

الترف

كثيرون من الناس لا يعرفون أن جمـال عبد الناصر لـم يحس بالسعادة والترف طيلة عمره ، لقد كان دائمـا خائفا قلقا ، وكان مـن الناحية الاجتماعية غبيا ، ولذلك فهو وأهله اغترفوا من مال الدولة ، ولكن لم يسعد بهذا المال ، فقد كان شبه سجين فى منزله ، وكانت متعته الوحيدة أن يركب سيارته ويمشى متخفيا ليجلس فى منزل السادات ، ويمضى هناك سهرته ، وكان السادات وزوجته يجيدان تسليته والترفيه عنه ، وإذا لم يذهب الى منزل السادات فإنه يجلس أمام عدة أفلام فى السينما التى أقامها فى مقر اقامته [1] ، هذا هو وصف السادات له ، وهو يرينا أن عبد الناصر كان مسكينا ضغط على الناس ودمرهم ، وأرسل الله لـه القلق فدمره .

أما السادات فقد نعم بحياته الى أبعد مدى ، وعاش فى ترف شامل . ما أسس هذا الترف ؟

اتخذ هذا الترف أسسا مهمة حتى يصل إلى الغاية ، وتلك الأسس هى :

أولا — المال الفياض الذى أخذه من خزانة الدولة بأسماء مختلفة : مرتبات — مخصصات — رحلات — مصروفات سرية — اعتماد خاص ..

ثانيا — حرص السادات على جعل مدد الرياسة غير محدودة ليطول بذلك ترفه ، وكان الدستور الـذى اقترحه السـادات يقضى بأن مـدة الرياسة ست سنوات ويجوز اعادة انتخاب الرئيس لمـدة أخرى ، ولكن السادات بعد أن أعد العدة للترف صعب عليه أن يقف هذا الترف عنـد

---

(١) البحث عن الذات ص ١٠٦ .



ترف : السـيدة تداعب النسناس

اثنتى عشرة سنة فأجرى تعديلا سنة ١٩٨٠ جعل من الممكن إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدد أخرى .

ثالثا — حرص زبانيته فور قتله علـى مـد هذا الترف لزوجتـه وأولاده طيلة حياتها وحياة أولادها ، على ألا يتوقف هذا الفيض مـن المال إذا تزوجت .

رابعا — كان من وسـائل الترف أن يعين رئيس الجمهورية مائة مستشارا لـه مع ملاحظة أن هؤلاء المستشارين كانوا أشبه (بديكور) لا يستشارون فى شيء ذى بال ، فمن المعروف عن السادات أن الأمر كان فى يده هو ، وعلى المستشارين ومجلس الشـعب ومجلس الشـورى أن يقولوا آمين [١] .

مظاهر الترف :

شملت مظاهر الترف كل جوانب الحياة حول السادات وأسرته ، فقد شملت المسكن والاستراحات والملبس ووسائل المواصلات والرحلات ، والهدايا والطعام ، وأمامنا فيض هائل لهذه المظـاهر نقتبس فيمـا يلى تصويرا سريعا لـه .

المال أهم وسائل الترف :

يقول محمد حسـنين هيكل : [٢] إن رئيس الجمهورية منذ عهـد عبد الناصر كان يوضع تحت تصرفه اعتماد خاص قدره مليون جنيه فى السنة ، وكان ينفق منه دون تقديم مستندات ، وعند وفاة عبد الناصر كان فى خزانته مليون و ٨٥٠ ألف جنيه ، وسـتة آلاف من الجنيهـات الذهبية ، وفى مايو سنة ١٩٧١ أصدر السادات أمرا بأن تحمل هذه المبالغ

---

(١) د . نعمات أحمد فؤاد : صناعة الجهل ص ٧١ .
(٢) خريف الغضب : ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

الى بيته بالجيزة وتسلم الى فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص ، ويذكر الأستاذ هيكل أنه كانت من هذه المبالغ تصرف مرتبات للاجئين السياسيين ولكن السادات جعل ميزانية اللاجئين السياسيين تابعة للمخابرات العامة ، وبذلك أصبح الاعتماد الخاص كله تحت سلطان رئيس الجمهورية •

المسكن :

كان المسكن الرئيسى لأنور السادات هو بيته فى الجيزة وقد وصله بالنيل ، وأوقف الشارع الذى كان يسير بين البيت وبين النيل ، على نحو ما كانت تفعله السفارة البريطانية فى عهد الاحتلال البريطانى ، وقد أنفق السادات مبالغ هائلة لإعادة تنظيم هذا المسكن وتأثيثه •

وبجوار هذا البيت كان السادات يستعمل قصر الطاهرة ، كمكتب له ، كما أعيد تجهيز استراحة القناطر لكى تكون بدورها مقرا رياسيا كاملا ، وأعيد بناء البيت القديم فى ميت أبو الكوم وزود بنظام تكييف مركزى للهواء •

ويقول عبد الله امام ان اهتمام السادات بميت ابو الكوم كان غريبا ومتشعبا ، فقد شمل هذا الاهتمام الطريق الموصل اليها ، كما شمل القصر الذى بنى بها ، والحديقة التى تحيط بالقصر والتى بلغت مساحتها ١٢ فدانا ، وشمل كذلك المطار الذى أقيم فيها ، وأخيرا شمل كثرة حديث السادات عن هذه القرية •

ويقارن الأستاذ عبد الله امام هذا الموقف من السادات ، بموقف الزعيم سعد زغلول من قريته « بيانه » التى لم يُعْرَف عنه أنه ذكرها أو اهتم بها ، فقد كانت مصر كلها بلده وموطن رعايته ، ومثل ذلك يقال عن « سمنود » بالنسبة للزعيم طيب الذكر مصطفى النحاس ، كما يقال عن « كفر المصيلحة » بالنسبة للرئيس حسنى مبارك •

ويقرر عبد الله امام أن أنور السادات لم يكن له فى ميت أبو الكوم أعمام أو أخوال أو خالات أو جذور على الاطلاق [١] .

وفى سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٣ رأى السادات أن يزود كل واحد من هذه المقار بمركز قيادة مزود بنظام حديث للاتصالات تحسباً ليوم نشوب المعركة مع إسرائيل .

ومن الواضح أن هذه المقار كانت محاطة بحدائق واسعة وفخمة ، فالرئيس السادات كان مولعا بالهواء الطلق ، ولم يكن يحب الجلوس الى المكاتب [٢] .

الاستراحات :

ذكر السادات مرة فى إحدى خطبه أنهم يقولون عنه ان عنده عشر استراحات ، وصرخ السادات قائلا : هذا كذب ، إن الاستراحات التى أتردد عليها أكثر جدا من هذا العدد .

كانت هناك استراحة القناطر الخيرية التى أشرنا اليها ، واستراحة فى الهرم ، وبيته وحدائقه فى ميت أبو الكوم ، واستراحة فى المعمورة ، واستراحة فى الاسماعيلية ، واستراحة فى سفح جبل الراحة فى سيناء قرب الطور ، واستراحة ضخمة على شاطىء مرسى مطروح ، واستراحة فى الأقصر وأخرى فى أسوان ، كما أمر السادات بإعداد قصر المنتزه ليصبح مكتبا خاصا لـه فى الاسكندرية ليستطيع فيه قرب استراحته فى المعمورة أن يستقبل من يشاء من معاونيه أو زواره ، وقد تكلفت عملية إعادة إعداد هذا القصر سبعة ملايين من الجنيهات .

وتصف الدكتورة نعمات أحمد فؤاد استراحة مرسي مطروح بأنها

---

(١) محاكمة عصر ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) خريف الغضب : ص ١٩٥ .

قصر أسطورى فى مدخل مرسى مطروح له سور عال من الأحجار وبداخله سور عال مثله وعلى الزوايا أبراج مراقبة ، وبين السورين كلاب حراسة وبعد السورين حمام سباحة وملاعب ومنارة وأرضيات رخامية ، وممرات من الفسيفساء ، وتعلق الدكتورة نعمات على هذا القصر بقولها : ان فيه مالم يحدث قبل هذا فى مصر فى عهد الملوك والسلاطين ، وكان كل هـــذا على حساب الإنسان المصرى الذى يسكن القبور أو يسكن عشش الترجمان وتلال زينهم [١] .

الملبس :

اهتم السادات وأسرته اهتماما كبيرا بالملابس وقد سبق أن ذكرنا أن زوجته كانت لها صديقات يطفن بالمحال الكبرى لينقلن لها أخبـــار أحدث وأفخم ما تحويه هذه المحال من ملابس لها ولبناتها .

كان هذا قبل أن يصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية فلما أصبح فى هذا المنصب اتجهت لأعظم بيوت الأزياء بالخارج لتختار منها أعظم ما تحتويه .

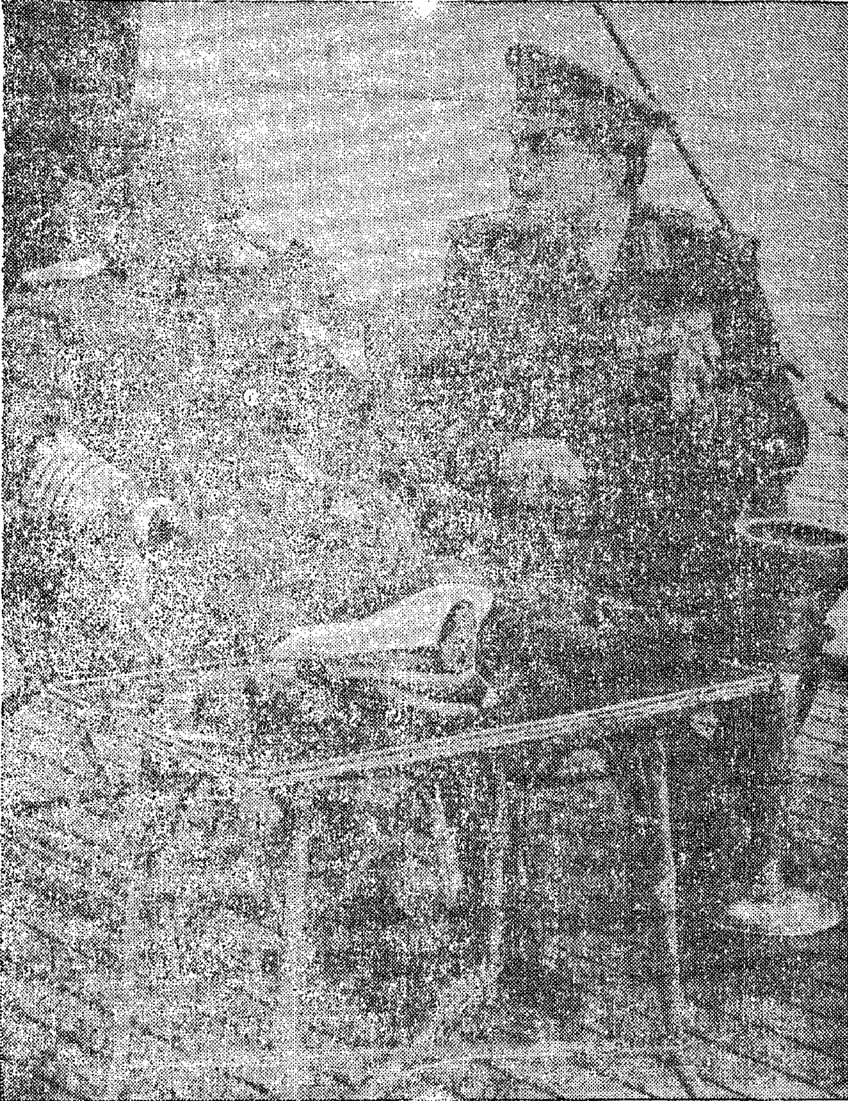
أما أنور السادات فكان يقال عنه آنق رئيس بين رؤساء الجمهوريات ، وقد بلغ اهتمامه بملابسه أقصى غاية .

أما فيما يتعلق بزيه العسكرى ، فقد ابتدع فيه أروع ابتداع ، إذ أضاف الى كل أوسمته وشاحا جديدا أطلق عليه « وشاح العدل » لكى يرتديه فوق زيّه العسكرى الذى كان يقوم بإعداده لـــه بيت فى لندن تخصص فى تفصيل الأزياء العسكرية .

وأضاف إلى كتف البدلة العسكرية علامة رتب جديدة تعلو رتبـــة (الماريشال) كما صنع لنفسه عصا ماريشالية من الذهب ، راح يمسك بها

---

(١) صناعة الجهل ص ٧٤ .



البايب دليل الاجاه

تحت ابطه أو يرفعها أمامه منتصبة فى قبضة يده اليمنى ، وكأنه الفرعون يحمل مفتاح الحياة [١] .

وابتكر السادات فى الزى العسكرى « جاكت » مغلقة على أن تكون خاصة به وبقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وطلب منهم ارتداءها فى المناسبات الهامة منذ سنة ١٩٧٦ وهى فى فكرتها مستمدة من الزى العسكرى لألمانيا النازية [٢] .

وسائل مواصلاته :

كان لأنور السادات طائرة خاصة لرحلاته ، وكانت مجهزة كأنها « فيلا طائرة » ولم تكن تابعة لشركة الطيران الوطنية ، ولا للسلاح الجوى المصرى ، وكانت تسمى طائرة الرياسة ، وعندما أراد أنور السادات أن ينقذ شاه ايران وهو فى بنما قال له : إن طائرة الرياسة فى الطريق إليك .

وكانت له طائرة هيليوكوبتر يستقلها فى تنقلاته الداخلية ، ورغبة فى التأكيد على أمن الرئيس كانت رحلاته الداخلية تتم بواسطة هذه الطائرة ، وكانت تصحبها دائما طائرتان تشبهانها حتى لا تعرف طائرة الرئيس من بين هذه الطائرات الثلاث وذلك للمزيد من تأكيد الأمن .

وتعلل مراسلة التليفزيون الأمريكية « دورين كايز » حرص السادات على أن تكون تنقلاته الداخلية بالطائرة الهيليوكوبتر بقولها [٣] :

لعلى أجرؤ فأقول إن السبب الأهم هو أن السادات كان يستعمل الهيليو كوبتر فى تنقلاته الداخلية حتى لا يكلف نفسه مشقة رؤية أو سماع أو شم الفقر الذى أنشب أظفاره فى عنق الملايين من أبناء مصر .

---

(١) خريف الغضب : ص ٣٨٩ .
(٢) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٦٥ .
(٣) ضفادع وعقارب ترجمة مصطفى كمال .

وكان لـــه عدد من سيارات المرسيدس ، وقد أمر بتجهيز احداها من طراز ٦٠٠ لتكون مقر قيادة متحركا ، وقد تكلف تجهيزها أكثر من ٧٠٠ ألف دولار [١] .

الرحـــلات :

كان أنور السادات مولعا بالرحلات الكثيرة فى الداخل والخارج ، وكانت رحلاته تستلزم كثيرا من الجهـد والنفقات ، إذ كـانت تقتضى إجراءات ضخمة ومعقدة فكان يتبعه حرسه الخاص أنَّى ذهب ، وكذلك كان على الحرس الجمهورى أن يحرس المنطقة التى يوجد فيها الرئيس بقوة عسكرية كبيرة ، ثم كان من الضرورى وجود مكتب للاتصالات لنقل تعليماته من لحظة إلى أخرى ، وكان هـذا يُتَّبع فى رحلاته إلى ميت أبو الكوم أو فى رحلاته للاستراحات المتعددة ، أو فى رحلاته للخارج ، ولم يكن السادات يقنع بحراسة الدولة المضيفة ، بل كان بالإضافة إلى ذلك يعيش فى جو مصرى ينقله معه أنَّى ذهب .

ويذكر الدكتور حمدى الطاهرى أن الرئيس السادات كان حريصا على أن يكون الوفد الذى يرافقه شاملا ، يضم — بجوار رجال الأمن والمخابرات — عددا من الوزراء المختصين ، ورجال الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وفنيين وإداريين ، حتى كان الوفد المرافق لـه يصل أحيانا الى ١٧٠ شخصا مما كان يسبب الحرج فى كثير من الحالات للدولة المضيفة [٢] .

وكان الرئيس السادات شديد الحرص على أن يصحب زوجتـه وأولاده وأحفاده أحيانا فى كثير من رحلاته .

---

(١) خريف الغضب ص ٣٨٩ .
(٢) خمس سنوات سياسة : ص ٢٢ — ٢٣ .

الهدايـــــا :

لم تكن الهدايا التى يقدمها السادات أو يقبلها مرتبطة بالرحلات ، ففى حله وترحاله كان يقدم الهدايا لضيوفه ويقبل الهدايا منهم .

ومع أن السادات — كما ذكرنا من قبل — كان يحاول تقليد الرؤساء فى الولايات المتحدة فإنه لم يقلد رؤســاء الولايات المتحدة فى مجــال الهدايا ، فالنظام هناك ألا يقبل الرئيس هدية تزيد قيمتها عن خمسين دولارا ، فإذا زادت الهدية عن هذا القدر اعتبرت هدية للدولة وليست للرئيس ، وسلمت لسجل خاص بالدولة التى ستقوم فى مناسبة أخرى بتقديم هدية مماثلة بديلة عنها .

أما السادات فكان يقبل الهدايا لنفسه مهما عظمت قيمتها ، بل إنه فى بعض الحالات طلب الهدية بلسانه كما يقول هيكل : إذ طلب السادات من المملكة العربية السعودية أن تدفع له ثمن طائرته الخاصة التى أشرنا إليها (١) .

أما بالنسبة للهدايا التى كان يقدمها فقد اشتط السادات فى ذلك إلى درجة خطيرة ، إذ أخذ يقدم هداياه من كنوز الآثار المصرية ، وهو فى هذا يتبع الأسلوب الذى اتبعه عبد الناصر من قبل ، وأمــامى الآن سلسلة طويلة من الآثار قدمها السادات لكثير من أصدقائه وهى تشمل عقودا من الخرز النادر ، وتماثيل من البرونز ، وآنية من المرمر ، وعقودا من العقيق ، وغيرها من التماثيل ذات القيمة التاريخية الهائلة ، والكثير منها كان نادرا ، ولم يكن فى مصر نظير لــه .

وهكذا نــال السادات صورا من الترف فى كل مجال وكان ينعم بهذا الترف ، وحوله الجياع ، وساكنو القبور ، ولكن قلبه قد أغلق عن مآسى وطنه واتجه كأكثر الرؤساء فى الشرق الى ملاذ الحياة ونعيمها .

---

(١) خريف الغضب : ص ١٩٥ .

الديـــــون

أُثِرَ عن الرسول صلوات الله عليه أنه كان كثيرا ما يقول : أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن ، فقال له رجل : يا رسول الله : أتعدل الكفر بالدَّيْن ؟

فأجاب : نعم •

ومن الأمثال الشائعة : الدين ذل بالنهار وأرق بالليل •

وقد جلبت الديونُ الاستعمارَ على الشرق ، فعندما نستعرض تاريخ الاستعمار فى مصر أو الهند أو إندونيسيا نجده بدأ بقروض توانى الاستعمار عن المطالبة بسدادها حتى تضاعفت ، ثم نتج عن ذلك ما يسمى « صندوق الدين » وانتهى الأمر الى الاستعمار •

وإذا كانت السياسة العالمية فى العصر الحاضر لا تجعل الدَّيْن طريقا للاستعمار فإنها بالتأكيد تجعل الدين طريقا للتبعية ، ولا تستطيع دولة مدينة أن تقف من الدولة الدائنة موقف الند للند ، بل لابد من انحناءة ولابد من استجابة للدائنين حتى لا تطالب الدولة الدائنة بالتعجل فى تسديد الديون أو حتى تستمر فى إعطاء المزيد من الديون •

البنك الدولى يؤكد تفاقم المشكلات الاقتصادية فى مصر

وتزايد حجم الديون الخارجية الى ٤٧ مليار دولار :

كشف البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، فى دراسة خطيرة عن تفاقم المشكلات الاقتصادية فى مصر ، وتزايد الديون الخارجية الى ٤٧ مليار دولار ، وأكدت الدراسة ، أن الزيادة السكانية الرهيبة ، ستؤدى خلال عام أو عامين ، الى انخفاض معدل النمو الاقتصادى الى صفر !! كما أكد التقرير أن مصر تعانى من عدم الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة ،

مثل انخفاض انتاج القطن ، الذى يمثل أهم محصول نقدى فى مصر ، وأثر ذلك على انخفاض الكميات المخصصة للتصدير بشكل ملحوظ ، كما تعتمد مصر على الصناعات المكلفة جدا مثل الألومنيوم والسماد ، الـذى يستهلك ١٨٪ من الانتاج المحلى للطاقة ، وأكد البنك الدولى ارتفاع حجم الدعم فى الموازنة الى ٢٠٪ مـن الدخل القومى ، وهى نفس النسـبة المخصصة للاستثمارات من الدخل •

وهذا يرينا مدى الخطورة التى وصلت لها مصر فى عالم الاستدانة •

ولهذا فاننا نهتف بمصر وبالدول التى تبنى حياتها على الديون أنها تعرّض استقلالها للخطر ، وتمهد الطريق لتبعية لا مفرّ منها •

وعندما نعود الى عصر ما قبل الثورة المشئومة نجد مصر كـانت دائنة لبريطانيا عند قيام الثورة بمبلغ كبير ، ويذكر السادات أن بريطانيا سنة ١٩٥٧ أفرجت عن أرصدة مصر بها ، وكانت الأرصدة المصرية آنذاك هى ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى [١] • ونجد الجنيه المصرى أغلى من الجنيه الاسترلينى ، وكنا فى انجلترا ونحن طلاب نفتح حسابنا فى البنوك بالجنيه المصرى ، وكان هـذا شرفا لنـا ، واحتفاظا بثقل ذلك الجنيه عن الجنيه الاسترلينى • ولكن الثورة سرعان ما قضت على هذا الرصيد ومدت يدها للديون ، وقد تقدم الناصحون لزعماء الثورة يقررون أن الاستدانة — وبخاصة اذا اتجهت للاستهلاك — ستكون شديدة الضرر على مصر ليس من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من الناحية السياسية أيضا ، فإن الدولة المدينة لا تستطيع أن ترفع رأسها معارضة للدولة الدائنة فى أية قضية سياسية •

---

(١) البـحث عن الذات ص ١٩٣ •

وأضاف الناصحون أن خضوع مصر للقوى الدائنة سيمس ضرره جميع دول المنطقة لأن مصر شديدة التأثير فى المناطق التى تحيط بها ، وإذا وقفت مصر على قدميها صارت عاملا مؤثرا فى المنطقة كلها •

وأضاف الناصحون نقطة مهمة ترتبط بمصر والديون ، وهى أن سياسة الدائنين تقتضى أن تبقى مصر طافية على سطح الماء ، لا تنزل رأسها عن السطح فتختنق وتغرق ، ولا ترتفع رأسها حتى لا تتنفس بحرية ، فالتحكم فى مصر على هذا النمط هو أسلوب الدول الدائنة من الغرب أو الشرق •

ولما جاءت سنة ١٩٥٦ وأممت القناة دون استعداد لذلك وبالتالى دمرت مدينة بورسعيد ، واستولت اسرائيل على سيناء ، ونهبت معدات حربية ومدنية تعادل مئات الملايين من الجنيهات ، حينذاك بدأنا نمد أيدينا للأصدقاء وللأعداء واستمرأ الحاكم مد اليد ، وكأن الدائنين كانوا ينتظرون هذه الفرصة ليقدموا الأموال لمصر حتى تركع ، فلا يمكن للمدين أن يرفع رأسه فى وجه الدائن كما قلنا •

والعجيب أن ديوننا جاءت من دول كثيرة صغيرة وكبيرة ، فكلما وفد وافد لزيارتنا من بلغاريا أو رومانيا أو هولندا وغيرها من الدول المماثلة طلبنا قرضا ، فلم تكن قروضنا فقط من الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وفرنسا •••• وانما أصبحنا مدينين لعدد كبير من دول العالم •

وبالاضافة إلى الديون مددنا أيدينا نطلب العون لتشييد منشآت اجتماعية أو صحية واتجهنا فى هذه المرة الى اليابان التى أقامت مستشفى « أبو الريش » ودار الأوبرا •

وعلى العموم لاحقتنا الديون المادية والأدبية من كل جانب وتقول

صحيفة أخبار اليوم [1] : ان ديون مصر قفزت إحدى عشرة مرة خلال عصر السادات فوصلت الى ١٨ مليار دولار ، وتقول الصحيفة إن هـذه الديون موزعة كالآتى :

١ ـ الدائن الرئيسى لمصر هو الولايات المتحدة الأمريكيـة التى بلغت نسبة ديونها ٣٥٫٤٪ من إجمالى الديون ، ولا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية هى صـانعة إسرائيل وحاميتها ، وهى تعطينا طالمـا توقفنا عن مواجهة إسرائيل ومعارضتها ، فهذه الديون هى ثمن" تدفعه أمريكا لنا لنغضى الطرف عن اسرائيل وعن عبثها بهذه المنطقة •

٢ ـ الدائن رقم (٢) اليابان ومجموعة دول غرب أوربا •• ألمانيا الاتحادية وفرنسا والسـوق الأوربيـة المشتركـة وسويسرا وهولندا والدانمرك •• وبريطانيا •• وكندا •

٣ ـ المركز الثالث تحتله هيئات التمويل العربية وفى مقدمتها هيئة الخليج التى وفرت لمصر ١٧٠٠ مليون دولار ، يضاف الى ذلك قروض الصناديق العربية والبنك الاسلامى للتنميـة والمستحقات للحكومـات العربية وتصل نسبة هذه القروض ١٦٫٥٪ من اجمالى ديون مصر •

٤ ـ تأتى بعد ذلك المنظمات وهيئـات التمويل الاقليمية والدولية وبنك تشيز منهاتن ١٣٫٥٪ من ديون مصر •

٥ ـ المركز الخامس تحتله مجموعة دول أوربا الشرقية والصـين حيث تصل مديونيتها لمصر ١٣٫٤٪ من اجمالى الديون •

وتتحدث صحيفة الوفد [2] عن الديون فتسميها (صناعة التبعية) وتوضح ما ذكرناه آنفا أن هذه الديون طريق لخضوع مصر إلى موكب الدائنين ، وتذكر الصحيفة أن مصر بدأت فى الاستدانة من سنة ١٩٥٨

---

(١) الصادرة فى ١٩٨٢/١/١٦ •
(٢) الصادرة فى ٨٧/١٠/١٥ •

حينما عقدت اتفاقيتين لقرضين مع الاتحاد السوفيتى ، ثم توالت القروض بعد ذلك ، وفى نهاية عهد عبد الناصر كانت ديون مصر غير العسكرية حوالى ١٨٠٠ مليون دولار ، أما الديون العسكرية فليس لدينا أرقام دقيقة وحساب لها ، وقد أصبحت الديون خطرا منذ ذلك العهد إذ أن عبء الأقساط والفوائد وصل الى ٥٠٪ من صادرات مصر •

وفى عهد السادات اقترضت مصر عدة بليارات ، يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أنها كانت ٢٠ مليارا من الدولارات بخلاف الديون العسكرية التى بلغت ٦ مليارات [1] •

أما قروض مصر بعد السادات فقد وصلت الى ٢٠ مليارا بين سنتى ٨١ و ٨٦ •

ولست أنوى أن أقدم إحصاء دقيقا عن الديون من عام الى عام ، فإنه ليخيل لى أن وزراء الاقتصاد أنفسهم لا يعرفون بدقة قدر هذه الديون [2] • ولكن الذى أريد أن أقوله هو ما أكدته صحيفة أخبار اليوم سالفة الذكر من تعليقات حول هذه الديون كالآتى :

١ — ان هناك تراخيا فى استخدام القروض نتيجة المراحل التى يمر بها دخول القروض مرحلة الاستخدام •

٢ — تراخى الجهاز المركزى للمحاسبات فى مراجعة ميزانيات الشركات التى حصلت لها مصر على قروض للقيام بعمليات تجديد الآلات والمعدات •

٣ — هناك قروض تمت الموافقة عليها ، ولكن لا توجد مشروعات فى خطة التنمية لاستخدامها •

---

(١) خريف الغضب : ص ١٩٩ •
(٢) اعترافات رؤساء الوزارات بذلك : انظر خريف الغضب : ص ١٩٨

٤ — كانت البيروقراطية واضحة فى كثير من القروض لتقصير المسئولين فى مصر ولتأخر اعتماد القروض فى مجلس الشعب .

٥ — كثير من القروض كانت — كما يقول حسنى مبارك — لإعادة بناء البنية الأساسية للدولة كالتليفونات والمجارى وغيرهما من المرافق . ويعلق الاستاذ الدكتور محمد عصفور على ذلك بقوله [1] :

القروض قد صرفت أو وجهت للصرف على اعادة بناء المرافق الأساسية . وهى مشروعات يفترض أن تقام بالجهود الذاتية وبأموال وطنية ، حتى لو اقتضى الأمر فرض ضرائب ورسوم باهظة على أكثر الشرائح استخداما لهذه المرافق وانتفاعا بها .

أما صرف القروض على مشروعات غير إنتاجية أى غير قادرة على توفير عائد يسدد أصل الدين أو فوائده ، فهو مسلك يناقض أبسط أصول الاقتصاد الرشيد .. ولا يجدى فى تبريره الافتخار بتحقيق نقلة كبيرة فى مجال الخدمات التليفونية ، ذلك أنه على الرغم من حيوية المرافق وضرورة البنية الأساسية ، إلا أن الاستدانة لبنائها أو التباهى بأن ما أنفق عليها فى الخطة الأولى أكثر مما أنفق عليها خلال الخمسين سنة السابقة ، فهى سياسة اقتصادية غير حكيمة وغير عقلانية بكل المقاييس .

٦ — تؤكد المصادر التى بين أيدينا أن القروض تستتبعها إجراءات منحرفة تجعل قسطا كبيرا من الدين لا يصل الى مصر ويكون ذلك بواسطة تلاعب تمتد جذوره الى عدة أيد فى الدولة الدائنة أو المدينة . فيؤخذ من الدَّيْن قدر باسم (إكرامية أو سمسرة) حتى ليقال أن بعض الديون لا يصل منها الى نطاق العمل أكثر من خمسين فى المائة ، وهذه الاكراميات أو السمسرات كانت ضمن مكونات الثروة الكبيرة التى يمتلكها الآن أشرف مروان وأمثاله .

---

(١) صحيفة الوفد الصادرة فى ١٩٨٩/٥/٢٠ .

٧ — ذكرت الصحف أن بعض القروض كانت تتوانى مصر فى تسلمها لسبب أو لآخر ، فهى تحسب قرضا ولا تنزل لميدان العمل .

٨ — والكارثة الأهم أن كثيرا جـدا من هذه الديون أنفق عـلى الاستهلاك وبخاصة للطعام ، وهكذا أصبحنا نشترى طعامنا من الخارج بنقود مقترضة ، وهذه هى قمة المأساة ، وبخاصة إذا لاحظنا أن الذى يمنحنا الغذاء أو ثمنه هو الحليف الأعظم لإسرائيل ، ويوم نعـارض مشيئته تجاه اسرائيل العدوانية ما عليه إلا أن يوقف تصدير الطعام لنا .

وعن هذه العيوب والمثالب المرتبطة بالديون يقول الأستاذ الدكتور نعمان جمعة عميد كلية الحقوق بجامعة القاهرة ما يلى :

وللأسف إن هذه القروض لم تكن للحصول على سلع استثمارية وللأسف أكثر أن بعض هذه الأموال لم تدخل خزانة مصر ، وإنما عرفت طريقها إلى الحسابات السرية فى بنوك سـويسرا ، وللأسف ثالثا أن حكومتنا إلى وقت قريب لـم يكن لديها حصر دقيق لديوننا الخـارجية وأعبائها وتكاليفها .

أما عن ثالثة الأثافى ، فهى أن الدولة لا تقدر على نفسها . ولـم تتخذ بعد الخطوات الحاسمة الجادة لضغط الانفاق العام والخاص . ومثل هذا الضغط من شأنه أن يقلل حجم الكارثة ، ومن شأنه أن يساعدنا على مواجهة الديون والدائنين .

٩ — وهناك كارثة أعظم ترتبط بالديون ، وهـذه الكـارثة ترويها الدكتورة نعمات فؤاد فتقول أن الحكومة الامريكية تشترط عدم استعمال القروض التى تمنحها لمصر فى عمليات استصلاح واستزراع الأراضى ،

بل إنها ذكرت أن أمريكا تشترط على الحكومة المصرية عدم زراعة القمح بالذات حتى تظل أمريكا مسيطرة على حياة المصريين [1] .

يا لها من كارثة إن صح هذا الكلام .

مصر والإنتاج :

وهذا الوضع يدفعنا للحديث عن الانتاج بمصر ، ومن المعروف أن انتاجنا من القمح لا يكفى إلا الأربعة شهور من العام ، وعلينا أن نشترى خبزا للشهور الثمانية الباقية ، ثم إن الاستهلاك واسع جدا ، ففى مصر دخول طفيلية كثيرة تتيح لأصحابها أن يعيشوا عيشة الترف ، وهناك الذين يعملون بالخارج أو يعملون مع هيئات أجنبية بمصر ، وهؤلاء يتقاضون مرتبات عالية تتيح لهم وفرة الاستهلاك ، أما النسبة العظمى من المصريين فتعيش تحت خط الفقر ، ولا تنال حاجتها من الطعام وضروريات الحياة .

لماذا لا ننتج كفايتنا كما فعلت دول اسيوية أخرى فاقت دول المغرب فى الغنى واليسار مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة ؟ ولا تقل إن قلة السكان فى هذين القطرين هى التى ساعدت على رفع المستوى ، فإن تايلاند والباكستان والهند والصين الشعبية حققت معدلات انتاج وفيرة ، ولا تلحق مصر للأسف بهذا الركب الذى يسير للأمام ، فلا تزال مصر واقفة « محلك سر » أو بالأحرى « إلى الوراء سر » .

وهناك صيحة تدعو للإنتاج لكن لم يوضع لها أساس . فالطبيب ينتج فى المستشفى ، والمدرس ينتج فى المدرسة ، والمحاسب ينتج فى المؤسسات الاقتصادية وهكذا .. أما أن نعلم الأولاد حتى يصلوا الى سن الشباب ويحصلوا على درجة جامعية ولا نخلق لهم أعمالا فإن الإنتاج لا يمكن أن يتم .

---

(١) اقتبس هذه التصريحات الدكتور عبد الغفار عزيز فى مقاله بالوفد فى ١٩٨٩/٨/٤ .

كان علينا أن نفتح الطريق للتعليم الجـامعى للنابهين فقط ، وأن يتحول الباقون للصحراء ليزرعوا على أن يكون ذلك بناء على خطط علمية ومساعدات من الدولة وخبرات عميقة وآلات كافية ، أو أن يحولوا الى مصانع حقيقية تنتج ما يمكن أن تقدمه لها البلاد من مواد خـام دون أن تتوقف إذا توقفت اليابان عن توريد أجزاء التليفزيونات التى ادعينا أننا نصنعها .

وأنا دائما أقول إن الشباب يَفِدُ للجيش من القرية أو المدينة وفيهم المتعلم وغير المتعلم ، ويسـتقبل هـؤلاء الشـبابَ خبـراءُ عسكريون ، ويجد الشباب أسلحة حديثة ، وتدريبات دقيقة ، وهم بذلك يحققّون نجاحا طيبا كالذى حققـه المصريون ضد الصـهاينة أو حققه العراقيون ضد إيران ، فإذا أردنا نجاح شبابنا فى الإنتاج كان علينا أن نقدم لهم الخبراء والتدريب والمعدات ، أما أن نطلب منهم الإنتاج فقط بدون ذلك العون فإننا نطلب منهم المستحيل ، كشخص نلقى بـه وسط الصحراء ونقول لـه ازرع الأرض واجعلها تخضرّ ، فإن هذه صيحة لا قيمة لها .

وقد خلقت الديون فى قاموسنا كلمات جديدة مثل : جدولة الديون — صندوق النقد — تعويم الجنيه .. وهى كلمات تدل على الفقر والبؤس .

محاولة تسديد الديون :

وفى مطلع عهد حسنى مبارك قامت صيحة تدعو إلى تسديد الديون . والحق أن الشعب كله استجاب لهذه الصيحة ودفع أكثر مما طُلِب منه ، وتنافسنا فى ذلك . وكان المرحوم الاستاذ جلال الدين الحمامصى مـن قادة هذه الصيحة — أحسن الله جزاءه — ولكن الحكومة غيرت اتجـاه هذه الحركة فجعلت التبرع إجباريا أو شبه إجبارى ، وأحس الناس أن

المسألة ليست تسديد الديون ، وإنما هى نوع من الضرائب التى تفْـرَض على الفقراء لصالح الأغنياء والمنتفعين ، فتقاعسوا عن الدفع •

ولم تسدد الحكومة شيئا من الديون بالمبالغ التى جُمعت ، بـل دفعت أساسا للقمح الذى احتاجته الأفواه ، فالأفواه فى بلادنا تُعَدُّ نقمة ، ولا يمكن استغلال عضلات أصحابها ، ولو استطعنا حسن استغلالها لأصبحت نعمة وفيرة •

ثورات ومواجهات

حفل عصر السادات بصور متعددة من الثورات والمواجهـات فى تتابعٍ مستمر تقريبا ، ويرى الباحثون أن كل هذه الثورات اتّخذت جذورها من الهزيمة القاصمة التى حلّت بمصر وبالجيش سنة ١٩٦٧ فقد كان الشعب يدرك قبل الهزيمة إخفاق العسـكريين فى جميع الميـادين السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولكن الثورة كانت كلما أخفقت فى أمر استدارت إلى الشعب بالداخل تنزل بـه أفدح صور التعـذيب والاضطهاد ، ثم جاءت هزيمـة يونيو الفادحة وتلاهـا صراع داخلى بين قادة الجيش بعضهم والبعض وبخاصة بين الرئيس ومشيره فتضعضع الحاكم وانكسرت شوكته ، وهذا أتاح للشعب المصرى أن يتحرك ضـد هؤلاء الانتهازيين الجهلة .

ولجأ الشعب الى ظاهرة الإحياء الدينى لعل القوى العليا تنقذ مصر من الهوة التى دفعها القادة اليها [1] وقد اتجه المسلمون والأقباط على السوداء لهذه الظاهرة فالمسيحيون قالوا بظهور السيدة العذراء فى كنيسة الزيتون (مايو ١٩٦٨) ولم يكتفوا بذلك ، بل أظهروا العذراء فى عـدة كنائس أخرى ، انحرافا بالدافع الأصلى وجريا وراء الكسب المادى ، وربطوا بين هذه الخرافة وبين الأمل فى النصر على الصهاينة ، فقالوا : إن تكرار ظهور السيدة العذراء ، يؤكد أن المعجزة ستستمر حتى تعود القدس عربية ، وتتحرر من الإرهاب الصهيونى [2] .

والحق أننا لـم نعرف فى التـاريخ المسيحى أن للعذراء دَوْراً فى أمور السياسة والحرب ، ولم تتوقف هذه الأصوات إلا بعد أن قُتل عدد من المصريين فى الزحام الذى تجمع فى إحدى الليالى حول كنيسة

---

(١) نبيل عبد الفتاح : المصحف والسيف ص ٤٠ .

(٢) دكتور صادق جلال العظم : فقر الفكر الديني ص ١٥١ وما بعدها .

الزيتون ، ولم تتحرر الأرض العربية بَعْدُ ، ولم يعد أحدٌ يقول بهذه الخرافة (١) .

أما الحركات التى قادها البعض باسم الاســلام فكــانت كثيرة وسنلم بها بعد قليل .

وبجانب التحرك الدينى ظهرت ثورة الطلاب عقب الهزيمة ، تلك الثورة التى كانت تبحث عن أسباب الهزيمة ، وتطالب بإنزال العقوبات الصارمة على من تسببّوا فيها .

وعندما أُقيمت محاكمات صورية وصدرت أحكــام متهافتة ضــد المسئولين عن الطيران المصرى هبت ثورة الطلاب من جديد ضدّ هــذه الأحكام وضدّ الذين أصدروها .

وعلى هذا جاء عصر السادات ومصر تغلى كأن بركانا ضخما يتحرك فى داخلها .

وفى سنة ١٩٧١ أعلن أنور السادات أن هذا العام عــام الحسم ، ولكن العام مرّ دون أن تُحْسَم القضية مع العدو ، فاتّخذ الناصريون والشيوعيون ـــ كما ذكرنا من قبل ـــ هذه الفرصة وفجّروا مظاهراتٍ ضد السادات ، وعمد السادات للجماعات الدينية الإسلامية ليستعين بها ضد الناصريين والشيوعيين ، ولكن سرعان ما أخذت هذه الجماعات الزمام بيدها ، ولم تسمح بأن تكون أداةً فى يد السادات .

وكانت حكومة السادات لم تكتف بدعم بعض الجماعات الإسلامية لضرب الشيوعيين ، بل غضــت الطرف عــن المســاعدات التى كــانت تتلقاها ...... وعن النشرات والمطبوعات التى كانت تقوم بإصدارها ،

---

(١) انظر الأدلة التى أوردتها بكتابي « المسيحية » لابراز أن هذا الادعاء خرافة .

ونتيجةً لذلك سيطرت الجماعات الدينية على الاتحادات الجامعية وأصبحت صاحبة السلطة الكاملة على مقاعد هذه الاتحادات .

وتعلل السيدة جيهان السادات تسامح زوجها مع الجماعات الإسلامية بأنه أراد منحها حق التعبير ، إذ كانت مصر تعتزم الاتجاه نحو الديمقراطية (١) وهو تعليل لا نرتضيه ، فالسادات فى نظرنا قصد أن يستعمل هذه الجماعات فى الدفاع عن نفسه .

وازدهرت الجماعات الاسلامية ، وتفرعت ، وظهرت فرقٌ تحمل أسماءً مختلفة مثل : الإخوان المسلمون — التحرير الإسلامى — الجماعة الإسلامية — تنظيم الجهاد — جماعة التكفير والهجرة ، ويذكر الباحثون أن هذه الفرق كانت متصلة بعضها ببعض ، وإن كانت تختلف فى المنهج أحيانا ، ولكن هذه الفِرَق جميعا كانت تختلف مع السادات ، فالسادات كان عضوا فى مجلس قيادة الثورة الذى قتل بقسوة ودمر بعنف جماعات الإخوان المسلمين سنتى ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ .

ولما رأى السادات عنف الحركات الدينية وسطوتها بدأ يصرخ قائلا :

لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى السياسة

وأثار هذا التعبير كلَّ الجماعات الإسلامية ، بل أثار غير هذه الجماعات من الفقهاء والباحثين المسلمين ، فالدين الإسلامى دين ودولة ، والسياسة جزء من الحضارة الإسلامية لا تنفك عنها ، واضطر أتباع السادات إلى تفسير العبارة السابقة بما يخفِّف وقعها على المسلمين فقالوا : إن الرئيس يقصد لا اتِّجار فى السياسة بالدين ، ولا اتجار بالدين فى السياسة ، وقد اقتنع الرئيس السادات بهذا التفسير الذي

(١) سيدة من مصر ص ٥٠٦ .

قدّمه له الدكتور زكريا البرى ، ووعد الرئيس السادات أن يذيع هذا التفسير فى تصريحاته ولكنه لم يفعل [1] .

تلك خلاصة عامة عن التحركات والاضطرابات التى غمرت عصر السادات ، وسنعطى فيما يلى بعض التفاصيل عن أهم الحركات والانتفاضات .

الانتفاضة الطلابية فى يناير ١٩٧٢ :

فى يناير ١٩٧٢ هبت انتفاضة طلابية ضد أنور السادات ، وانضم إلى الطلاب عدد كبير من المصريين ينتمون الى مختلف المهن والاتجاهات ، وكان السادات آنذاك فى القناطر الخيرية وعندما أحس ببدء الثورة ضده دعا أعضاء مجلس الأمة إلى الاجتماع به فى قصر عابدين ليحدثهم عن الموقف ، وكان السادات صباح اليوم المحدد لانعقاد هذا الاجتماع فى استراحة القناطر الخيرية ووصلته الأنباء الخطيرة عن أن القاهرة تموج بالثائرين ، وعن أن الوصول إلى قصر عابدين لم يكن آمنا ، فقرّر السادات أن ينتقل الاجتماع إلى استراحة القناطر ، ولكن المسئولين أدركوا أن فى هذا التحول خطرا كبيرا ، فطلبوا من الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يُقنع السادات بأن يبقى الاجتماع فى عابدين ، وأقنعوه بسهولة التغلب على المظاهرات ، وفعل السادات ذلك ثم واجه هذه الثورة بعنف ففصل ١٢٣ كاتبا صحفيا من أعمالهم وحولهم إلى هيئة الاستعلامات أو إلى الظل كما يقولون .

وأحس السادات أن الناصريين والشيوعيين يقودون المظاهرات فأطلق العنان للشباب الدينى كما قلنا من قبل .

---

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٦٠ .

صالح سرية ومأساة الفنية العسكرية :

صالح سرية ولد فى فلسطين قبل الاحتلال الصهيونى ، وكان مولده ونشأته فى مدينة حيفا ، وعندما شبّ تعرّف عـلى تقى الدين النبهانى مؤسس حزب التحرير الإسلامى ، وقد ظهر هذا الحزب ظهورا خافتا بعد محنة الإخوان سنة ١٩٤٨ واغتيال المرشد العام الشيخ حسن البنا سنة ١٩٤٩ .

وبدأ صالح سرية نشاطه سنة ١٩٦٠ بالعراق فى عهد عبد الكريم قاسم والتحق بعدة أحزاب ، وفى سنة ١٩٧١ التحق بالجـامعة العربية وأصبح تابعا لإدارة اليونسكو العربية ، ولأنه حصل على شهادة الدكتوراه فى التربية ومناهج التعليم أخذ وظيفة « باحث علمى » .

وبدأ صالح سرية يتصل بالشباب فى القـاهرة والإسـكندرية وفى الفنية العسكرية ، ونجح فى ضم عدد منهم إليه ، كما ضم بعض الجنود ، وكان يغرى جماعته بأنه يريد الاستيلاء على السلطة فى مصر وإقامة دولة إسلامية يشتركون جميعا فى حكمها ، وكان يطلب من أتباعه أن يبايعوه على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، ويبدو أن صالح سرية اتخذ منهج جمال عبد الناصر فى تكوين خلايا صـغيرة متفرقة لا يعـرف بعضها البعض ، وقرر أن يبدأ بالاستيلاء على الفنية العسكرية ليمتلك السلاح والسيارات منها ، ويخطو بهذا إلى أهدافه ... وكـان الذين يعرفون خطته للاستيلاء على الفنية العسكرية لا يتعدى عشرين شخصا ، وهم الذين سيكلفون بالقيام بهذا العمل ، وكانت الخطة تتلخص فى تخدير بعض الحرس ، وقتل البعض الآخر بواسـطة الخناجر ، وقد صُدِم عضو من أعضاء التنظيم عندما رأى التنظيم يتجه للدم ولقتل الأبرياء ، فأسرع يبلغ الشرطة ، وبدأ سباق بين أجهزة الأمن وجماعة التنفيذ ، وعند منتصف الليل بـدأت الحركة وكـان ذلك فى ابريل ١٩٧٤ ، أمـا صالح سرية نفسه فكان يقف فى ميدان العباسية يتناول بعض السندوتشات

ولم يتحرك من موقفه إلا بعد أن جاءته الأخبار بأن العملية فشلت ، وقد سقط فى هذه المحاولة ١٧ قتيلا ، وقبض على صالح سرية وأعوانه وحكم عليهم بالإعدام ونفذ فيهم حكم الإعدام فى ١١ اكتوبر سنة ١٩٧٤ .

وكانت الخطة ترمى — كما ذكرنا من قبل — إلى اقتحام الفنية العسكرية كوسيلة للحصول على أسلحة وسيارات على أن يقتحموا بها عقب ذلك المناطق الحساسة وأن يقتلوا المسئولين ويرغموا رئيس الجمهورية على الاعتراف بحركتهم ، فإن تردد دفع رأسه ثمنا لتردده ، ومما يذكر أن كثيرين من الذين خدعهم صالح سرية سرعان ما انفضوا عنه عندما أدركوا اتجاهاته الدموية والسياسية ، ولا يعرف الإنسان كيف تقوم حركة بلهاء من هذا النوع تقتل الأبرياء دون أى احتمال لنجاحها والوصول بمسيرتها إلى تحقيق أى هدف يخدم الدين أو الوطن ، فكأن قتل الأبرياء قد أصبح هدفا لذاته ، وما أعجب أن يتخذ الدين وسيلة لمثل هذا المنكر .

ولكن الدنيا لا يزال بها خير ، فالذين خدعهم صالح سرية هم الذين بلغوا المسئولين بنوايا العدوان عندما اكتشفوا أنهم مخدعون ، ولكن التبليغ جاء بعد فوات الأوان .

ومن هنا نحذر الشبان من الوقوع فى مثل هذه الأشراك التى تضر ولا تنفع ، ولنختم حديثنا عن مأساة الفنية العسكرية بكلمات للإمام على كرم الله وجهه فمما ينسب له قوله لولاته : إياكم وسفك الدماء فإن أول مـا يحاسب عنه المرء بعد وفاته ما سفك من دماء .

الدكتور محمد الذهبى وجماعة التكفير والهجرة :

نحن الآن أمام مأساة خطيرة ، أمام العدوان بالقتل والتمثيل على رجل من أصلح الرجال وأتقاهم وأبعدهم عن الشبهات ، ذلك هو الدكتور الذهبي الذي كان مثالا طيبا لدماثة الخلق ، وعمق التفكير ، وسماحة

النفس ، العالِم الذى شغل أعلى المناصب ولكن لم ينتفع بها بل انتفعت المناصب به ، سجلوا عنه أنه عندما أصبح وزيرا لم يفكر فى أن يكسب شيئا من وراء منصبه ، فلم يغير مسكنه ، ولم يغير أثاث المنزل ، ولم يقبل أن يوضع على بوابته حارس ، وكان مصدر صداع دائم للحكومة ، فقد راح يطالبها بجدية الدعوة إلى العقيدة لا مجرد التظاهر بالدعوة لاستغلال ذلك استغلالا سياسيا ، أى أنه كان وزيرا فى حكومة حاول إصلاحها ففضحها (١) .

لماذا إذاً يُقْتَل هذا العالِم ؟

هل هاجم جماعة التكفير والهجرة التى يتزعمها شكرى مصطفى والتى تولّت ارتكاب هذه الجريمة ؟

إن الثابت أنه لم يهاجم أحدا ، بل كان يرى — كما تسجل النشرات التى صدرت من وزارة الأوقاف فى عهده — أن الجماعات الثائرة ليست إلا فئة من الشباب ينشدون التدين فى أسمى صورة وأبعدها عن مظاهر الفساد والانحراف ، وكان الشيخ وهو وزير أو بعد أن ترك الوزارة يلتقى بمجموعات من الشباب يناقشهم ويقول عنهم إنهم شباب يريدون الطريق إلى الله ، فيجب أن نفهم دوافعهم ونساعدهم على كشف الحقائق (١) .

ويلخص الأستاذ عادل حمودة آراء الشيخ فيما يلى :

١ — هناك مجموعات من الشباب يملؤها الحماس والغيرة ، وتنساق وراء العاطفة وتتصور أن عيوب المجتمع يمكن إصلاحها بالقوة ، ولهذا يحتاج الشباب إلى تفهم حقيقة المجتمع الإسلامى الذى يرفض الغلو والقوة فى تبليغ الدعوة .

---

(١) عادل حمودة : الهجرة الى العنف ص ١٩٩ .

(٢) صحيفة الاهرام فى ١٩٧٧/٧/٥ .

٢ — إن الاسلام يمكن أن ينتشر بالدعوة الهادئة والإقناع .

٣ — أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو الحل المشاكل الاجتماعية بكل أبعادها الخلقية والسياسية والاجتماعية .

٤ — لا بد من تنقية الفكر الاسلامى من البدع والخرافات والضلالات والمؤسف أن صوت الخرافة أقوى من صوت الحقيقة .

٥ — لا بدّ أن يكون للمسجد دور آخر غير مجرد كونه مكانا لأداء الصلاة ، فلا بدّ أن يؤدى رسالة اجتماعية وتربوية ، والإمام لا بدّ أن يكون على مستوى القيام بهذه الرسالة .

٦ — إن شبابنا بخير وهو متدين بطبعه ، ولكنه لا يجد الغذاء الروحى الكافى ، أو هناك عوامل تستغل فى الخفاء بعض الشباب وتدفعهم إلى الانحراف باسم الدين وتدعوهم إلى العزلة عن المجتمع وهذا لا يتفق مع جوهر الإسلام، والحل هو ندب الشباب للفكر الصحيح وتوصيل الدعوة الإسلامية إلى كل الشباب .

٧ — وعلى هذا ليس المطلوب أن نقضى على هؤلاء الشبان ، ولكن المطلوب أن نطهر عقولهم بجهود مخلصة وأن ننقى تراثنا من التحريف والتزييف والتأويلات المغرضة التى تعرض لها على مر التاريخ (١) .

وهذه الاتجاهات من هذا العالِم الجليل تجعلنا فى حيرة وتدفعنا لنتساءل : كيف تقوم جماعة باسم الإسلام على معاداة مثل هذا الشيخ الجليل بآرائه الهادئة المسالمة ؟

بل كيف تقوم جماعة باسم الإسلام على قتله والتمثيل بجثمانه ؟

إنها فى الحق جريمة كبرى لرجل كان ينبغى أن يكرّمه الشبان

---

(١) الهجرة الى العنف ص ٢٠٠ .

وينتفعوا بعلمه وخلقه ، ولكنها اضطرابات السياسة التى لا تعرف عقلا ولا تتبع فكرا سليما •

وهناك رأى يقول إن قتل الشيخ كان لأنه دافع عنهم أولا ثم هاجمهم بعد ذلك ، ودفاعه عنهم يعنى أنه راضٍ عنهم ، وأنه داخل فى زمرتهم ، وهجومه عليهم بعد ذلك يعنى فى رأيهم أنه مرتد" ، والمرتد عقابه القتل •

وهناك رأى آخر يروى أن الشيخ قال عن جماعة التكفير والهجرة بعد أن كفَّرت المجتمع وأعلنت اعتزالها إلى الصحارى والجبال حتى تقوى فتعود لغزوه : إن هذه جماعة ضالّة مُضِلّة يجب أن توقف عند حدّها ، وأنه آن الأوان لكى تقف الدولة رادعةً لهم بكل ما لديها من قوة (١) •

والعجيب أن الشيخ اختُطِف ليلا من بين أهله وأولاده ، وهو عمل بشع ، لم تعرفه بلادنا بحال من الأحوال ، وقصة ذلك أنه فى فجر يوم الأحد الثالث من يوليو سنة ١٩٧٧ م دقّ" جماعة" باب الشيخ ، وكان أحدهم يلبس ملابس الضباط برتبة رائد ، ومعه خمسة يحملون أسلحة مختلفة ، وفَتَحَ ابنُ الشيخ الباب ، فقال الضابط له :

نحن مباحث أمن الدولة نريد الشيخ الذهبى •

ودار حوار : هل معكم أمر ؟ ولماذا الآن ؟

اتركوا عنوانكم وسيذهب الشيخ لأمن الدولة فى الصباح •

واستيقظ الشيخ على هذه الحركة وجاء ليسأل عن الخبر ، وهنا جذبه هؤلاء المجرمون ورفعوا الأسلحة فى وجه أهله ، ودفعوا الشيخ إلى سيارة انطلقت به إلى المجهول •

---

(١) عبد العاطى حامد : كرسى الوزارة ص ٦٩ .

وفى اليوم التالى أعلنت الجماعة المختطِفة عن مطالبها للإفراج عن الشيخ الأسير ، وكانت مطالب متعسفة لا ندرى صلة الشيخ بها ، وفى قمتها الإفراج عن المعتقلين من الجماعة وعن المحكوم عليهم فى قضايا سابقة ، هذا بالإضافة إلى دفع فدية كبيرة ونشر كتاب شكرى مصطفى « الخلافة » فى الصحف ثم طبعه فى كتاب بعد ذلك ، وإذاعة بيان بالصحف المصرية والعالمية بهذه المطالب على أن يحوى البيان استنكار عدم فرض الشريعة الإسلامية على أساليب الحياة والحكم فى مصر .

وبُذِلت جهود للإفراج عن الشيخ أولا ثم النظر فيما يمكن تلبيته من مطالبهم ، ولكن الحكمة كانت بعيدة عن قلوب هؤلاء الشبان ونفوسهم .

وأخيرا وربما بطريق المصادفات عثر رجال الشرطة على عنوان شقة مفروشة كان بها جثمان الشيخ الجليل ، وكانوا ينوون التخلص من الجثمان بإلقائه فى مصرف بعد لفه بالنوشادر .

يا لها من جريمة نكراء ، وقبض على القتلة وهم :

شكرى مصطفى أمير الجماعة مدبّر المؤامرة الذى كان مختبأ بعزبة النخل .

أحمد طارق عبد العليم زعيم عملية الاختطاف .

مصطفى عبد المقصود غازى الذى نفذ القتل .

وقد أصدر رئيس الجمهورية قرارا بتشكيل محكمة عسكرية عليا لإجراء محاكمة فورية لمرتكبى هذه الجريمة ، وقد أصدرت هذه المحكمة حكمها بالاعدام على هؤلاء الآثمين (١) .

ومما يذكر عن جماعة التكفير والهجرة أنها كانت تعيش فى الصعيد ، ويقوم فكرها على أساس تكفير المجتمع الحالى والحاكم أيضا ، لأن

---

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٥٦ .

المجتمع لا يسير على تعاليم الدين ، وانتشر فيه الفسق والفجور ، وأن أحسن شيء هو الابتعاد عن هــذا المجتمع وعن الحاكم الكــافر وعن وظيفة الحكومة ، لأن مرتبات الحكومة من البنوك والبنوك تتعامل بالربا ، ويقول الصحفى الاستاذ عبد العاطى أحمد إنه قابل شكرى مصــطفى وأجرى معه حوارا ، فانهال بالسب على المجتمع ، والحاكم ، والصحافة ، وقال عن الصحافة إنها أداة قذرة فى يد الحاكم ، وقال إنه مهندس زراعى ترك وظيفته واشتغل ببيع الخضار ليحصل على لقمة العيش .

يا له من انحراف بغيض يخاف شبهة الربا ويتورط فى سفك الدماء ، حسابهم على الله .

تنظيم الجهاد :

فى اوائل سنة ١٩٨٠ حدث فى أسيوط صدام بين رجال الأمن وعدد من الطلبة الذين ينتمون للاتجاهات الدينية ، وفى هذا الصــدام ســقط شاب قتيلا وجرح آخرون واعتقل أكثر من خمسين .

وتصاعدت بذلك الحماسة والحقد ، وساءت العلاقات بين رجــال الأمن وبين الطلاب فشهدت جنــازة الشــاب القتيل هتافات عــدائية ومظاهرات صاخبة .

وبعد ذلك بفترة ، وبدقة فى ٣ إبريل ذهب إلى جامعة أسيوط طالب من كلية طب القاهرة كان يلقب أمير الأمراء واسمه حلمى الجزار ، وقد ساءه ما حــدث فى أسيوط بين رجــال الأمن والجماعات الإســلامية ، وهناك فى أسيوط ألقى خطابا حماسيا قال فيه :

إلى متى تسمحون الأولاد الأفاعى أن يُبْعِدوا الشباب عن دينهم ؟

ومن المسئول عن ذلك ؟

إنه هو السادات الذى منح « الشاه » رعايته وحمايته ؛ وسمح له بأن يدنّس أرضنا الطاهرة .....

وكان بين الطلبة الحاضرين شاب متحمس آخر اسمه « كرم زهدى » وهو من طلاب جامعة أسيوط ، وقد شجّع حلمى الجزار فى هجومه على السادات وحكومته .

ولعب كرم زهدى دورا آخر بعد ذلك بقليل فى مدينة أسيوط ، فقد التقى بشاب متحمس آخر كان فيما بعد ضمن الذين خططوا لاغتيال السادات ، ذلك هو محمد عبد السلام فرج ، وقدم هذا لزهدى نسخة من كتاب يشمل مقتطفات من مؤلفات ابن تيمية وعنوانه « الفريضة الغائبة » وقال محمد عبد السلام لزهدى :

إن حكامنا مثل حكام المغول يتسترون وراء الإسلام لكنهم يعيشون بعيد عن الإسلام ، وقد آن الأوان للمسلمين فى مصر أن يبدءوا « الجهاد » ضد هذا النظام الكافر .

وكان هذا الاتجاه يوافق هوى فى نفس زهدى فقبله بإيمان وأصبح بذلك عضوا فى تنظيم الجهاد .

ونما تنظيم الجهاد بعد ذلك فقد استطاع محمد عبد السلام أن يضم لهذا التنظيم عددا من المثقفين وعددا من الضباط ، وكان الانفتاح ومباهجه الباهظة والرشاوى التى انتشرت والفقر الذى زاد بجوار البذخ والثراء من دواعى الإقبال على هذا التنظيم للشباب الذين ساءهم الحال ، وقلّ الأمل فى مستقبل مضىء لهم .

وأصبح لتنظيم الجهاد مراكز فى أكثر عواصم المحافظات من الإسكندرية إلى أقاصى الصعيد .

والتقى هذا التنظيم برجلِ دينٍ هو الدكتور عمر عبد الرحمن وهو أزهرى كفيف واسع المعرفة ، صلد ، وتفاوض معه فأصبح الرائدَ الدينى للجماعة ، وقد قـُبض عليه عدة مرات كلما حدثت اضطرابات أو مظاهرات ، وكانت تسوء حالته الصحية أحيانا فيتحول اعتقاله للمستشفى .

ومن الأشياء التى نادى بها تنظيم الجهاد فصل الطلبة عن الطالبات فى مدرجات الجـــامعة ، والدعــوة إلى حجــاب المرأة ، ومنع الحفلات الجامعية التى بها ما يخالف الإسلام ، والدعوة لصلاة العيدين فى الميادين العامة ، وإطلاق اللحى .

وآخر الأحداث التى ارتبطت بتنظيم الجهاد هو مـــا سمى قضايا التجمهر المسلـّح فى الفيوم وقد قـُبض على عدد كبير من الأعضاء وقبض على الدكتور عمر عبد الرحمن ، وفى يوم الخميس العاشر من أغسطس ١٩٨٩ قررت محكمة أمن الدولة العليا (طوارىء) إخلاء سبيل الدكتور عمر وأحد عشر متهما بلا ضمان وإخلاء سبيل تسعة أشـــخاص آخرين بضمان محال إقامتهم .

الزاوية الحمراء (يونيو ١٩٨١) :

لقد تحدثنا من قبل عن أحداث الزاوية الحمراء ضمن أحداث سنة ١٩٨١ ، ولست أحب أن أعود للحديث عن صراع بين المسلمين والأقباط ، فذلك الصراع يرفضه كل مثقف وعاقل ، ولا يجيز الدينُ ولا الوطنية إشعال مثل هذا الصراع .

وهناك رأى ارتآه بعض الباحثين يرتبط بهذا الموضوع أرانى مضطراً لذكره ، وإن كنت لا أملك الأدلة على إثباته أو رفضه ، وذلك الرأى يقول

إن السادات خلق الحركات الإسلامية ليضرب بها الحركات الناصرية والشيوعية ، ولكن الحركات الإسلامية لم تقبل أن تكون تحت سلطان السادات كما ذكرنا من قبل ، وبدأت تقوى وتزدهر فرأى السادات أن يخلق قوة أخرى تتصادم معها ، وكانت القوة التى رشحها لذلك هى التيار المسيحى (١) ، وانتعش بذلك التعصب الدينى فترة ، ولكن الحكمة تغلبت وهدأت الأمور ٠

---

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ٠

عصر السـادات

بين المساوىء والحسنات

في الصفحات الأخيرة لهذا الكتاب أورد خلاصة تشمل حسنات العصر وسيئاته ، وطبقا للعهد الذى قطعته على نفسى ستكون الحيدة والانصاف رائدى فى كل كلمة أدونها .

إن المؤرخ يسجل الأحداث ، ثم يمر بها فى ثنايا الفن التاريخى لتصبح صفحة من صفحات التاريخ المدون ، وعندما تكون الحيدة أساس عمل المؤرخ فإن كلماته تخلد ، وعلى مر الزمن تبعث الذكر الحسن ، أو تنشر السخط واللعنات ، أما التعصب حبا أو كراهية فعمل قصير العمر ، يترك أثرا باهتا أو لا يترك أثرا على الاطلاق .

وفى ذكرنا لمساوىء العصر وحسناته نلم أحيانا بأحداث ذكرناها من قبل ، ثم نورد أحداثا جديدة لتتكون من هذه وتلك صورة صادقة عن أهم ما ظهر فى هذا العصر من مزايا ومثالب .

حسنات ومزايا للسادات

حرب ١٩٧٣ ومـا حققته من مكاسب :

وأول الحسنات التى نذكرها للسادات هو الانتصار العظيم فى معركة ١٩٧٣ ، فقد رفع رءوسنا بعد أن دمر عبد الناصر ومشيره هذه الرءوس فى حالتى الحرب والسلم ، وقد أعد السادات جيش مصر أعظم إعداد ، واختار الوقت المناسب للمعركة ، وباشرها بكفاءة عالية كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن أحداث ذلك العام .

إن انتصار مصر فى هذه المعركة بزعامة السادات عمل يستحق كل ثناء وتقدير لهذا الرجل الذى ثأر لنا ، وأعاد العزة لشعبنا ، والهيبة

لجيشنا ، ومهما كتبنا من هذه المعركة ، ومـا سبقها من إعداد وتمويه ، ومـا صاحبها من دقة وإصرار فلن نوفيها حقها ، إنها كانت معركة بعث وإحياء لقوة مصرية هائلة دفنتها هزائم عبد الناصر فى التراب •

وكما نجح السادات فى المعركة نجح كذلك فى المفاوضة مع اليهود ، مع أن التفاوض مع اليهود عمل يعتبر فى قمة الصعوبة ، ولكنه على كل حال استعاد سيناء وأرضنا المبـاركة ، بالقوة حينا وبالسياسـة حينا ، ولنتذكر أن الجزء الضئيل من سيناء الذى تمسكت به إسرائيل بعـد السادات وهو « طابا » استغرقت المفاوضـة لاستعادته سبع سـنوات واتخذت مراحل متعددة ذكرناها فى مكانها بهذه الدراسة ، وهذا يـدل على النفس الصهيونية وجشعها ، وصعوبة التفاوض معها ، فالصهيونى شديد التهكم ، يحب أن يأخذ ويكره العدالة والعطاء •

والانتصار فى حرب ١٩٧٣ هد كبرياء اليهود من جانب ، وأعـاد سيناء كما ذكرنا من جانب آخر ، ثم حقق مع ذلك مجموعة من المكاسب من جانب ثالث وهى فتح قناة السويس واستعادة آبار البترول ومناجم المعادن فى سيناء ......

تحية لروح الرجل الذى قاد مصر بنجاح فى هذه المعارك الشرسة التى كانت تحتاج لموهبة عظيمة ، فتصدى لها الرجل الذى ينعم بهـذه الموهبة •

استبعاد الشيوعية :

ومن حسنات السادات فى تقديرى أنه استبعد الاتجاهات الشيوعية من مصر ، فمصر بحكم الدين والموقع لا يمكن أن تكون شيوعية ، وكـل المحاولات لجذبها للشيوعية تبوء بالخسران •

وإذا اتجهت بعض الآراء لاعتبار الشيوعية لا تتنافى مع الإسلام فإننا نقول لها إن ما تعجبون به ليس من الشيوعية في شيء ، فالشيوعية لا تعترف بالأديان بل تنكرها ، وهذه القاعدة واضحة تمام الوضوح عند من يتدارس كارل ماركس ولينين وغيرهما من زعمائها [1] وعلى هذا عندما تجد شيوعيا يصلي أو يصوم أو يحج ، فهذا الرجل يتبع فكرا جديدا ولا يعتنق الشيوعية الحقيقية .

وقد ذكرنا من قبل أن أنور السادات عمل معاهدة مع السوفييت ثم ألغاها ، وطرد الخبراء الروس وكانوا عدة آلاف ، فهو رجل — مع تذبذبه — لا يمكن أن ينتمي للمعسكر الشيوعي وتلك في رأينا محمدة تذكر له .

إعادة الصلة بالعرب :

كانت الصلات بين مصر والعرب قد تدهورت إبان عهد عبد الناصر ، واتجه ذلك الرئيس للأسف لمهاجمة ذقون الملوك وامهاتهم ، وذلك قمة الإسفاف ، ولكن السادات أعاد هذه الصلات الى وضعها الطبيعي ، فمصر لا تستغني عن العرب ولا يستغني العرب عن مصر ، وقد قدم العرب مساعدات كبيرة لمصر إبان معركة ١٩٧٣ وبعدها ، وقدمت مصر على مدى طويل صورا من المساعدات للعرب .

وقد عاد الخلاف بسبب معاهدة كامب ديفيد ، ولكن السادات — في تقديرنا — لم يكن مذنبا ؛ لقد دعا الفلسطينين للمشاركة في المفاوضات ولكنهم رفضوا ، وقد عادوا اليوم للفكر الذي دعا إليه السادات منذ أكثر من عشر سنوات .

ولأن الخلاف مع مصر لم تكن له جذور عميقة فإن العرب عادوا

---

(١) انظر « الاقتصاد في الفكر الاسلامي » للمؤلف .

إلى توثيق صلتهم بمصر مرة أخرى بعد القطيعة التى سببتها كامب ديفيد التى نعتقد أننا أخذنا بها الكثير ولم نعط شيئا ؛ لم نعط التطبيع ، ولا التبادل الاقتصادى ، ولم نفتح الأبواب للهواء الثقافى الإسرائيلى ...

تصفية الحراسات :

ومن حسنات السادات تصفية الحراسات ، تلك التى كانت تفْرَض فى العهد الأسود تبعا للنزوات والأهواء ، والتى أجاعت البطون وضمَّرت الأكباد ، وقد أصدر أنور السادات قرارا بتصفيتها فعادت بعض الأطيان لأصحابها ، ولكن بعد أن قتلهم الجوع والحرمان والأمراض .

ولم تعد الحراسات تفرض إلا بحكم قضائى كالذى حدث مع عصمت السادات .

نهاية مراكز القوى :

تحدثنا من قبل عن أولئك الذين كانوا يمثلون مراكز القوى فى عهد عبد الناصر ، هؤلاء الذين شكا منهم هذا الرئيس ، وكان كلما قضى على فوج منهم ظهر فوج آخر ، لقد قضى على المشير وأعوانه ، فظهر على صبرى ، وسامى شرف وشعراوى جمعة وأعوانهم ، وقد ارتفع نفوذ هؤلاء حتى وصلوا إلى درجة اتهموا فيها باغتيال سيدهم الذى حكموا باسمه عدة سنوات ، وقد اغتالوه ليأخذ السادات مكانه ، فقد كان فى نظرهم شخصية ضعيفة يمكن السيطرة عليها بدل شخصية عبد اللطيف البغدادى الذى يروى أن عبد الناصر قد أوصى له بالرياسة من بعده ، وهو شخصية قوية ، توقعت مراكز القوى أنها ستخسر سلطانها لو آلت له الرياسة ، وقد كتب الأستاذ جمال سليم كتابا كبيرا يتحدث عن هذا الاتهام [1] . والكتاب عبارة عن تحقيق صحفى يشير الى هذا الاتهام ودوافعه ونتائجه وقد تحدثنا عنه من قبل .

---

(١) جمال سليم : شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر .

والمهم هنا أن أنور السادات قضى تماما على هذه المراكز ، ولم يسمح أبدا بمركز قوةٍ يقوم بجانبه ، وقد بالغ فى ذلك لدرجة أنه ضحى بشخصيات مهمة خدمته من جانب ، أو كان لها موقع وطنى عظيم من جانب آخر مخافة أن تصبح مركزَ قوةٍ بجانبه ، ومن هؤلاء محمد صادق الذى كان يدَه اليمنى للقضاء على هذه المراكز ، ومنها كذلك إبعاد بطل عسكرى هو عبد الغنى الجمسى فى وقت كانت البلاد تحتاج لمزيد من جهوده •

شيء من الديمقراطية :

لا شك أن بصيصا من الديمقراطية ظهر فى عصر السادات ، وكان من مظاهر هذه الديمقراطية ظهور بعض الصحف التى كانت لها طابع المعارضة بشكل ما ، وظهور بعض الأحزاب ، واختفاء زوار الفجر طيلة عصر السادات فيما عدا سبتمبر المشئوم •

قد تقول إنها كانت ديمقراطية لها أنياب ••••• وأنا أوافق أنها لم تكن ديمقراطية كاملة ، فتزوير الانتخابات والاستفتاءات كان دعامة العصر ، ولكنا على كل حال تنفسنا الصعداء فى عصر السادات ونلنا بعض الأمن ، ولو قارنا عهد السادات بعهد عبد الناصر لوجدنا عهد السادات عصراً وارف الظلال بالقياس إلى الجحيم الذى شهدته مصر طيلة عصر سلفه •

جانب من الثقافة :

لا شك أن السادات نعم بجانب له قيمة من الثقافة العامة ، وقد بالغ هو فى معرفته بالتاريخ المصرى لدرجة أنه تمنَّى لو وقف يحاضر فى الجامعة فى مادة التاريخ المصرى وهذه مبالغة منه ، ولكنه على كل حال كانت له ثقافة جديرة بالتقدير ، وكانت له معرفة ببعض اللغات

الأجنبية ومنها الإنجليزية والألمانية والفارسية ، وهى إن كانت معرفة بسيطة ولكنها كانت تؤدى دورا مهما فى حياته تحاكم .

وكانت لـه قدرة على الإبانة والأداء تمكنه أن يرتجل بدون أخطاء لغوية مفزعة .

ومما لا شك فيه أن الثقافة شيء مهم جدا بالنسبة للحاكم فى العصر الحالى ، ذلك العصر الذى اتصلت به الأمم ، والذى يحتاج فيه الحاكم لخبرات ولغات ومجموعة من المعارف ، وقد كان السادات من أحسن من شهدتهم مصر بين الحكام العسكريين .

ويتحدث الأستاذ محمد ابراهيم كامل (١) عن مصادر ثقافة السادات فيقول : إنه قرأ القرآن الكريم فى طفولته وحفظ بعضه ، وهذا ساعده على تقويم لسانه ، وأتاح له أن يقتبس بعض آياته فى خطبه .

وكان كثير القراءة فى تاريخ مصر ، وتاريخ بعض الأبطال العالميين مثل كمال أتاتورك وهتلر ، وكان بقاؤه فى السجن مددا طويلة وسيلته للقراءة الكثيرة التى جلبت لـه بعض الثقافة ، كما كان مغرما بمشاهدة الأفلام الرومانسية والتاريخية والبوليسية ، وهذه وتلك أمدته ببعض الأفكار .

إحياء المرافق :

قبل أن يموت عبد الناصر كانت كل مرافق مصر قد ماتت واستودعناها عند الله ، فالتليفونات صارت قطعاً من الحديد الصامت ، والمجارى تنفجر فى كل مكان حتى فى الزمالك وجاردن سيتى والمعادى بالإضافة إلى عواصم المحافظات — والمياه تنقصها « الشبكة » والنقاء ، ثم هى قليلة تنقطع من حين إلى آخر ، ولا تصل إلى الأدوار العليا ، والشوارع

---

(١) السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ١٩٤ — ١٩٥ .

والطرقات مدمرة ، أكل عليها الدهر وشرب كما يقولون ، والكهرباء تنقطع من وقت إلى وقت ، وتتوقف الثلاجات ويعمّ الظلام ، وبالجملة فكل أنواع المرافق قد شملها الإعياء الشديد وانتابها السقام .

وقد اتجه السادات بكل قوة لتحسين هذه المرافق ، وشمل الجهد كل أنواع المرافق تقريبا ، فالتليفونات عاد لها النطق والحركة ، والمجارى تحسنت ، والمياه عاد لها النقاء والتدفق ، وحركة رصف الطرقات نشطت ...... وهكذا برزت هذه الإصلاحات الضرورية وكانت من قبل فى عالم النسيان .

منشآت جديدة مهمة :

ولم يكتف أنور السادات بإصلاح ما هو موجود ومهمل من المرافق ، بل أضاف منشآت جديدة يسرت الحياة على المصريين ، ومن هذه نفق أحمد حمدى الذى ربط الوادى بسيناء بطريق بَرِّىٍّ عَبْرَ هذا النفق العظيم ، ونرجو أن تتبعه وسائل فى الشمال عند الاسماعيلية وبورسعيد لربط سيناء بمناطق غرب القناة .

ومن منشآت السادات المهمة جسر (كوبرى) ٦ أكتوبر وهو عمل معمارى عظيم وقد تفرَّعتْ منه عدة (كبارى) جعلت الشوارع تتحرك بعد أن كانت الحركة قد توقفت تقريبا قبل السادات .

ومن المنشآت المهمة تلك المدن التى تحمل أسماء متصلة بنصر أكتوبر العظيم : مدينة ٦ أكتوبر — العبور — العاشر من رمضان — السلام — مايو — مدينة السادات ، وغيرها من المدن التى أقيمت فى الصحراء فأصبحت واحاتٍ عظيمة وسط صمت الصحارى وجفافها .

إنقاذ البلاد من الاتحاد الاشتراكى :

ومن حسنات أنور السادات أنه أنقذ البلاد من هذا البلاء الذى سمى « الاتحاد الاشتراكى » ولم يكن فى الحقيقة اتحادا ولا كان
سمى « الاتحاد الاشتراكى » ولم يكن هذا فى الحقيقة اتحادا ولا كان

المساوىء ، لم تر البلاد منه إلا كل شر ، وما رأت أبدا أىّ خير منه ، لقد اختيرت أهم العمائر والقصور فى القاهرة والأقاليم لتكون مراكز له ، فضاع على الدولة ما كـــان يمكن من إيجارات لها ، ووضـــع فى هـــذه المكاتب آلاف الموظفين وحدّدت لهم أعلى المرتبات ، ويسّرت لهم وسائل السلب والنهب •

ألا لعنة الله على هذا الاتحاد وعلى ذكراه •

مساعدة العراق فى حربها مع إيران :

وكان هناك اجتماعُ قمة فى بغداد ، تحدثنا عنه من قبل ، وفى هذه القمة تقررت مقاطعة مصر سياسيا واقتصاديا ، وبعد فترة قصيرة نشبت الحرب بين إيران والعراق ، ووقف أنور السادات موقفا نبيلا للغاية ، فقد كظم غيظه ، وسيطر على جراحه ، وقرر مساعدة العراق ، وتقديم مـــا يحتاجه جيشها من معدات •

وما كان أحد غير أنور السادات يســـتطيع فى هذه الظـــروف أن يتخذ هذا القرار الذى كان من أهم أسباب عودة اللقاء بين مصر والعرب •

معاش السادات :

ومن الحسنات العظيمة التى تُذْكر للسادات تقديم معاش للعجزة وكبار السن وهو الذى يسمى « معاش السادات » وقد حمى به كثيرين ممن كانوا سيعانون الجوع أو يسقطون سقطات خلقية بسبب الحاجة ، وقد عمّ هذا المعاشُ آلاف المحتاجين فى المدن والقرى •

إلغاء الضرائب على الكتب والأحاديث :

من مفاخر السادات التى يذكرها المفكرون المصريون بكل التقدير أنه ألغى الضرائب على كـــل المؤلفات وعلى كل الأحـــاديث التى يلقيها الباحثون فى الإذاعة والتليفزيون ، فحمى السادات بذلك ماء وجوهنا من الوقوف أمام مأمورى الضرائب فى هذا الشأن •

والضرائب — كفاك الله — شر وبيل ، تفترض فى الإنسان — أيا كان — أنه مزوّر لا يقول الحق ، فتبالغ فى التقدير ، ويدور حوار ينتهى بهزيمة المفكر فى أغلب الأحوال .

وكان جمال عبد الناصر قد ألغى الضرائب أو ألغى نسبة كبيرة منها عن الفنانين ، ولم يشعر أى اهتمام للمفكرين عندما طلبوا أن ينالوا ما ناله الفنانون ، وبخاصة أن الفن من غناء أو تمثيل ينبنى على الكلمة التى يقولها المؤلف . ولم يستجب عبد الناصر لطلبنا .

وجاء السادات فألغى كل الضرائب على الكلمة المكتوبة أو المقولة فهى وسيلة لخدمة الإنسان المصرى . أحسن الله إليه .

علوى حافظ وحسنات السادات :

الأستاذ علوى حافظ من المعارضين الأقوياء الصرحاء ، ومع هذا فهو يقرر أنه فى عهد السادات حدثت إنجازات أربعة هى بحق من أروع الأعمال ، وتتمثل فى :

— تصفية الوجود السوفيتى .
— حرب أكتوبر .
— مبادرة السلام .
— مظلة المعاشات والتأمينات .

ويقول الأستاذ علوى حافظ : لقد أيدتها كلها وبصوت عال دون تردد تحت قبة البرلمان لأنها فى صالح مصر (١) .

حسين مؤنس وحسنات السادات :

يقول الدكتور حسين مؤنس إن للسادات أربع حسنات على الأقل ، كل منها يستحق التقدير ، وهى :

١ — ثورة التصحيح فى مايو سنة ١٩٧١ التى وضعت حدا لحكم الإرهاب وأسقطت رجاله ، وحمت كرامات الناس وأموالهم من المهانة

---

(١) المنصة ص ٩٢ .

والعدوان ، وفتحت الطريق للصعود من الحضيض الذى هبطت مصر إليه فى عهد عبد الناصر وبخاصة بسبب هزيمة يونيو ١٩٦٧ وضياع سيناء ووصول الإسرائيليين إلى قناة السويس .

٢ — تحرير مصر من سيطرة الروس الشيوعيين ، ولولا قيامه بإخراج المستشارين الروس لما تيسر نصر أكتوبر العظيم .

٣ — فتحه الطريق أمام الجيش لكى ينتصر على الإسرائيليين ويكسب حرب أكتوبر المجيدة .

٤ — استعادة سيناء وفتح قناة السويس .

وللرجل محاسن أخرى لا تنكر (١) .

تلك هى حسنات السادات أو أكثرها ، نذكرها للتاريخ ، فالفضل لا ينسى ولا ينكر ، ولعلنا بذلك نكون قد أعطينا للرجل حقه وسجلنا ما له كما سجلنا ما عليه .

أخطاء ومثالب للسادات

إن الدارسة الطويلة التى قمنا بها فى هذا الكتاب شملت صورا كانت فى تقديرنا عيوبا ومثالب للسادات ، وهناك مثالب أخرى لم تتضمنها دراستنا السابقة وذلك كمشروع هضبة الاهرام وفكرة توصيل مياه النيل لإسرائيل ، وحماية الطغاة المنحرفين .

وهنا سنمر مرورا سريعا على الأخطاء والمساوىء التى ذكرناها من قبل ، ثم نعرض بشىء من التفصيل تلك المثالب التى أجلنا الحديث عنها لتأخذ مكانها الطبيعى هنا .

ديمقراطية لها أنياب :

من عيوب السادات ما أسماه « ديمقراطية » وهى فى الحق وضع لا يتفق مع هذه الكلمة صحيح أنه — كما قلنا من قبل — لم يكن ديكتاتورا

---

(١) د . حسين مؤنس : باشوات وسوبر باشوات ص ٢٧٤ .

كامل الاستبداد كما كان سلفه ، ولكن الديمقراطية التى ابتكرها كانت كائنا مشوهاً ، أسماها الناس ديمقراطية مستأنسة وأسماها هو : ديمقراطية لها أنياب •

يصدق الاستفتاءات الزائفة :

وفى عهد السادات حدثت استفتاءات وانتخابات ، وكانت النتيجة لصالحه بنظام التسعات المكررة ٩٩٫٩٩ ، وما كان يخفى على السادات ولا على سلفه زيف هذه الانتخابات والاستفتاءات ، ولكنه للأسف كان يصدقها ، وكان الناس يسخرون منها ويتندرون بها ، وكان هو سعيدا بها ، ولا شك أنه فى داخله كان يعرف زيفها ، ولكنه للأسف كان يكذب على نفسه ويعيش فى الخيال ، وكان السادات يرى الرؤساء حوله ينالون ٥١٪ أو ٥٥٪ ويحصلون على السلطة بهذه النسبة ، وهى بلا شك أشرف آلاف المرات من نسبة التسعات المكررة ، فكل الناس يعرفون الزيف والتضليل فى هذه النسبة المبالغ فيها •

ولا أحد يرى لماذا حرص رؤساء مصر على هذه النسبة التى تحمل بوضوح طابع الزيف والكذب •

ويصدق الاستقبالات :

وفى زيارات السادات لمواقع الإنتاج أو لافتتاح مؤسسة من المؤسسات الحكومية السنية تأخذ الحكومة الأهبة لحشد عدد كبير من الشعب لاستقبال الرئيس ، وتعد الهتافات اللازمة وأقواس النصر ، ويختار قادة الهتافات ، وفى مقدمة الحشود كان يساق تلاميذ المدارس وعمال المصانع وفلاحو أرض الدولة ، وكانت تصرف لهؤلاء مكافآت للقيام بهذه المهمة ، وقد شغلت مرة فى حياتى الوظيفية منصبا إداريا مدة عدة شهور ، وأردت أن أتعرف على كبار الموظفين بهذه الإدارة التى عينت مديرا لها ، وهالنى أن رأيت بينهم رجلا عظيم الجثة طولا وعرضا ، وكان عمله هو إعداد الطلاب للاستقبالات الخاصة بالرئيس أو ضيوف الرئيس ، وحشد الطلاب الأفارقة والأسيويين بوجه خاص لهذا العمل ،

ليظهر الرئيس وكأنه زعيم الشرق كله وليس مصر وحدها ، وكان الذى يتوانى من هؤلاء الطلاب يعرّض نفسه للعقوبة التى قد تصل إلى إلغاء منحته الدراسية .

وكانت الاستقبالات تضم — بالإضافة إلى هؤلاء — إعدادا كبيرة من العاطلين للفرجة ، كأولئك الذين يحتشدون للفرجة على الحواة ، والفنانين ، وعلى الرجل الذى يداعب نسناسا وعلى عتاولة اللصوص المجرمين إذا قبضت العدالة عليهم .

وكان السادات يرى فى هذه الاستقبالات — كما قال — استفتاء على شعبيّته .

هدايا من الآثار المصرية والجواهر المصادرة :

ومن أخطائه التى أشرنا لها من قبل أنه عدّ الآثار المصرية والجواهر المصادرة ملكا خاصا له ، فأخذ — مثل سلفه عبد الناصر — يُغْدِق عطاياه من كنوز الآثار المصرية على الأصدقاء ، ويقدّم من الجواهر ما شاء لمن شاء ، ويقدم الأستاذ محمد حسنين هيكل نماذج كثيرة لهدايا السادات من هذه الآثار (١) .

الجامعة الإسلامية :

وعندما قطعت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ، ونقلت جامعة الدول العربية إلى مقر جديد فى تونس ، فكر السادات تفكيرا مريضا ، فقرر إنشاء « جامعة إسلامية » وأسند وظائفها إلى بعض رجاله ، وكأنه حسب نفسه يمثّل الدول الإسلامية ، فاجتمع مع نفسه واختار الأمين العام ، وحدد مقر الجامعة الجديدة ، وانجذب له بعض من لا يمثّلون إلا أنفسهم ، أو قل لا يمثّلون أنفسهم ، وإنما جذبهم الأمل فى المال أو الموقع ، وكانت سحابة صيف سرعان ما انقشعت على نحو ما حدث للمؤتمر الإسلامى الذى قام وانفضّ دون أن يترك فى العالم الإسلامى أى أثر .

---

(١) خريف الغضب ص ٣٨٢ — ٣٨٦ .

مصادرة الأصدقاء :

كان عبد الناصر شديد الحرص على إفقار الأغنياء وإذلال الأعزاء ، ومن هنا اتجه لمصادرة من عدّهم أعداءه وسمّاهم أعداء الشعب ، ولكن السادات فى هذا المضمار اتجه اتجاها عجيبا ، فقد عنى بمصادرة أموال بعض أصدقائه ، والذى يقرأ كتابه « البحث عن الذات » يجد اعترافا صريحا بأن حسن عزت أنقذه من فاقة ، وكساه من عرى ، وأطعمه فى ساعة عسرة ، وعن طريقه تعرف بجيهان قريبة زوجة حسن عزت ، وتمّ زواجه منها ، فماذا نرى لو قرأنا ما كتبه حسن عزت فى معاملة السادات له ؟ يقول حسن عزت :

انك وضعت حارسا على أموالى فأتى عليها جميعا ، وضاع شقاء عمرى ، أما أموالى التى ورثتها عن أبى رغم ضآلتها فقد صودرت وتملكتها شركة مصر للتأمين كأموال أى خائن لمصر [1] .

تلك كلمات أنور السادات وهذه كلمات حسن عزت ندونها دون تعليق .

مقاومة ما نسب لعبد الناصر وأسرته من اتهامات مالية :

كلام كثير نشره الكتّاب والمؤلفون عن عبد الناصر وأسرته وقد ألممنا به من قبل ، وبدل أن يحوّله السادات للتحقيق تصدى لردّه ، وكان عنيفا فى تصديه للدفاع ، فأوقف الأستاذ جلال الدين الحمامصى عن كتابة عموده اليومى بالأخبار عندما نشر كتابه فى هذا الشأن .

بل تصدى الى دعامة قوية كان يركن له وهو عثمان أحمد عثمان عندما نشر هذا كتابه وذكر فيه قصة « الفيلتين » اللتين بناهما لابنتى عبد الناصر بثمن لا يمثل إلا جزءا ضئيلا من الثمن الحقيقى ، والمهم

---

(١) العمالقة والاقزام ص ٢٤٠ .

أن السادات لم يترك العدالة تأخذ مجراها فيما نسب لعبد الناصر وأسرته من استغلال وكسب غير مشروع أشرنا له من قبل ، وإنما وقف مدافعا لا يستعمل الحق ولا القانون ، ولكن يستعمل القوة الغاشمة ٠

لم ينصف المظلومين من ظلم عبد الناصر والمشير :

وما يقال عن ناحية السلب والنهب يقال مثله أو أكثر منه عن صور الظلم الفادحة التى أوقعها عبد الناصر بالآخرين ، فقد تغاضى السادات تماما عن المصدر الرئيسى لهذا الظلم ، تغاضى عن عبد الناصر والمشير تماما فضاعت الحقوق إذ لم يكن فى مقدور أغلب المظلومين أن يلجئوا للعدالة ، ومن لجأ منهم للقضاء ، كأسرة الفقى فى كمشيش اتجهت الاتهامات إلى الصف الثانى أو الثالث ، مع أن هؤلاء كانوا ينفذون أوامر صادرة لهم من الرءوس العليا ٠

تاريخ الثورة ، وأسباب هزيمة ١٩٦٧ :

وتحركت العدالة حيناً فى نفس السادات فقرر تكوين لجنة لكتابة تاريخ الثورة ، ولجنة أخرى للبحث عن أسباب هزيمة ١٩٦٧ ولما رأى السادات أن هذه اللجنة وتلك ستدين الثورة وستبرز ما خفى على الجماهير من مثالب ، لما رأى ذلك قتل اللجنتين فى مهدهما ليعيش الناس فى ظلام وأسى دون أن يعرفوا أساس ما عانته وما تعانيه مصر من مشكلات وآلام ٠

أسرة السادات والشراهة :

ذكرنا من قبل ما جرى من أسرة السادات من نهب وسلب ، ولا يمكن القول إن السادات كان يجهل هذا ، وأنه لم يبلغه أى خبر عن ذلك التكالب والانتهازية ، فإن كان قد جهل هذا ولم يبلغه أى خبر عنه فمعنى ذلك بوضوح خوف الناس من تبليغه هذه الأخبار ، وقد روى السادات أن عبد الناصر كان شديد الحساسية بالنسبة لأسرته ، وأنه كان يعاقب

بقسوة من يتحدث عن أى فرد من أسرته بمكروه ، وطلبا للسلامة أغضى الناس الطرف عن أسرة عبد الناصر وتركوها تمرح كما تشاء .

ويبدو أن الحال كان هو الحال بالنسبة لأسرة السادات وأسرة زوجته ، فهو مسئول تماما عن كتمان هذه الأخبار عنه ، ولكن الحق أن هذه الانحرافات التى تشعبت واتصلت كالاخطبوط بكل ميدان من ميادين الحياة لابد أن تكون قد وصلته وأغضى عنها الطرف ، وقد كشف القضاء عن بعضها ، والسادات مسئول عن تفشى هذا النهب الذى ذاع وشاع ، فجلب الأسرة السادات الملايين على حساب المحتاجين والجائعين ، حسابه على الله .

غرور السادات :

لقد ذكرنا من قبل صورا من المدح والثناء على أنور السادات فيما يتعلق بقضائه على الطغمة الفاسدة التى كان يعتمد عليها عبد الناصر ، وامتدحنا السادات من الأعماق على تدبيره لحرب ١٩٧٣ وقيادته لها ، كما ارتضينا خطته التى استطاع بها أن نستعيد باقى سيناء بطريق المفاوضة مع اليهود ......

ولكن السادات عقب ذلك كان عليه أن يسجد لله شاكرا عونه وتوفيقه ، وأن يثنى على الشعب الذى وقف بجانبه يؤيده ويساعده ويضحى بالدم والولد والمال من أجل الهدف المشترك ، ولكن السادات « تألّه » عقب ذلك ، ووضع نفسه هو وأسرته فى دائرة بعيدة عن الجماهير .

وكان عليه أن يتجه للعمل الداخلى ولبناء الإنسان المصرى الذى حُرِمَ من مطلع الثورة من كل الحقوق الإنسانية ، ولكن السادات اتجه لنفسه ولزوجته ولأولاده منها ، وأهمل كل الدنيا حتى زوجته الأولى



جلسة اعتداد أقرب للغرور

وبناته منها ، إنها الأنانية القاتلة التى جلبت الحقد على رجل كان يمكن أن يكون صديقا وأثيرا عند المصريين .

وفى هذا المجال يقول الدكتور حسين مؤنس [١] .

كانت أمام السادات فرصة ذهبية لمسيرة حميدة بعد النصر فى المعركة وفى المفاوضة ، ولكن السادات أضاع هذه الفرصة ، وتصوّر أنه بلغ مالم يبلغه إنسان قبله ، وما لن يبلغه إنسان بعده ، وتصور أنه هو وحده كسب حرب أكتوبر ، وهو وحده استعاد سيناء ، وهو وحده لذى يعرف ماذا يعمل وماذا لا يعمل ، وأخذ صورة سيد أرستقراطى عظيم لـه فى كل ركن من أركان مصر قصر ملكى يقيم فيه ، وحاشية ضخمة تجرى وراءه لتخدمه فى قصوره ، ولـه أسرة ملوكية تصاهر أصحاب الملايين ، وهو فى الشتاء فى أسوان والإسماعيلية ، وفى الصيف فى الإسكندرية ، والدنيا كلها تجرى لتسعد بلقائه حيث يكون ، والسيد العظيم يستيقظ فى الحادية عشرة صباحا ويبدأ العمل فى الواحدة بعد الظهر ، وطائرة بوينج ٧٠٧ وطائرة هليوكوبتر مربوطتان ببابه كما كانت الخيل تربط بأبواب الخلفاء والسلاطين ، والملابس تصنع لـه عند ديور وبير كاردان ، وسيد مصر العظيم تحول الى « ستار عالمى » ، ومجلة شيترن تنشر صورته على غلافها وفى يده وردة ، وتمنحه لقب « أشيك رجل فى الدنيا » ومنشتات الصحف القومية لابد أن تتلألأ بها كل يوم كلمة « السادات ..... » .

واللغة الوحيدة التى تعجبه هى المديح ، وهو لهذا لا يحتمل النقد ، وصدره يضيق بأية مراجعة ، تلك هى فترة أخطاء السادات ، التى كلفته ثمنا باهظا ، وتلك هى فترة الأخطاء القاتلة ، ومعظم الذين أبغضوا السادات داخل مصر تكوّنوا خلال هذه الفترة .

---

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ٩٣ .



وقع فى غرام سماع صوته ورؤية صورته

ويقول محمد كامل إبراهيم وزير خارجية السادات خلال فترة من الفترات :

وقع السادات فى غرام سماع صوتـه ورؤية صورته ، وأصبح إجراء الأحاديث والإدلاء بالتصريحات هوايته المفضلة ، وكانت وكالات الأنباء تتابعه فى هذا الشأن ، وربما شغلته هذه الهواية عن مقابلة كبار الضيوف والدبلوماسيين الذين يزورون مصر ويطلبون مقابلته ، ولكنه كان يعتذر لانشغاله [١] .

أهمل معركة السلام :

ونسى السادات أن معركة السلام كانت تحتاج إلى جهد أكبر من معركة الحرب ، ولكن السادات أعد معركة الحرب ونجح فيها ، ثم أهمل معركة السلام تقريبا ، فلم يحدث فى عهده تطور زراعى ذو بال أو اقتصادى أو اجتماعى ، بل بدأ التدهور يأخذ طريقه للحياة بمصر .

مطار لارناكا و ١٨ شهيدا من رجال الصاعقة :

من الواضح أن رجال الصاعقة يُعْتَبَرون فى كل دولة أهم العناصر فى الجيش ، فهم بحكم قواهم الجسمانية والعقليـة ، وبحكم التدريب الخطير الذى يحصلون عليه ، وبحكم اسـتعدادهم لأخطر الأعمـال فى الحروب مهما كان فيها من قسوة وتضحية ..... بحكم ذلك كله يعتبرون ثروة هائلة تدخرها الدول لمواجهة الأخطـار والصـعوبات .

وقد تكلمنا من قبل عن مصرع رجل يعتبر من أغلى رجالات مصر ، ومن أعمقهم ثقافة وأكثرهم دراية بمشكلات الوطن ذلك هو الأسـتاذ يوسف السباعى ، وكان مصرعه فى قبرص حيث كان يرأس الوفد المصرى

---

(١) السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ١٩٣ — ١٩٤ .

فى اجتماعات لجنة التضامن الأسيوى الإفريقى ، وكان مصرعه بيد اثنين من الفلسطينيين ، يجهلان ما يفعلان ، حسابهما على الله •

وقد سارعت منظمة التحرير الفلسطينية بإصدار بيان تدين بشدة هذه العملية وتستنكرها •

وقد وقع خبر اغتيال يوسف السباعى وقعا شديدا على الجمهور المصرى الذى كان يحب هذا الرجل ويتابع نشاطه الثقافى ، ولكن الكارثة تطورت على يد أنور السادات ، فتضاعف خطرها ، فإنه بحكم ديكتاتوريته أمر أن تسلم قبرص هذين القاتلين إلى مصر ليحاكما بها ، ورأت قبرص أن هذا يتنافى مع استقلالها ويعرضها لنقد خطير ، فرفضت هذا الطلب ، وبرزت ديكتاتورية السادات حيث كان يجب أن تختفى ، فأمر بإرسال عدد من رجال الصاعقة إلى قبرص لاختطاف القاتلين ونقلهما الى مصر ، وفى مطار لارناكا تعرض أبطال مصر إلى ضربات من الخلف ، فقد اعتبر القبارصة أن ذلك عدوان على أرضهم واستقلالهم فأطلقوا عليهم النيران ، وسقط ثمانية عشر بطلا ، كما دمرت الطائرة المصرية التى حملتهم ، وكانت خسارة مصر بذلك عظيمة جدا •

وقال وزير خارجية السادات له إن هذه العملية خطيرة ، لقد فقدنا ثمانية عشر ضابطا ، وفقدنا الطائرة التى نقلتهم ، وتدهورت علاقاتنا بقبرص ، والعالم كله يدين هذا العمل ، ويجب اجراء تحقيق فورى لمعرفة المسئول عن هذه العملية ، فقال السادات فى غضب شديد : أنا الذى أمرت بهذه العملية (١) •

ما أكثر ما نزلت الأخطار والخسائر بمصر بسبب الديكتاتورية •

---

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ١٩٩ — ٢٠١

ولو استشار السادات معاونيه ، لنجت مصر من كثير من المحن التى سببتها الديكتاتورية الجاهلة الحمقاء •

هضبة الاهرام :

فى موجة ما سُمِّى الانفتاح بحث هواة المال عن كل طريق يجلب لهم المزيد من الثراء ، وكانت هضبة الأهرام واحداً من هذه الطرق •

لقد اختار الفراعنة هذا المكان بدقة ودراسة وعمق ومن أهم المزايا ، ارتفاعه الشاهق عن الوادى ، حتى تظل الأهرام وغيرها من الآثار فى منطقة جافة ، تقع بمنأى عن تسرب المياه أو الرشح •

وهضبة الأهرام واسعة جدا وتعتبر غنيمة كبرى لأى شركة أو مؤسسة تأخذ حق استغلالها ، وللأسف تقدمت لذلك شركة من هونج كونج بأبخس الأسعار ووافقت الحكومة على ذلك •

ورأى المصريون أن السماح بإقامة مدينة فوق هضبة الاهرام معناه بيع التاريخ ، والتاريخ المصرى غال جدا عند المصريين ، ولذلك قامت حركة احتجاج واسعة وقوية • وكانت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد من دعائم هذه الحركة ، فقد كتبت عدة مقالات تهاجم هذه الصفقة ، وكان مما قالته (١) :

إن الحكومة المصرية وافقت على عدم البناء فى منطقة بها مقبرة يهودية ، وكان ذلك إجلالا للموت ، فما بالها تصنع هذا مع موتى اليهود ونتناساه مع أبطال الفراعنة الذين كانوا فى عهدهم سادة العالم •

وإذا كان هذا المشروع يحمل مظهر التعمير ، فإنه فى الحق تخريب للتاريخ وللأخلاق وللذمم •

---

(١) صناعة الجهل ص ١٠٠ •

وكان من أبشع ما اتصل بهذه الصفقة تشـوية البيئـة الأثريـة بالإسكان وما يلحقه ، ثم تدميرها بواسطة البحيرة التى أزمعوا حفرها فى مساحة تبلغ اثنى عشر فدانا تحت أقدام الهرم ، مع أن الهرم لم يعش عمره الطويل إلا بسبب الجفاف وارتفاعه فوق منسوب ماء النيل .

وبينما كان أفراد الجمهور يهاجمون العدوان على منطقة مقدسة لـدى المصريين كانت « منى » ابنة جمال عبد الناصر تتقدم بنشاط لتنال جزءا من الغنيمة فتعاقدت على شراء جزء كبير من الهضبة لتجْرِى به تقسيما يباع بأعلى الأسعار .

ويقول الأستاذ محمد حسنين هيكل : إن من نتائج الانفتاح الكاذب أن ظهر مشروع أثَارَ ضجة فى وقته ، وهو مشروع هضبة الاهـرام ، وكان وراءه مستثمر كندى ، أو هكذا بدا على الورق ، وكان الهدف إنشاء مدينة لأغنياء السياح وأغنياء مصر ، وكان المشروع هشا فى اقتصادياته ، وكانت كل تفاصيله ملأى بمظاهر التلاعب ، ولقد تحمس الرئيس السادات شخصيا لهذا المشروع ، ولكن ثارت ضجة كبرى حوله ، إذ اعتبره الكثير من الوطنيين عبثا بمنطقة تضم كنوزا من تراث مصر لا تقدر بثمن (١) .

ويذكر موسى صبرى أن أنور السادات كلف الدكتور مصطفى خليل بدراسة موضوع هضبة الأهرام ، وما يوجّه إليـه من نقد ، واستمر الدكتور مصطفى خليل فى الدراسة إلى سـاعة متأخرة مـن الليل ، وفى الصباح الباكر ، وقبل أن يتوجه السادات ليلقى خطابه فى احتفالات أول مايو سنة ١٩٧٩ اتصل به الدكتور مصطفى تليفونيا ونصحه بإعلان إلغاء المشروع ، لأنه فعلا ليس فى صالح مصر ، واستجاب السادات لهـذه النصيحة ، وأعلن إلغـاء المشروع فى خطابه فى عيد العمال أول مايـو سنة ١٩٧٩ (٢) .

---

(١) خريف الغضب ص ٢١٥ .
(٢) السادات الحقيقة والاسطورة ص ٣٩٦ .

ولم تقتنع الشركة المتعاقدة بحق التاريخ فى إلغاء هـذا العبث ، فأخذت تقاضى المسئولين عن إلغاء هذه الصفقة ولكن أحكاما صدرت برفض هذه الدعاوى فمجلس الدولة حكم بأن هضبة الأهرام منطقة آثار يحرم المساس بها ، وحكمت بذلك محكمة مصر الكلية وأضافت فى أسباب الحكم كلمات طيبة ، قالت المحكمة : كان ينبغى على كل مصرى غيور وحر مناهضة ذلك المشروع للحفاظ على المقدسات المصرية ، وعلى ثروة مصر التاريخية ، وإن للمواطن المصرى بعد طول معاناة أن يقول رأيه بصراحة فى مشروعات تعود بالنفع الكثير على فئة قليلة مستغلة ، وتعود على الوطن والمواطن بالخسارة الفادحة (١) .

التفاف خلفى لإعادة المشروع :

ولم يكن رفض المشروع نهاية لهذه المشكلة ، فإن اتجاهات حكومية يمثلها محافظ الجيزة واتجاهات مصرية يمثلها المحدثون من الأغنياء عادت تحاول استغلال الهضبة بوسيلة أخرى تشمل مجموعة من الشـاليهات والاستراحات تغطى بها الهضبة وتكون مسرحا للعبث والترف ولم ينس هذا المشروع العدوانى ، إحيـاء فكرة البحيرة التى كـانت فى المشروع الاستثمارى .

ولكن القوى التى هاجمت المشروع الأول استمرت فى حماسـتها وقوتها تجاهد وتناضل هذه المحاولة الجديدة ، وكسبت هـذه الجهود الجولة الثانية كما كسبت الجولة الأولى وأزيل ما كان فى الهضبه من شاليهات ، وعادت المنطقة على الحال الذى كانت عليـه أيام الفراعنـة الأمجاد .

مياه النيل لإسرائيل ؟ :

إن الإنسان المصرى يحس بألم ممزوج بالمرارة والدهشة أن أنور

---

(١) نقلا عن : دكتورة نعمات أحمد فؤاد : صناعة الجهل ص ١٠٠–١٠١ .

السادات فكر أن يقدم ماء النيل لإسرائيل ، ونسى الرجل أن إسرائيل قدمت ولا تزال تقدم الموت للإنسان المصرى والعربى فى كل مكان ، أما السادات فإنه أراد أن يقدم لها الحياة .

إن أيسر تأويل لهذا الموقف هو أن نتدمغ من فكر هذا التفكير بالجهل بقضايا التاريخ المصرى والإسلامى ، وبالجهل باحتمالات المستقبل ، أما الذى لا يقتنع من المفكرين بهذا التأويل فإننا نلتمس له العذر عندما يتهم صاحب هذا الفكر بالخيانة العظمى .

هل يجهل رئيس دولة عربية أهداف إسرائيل التوسعية ؟ تلك الأهداف التى لم تعد رسما لخريطة ، أو تطلعا لأمل ، بل أصبحت واقعا عندما احتلت إسرائيل من أرض العرب ما احتلته وتمسكت به طيلة ربع قرن أو يزيد .

إن من يجهل ذلك ليس جديرا بمنصب قيادى فى مصر أو فى أى بلد عربى ، وإذا غفرنا للسادات أى خطأ من الأخطاء التى ذكرناها فى طول هذه الدراسة فإننا لا نغفر له اتجاهه لمنح مياه النيل لإسرائيل .

والعجيب أن أنور السادات ظن أنه يمكن أن تأخذ إسرائيل مياه النيل وتترك الأرض العربية ، ولكن التوسع الصهيونى سرعان ما انطلق يقول إن المبادىء لا تباع ولا تشترى ، وإن أمن إسرائيل وأمل إسرائيل أهداف غير قابلة للمساومة ، وكانت كلمات بيجين هى : إن مد النيل الى النقب فكرة جميلة ، ولكن الأمور العقائدية لا تباع ولا تشترى .

وأنور السادات حين يتطوع فيعرض مياه النيل على إسرائيل ليس إلا مستجيبا لرغبة قديمة رفضها الخديوى عباس الثانى ، فالتاريخ يقرر أن فكرة أخذ جزء من مياه النيل فكرة خطرت إلى زعيم الصهيونية هيرتزل ، وأرسل بها مذكرة سنة ١٩٠٣ إلى الحكومة البريطانية وإلى

الحكومة المصرية مدّعيا أن المستعمرات الصهيونية فى فلسطين محتاجة إلى مياه النيل التى ترمَى فى البحر المتوسط ، وكان الرفضُ القاطع نصيبَ هذا الطلب من الحكومة البريطانية ومن الخديوى عباس الثانى .

عجبا يرفض الخديوى عباس بإصرار هذه الفكرة ، أما السادات فلا نقول إنه قبلها ، بل نقول ما حدث ، وهو أن السادات أبتكرها وتبرّع بها ، مع أن خطر الصهيونية لم يكن قد اتضح آنذاك ، وخطر الصهيونية الآن واضح وخطير ، وهذا يحتم علينا أن نعيد النظر فى الهجوم على أسرة محمد على ونعيد النظر فى الثناء على رجال الثورة التى كانت مشئومة فى فى كل مجال .

هل لنا أن نفكر أن موقف السادات يتناسب مع ما ذكرناه من قبل مع موقف زوجته وأولاده الذى يتعاطف مع إسرائيل ، ومن هنا يتضح لنا أن موقف الزوجة والأولاد كان امتدادا لموقف السادات ، أو أن السادات كان امتدادا لإحساس زوجته وتعاطفها مع اليهود ، ذلك التعاطف الذى ذكرناه من قبل .

وليت شعرى كيف حرص السادات على أن يمرّ ماء النيل بسيناء فلا يرويها ، ولا يزرَع أرضها ، بل يمشى إلى النقب فيقدّم لها الرى والحياة ، وينبغى أن يتضح أن زراعة النقب تعنى استعداد إسرائيل لاستقبال مزيد من اليهود ، وذلك يمثّل مزيدا من الخطر على الأرض العربية والإنسان العربى ، وقد بدأنا استرداد أجزاء من سيناء فى عصر السادات ، ولم تتم زراعتها واخضرارها فلماذا حرص على تخطّيها وبعث الحياة فى الأرض الصهيونية .

وإذا كان السادات يريد أن يقدّم مياه النيل ليحرر فلسطين والقدس ، فإن مياه النيل ستصبح حقا من حقوق إسرائيل ، أما الأرض العربية فستظل هدفا لأطماع إسرائيل ، ولن تحميها من أطماع الصهاينة إلا القوة العربية التى يجب أن نهتم بها .

ويخطر ببال المؤلف فكرة" مخيفة" هي الربط بين وعد بلفور سنة ١٩١٧ بمنح الأرض لليهود وفكرة السادات بمنح مياه النيل لهذه الأرض ، وهذا يجعلنا نقرر بحسرة وألم ، أن بلفور منح الأرض وأن السادات عرض أن يمنح الحياة لهذه الأرض •

بقيت نقطة مهمة حول ما قيل عن أننا نطرح قدرا كبيرا من مياه النيل إلى البحر المتوسط ، فهذه مغالطة خطيرة ، وكلام لا أساس له من الصحة ، فبعد إقامة السد العالى لا تلقى بالبحر أية قطرة من قطرات النيل ، صحيح أننا لا نحسن استعمال مياه النيل ولكننا نستعمله كله ، بل يقول الإخصائيون إننا نعيد استعمال مياه الصرف لتكملة حاجة مصر من المياه ، مع ان مياه الصرف بها من الملوحة ما يفسد الأرض [1] •

على ان النيل ليس ملكا خاصا لمصر إنما هو ملك لتسع دول تحيط به من منبعه إلى مصبه ، وإن أى تصرف تقوم به إحدى هذه الدول دون موافقة الدول الأخرى يعتبر سابقة خطيرة ترفضها العلاقات الدولية ، ومن الواضح أننا حريصون على حسن العلاقة بدول إفريقيا التى ساعدتنا وجاملتنا فى ظروف تاريخية كثيرة ، ومن العجب أن نتحدى الدول الصديقة لصالح دولة عدوة •

وبعد ، إن مياه النيل فى انسيابها وجريانها بأرض مصر تشبه جريان الدم بين قلب الإنسان وعروقه ، وقطرات النيل لا تقل عند المصريين قيمة عن قطرات الدم ، والذى يفرط فى مياه النيل كالذى يفرط فى نفسه ويهدد وجوده •

السادات يحمى الطغاة والمنحرفين :

وتستر السادات على الطغاة والمنحرفين الذين عبثوا بأموال الناس

---

(١) دكتورة نعمات فؤاد : صناعة الجهل ص ١٨٠ •

وأعراضهم وأموال المجتمع وقيمه ، وفى هذا المجال نذكر نموذجين فقط من نماذج كثيرة هما صلاح نصر وأشرف مروان ، ونعتمد على كاتب كان قلما يدوّن فكر السادات ولسانا يعبر عن أمانيه ، وهو يقرر انه كاتب مؤيّد ، فما يذكره عن حماية السادات لهذين الشخصين ليس موضع شك ، ذلك الكاتب هو الاستاذ موسى صبرى •

حماية السادات لصلاح نصر :

إن ما عرف عن صلاح نصر شىء يلوث البحار والأنهار ، ولكننا سنعطى مثالا واحدا من تصرفات هذا الرجل مع علَم من أعلام الصحافة ، وصاحب مدرسة تعتبر الأولى فى الشرق العربى كله ، ذلك هو الاستاذ الكبير مصطفى أمين •

يقول الأستاذ موسى صبرى (١) :

رفع أحد المحامين دعوى بالحق المدنى ضد صلاح نصر وضد عدد من رجال المخابرات لتعذيبهم لمصطفى أمين داخل مبنى المخابرات ، وكان مصطفى أمين قد نَشَرَ أنه صُلِب وجسده عارٍ ، وشهد اثنان من الصحفيين كانا مسجونين بأنهما رأيا هذا العذاب •

ولما علم أنور السادات بخبر رفع هذه القضية للمحاكم ثار وقال لموسى صبرى : ماذا يريد مصطفى أمين ؟ لقد أفرجتُ عنه ، وهو يتمتع الآن بكل حرياته ككاتب ، لماذا هذا الحقد ؟ ولماذا هذه الرغبة فى الانتقام ؟ اطْلُبْ منه باسمى أن يتنازل عن هذه الدعوى •

ويقول موسى صبرى : إننى أبلغت هذه الرغبة لمصطفى أمين ، وأبدى استعداده الكامل للتنازل ، وقال لى : يكفى أننى رأيت صلاح نصر

---

(١) السادات الحقيقة والاسطورة ص ٦٩٩ — ٧٠٠ •

فى المحكمة وهو وراء القضبان ، وهذا هـو انتقام السماء ، ولا يهمنى الحكم على صلاح نصر •

وأشاد السادات بموقف مصطفى أمين •

واستمر موسى صبرى يقول :

ولكن مصطفى أمين عاد وأبلغنى فى اليوم التالى أنه اتضح لـه أنه ليس من حقه قانونا أن يتنازل ، لأنه لم يرفع الدعوى ، ولأن القضية أصبحت فى يد النيابة العامة •

وأبلغتُ الرئيس السادات بذلك •

وصدر الحكم بالسجن على صلاح نصر ، فصدر الأمر بنقله للمستشفى لمرضه ، ثم أفرج عنه السادات إفراجا صحيا بعد ذلك بمدة قصيرة •

وهذا التصرف يؤكد ما سبق أن ذكرناه بأن مراكز القوى التى نكّل بها السادات هى هؤلاء الذين تصدّوا له وتآمروا ضده ، أما الـذين نكّلوا بالشعب وعذبوه أشد العذاب ، ولم يتعرضوا بسوء للسادات فقد تمتعوا بحمايته على الرغم من كل ما نُسب اليهم •

حماية السادات لأشرف مروان :

أشرف مروان هو الذى أطلقت عليه أخبار اليـوم لقب « الطفل المدلّل » وهو زوج « منى » ابنة جمال ، وكان الزوج وزوجته يلتقيان فى حب المال والسعى للحصول عليه من أى طريق ، وكان الزوج عندما تحوم حوله الشبهات ويتعرض لأى لون من المخاطر تسرع زوجته إلى بيت السادات باكيةً وهى تردد : « يعنى بنت عبد الناصر جوزها حرامى » ؟ (١) •

---

(١) موسى صبرى : المرجع السابق ص ٨٢٧ •

ولنعد للمسألة من أولها ، ولنقتبس من موسى صبرى بعض مـا قال عن أشرف مروان :

« كان أشرف مروان لصيق الصلة رسميا وعائليا بأنور السادات منذ ليلة ١٥ مايو ، وأصبح مدير مكتب الرئيس للمعلومات ، ورسوله الخاص إلى الرؤساء العرب ، ثم رئيسا لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع بمرتب ضخم ، واشتغل بأعمال تجارية واسعة النطاق بدأت بتجارة السلاح حتى أصبحت ثروته قبل وفاة السادات ٣٠٠ مليون جنيه ، وقد نشر أخيرا أنه ساهم فى شركة بريطانية بمبلغ « ١١ مليون جنيه استرلينى » كما أنه ينازع على شراء مؤسسة هارودز فى قضايا موضوعها مئـات الملايين .

« لسانه ثقيل بالخلقة ويتلعثم عند الحديث

« كانت له فى عهد السادات طيارة" خاصة ليستعملها فى التنقلات لمتعلقة بعمله فى هيئة التصنيع وفى تنقلاته الخاصة .

« انتشرت شائعات تقول إن السادات أو أسرته كانوا يشاركون أشرف مروان فى مشروعات تجارية .

« كان يتحدث عن أسرة عبد الناصر فيروى للسادات أن أرملـة عبد الناصر وكريمته هدى وزوجها حاتم صادق يقفون موقفا معاديـا للرئيس ، وكان يدعى أن هذه الأسرة تكرهه لصلته بالسادات ، وكان ينقل قصصا عديدة للسادات عن عداء أسرة عبد الناصر لـه .

« أنشأ علاقات شخصية مع قادة ثورة ليبيا وبخاصة عبد السلام جلود الذى كان يحضر للقاهرة ليهرب من القيود التى فرضها القذافى على شرب الخمر ، وكان يقضى لياليه فى القاهرة سعيدا بكل ما يشتهى .

« ونشأت روابط بين أشرف مروان وبين البليونير كمال أدهم شقيق

زوجة الملك فيصل ، وتطورت هذه الروابط إلى المشاركة فى أمور تجارية ، ثم إلى روابط سياسية أخرى ، ولا يعرف بالضبط سبب هذه الروابط التى فتحت الباب لثروة هائلة لأشرف مروان .

« ويذكر موسى صبرى صفقات وهمية كانت تجرى ليكسب أشرف مروان مبالغ طائلة من خلفها من البليونير السابق ذكره ، ويقول فى ذلك إن عمليات الشراء والبيع كانت تتم بصورة صوريَّة حتى يكون رأس مال أشرف ذا صفة شرعية على الأوراق الرسمية .

« وقد سئل أشرف مروان أمام المدعى الاشتراكى عن مصدر الأموال التى اشترى بها أرضا ؟

فأجاب :

إن زوجته تلقت عدة سيارات هدية من إحدى الدول العربية بوصفها كريمة عبد الناصر ، وقد باعتها وكان ثمنها هو رأس مال الصفقة الأولى من الأرض .

« ثم اشترى كمال أدهم هذه الأرض من زوجته بثمن مرتفع جدا ، وكان ذلك هو ثمن الصفقة الثانية من الأرض .

« وعلى هذا فرأس مال أشرف مروان وزوجته جاء من سيارات هدية للزوجة ، ثم من مال وفير قدَّمه كمال أدهم باسم شراء الأرض من هذه الزوجة ولو أن ذلك كان صفقة صورية كما يقول موسى صبرى » .

ونقطع اقتباساتنا من موسى صبرى لنسأل :

لماذا لم تتلق هدى « ابنة عبد الناصر » مثل هذه الهدايا ؟

ولماذا لم يشتر كمال أدهم شيئا من ممتلكات « هدى » بأسعار مضاعفة كوَّنت رأس مال كبير لصفقات مهمة ؟

والإجابة أن الله وحده هو الذى يعلم .

ونعود لموسى صبرى الذى يروى أن الجناح الذى كان يسكنه أشرف مروان فى أحد فنادق لندن قد سُرق منه قدر من جواهر أشرف وزوجته تقدر بعشرات الآلاف من الجنيهات الاسترلينية ، وذلك أيضا جانب من جوانب الثراء .

ويعلل أنور السادات إبقاءه لأشرف مروان مع كل ما يشاع حوله من اتهامات بقوله :

ـ لم أكن أعرف أن أحد المقربين لفلان (وذكر اسم ملك عربى) يتقاضى رشوة ، وهذا الرجل يساعدنا فيما نطلبه من الملك ، وعلاقة أشرف به تيسر أمورنا (أى أن أشرف يقدم له الرشوة المطلوبة) .

ـ أنا لا أقبل أن أمد يدى لأى حاكم عربى ، ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة ، وأشرف يقوم بهذه المهمة (أى يَقْبَل أن يمد يده) كما مدها لكمال أدهم .

وكان السادات يتصور أن القيادات السعودية تفضل أن تتعامل مع مصر عن طريق أشرف مروان ، أو أن أشرف أوهم السادات بذلك ، ثم تمت لقاءات رسمية بين السادات والأمير فهد (ملك المملكة السعودية بعد ذلك) اتضح منها أن السعودية تفضل أن يكون التعامل مع مصر عن طريق شخص غير أشرف .

وطلب الرئيس مرة أن يحقق المدعى الاشتراكى مع أشرف فى قضية أرض الهرم ، وأجرى المدعى الاشتراكى هذا التحقيق ثم احتفظ به دون أن يبلغه للسادات ، ولما سأل السادات عن ذلك قال المدعى الاشتراكى : إنه أخذ انطباعا بأن الرئيس متعاطف مع أشرف مروان .

وعندما تولى أشرف مروان رياسة مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع جعلها دولة داخل الدولة ، وأنشأ بها مناصب عديدة بمرتبات ضخمة ، وكثر عدد الوظائف التي لا يقوم أصحابها بأعمال ذات قيمة تعادل ما يصرف لهم من مرتبات .

وكان أشرف مروان يقدم هدايا قيمة باسم الهيئة الى عدد من الشخصيات العامة ، وقد كان من هذه الهدايا تليفزيون ضخم قدمه إلى الأستاذ موسى صبرى ولكن هذا أعاده إليه ، ويقول موسى صبرى إنه علم انه أرسل مثل هذه الهدية إلى عدد كبير من كبار المسئولين والوزراء ، وقليل جدا مَنْ ردّ الهدايا إلى مرسلها .

وقد علم الأستاذ الدكتور حلمى مراد عضو مجلس الشعب آنذاك بخبر هذه الهدايا فقدم للمجلس سؤالا بشأنها ولكن هذا السؤال لم يـر النور .

وعندما كان الأستاذ موسى صبرى مع زوجته بالولايات المتحدة لعلاجها اتصل به أحد رجال أشرف مروان وقال له إن الدكتور أشرف ترك له صندوقا صغيرا ، ويسأل كيف يرسله إليك ورفض الأستاذ موسى صبرى تسلّم هذا الصندوق ، وخطر بباله أن تكون به بعض الممنوعات كالمخدرات للإيقاع بموسى صبرى إذ كان أشرف يعرف عداءه له ، ويقول موسى صبرى لقد ذكرت تلك الحادثة للرئيس السادات فقال الرئيس ضاحكا : مخدرات إيه ياعبيط ؟ ده كان عايز يشتريك ، قطعاً كان باعت حاجة ثمينة لزوجتك فى هذا الصندوق ، فهذه هى طريقة أشرف .... أنا عارفه كويس .

وتعبير « عارفه كويس » يلقى مسئولية كبرى على السادات ، لقد كان يعرف الانحراف ويحميه وتلك من أخطر المثالب لأى رئيس [١] .

---

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٨٢٥ — ٨٣٣ (لقطات) .

خاتمـــة

شكرا لك يارب على عونك العظيم الذى ساعدنى حتى وصـلت فى هذا الكتاب إلى الشاطئ بعد عناء طويل ، لقد كنت أتطلع إلى نورك لتعيننى حتى أظل منصفا فى هـذا الموضـوع الـذى افترق النـاس فيه إلى مؤيد مدافع ، أو معارض مهـاجم ، وأشهدك يـارب أنى ظللت شديد التمسك بالحيدة والإنصـاف ، فذلك هو واجبى كمؤرخ التـزم بالآداب والقوانين التاريخية ٠

وأكرر ياربى شكرى وثنائى واعترافى بالمدد الضخم الـذى كنت أتلقاه كلما توقفت بى السبل ٠

وفى هذه الخاتمة أريد أن أقرر أربع قضايا هى :

أولا : جلبت الثورة التى قام بهـا الجيش بمصر ، الاسـتعمار الصهيونى لجزء عزيز من أرضنا الطيبة ٠

وجلبت الديون التى لا نزال نرزح تحت ثقلها ٠

وأسيء للإنسان المصرى بواسطة رجال الجيش أبلغ إساءة ؛ قتـل هذا الإنسان ، وسجن ، وعذب ، وضرب ، وصودرت أمواله ، وفصل من عمله ٠

وسجن الشعب كله عندما منع من مغادرة البلاد إلا بموافقة يصعب الحصول عليها ٠

وصدرت قرارات كثيرة تنقصها الحكمة ، كقانون الإسكان والإصلاح الزراعى ، وعاشت هذه القوانين ثلاثين عاما ، أو تزيد كأن هذه الثورة الجاهلة وضعت لهذه القوانين الجائرة تعويذة بحيث لا تستطيع قوة أخرى فك طلاسمها ، ومن هنا لا تزال هذه القوانين قائمة على الرغم من منافاتها للدين ، والعقل ، والقوانين العالمية ، فالايجار الشهرى لشـقة فى جاردن سيتى أو المعادى لا يكفى لشراء نصـف كيلو مـن اللحم ، ومستأجر الأرض الزراعية مستبد بها ، ويحصل على أضعاف ما يحصل عليه المالك ، يا للسخرية ٠

وفى ظل هذه الثورة ظهرت اتهامات كثيرة بالسلب والنهب والرشوة .

ومن أجل هذا يتحتم أن يبقى الجيش للدفاع عن البلاد ، دون أن يتورط فى السياسة ، فالسياسة علم له قواعد وأسس ودعائم .

ثانيا : ذكرنا فى مطلع الحديث فى هـذا الجزء أن أنور السـادات لم يجىء من فراغ ، وأنه تلقّى تراثا من عصر سلفه كان عليه أن يتصرف بمقتضاه ، وقد تصرف بقدر طاقته فأحسن وأساء ، وقد رصدنا إساءته وإحسانه ، وجاء بعده محمد حسنى مبارك الذى تلقى تراث عبد الناصر والسادات وهو عبء ثقيل ، نرجو الله أن يساعده فى حمله ، وأن يهيىء لـه الطريق السوى لمسيرة موفقة لصالح الوطن والمواطنين .

إن الناس يتطلعون إلى عهد تستريح فيه خواطرهم بعد طـول عناء ، وتُحَلّ فيه مشكلاتهم بعد أن ثقلت المشكلات عليهم ، فاللهم ألْهم حسنى مبارك فيضا من توفيقك حتى يرضيك بما يعمل ، وييسر بهديك فى كل خطوة يخطوها ، واللّهم أبْعِدْ عنه الذين يخافونه ولا يخافونك ، والذين يعملون لصالحهم لا لصالح الشعب .

ويارب مكّن فى خاطره أن السلطان لا يدوم ، وأن من أراد المجد الطويل يجده فى التاريخ الحافل بالذكر الحسن ، ذلك التاريخ الـذى تتناقله الأجيال ، ويذوى فيه الزيغ ويختفى ، وينمو فيه الحق ويزدهر .

لقد استقبل الشعبُ حسنى مبارك أروع استقبال ، وفى الحق كانت هناك عقبات ذلّلها السادات ، ولكن الكثير كان قد تبقى ينتظر خَلَفه ، كتقسيم المجتمع إلى عمال وفلاحين وفئات ، وكالقوانين التى ذكرناها آنفا ، وندعو الله أن يوفق حسنى مبارك لإزالتها .

وكلما أقبلتَ يا سيادة الرئيس على الشعب كلما زاد الشعب إقبالا عليك ، وأَعْلِنْها ديمقراطية حقيقية كاملة ليحمل الشعب عنك أعبـاء المسيرة ، أو أَعْلنها ديكتاتورية سافرة ، واحمل أنت مسئوليتها ، وحذار من الديمقراطية الزائفة ، ديمقراطية عبد الناصر والسادات فهى مضيعة البلاد والعباد .

ثالثا : موسوعة التاريخ الاسلامى التى تتكون من عشرة مجلدات بدأتُ العمل بها فى إندونيسيا سنة ١٩٥٥ ، وتم الجزء العاشر منها سنة ١٩٩٠ وهى مدة طويلة كان المهندس خلالها يستطيع أن يبنى مدناً كاملة ، وكان التاجر المخلص يستطيع أن يطوّر تجارته ، ويضاعفَ رأس ماله ... ، ولكن المؤلف لا ينظر إلى مال ولا جاه ، بل يسعى لإرضاء ضميره وخدمة الشعب ، ولعلى قد حققت هذا الهدف .

ومع طول المدة كان الجهدُ متصلا والمثابرة على العمل دائمةً ، ولكن طبيعة العمل ومشكلاته احتاجت لهذا الوقت الطويل ، وكان الانتقال من عصر إلى عصر ، ومن دولة إلى دولة يستلزم مصادر جديدة وتخطيطا جديدا ، وكان عون الله من جانب ، والأصرار من جانب آخر ، هما الزورق الذى ساعدنى للوصول للشاطىء ، فشكرا لله جل وعلا ، وشكرا للنفس التى تحملت المشاق والحرمان من أجل هذا الهدف العظيم .

رابعا : قد يظن ظان أننى سأكتب مجلدا تاليا لهذا المجلد ، هو مثلا الجزء الحادى عشر ...... وأقرر أن تخطيط الموسوعة أن تكون فى عشرة مجلدات فقط ، والحمد لله على اكتمالها ، اما عصر حسنى مبارك ومن يجىء بعده فمكانه فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو الجزء الخاص بتاريخ مصر من مطلع الإسلام إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم ، وقد حوى الجزء الخامس فى طبعته السابقة تاريخ عدة سنوات من سنوات حكم حسنى مبارك ، وشمل تاريخ أخطر الأحداث حتى سنة ١٩٨٥ ، وفى الطبعة التالية إن شاء الله سنضيف أحداث ما بعد سنة ١٩٨٥ .

أما عصر عبد الناصر والسادات فكان لهما وضع خاص بسبب الثورة وأحداثها الخطيرة وما ارتبط بها من نجاح وفشل ، ولذلك وضعت جزءا خاصا لهذا العصر ولذاك ، وبعدهما نعود إلى تاريخ مصر فنواصل المسيرة معه ما تبقى لنا من العمر والجهد .

والحمد لله فى البدء والختام ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله .

مصادر الكتاب ومراجعه

تعتبر الصلة المباشرة بين المؤلف والأحداث رؤية وسماعاً هى المصدر الأول للكتاب ، وبعد ذلك تجىء المصادر المذكورة هنا وهى المصادر التى وردت فى ذيل صفحات الكتاب ، وهناك مصادر متعددة أسهمت بطريق غير مباشر فى كتابة هذا الكتاب لم ندونها هنا .

وقد رتبت المراجع والمصادر حسب الحروف الهجائية للمؤلفين :

١ ــ مجموعة كبيرة من الصحف والمجلات المصرية والعالمية .

٢ ــ مضبطة مجلس الشعب .

٣ ــ بروتوكولات حكماء صهيون .

٤ ــ مؤلفون اسرائيليون : التقصير

٥ ــ دستور السادات .

٦ ــ نشرة الوثائق تصدرها مصلحة الاستعلامات .

٧ ــ بيانات وأقوال لزعماء العالم .

٨ ــ دكتور ابراهيم دسوقى أباظة الخطايا العشر بين عبد الناصر والسادات

٩ ــ دكتور ابراهيم عبده ومن النفاق ما قتل

١٠ ــ دكتور ابراهيم عبده أقول للسلطان

١١ ــ الأستاذ أحمد أبو الفتوح التحدى

١٢ ــ الأستاذ أحمد بهاء الدين محاوراتى مع السادات

١٣ ــ دكتور أحمد شلبى موسوعة التاريخ الإسلامى الأجزاء التسعة السابقة

١٤ ــ دكتور أحمد شلبى موسوعة الحضارة الإسلامية ١٠ أجزاء

١٥ — دكتور أحمد شلبى	مقارنة الأديان ٤ أجزاء
١٦ — أحمد طلعت	السادات قبل الرياسة
١٧ — اسماعيل عبد التواب	السادات بلا رتوش
١٨ — الأستاذ اسماعيل فهمى	التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط
١٩ — أنور السادات	البحث عن الذات
٢٠ — أنور السادات	صفحات مجهولة
٢١ — أنور السادات	وصيتى
٢٢ — أنور السادات	يا ولدى هذا عمك جمال
٢٣ — باروخ نادل	وتحطمت الطائرات عند الفجر
٢٤ — الأستاذ جلال الدين الحمامصى	القربة المقطوعة
٢٥ — الأستاذ جلال الدين الحمامصى	حوار وراء الأسوار
٢٦ — الأستاذ جلال الدين الحمامصى	أسوار حول الحوار
٢٧ — جلال السيد وسامى مهران	البرلمان المصرى
٢٨ — جمال حماد	الحكومة الخفية فى عهد جمال عبد الناصر
٢٩ — جمال سليم	ديكتاتورية السادات
٣٠ — جمال سليم	شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر
٣١ — جولدا مائير	حياتى
٣٢ — جيهان السادات	امرأة من مصر
٣٣ — حامد المليجى	كشف الستار عن نظرية امتياز بعض الأجناس
٣٤ — اللواء حسن البدرى وآخران	حرب رمضان
٣٥ — حسن عزت	العمالقة والأقزام

٣٦ — دكتور حسين مؤنس باشوات وسوبر باشوات
٣٧ — حمدى الظاهرى خمس سنوات سياسة
٣٨ — ابن خلدون المقدمـــة
٣٩ — سيد مرعى أوراق سياسية
٤٠ — شوقى خالد محاكمة فرعون
٤١ — دكتور صادق جلال العظم نقد الفكر الدينى
٤٢ — دكتور صلاح العقاد السادات وكامب ديفيد
٤٣ — عادل حمودة اغتيال رئيس
٤٤ — عادل حمودة الهجرة إلى العنف
٤٥ — عاطف السيد من سيناء الى كامب ديفيد
٤٦ — ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز
٤٧ — المستشار عبد الحميد يونس دراسة عن قضية الأحوال الشخصية
٤٨ — ابن عبد ربه العقد الفريد
٤٩ — عبد العاطى أحمد كرسى الوزارة
٥٠ — دكتور عبد العزيز سليمان محنتى
٥١ — دكتور عبد العظيم رمضان مصر فى عهد السادات
٥٢ — عبد الله امام محاكمة عصر
٥٣ — عبد الله امام انقلاب ١٥ مايو
٥٤ — الفريق عبد المحسن مرتجى مذكرات
٥٥ — الأستاذ عبد المنعم أمين مقالات نشرت بصحيفة الوفد
٥٦ — الأستاذ عبد الواحد الابيارى فجر التاريخ الإفريقى

٥٧ ـ المهندس عثمان أحمد عثمان تجربتى

٥٨ ـ الأستاذ علوى حافظ المنصـــــة

٥٩ ـ الأستاذ عمر التلمسانى أيام مع السادات

٦٠ ـ الأستاذ كمال خالد رجال عبد الناصر والسادات

٦١ ـ الأستاذ محمد ابراهيم كامل السلام الضائع فى كامب ديفيد

٦٢ ـ الأستاذ محمد أنور رياض القابضون على الجمر

٦٣ ـ اللواء محمد حافظ اسماعيل أمن مصر القومى فى عصر التحديات

٦٤ ـ الأستاذ محمد حسنين هيكل خريف الغضب

٦٥ ـ الأستاذ محمد حسنين هيكل عند مفترق الطرق

٦٦ ـ الأستاذ محمد حسنين هيكل وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى الاشتراكى

٦٧ ـ الدكتور محمد حلمى مراد التغيير أو الضياع

٦٨ ـ المستشار محمد عبد السلام سنوات عصيبة

٦٩ ـ الفريق أول محمد فوزى حرب الثلاث سنوات

٧٠ ـ الفريق أول محمد فوزى استراتيجية المصالحة

٧١ ـ الأستاذ محمود رياض مذكرات محمود رياض

٧٢ ـ الأستاذ مصطفى أمين سنة أولى سجن

٧٣ ـ الأستاذ مصطفى أمين سنة ثانية سجن

٧٤ ـ الأستاذ مصطفى كمال ضفادع وعقارب

٧٥ ـ موسى ديان قصة حياتى

٧٦ ـ الأستاذ موسى صبرى وثائق ١٥ مايو

٧٧ — الأستاذ موسى صبرى السادات الحقيقة والأسطورة

٧٨ — الأستاذ نبيل عبد الفتاح المصحف والسيف

٧٩ — دكتورة نعمات أحمد فؤاد صناعة الجهل

٨٠ — هتلر كفاحى

٨١ — الأستاذ وجيه أبو ذكرى مجزرة الأبرياء

٨٢ — الأستاذ وجيه أبو ذكرى حرب أكتوبر : شهادة اسرائيلية

رقم الايداع ٢٨٦١ لسنة ١٩٩٠

الترقيم الدولى : ١ — ١٥٣ — ١٠٠ — ٩٧٧

مطابع سجل العرب

HISTORY and CIVILIZATION of ISLAM

A study, in Ten Volumes, on History of MUSLIM NATIONS **in All Muslim Ages and Lands**

10

THE HISTORY OF CONTEMPORARY EGYPT

(A Day By Day History of The 23 rd july Revolution)

ANWAR AL SADAT'S EPOCH

By

AHMED SHALABY,

B.A. (Hon.) Cairo University,

Ph. D. Cambridge University,

Professor of Islamic History and Civilization

Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

FIRST EDITION (1990)

Published by :

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.



دكتور أحمد شلبى

ــ تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج .

ــ زار الولايات المتحدة الامريكية كما زار اكثر دول أوربا وآسيا وافريقيا ، ومثّل مصر فى عدة مؤتمرات دولية .

ــ درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .

ــ اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وقد حاضر ــ منتدبا وزائرا ومُعارا ــ فى جامعة الأزهر ، وعين شمس ، واندونيسيا ، والسودان ، وماليزيا ، والمملكة العربية السعودية ، وليبيا ، وفى معهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد البحوث والدراسات العربية ، ومعهد الدراسات الدبلوماسية .

ــ مؤلفاته تزيد عن خمسين كتابا ظهرت الطبعة الحادية والعشرون من بعضها وأهم هذه المؤلفات :

١ ــ موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة مجلدات

٢ ــ موسوعة الحضارة الاسلامية فى عشرة أجزاء .

٣ ــ مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء .

٤ ــ كيف تكتب بحثا أو رسالة .

٥ ــ المكتبه الاسلامية لكل الاعمار : ١٠٠ جزء من السّيَر والتاريخ وقصص القرآن للأولاد والشبان والسيدات والرجال .

٦ــ ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS

٧ــ HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

ــ كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية ، وتُرجمت أكثر مؤلفاته الى الأوردية ، والتركية ، والاندونيسية ، والماليزية والفرنسية ، والفارسية .